

مؤامرة الفراضية لضرب العالم الإسلامي
بالسلاح النووي!

عاصفة

الشر

رواية

المؤلف الذي تحمل كتبه المرتبة الأولى على قائمة « نيويورك تايمز »

نيلسون ديميل

Nelson DeMille

عاصفة النار

رواية

نيلسون ديميل

ترجمة

أمين الأيوبي

مراجعة وتحريير

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. uu

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Wild Fire

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر

Warner Books

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم - ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2006 by Nelson DeMille

All rights reserved

Warner Books

Arabic Copyright © 2007 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى

1428 هـ - 2007 م

ISBN: 978-614-421-139-7

جميع الحقوق محفوظة للناشر



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص. ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

إن هذه الرواية تعبر عن رأي مؤلفها وليس عن رأي الدار العربية للعلوم. لقد أرادت الدار العربية من نشر هذه الرواية إطلاع القراء العرب عما يُحيق بهم من أخطار وإن كانت ترد في إطار روائي، وفي هذا السياق نستشهد بما ورد في مقدمة المؤلف "إذا اعتقدت أن ما تقرأه يبدو حقيقياً، فهو كذلك فعلاً، فالحقيقة أشد غرابة من الخيال بالطبع وغالباً ما تكون إثارتها للرعب أشد"

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

للتبصير وفرز الألوان: أبجد جرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

مقدمة

عندما يجمع بين الحقيقة والخيال في الروايات، لن يستطيع القارئ التمييز بينهما دائماً. وقد سألني الذين قرأوا مخطوطة رواية **عاصفة النار** عما هو حقيقي فيها وما هو من نسج خيالي، ولذلك ارتأيت أن أعالج هذه المسألة هنا.

أولاً، تستند الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب المذكورة في هذه الرواية وغيرها من قصص جون كوري إلى الوحدة التكتيكية المشتركة لمحاربة الإرهاب الحقيقية مع بعض التحريف الأدبي.

في هذا الكتاب على وجه الخصوص، هناك الكثير من المعلومات حول ELF، وهي كلمة أوائلية ترمز إلى شيء ستكتشفه في القصة، علماً بأن كافة المعلومات المتعلقة بها دقيقة، على حسب علمي.

في ما يتعلق بالخطة السريّة للحكومة التي تسمى **عاصفة النار**، فهي تستند إلى بعض المعلومات التي حصلت عليها، عبر الإنترنت غالباً، ويمكن اعتبارها شائعات، أو حقائق، أو خيالاً محضاً، أو مزيجاً من كل ما تقدم. إنني شخصياً أعتقد بوجود نموذج معين لعاصفة النار فعلاً (أو أي اسم رمزي آخر)، وفي حال لم يكن يوجد، فأعتقد بوجود إيجاده.

في ما يتعلق بالموضوعات التي سألني الناس عنها في هذا الكتاب، مثل نيست، وكنيكاب، والكلمات الأوائلية الأخرى، فهي خيالية. في الواقع، إذا اعتقدت أن ما تقرأه يبدو حقيقياً، فهو كذلك فعلاً، فالحقيقة أشدّ غرابة من الخيال بالطبع، وغالباً ما تكون إثارتها للربح أشدّ.

أما السؤال الذي لا يزال يُطرح عليّ غالباً لغاية الآن فهو **هل البير بانغرز حقيقيون؟** الجواب هو أجل إنهم كذلك.

تدور أحداث القصة في شهر أكتوبر/تشرين الأول 2002، أي بعد سنة وشهر على الحادي عشر من أيلول 2001، والعناوين التي تصدرت صحيفة ذا نيويورك تايمز والقصص التي أوردتها حقيقية. وبالمثل، فإن أية إشارة إلى تدابير أمنية حكومية أو إلى غيابها كانت صحيحة حتى تاريخ كتابة القصة.

يعتقد القليل من القراء الذين يعملون في مجال تطبيق القانون بأن التحريّ جون كوري يعاني من مشكلات تتعلق بحدود سلطاته ونطاق صلاحياته. وأنا أعتزف بأنني منحت الدور بعض الحرّيات الدراماتيكية من أجل المحافظة على عنصر التشويق في القصة. فجون كوري الذي يعمل وفقاً للقانون ويتبع الإرشادات حرفياً يتميز بصفات لا يرغب أي منّا في أن تكون في بطل.

لقد قال لي الأشخاص الذين قرأوا المسودة الأولى لهذه الرواية إن **عاصفة النار** أبقتهم متيقظين حتى بعد مضي ساعات طويلة على توقّفهم عن قراءتها. بالطبع، إنه كتاب مرعب في أوقات مرعبة، ولكنني آمل بأن يكون رواية تحذيرية لعالم ما بعد 11 سبتمبر/أيلول.

القسم 1

يوم الجمعة

مدينة نيويورك

يُجري مكتب التحقيقات الفيدرالي تحقيقات على علاقة بالإرهاب، دونما اعتبار للعرق، أو الدين، أو الوطن الأم، أو الجنس.

- الإرهاب في الولايات المتحدة،

من منشورات مكتب التحقيقات الفيدرالي، 1997

الفصل 1

أنا جون كوري، تحرّي سابق في قسم التحقيق الجنائي في شرطة نيويورك، أصبت أثناء تأديتي مهامتي، وتقاعدت بعد تشخيص حالتي على أنها إعاقة بنسبة خمسة وسبعين في المئة (وهي نسبة تتعلق بالراتب التقاعدي وحسب، لكن حوالي ثمان وتسعين في المئة من الوظائف الجسدية لا تزال تعمل بشكل طبيعي)، إنني أعمل حالياً كعميل خاص متعاقد مع الوحدة التكتيكية الفيدرالية لمحاربة الإرهاب.

سألني الرجل الذي يعمل قبالي في الحجرة، واسمه هاري مولر، "هل سبق أن سمعت عن نادي كاستر هيل؟"
"كلا. لماذا؟"

"إنه المكان الذي أنوي الذهاب إليه في عطلة نهاية الأسبوع".

قلت له: "أتمنى أن تقضي أوقاتاً سعيدة".

"إنهم مجموعة من الأثرياء اليمينيين المعنوهين الذين يملكون هذا النادي المخصص للصيد في شمال الولاية".

"هاري، لا تأت إليّ بقطعة من لحم الأيل، ولا بشيء من الطيور التي تصطادها أيضاً".

نهضت من مقعدي وذهبت إلى المقهى. وهناك، فوق غلايات القهوة، ترى صور الأشخاص المطلوبين لوزارة العدل معلقة على الجدار، تعود في معظمها لأشخاص عرب، بمن فيهم المطلوب رقم واحد، أسامة بن لادن.

كما تتضمن الملصقات التي ناهز عددها العشرين صورة لمواطن ليبي يدعى أسد خليل. لم أكن بحاجة إلى التحديق في صورة هذا الرجل، فأنا أعرف وجهه بقدر ما أعرف وجهي، رغم أنه لم يسبق لي أن التقيت به.

بدأت صحبتي للسيد خليل قبل حوالي سنتين عندما كنت أتعبه خلسة، ليتبين لي بأنه كان هو من يتعقبني. هرب منّي، وهربت منه بعد إصابتي بجرح طفيف. وكما سيقول العرب على الأرجح، "من المحتم أن نلتقي مجدداً لكي نسوي حسابنا". وتطلعت قدماً لذلك الموعد.

أكثرت من شرب القهوة في كوب من الفلين في ما كنت أقرأ صحيفة ذا نيويورك تايمز كانت على الطاولة. تصدر الصحيفة في ذلك اليوم، الجمعة، الذي صادف

يوم 11 من أكتوبر/تشرين الأول العنوان التالي: “الكونغرس يجيز لبوش استخدام القوة ضدّ العراق، ويمنحه تفويضاً واسعاً”.

وظهر عنوان فرعي يقول، أفاد مسؤولون أن خطة احتلال العراق جاهزة لدى الولايات المتحدة.

بدا أن نشوب الحرب محتوم، وكذلك النصر. ولذلك، كانت فكرة جيدة امتلاك خطة لاحتلال ذلك البلد. وتساءلت إن كان يوجد شخص في العراق على علم بذلك.

عدت بكوب القهوة إلى مكتبي، وشغلت حاسوبي، وقرأت بعض المذكرات الداخلية. لقد استغنت منظمنا عن استخدام الورق بشكل شبه كامل. في الواقع، لقد افتقدتُ للمذكرات الموقعة بالحروف الأولى. كانت لديّ رغبة بالتوقيع على شاشة حاسوبي بقلم الرصاص، ولكنني استعصت عن ذلك بالتوقيع الإلكتروني. لو كنت أنا من يدير هذه المنظمة لكنت وقعت كل المذكرات إلكترونياً.

نظرت إلى ساعتني. كانت تشير إلى الساعة 4:30 من بعد الظهر، وكان زملائي في الطابق السادس والعشرين في المبنى 26 فيدرال بلازا يغادرون بسرعة. يتعين عليّ القول إن زملائي، وأنا أيضاً، أعضاء في **الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب**، وهي جهاز اسمه مؤلف من أربعة حروف في عالم الأجهزة التي تتألف أسماؤها من ثلاثة حروف.

إنه عالم ما بعد 11 سبتمبر/أيلول، ولذلك فإن أيام عطل نهاية الأسبوع، من الناحية النظرية، ليست أكثر من يومي عمل بالنسبة لنا. في الحقيقة، لم يتغيّر التقليد العريق كثيراً والمتمثل بالانصراف الباكر يوم الجمعة. وكذلك هي حال قسم التحقيق الجنائي في شرطة نيويورك الذي يشكل جزءاً من الوحدة التكتيكية، والذي اعتاد على الساعات السيئة المتمثلة بضرورة توفر الرجال للقسم في أيام عطل نهاية الأسبوع وفي العطل السنوية.

سألني هاري مولر، “ماذا ستفعل في عطلة نهاية الأسبوع؟”

كان يوم السبت بداية عطلة كولومبوس التي تمتدّ ثلاثة أيام، لكن شاءت الأقدار أن أعمل يوم الاثنين. فأجبت، “كنت أنوي المشاركة في مسيرة يوم كولومبوس، ولكنني سأعمل يوم الاثنين”.

“هل تنوي المشاركة في المسيرة، حقاً؟”

“كلا، لكن هذا ما قلته للنقيب باريزي. قلت له إن أمي إيطالية، وأنني أنوي اصطحابها على كرسيها المدولب إلى المسيرة”.

ضحك هاري وسألني “وهل اقتنع بذلك؟”

“كلا، ولكنه عرض عليّ دفع الكرسي المدولب”.

“كنت أعتقد أن والديك يعيشان في فلوريدا”.

“والداي هناك فعلاً”.

“حقاً؟”

“والدتك أيرلندية”.

“إنها كذلك. والآن، عليّ أن أجد أمًا إيطالية لباريزي لكي يدفع كرسيها في مسيرة كولومبوس”.

ضحك هاري مجدداً وعاد إلى حاسوبه.

على غرار معظم أفراد شرطة نيويورك في قسم ولايات الشرق الأوسط في الوحدة التكتيكية، يقوم هاري مولر بعمليات مراقبة سرّية للأشخاص المشبوهين، وهي الوصف السياسي للجالية العربية، ولكنني أعمل غالباً في إجراء المقابلات وتجنيد المخبرين.

الغالبية العظمى من المخبرين الذين يعملون لديّ كذّابون، إما لأنهم يريدون المال أو الحصول على الجنسية، أو يرغبون في الإيقاع بشخص ينتمي إلى مجتمعهم. وبين الحين والآخر، أحصل على معلومات حقيقية، وحينها أقوم بتمريرها إلى المسؤول في مكتب التحقيقات الفيدرالي.

تتألف الوحدة التكتيكية في غالبيتها من عملاء من مكتب التحقيقات الفيدرالي وتحريين من شرطة نيويورك، إضافة إلى متقاعدین من شرطة نيويورك، مثلي. وبالإضافة إلى ذلك، قمنا بتجنيد أشخاص من وكالات فيدرالية أخرى، مثل دائرة الهجرة والجمارك، وشرطة الولاية والضواحي، وشرطة سلطة الموانئ، ووكالات كثيرة أخرى أعجز عن تذكر أسمائها.

كما كان يوجد في مجموعتنا أشخاص، كالأشباح، لا وجود لهم في الحقيقة، ولكن في حال ظهوروا، فإنهم يُدعون وكالة الاستخبارات المركزية.

تفحصت بريدي الإلكتروني، ووجدت ثلاث رسائل. الرسالة الأولى كانت من رئيسي، **توم والش**، وهو عميل خاص تولّى مسؤولية الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب بعد أن تُوفي رئيسي السابق، **جاك كوينغ**، في مركز التجارة العالمي. جاء في الرسالة الإلكترونية: **سرّي - تذكير - في الفترة التي تسبق العمليات العدائية في**

العراق، نحن بحاجة إلى إيلاء عناية خاصة للعراقيين الذين يعيشون في كوناس.

كوناس تعني الولايات المتحدة القارية، والعمليات العدائية تعني الحرب، وما تبقى فيعني العثور على عراقي يمكن ربطه بخطر إرهابي يهدد الولايات المتحدة لكي نسهّل على الرفاق في واشنطن مهمتهم قبل أن يطلقوا جحيمهم على بغداد.

ومضت الرسالة تقول، يبقى التركيز والتشديد الأساسي على أسامة بن لادن.

الرسالة الإلكترونية الثانية جاءتني من رئيسي الثاني، فينشي باريزي، المذكور آنفاً، وهو نقيب في قسم شرطة نيويورك ألحق بالوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب من أجل مراقبة أفراد الشرطة المشاكسين الذين لا يتعاونون مع أصدقائهم في مكتب التحقيقات الفيدرالي على الوجه المطلوب، وهذا التعريف يشملني. وقد حل النقيب باريزي محل ديفيد ستاين، الذي قتل، على غرار جاك كوينغ، قبل سنة وشهر من اليوم؛ في مركز التجارة العالمي.

كان ديفيد ستاين رجلاً رائعاً، وأنا أفنّده كل يوم. وعلى الرغم من كل عيوب جاك كوينغ والمشاكل التي كانت بيني وبينه، كان رجلاً محترفاً، ورئيساً قاسياً ولكنه منصف، ووطني. لم يتم العثور على جثته، ولا على جثة ديفيد ستاين.

الجثة الأخرى التي لم يتم العثور عليها، إضافة إلى ألفي جثة أخرى، كانت تعود لتيد ناش، وهو ضابط في وكالة الاستخبارات المركزية، وكان شخصية عظيمة الشأن، ويمكنك اعتباره عدواً لك.

أتمنى لو كان في مقدوري التفكير بأمر جميل أصف فيه هذا الوجود، لكن كل ما يمكنني التفكير فيه هو "وداع لا لقاء بعده".

كما كان في هذا الرجل عادة سيئة وهي عودته من بين الأموات - فقد قام بذلك مرتين على الأقل - وما لم تظهر نتيجة إيجابية لفحص الحمض النووي الخاص به،

فلن أفتح زجاجة الشراب للاحتفال بموته.

على أية حال، جاء في الرسالة الإلكترونية التي أرسلها النقيب باريزي إلى كافة أفراد شرطة نيويورك/الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب: عليكم بزيادة كثافة عمليات المراقبة التي تستهدف الرعايا العراقيين، والتعاون مع العراقيين الذين كانوا نافعين في الماضي، واستدعاء العراقيين المدرجة أسماؤهم على لوائح المراقبة من أجل استجوابهم. وعليكم إيلاء عناية خاصة للعراقيين الذين لديهم ارتباطات مع الرعايا المسلمين الآخرين، أي السعوديين، والأفغان، والليبيين، ... إلخ. ستم زيادة عمليات المراقبة التي تستهدف المساجد. وسيتم إطلاعكم على موجز التعليمات في الأسبوع المقبل. النقيب باريزي، قسم الشرطة بولاية نيويورك.

أعتقد بأن هناك نمطاً معيناً هنا. يصعب تصديق الأمر، فقد حاولنا منذ وقت ليس ببعيد معرفة ما يُفترض بنا أن نقوم به كل يوم، وكانت المذكرات تُكتب بعناية كي لا يبدو أننا نحارب الإرهابيين الإسلاميين أو أننا نزعجهم على أية حال. ولكن ذلك تغير بسرعة.

الرسالة الإلكترونية الثالثة كانت من زوجتي، كايت مايفيلد، التي يمكنني أن أراها بالقرب من مكتبها في الطابق السادس والعشرين من مبنى مكتب التحقيقات الفيدرالي/شرطة ولاية نيويورك. زوجتي امرأة جميلة، وأنا أحبها حتى ولو لم تكن كذلك. في الواقع، لو لم تكن جميلة، لما كنت أبدت اهتماماً بها، ولذلك فهي مسألة فيها وجه نظر.

جاء في الرسالة: دعنا نتوقف عن العمل باكراً، ونذهب إلى البيت. وسأعدّ لك طبقاً من النقانق الساخنة

بالتشيلي، وسأعدّ لك المشروبات فيما تشاهد التلفاز
مرتدياً ثيابك الداخلية.

في الواقع، لم تقل ذلك في الرسالة، بل قالت دعنا نذهب
لقضاء أمسية رومانسية نتذوّق فيها الشراب الفرنسي
الشهير في نورث فولك، وسأتولّى بنفسى أمر الحجز.
أحبّك، كايت.

لماذا عليّ أن أتذوّق الشراب الفرنسي الشهير في نورث
فولك؟ فكل أنواع الشراب لها نفس المذاق. كما أن السرير
والمكان الذي نتناول فيه وجبة الإفطار يثيرا الاشمئزاز؛
أكواخ فيها حمامات تعود إلى القرن التاسع عشر، وأسرة
تصدر أصواتاً مزعجة. هناك، أكون مضطراً لتناول وجبة
الإفطار أمام النزلاء الآخرين الذين عادة ما يكونون من
الأوغاد العصاميين القادمين من الغرب والذين يودّون
التحدث عن شيء قرأوا عنه في قسم الفنون والتسلية في
صحيفة التايمز. وفي كلّ مرة أسمع فيها كلمة فنّ، أضع
يدي على مسدسي.

كتبت لها في رسالتي الجوابية: هذا أمر رائع. أشكرك
لأنك فكرت في ذلك. أحبّك، جون.

كما هو حال معظم الرجال، أفضل أن أواجه فوهة بندقية هجومية على مواجهة
زوجة ساخطة.

زوجتي كايت مايفيلد عميلة لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي، وعضو في فريق
الذي يضم فرداً آخر من شرطة نيويورك وعميلاً آخر من مكتب التحقيقات
الفيدرالي. كما أننا نضيف شخصاً أو اثنين بين الحين والآخر من وكالة أخرى،
متى لزم الأمر، مثل وكالة الاستخبارات المركزية أو ICE. وآخر عميل انضمّ إلينا
من وكالة الاستخبارات المركزية كان تيد ناش الذي سبقته الإشارة إليه، والذي
تساورني شكوك قوية في أنه أقام علاقة رومانسية مرّة مع المرأة التي أصبحت
زوجتي. لم يكن ذلك سبب كرهى له؛ بل هو سبب بغضى له. فأنا أكرهه لأسباب
مهنية.

لاحظت أن هاري مولر ينظف مكتبه، ويضع المواد الحساسة في خزانة مقفلة لكي لا يتسنى لعمال التنظيفات، من المسلمين وغير المسلمين، نسخها أو إرسالها بواسطة الفاكس إلى ساند لاند. قلت له: "لديك إحدى وعشرون دقيقة قبل أن يرنّ الجرس".

نظر إليّ وأجاب "عليّ أن آخذ بعض المواد التقنية".
"لماذا؟"

"قلت لك، أنا أقوم بعملية مراقبة في شمال الولاية، في نادي كاستر هيل".
"اعتقدت بأنك أحد المدعوين".

"كلا، أنا أتطفل على المكان".

"ولماذا اخترت هذا المكان بالذات؟"

"لا أعرف. هل عليّ أن أسأل؟ أملك مركبة مقطورة، وحذاء، وقبعة ووقاعين للأذن. ولذلك أعتبر نفسي مؤهلاً".

"هذا صحيح". كما قلت سابقاً، هاري مولر عضو سابق في شرطة نيويورك، مثلي، وهو متقاعد منذ عشرين سنة، أمضى السنوات العشر الأخيرة منها في وحدة الاستخبارات، وهو الآن يعمل لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي في عمليات المراقبة لكي يتسنى لمكتب التحقيقات الفيدرالي الاهتمام بالمسائل الفكرية.

سألته "انظر، ماذا عن الجناح اليميني؟ اعتقدت بأنك معنا؟" عنيت بعبارة "معنا" قسم الشرق الأوسط الذي يشكّل حوالي تسعين في المئة من الوحدة التكتيكية المشتركة لمحاربة الإرهاب.

أجابني هاري، "لا أدري، هل عليّ أن أسأل؟ كل ما عليّ أن أقوم به هو التقاط الصور لا الذهاب معهم إلى الكنيسة".

"هل تقرأ الرسائل الإلكترونية التي يرسلها والش وباريزي؟"
"أجل".

"هل تعتقد أننا ماضون إلى الحرب؟"

"دعني أفكر".

"هل لدى مجموعة الجناح اليميني أية اتصالات مع أشخاص عراقيين؟"

نظر هاري إلى ساعته وقال: "لا أعرف، أنا بحاجة إلى الذهاب إلى النادي قبل أن يغلق أبوابه".

قلت له: "لديك متسع من الوقت. هل أنت ذاهب لوحده؟"

“أجل. ولا توجد لدي مشكلة في ذلك. إنها مجرد مراقبة خالية من المخاطر”. ثم نظر إليّ وقال: “أنت تعرف أننا لا نقتصر على ملاحقة العرب، فلدينا المجموعات المحلية أيضاً، مثل النازيين الجدد، والميليشيات، والوجوديين، وغيرهم. سيبدو الأمر جيداً بالنسبة إلى وسائل الإعلام والكونغرس في حال كشفنا عن شيء. أليس كذلك؟ فقد قمنا بذلك عدة مرّات قبل 11 سبتمبر/أيلول. أتذكر؟”

“أجل”.

“عليّ أن أذهب. أعتقد أنني سأراك يوم الاثنين. ولكنني بحاجة إلى أن أرى والش أولاً”.

“وهل سيعمل يوم الاثنين؟”

“حسناً، إنه لم يدعني إلى منزله لكي نحتسي الشراب، ولذلك أعتقد بأنه سيأتي إلى هنا”.

“حسناً، أراك يوم الاثنين”. وبعدها غادر هاري.

ما تحدث عنه هاري بشأن جمع الملفات لا يبدو منطقيّاً. أضف إلى ذلك أنه يوجد لدينا قسم خاص بالإرهاب المحلي من أجل التعامل مع هذه المجموعات. كما أن التجسس على الأغنياء المنتمين إلى الجناح اليميني في نادٍ في شمال الولاية أمر يدعو إلى الغرابة. والأمر الغريب أيضاً أن يأتي والش في يوم عطلة من أجل إطلاع هاري على مهمة روتينية.

أنا كثير الفضول، ولهذا السبب أنا تحرّ ممتاز. وبدافع الفضول، توجهت نحو حاسوب منفصل حيث يمكنني الدخول على الإنترنت، وأجريت بحثاً بواسطة غوغل عن “نادي كاستر هيل”.

لم يثمر بحثي عن أية نتائج، ولذلك بحثت عن “كاستر هيل”. أثمر بحثي عن 400000 نتيجة. وأشار خليط النتائج في الصفحة الأولى - ملاعب غولف، مطاعم، والعديد من الأماكن التاريخية في ساوث داكوتا وجميعها على علاقة بالمشكلة التي عانى منها الجنرال جورج أرمسترونغ كاستر في معركة ليتل بيغ هورن - إلى أن أياً من هذه النتائج لا علاقة بما أبحث عنه. وبالرغم من ذلك، أمضيت عشر دقائق في تصفّح النتائج، ولكنني لم أعثر على أماكن في ولاية نيويورك.

عدت إلى طاولة مكثبي حيث يمكنني استخدام كلمة المرور الخاصة بالوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب بغرض الوصول إلى الملفات الداخلية الموجودة في نظام الحالة المؤتمت، وهو إصدار غوغل الذي يستخدمه مكتب التحقيقات الفيدرالي. ظهر اسم نادي كاستر هيل، لكن بدا واضحاً أنني لست بحاجة إلى معرفة

ما في داخل هذا الملف، فقد وجدت أسفل العنوان سلسلة من الأسطر المتتالية التي يتكرر فيها الحرف إكس. أنت تحصل على شيء في العادة، حتى عندما تدخل على ملفات تخضع لقيود معينة، كأن تحصل على تاريخ فتح الملف، أو اسم الشخص الذي ينبغي عليك الرجوع إليه للحصول على الملف، أو مستوى سرّية الملف على الأقل. لكنّ هذا الملف كان مليئاً بحرف إكس المكرر. ولذلك، كل ما تمكنت من فعله هو تنبيه الحمقى المسؤولين عن الأمن بأنني كنت أبحث عن ملف سرّي لا علاقة له بالعمل الذي أقوم به، وهو متابعة الرعايا العراقيين في هذه المرحلة. لكن بهدف التلاعب بعقولهم، كتبت العبارة التالية “نادي الجمال العراقي، أسلحة الدمار الشامل”.

لم تظهر نتائج.

أطفت حاسوبي، وقمت بتوضيب مكتبي، وحملت معطفي، وتوجهت إلى مكتب كايت.

التقيت وكايت مايفيلد للمرّة الأولى في مهمة؛ عندما عملنا معاً في قضية أسد خليل الذي سبقت الإشارة إليه، حقير صغير قديم إلى أميركا من أجل قتل أكبر عدد من الأشخاص. وقد قام بذلك فعلاً، ثم حاول قتلي وقتل كايت، ثم لاذ بالفرار. لم تكن تلك واحدة من أفضل القضايا التي عملت عليها، ولكنها جمعت بيني وبين كايت، ولذلك عندما أراه في المرّة القادمة، سأشكره على ذلك قبل أن أطلق الرصاص عليه، وأراقبه وهو يموت ببطء.

قلت لكايت: “هل يمكنني أن أشتري لك شراباً؟”

نظرت إليّ وابتسمت، وقالت: “سيكون ذلك أمراً رائعاً”. ثم عادت إلى العمل على حاسوبها.

السيدة مايفيلد امرأة من الغرب الأوسط، جرى نقلها من واشنطن إلى نيويورك، وهي لم تكن سعيدة لتكليفها بهذه المهمة في البداية، ولكنها باتت سعيدة إلى حدّ الهوس بالعيش في أعظم مدينة على وجه الأرض مع أعظم رجل في الكون. سألتها “لماذا علينا مغادرة المنزل في عطلة نهاية الأسبوع؟”

“لأن هذا المكان يدفعني إلى الجنون”.

يمكن للمدن العظيمة أن تفعل ذلك. سألتها “ما الذي تعملين عليه الآن؟”

“أنا أحاول العثور على فندق في نورث فولك”.

“على الأرجح أن كافة الغرف محجوزة في عطلة نهاية الأسبوع، ولا تنسي أن عليّ الذهاب إلى العمل يوم الاثنين”.

“كيف لي أن أنسى؟ فأنت تشتكي من ذلك طوال الأسبوع”.

“أنا لا أشتكى أبداً”.

اعتقدت بأن في الأمر متعة لسبب ما.

نظرت إلى وجه كايت على وهج شاشة حاسوبها. كانت بمثل جمالها يوم التقيتها قبل ثلاث سنوات تقريباً. في العادة، النساء اللواتي أتعرف عليهنّ يهرمن بسرعة. فزوجتي الأولى، روبن، قالت بأن السنة الأولى على زواجنا بدت وكأنها عشر سنين. قلت لكاييت: “سأوافيك في إيكو”.

“حاول ألاّ تتشغل بأمر آخرى”.

تابعت طريقي عبر الغرفة، التي أصبحت خالية تقريباً الآن، ودخلت إلى ردهة المصعد حيث كان الزملاء يتجمعون.

أجريت محادثة قصيرة، ثم توجهت إلى هاري فور انتباهي لوجوده. كان يحمل حقيبة معدنية ضخمة، افترضت بأنها تحتوي على كاميرات وعدسات. قلت له: “دعني أدعوك لتناول الشراب”.

“أسف، فأنا مضطر إلى الذهاب بأسرع ما يمكن”.

“هل تتوي قيادة سيارتك هذه الليلة؟”

“أجل، فأنا بحاجة إلى الذهاب إلى ذلك المكان مع بزوغ الفجر. سيُعقد هناك لقاء ما، وأنا بحاجة إلى تصوير لوحات السيارات والشخصيات حال وصولها”.

“يبدو الأمر أشبه بمراقبة الحشود التي اعتدنا عليها في الأعراس والجنازات”.

أجل، الأمر التافه نفسه”.

دخلنا المصعد، ونزلنا إلى ردهة المبنى. سأل هاري “أين كايت؟”

“إنها في طريقها إلى هنا”. هاري رجل مُطلق، ولكنه على علاقة بامرأة. سألته “كيف حال لوري؟”

“إنها رائعة”.

“تبدو جيدة في صورتها على الماتش دوت كوم”.

ضحك وأجاب “إنك رجل حقير”.

“إلى أين ستتوجه؟ أين يقع هذا المكان؟”

“أي مكان؟ آه... إنه بالقرب من بحيرة سرانك”.

سرنا في اتجاه برودواي. كان يوماً خريفياً بارداً، وكانت المشاعر الجميلة التي تسبق يوم الشكر تملأ الشوارع وممرات المشاة.

تبادلت وهاري كلمات الوداع، وسرت جنوباً نحو برودواي.

تتميز **لوير مانهاتن** بكونها تضم مجموعة متلاصقة من ناطحات السحاب والشوارع الضيقة، وهو ما يضمن وصول أدنى قدر من أشعة الشمس والتسبب بأقصى قدر من الإجهاد.

تتضمن **الجهة الشرقية السفلية** من المنطقة، حيث وُلدت وترعرعت، إضافة إلى **تشاينا تاون**، و**ليتل إيتالي**، و**ترايبيكا**، و**سوهو** المؤسسات الصناعية التي تتقابل مع مؤسسات التجارة والمال، وهو ما تمثله وول ستريت بالإضافة إلى المباني الفدرالية، والمباني التابعة للولاية والبلدية، ومبنى البلدية، والسجون، والفيديرال بلازا، والبوليس بلازا، ... إلخ. وكتابع لا غنى عنه لكل ما تقدم، هناك المؤسسات القانونية، والتي تعمل في إحداها زوجتي السابقة وكيلة للدفاع وترافع فقط عن الطبقة الممتازة من **حثة المجرمين**. كان ذلك أحد الأسباب التي دفعتنا إلى **الطلاق**. والسبب الثاني هو اعتقادها بأن الطهو والجماع **مدينتان تقعان في الصين**.

توجد في مقدمة الشارع مساحة كبيرة تطل على السماء الفارغة حيث كان ينتصب مرةً برجاً مركز التجارة العالمية. بالنسبة إلى معظم الأميركيين، وحتى بالنسبة إلى غالبية أبناء نيويورك، لا يشكل غياب البرجين أكثر من فجوة في الأفق البعيد. لكن إذا كنت تقيم في وسط المدينة أو تعمل فيه، وكنت معتاداً على مشاهدة هذين المبنىين العملاقين كل يوم، فسوف يشكل لك غيابهما مفاجأة عندما تمشي في الشارع ولا تجدهما هناك.

وفيما كنت أمشي، بدأت أفكر في المحادثة التي دارت بيني وبين هاري مولر. فمن ناحية، لم يكن يوجد على الإطلاق أي شيء غير عادي أو يستحق الذكر بشأن مهمته في عطلة نهاية الأسبوع. ومن ناحية أخرى، أجد الأمر بعيداً عن المنطق، أعني بأننا على شفير الحرب مع العراق، ونخوض حرباً أصلاً في أفغانستان، وينتابنا الرعب من هجوم إرهابي إسلامي آخر، وهاري يذهب إلى شمال الولاية من أجل التجسس على بعض اليمينيين الأثرياء الذين يرجح أن يتراوح خطرهم الأمني بين المستوى المتدني وعدم تشكيلهم أي خطر على الإطلاق في هذه المرحلة.

ثم كان حديث توم والش التافه إلى هاري حول جمع الملفات في حال أراد أي شخص في الكونغرس أو وسائل الإعلام معرفة إن كانت **الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب** تلاحق الإرهابيين المندسين في البلاد. ربما كان الأمر سيبدو منطقياً قبل بضع سنين مضت، لكن منذ 11 سبتمبر/أيلول، شعر النازيون الجدد، والميليشيات، وغيرهم بالإثارة لتعرضنا للهجوم وأن البلاد تتطور بشكل مرض، بقتلها الأشخاص الأشرار أو اعتقالهم وما إلى ذلك. ثم جاء الحديث عن العمل في عطلة يوم الاثنين.

على أية حال، لا يجدر بي الاهتمام كثيراً بهذا الموضوع، بالرغم من أنه غريب بعض الشيء. ففي الأساس، الأمر ليس من شأني، وما من مرة طرحت فيها الكثير من الأسئلة حول أشياء بدت غريبة في المبنى 26 فيدرال بلازا إلا ووقعت في مشكلة. أو كما اعتادت أمي على القول، “جون، **المشكلات** هي المرادف لاسمك أو اسمك الثاني”. وأنا بقيت أصدقها إلى أن قرأت شهادة ميلادي التي تقول بأن اسمي الثاني هو أليوسئوس. وسوف أستبدل أليوسئوس **بمشكلات** في يوم من الأيام.

الفصل 2

عدت إلى شارع تشامبرز ودخلت الإكو، وهو مطعم إيطالي يسود فيه مناخ الصالونات؛ أفضل ما في العالمين.

كان المطعم مزدحماً بالسيدات والسادة الذين يرتدون ثياباً رسمية. وقد تعرّفت على وجوه كثيرة، ورددت عبارة مرحباً عدة مرات.

وحتى لو لم أكن أعرف كل من في المطعم، فباستطاعتي - نظراً إلى أنني تحرّ جيد ومراقب للحياة في نيويورك - معرفة المحامين الذين يتقاضون أجوراً مرتفعة، ومعرفة الموظفين الحكوميين، ورجال تنفيذ القانون، وأصحاب الرساميل. إنني ألتقي بزوجتي السابقة هنا في بعض الأحيان، مما يعني أنه يجب على أحدنا أن يتوقف عن زيارة المكان.

طلبت كأساً من الشراب الاسكتلندي والمياه الغازية، وأجريت محادثة قصيرة مع بعض الأشخاص الذين كانوا حولي. وعندما وصلت كاييت، طلبت لها كأساً من الشراب الفرنسي الأبيض الذي يذكرني بمشكلة عطلة نهاية الأسبوع، وسألتها "هل سمعتِ عن آفة العنب؟"

"آفة عنب؟"

"الآفة التي في نورث فورك. فقد أصيبت كافة عرائش العنب بهذه الفطريات الغريبة التي يمكن أن تنتقل إلى الإنسان."

بدا واضحاً أنها لم تسمع كلامي وقالت: "وجدت بي أند بي في ماتيتوك". وقدمت لي وصفاً للمكان بناء على موقع وب سياحي، وأضافت "يبدو المكان ساحراً بالفعل".

تبدو رائعة كذلك قلعة دراكولا على موقع الوب الترانسلفاني. سألتها "هل سبق أن سمعتِ بنادي كاستر هيل؟"

"كلا... فأنا لم أجده في موقع وب نورث فولك. ما هي البلدة التي يوجد فيها؟"

"في الواقع، إنه في شمال نيويورك".

"أوه... هل هو مكان رائع؟"

"لا أعرف".

"هل ترغب في الذهاب إليه في عطلة نهاية الأسبوع القادمة؟"

"سأتحقق منه أولاً".

من الواضح أن الاسم لم يحدث ردّة فعل لدى السيدة مايفيلد التي تعرف في بعض الأحيان معلومات لا تطلعني عليها. ما عنيته هو أننا متزوجان، ولكنها من مكتب التحقيقات الفيدرالي بينما حاجتي إلى المعلومات محدودة ولدي ترخيص أمني أقل مستوى من ترخيصها. وحول هذه النقطة، تساءلت عن السبب الذي حدا بالسيدة مايفيلد إلى الاعتقاد بأن كلمات **ناري كاستر هيل** تشير إلى مكان يمكن الإقامة فيه، وليس مزاراً تاريخياً مثلاً أو نادياً ريفياً، أو شيئاً من هذا القبيل. ربما يكون سياق الحديث هو السبب، أو ربما تعرف بالضبط ما كنت أتحدث عنه.

انتقلت من هذا الموضوع إلى المذكرات المتعلقة بالعراق، فناقشنا الوضع الجيوسياسي فترة من الوقت. كان رأي العميلة الخاصة مايفيلد أن الحرب على العراق ليست أمراً محتماً وحسب، بل وضرورياً أيضاً.

يضم المبنى 26 فيدرال بلازا عمّالا حكوميين سريعى الاستجابة لأدنى تغيير في النهج السياسي. فعندما يكون التصحيح السياسي أمر اليوم، تكون قد فكّرت في **الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب** على أنها وكالة للخدمات الاجتماعية للمضطربين نفسياً من الذين لديهم اعتداد ضعيف بالنفس. وصار الجميع يتحدثون الآن عن قتل الأصوليين الإسلاميين والانتصار في الحرب على الرعب؛ إذا أردنا تصحيح الخطأ النحوي في العبارة، ينبغي أن يقال الحرب على الإرهاب، ولكنها العبارة التي تُستخدم في النشرات الإخبارية. والسيدة مايفيلد، التي تُعتبر موظفة حكومية جيدة، تتبنّى القليل من المواقف السياسية، ولا مشكلة لديها في كراهية الطالبان، والقاعدة، وأسامة بن لادن في يوم، ثم كراهية صدام حسين أكثر من ذلك عندما يردّها تعميم يُعلمها بمن ينبغي أن تكرهه في ذلك اليوم.

لكنتي قد لا أكون منصفاً، فأنا لست منطقياً تماماً في ما يختص بين لادن والقاعدة. فقد فقدت الكثير من الأصدقاء يوم 11 سبتمبر/أيلول، ولولا عناية الله وزحمة السير، لكنتُ وكايت في البرج الشمالي عندما انهار.

كنت في طريقي لحضور اجتماع على مائدة الإفطار في ويندوز في الطابق 107 من برج التجارة العالمي. كنت متأخراً، واضطرت كايت إلى انتظاري في الردهة. أما ديفيد ستاين، وجاك كونيغ، وشريكي السابق وربما أفضل صديق في العالم، دوم فانيلي، فوصلوا في الوقت المحدد كما فعل غيرهم من الأشخاص الأخير وبعض الأشخاص الأشرار، من أمثال تيد ناش. غير أن أحداً لم يخرج من ذلك المطعم حياً.

أنا لا أهتزّ خوفاً بسهولة - حتى أن إصابتي بطلقات نارية ثلاث مرّات ونزفي حتى مشارفتي على الهلاك في أحد شوارع المدينة لم يكن لهما أي تأثير دائم على صحتي العقلية - ولكن ذلك اليوم هزني أكثر مما تصورت في ذلك اليوم، وأعني أنني كنت واقفاً أسفل الطائرة عندما اصطدمت بالبرج. والآن، عندما أشاهد طائرة تحلق على ارتفاع منخفض فوق رأسي...

“جون؟”

نظرت إلى كايت وقلت “ماذا...؟”

“سألتك إن كنت تريد المزيد من الشراب.”

نظرتُ إلى كوبي الفارغ.

طلبتُ لي المزيد من الشراب.

كنت أدرك على نحو مبهم بأن نشرة إخبارية تُذاع على التلفاز في الجانب الآخر من المشرب، وكان هناك مراسل يغطي تصويت مجلس الكونغرس بشأن العراق.

عادت الخواطر إلى رأسي، إنه الحادي عشر من سبتمبر/أيلول مجدداً. لقد حاولت أن أجعل من نفسي شخصاً مفيداً عبر مساعدة رجال الإطفاء والشرطة في إخلاء الناس من الردهة، وفي الوقت نفسه كنت أبحث عن كايت. وبعد ذلك، وجدت نفسي خارج المبنى ومعني نقالة، وصادف أن نظرت إلى أعلى ورأيت هؤلاء الأشخاص وهم يقفزون من النوافذ واعتقدت بأن كايت في مكان ما في الأعلى، واعتقدت بأنني رأيتها وهي تسقط... لمحتها وهي تقف قريباً مني، فنظرتُ إليّ وسألتني “ما الذي يجول في رأسك؟”

“لا شيء.”

ثم اصطدمت الطائرة الثانية بالبرج، وكان في مقدوري بعد ذلك سماع ذلك الدويّ الغريب الناتج عن انهيار الخرسانة وقضبان الفولاذ، والذي لا يشبه أي صوت سمعته من قبل، ولا يزال في إيمكاني الإحساس بالأرض وهي تهتزّ أسفل قدمي مع سقوط المبنى وتساقط الزجاج من السماء. وكما فعل الكل، سارعت إلى الهروب من المكان. لكنني لا أزال عاجزاً عن تذكّر ما إذا كنت قد أقيت النقالة من يدي أو ما إذا أسقطها أولاً الشخص الآخر الذي كان يحملها معي، أو ما إذا كنت أحمل نقالة أصلاً. وأنا لا أعتقد بأنني سأتمكن من تذكّر ما قمت به حينها أبداً.

في الأسابيع التي أعقبت 11 سبتمبر/أيلول، أصبحت كايث انطوائية، وعاجزة عن النوم، وتكثر من البكاء، ونادراً ما كانت تبتسم. وتذكرت ضحايا جرائم الاغتصاب الذين تعاملت معهم والذين لم يفقدوا براءتهم وحسب، بل وفقدوا جزءاً من روحهم أيضاً.

ألح البيروقراطيون سريعو التأثير في واشنطن على كل شخص طالته هذه المأساة بأن يسعى إلى طلب المشورة. أنا لست من النوع الذي يتحدث عن مشاكله مع الغرباء، أو مع أحد المختصين، أو ما شابه، ولكن نزولاً عند إصرار كايث، ذهبت لرؤية أحد الأطباء النفسانيين الذين قام بتوظيفهم الفيدراليون من أجل التعامل مع الطلب المرتفع على الاستشارات. لكنّ الطبيب نفسه كان مخبولاً بعض الشيء، ولذلك لم نتمكن من إحراز الكثير من التقدم في الجلسة الأولى. وبالنسبة إلى الجلسة الثانية والجلسات التي تلتها، ذهبت إلى المشرب القريب، دريزنرز، حيث أسدى إليّ الساقى إيدان نصيحة مؤثرة عندما قال: “الحياة مثل العاهرة. احتسِ شراباً آخر”.

من ناحية أخرى، تابعت كايث جلساتها الاستشارية لسته شهور تقريباً، وهي الآن أفضل حالاً بكثير.

غير أن خطباً ما أصابها، ولم تُشفَ بالكامل. وبغض النظر عن التقدم الذي أحرزته نتيجة الجلسات الاستشارية، لربما كانت في حال أفضل لو لاها.

منذ أن عرفتها وهي على الدوام شابة لطيفة المعشر، تسير وفقاً للقواعد، ونادراً ما تنتقد مكتب التحقيقات أو الطرق التي يستخدمها. في الحقيقة، اعتادت على انتقادي لأنني أنتقد مكتب التحقيقات.

في الظاهر، لا تزال كايث عميلة مخلصّة. فكما أسلفت، إنها تسير وفقاً للنهج السياسي المرسوم. لكن في الباطن، تدرك كايث بأنه حدث تحول كامل في الخط

السياسي، وهذا الإدراك جعلها قليلة المبالاة، وكثيرة الانتقاد والأسئلة. وهذا في نظري أمر جيد، فقد بات لدينا الآن شيء مشترك.

في بعض الأحيان، أشعر بالحنين إلى قائدة فرقة الهتاف التي كنت مغرماً بها. ولكنني أحبّ هذه المرأة الأكثر صلابة وخبرة، والتي رأت وجه الشرّ، مثلي، وعلى استعداد للالتقاء به مجدداً.

الآن، بعد مرور عام وشهر على الحادثة، بنتنا نعيش في ولاية يشوبها قلق دائم مرّمز بالألوان، فاليوم مستوى التحذير برتقالي، وغداً، من يدري؟ لكنه لن يعود بالتأكيد إلى اللون الأخضر مجدداً في حياتي.

القسم 2

يوم السبت

شمال ولاية نيويورك

الفصل 3

أوقف التحري هاري مولر سيارته المقطورة على جانب الطريق، وجمع معداته التي كانت في المقعد الأمامي، وخرج من السيارة، وتفحص البوصلة، وتوجه نحو الجهة الشمالية الغربية عبر الغابة. كان مرتدياً رداءً خريفياً مموهاً خاصاً وقبعة صوفية سوداء.

كان السير في الطريق سهلاً، وكانت أشجار الصنوبر متباعدة، والأرض مكسوة بالطحالب ونباتات السرخس التي يعلوها الندى. وفيما كان يمشي، بدأ نور الفجر يتسلل من بين أشجار الصنوبر كاشفاً عن ضباب كثيف. كانت العصافير تغرد، والحيوانات الصغيرة تجري بين الشجيرات الصغيرة.

كان الطقس بارداً، بحيث كان في وسع هاري رؤية البخار ينبعث من فمه، غير أن الغابة الفطرية كانت رائعة، ولذلك كان شعوره أقرب إلى السعادة بعض الشيء منه إلى التعاسة.

كان يتدلى من كتفه منظار، وكاميرا يدوية، وكاميرا نيكون باهظة الثمن بدقة 12 ميغا بيكسل مع عدسات بطول 300 ملم. كما كان يحمل دليل سييلي للطيور لكي يشرح سبب وجوده هناك في حال سأله أحدهم عن ذلك، ومسدساً من طراز غلوك من عيار 9 ملم في حال لم يرق جوابه للسائل.

كان هاري قد تلقى موجزاً عن المهمة من شخص يدعى إيد فروم تيك الذي قال له إن العقار الذي يوجد فيه نادي كاستر هيل بطول ستة كيلومترات ونصف تقريباً من الجانبين، وأن مساحته تقارب الأربعين كيلومتراً مربعاً من الأراضي الخاصة. والمثير في الأمر أن العقار بأكمله كان محاطاً بسياج مرتفع على شكل حلقات متسلسلة، وهو السبب الذي من أجله أعطاه الشخص التقني أيضاً قطعة أسلاك، وضعها هاري في جيبه الجانبي.

في غضون عشر دقائق، وصل إلى السياج. كان بارتفاع ثلاثة أمتار ونصف تقريباً، ويعلوه سلك من الأشواك الحديدية. وعلى ارتفاع ثلاثة أمتار تقريباً، كانت هناك لافتة معلّقة كتب عليها: أملاك خاصة، من يتجاوز الحدود يتعرض للملاحقة القانونية. كما كانت هناك لافتة أخرى

كتب عليها: خطر ممنوع الدخول العقار محمي بواسطة حرّاس مسلّحين وكلاب مدرّبة.

بناء على تجربته الطويلة، أدرك هاري بأن اللافتات التحذيرية مثل هاتين اللافتتين عادة ما تكون تحذيرات كاذبة بهدف التخويف أكثر مما هي أمر حقيقي. لكن في هذه الحالة، كان عليه أن يأخذ ما كتب على اللافتة على محمل الجدّ. ومما أقلقته أيضاً أن والش لم يكن يعرف عن أمر الكلاب والحرّاس المسلّحين شيئاً، أو أنه عرف، ولكنه لم يخبره بذلك. وفي كلتا الحالتين، كان في ذهنه بضع كلمات نوى أن يقولها لتوم والش صباح يوم الاثنين.

أمسك بهاتفه الخليوي، وحوّله من وضعيّة الرنين إلى وضعيّة الاهتزاز، ولاحظ بأن الإرسال قوي، وهو أمر فيه بعض الغرابة في المناطق الجبلية. وبطريقة عفوية، اتصل بصديقه لوري. وبعد رنين الهاتف خمس مرّات، حوّلت مكالمته إلى البريد الصوتي. قال هاري بصوت ناعم: "مرحباً يا عزيزتي، أنتِ حبّبي الأولى والوحيد. أنا هنا في منطقة جبلية، ولذلك ربما لن يكون استقبالك لمكالمتي جيداً لفترة طويلة، ولكنني أردت أن أقول مرحباً. لقد وصلت إلى هنا في الليلة الماضية قرابة منتصف الليل، وقضيت ليلتي في السيارة المقطورة، وأنا الآن في مهمة بالقرب من نادي اليمينيين المخبولين، ولذلك لا تردّي على مكالمتي. وسأصل بك لاحقاً من خط أرضي إذا لم أستطع التحدث إليك عبر الهاتف الخليوي، هل اتفقنا؟ أنا لا أزال بحاجة إلى القيام بأمر في المطار المحلي في وقت لاحق من اليوم، ولذلك ربما أحتاج إلى قضاء ليلتي هنا. وسأخبرك عندما أتأكد من الأمر. سأكلمك في وقت لاحق. أحبك".

أقفل الهاتف، وأمسك بقطاع الأسلاك، وأحدث فتحة في السياج وتسلل إلى العقار. وقف بلا حراك، أمعن النظر، وأنصت، ثم وضع قطاع الأسلاك في جيبه، وتابع مسيره عبر الغابة.

بعد نحو خمس دقائق، لاحظ عموداً لأسلاك الهاتف ينتصب بين أشجار الصنوبر فاقترب منه، وهناك، رأى غرفة هاتف مقفلة. نظر إلى أعلى ورأى أن ارتفاع العمود يبلغ تسعة أمتار تقريباً. وعلى ارتفاع ستة أمتار تقريباً رأى أربعة أنوار كاشفة مثبتة بالعمود، وفوقها خمسة أسلاك مجدولة تمتدّ على جوائز مستعرض. من الواضح أن أحد هذه الأسلاك يغذي الهاتف بالطاقة، والآخر يغذي الأنوار الكاشفة. أما الأسلاك الثلاثة الأخرى فكانت عبارة عن كابلات ضخمة يمكن أن تنقل الكثير من الطاقة.

لاحظ هاري أمراً غير طبيعي فركّز منظاره على قمة العمود. فما بدا له أنه أغصان دائمة الخضرة تبرز من الأشجار المحيطة كان في الواقع أغصاناً بارزة من عمود الهاتف. لكنه أدرك بأن هذه الأغصان كانت من النوع البلاستيكي الذي تستخدمه شركات الهاتف الخليوي في تمويه أو تجميل أبراج الهاتف الخليوي في المناطق السكنية. وهذا ما دفعه إلى التساؤل عن سبب وجودها في وسط الغابة.

أنزل هاري المنظار، ورفع الكاميرا والتقط بضع صور للعمود، لأنه تذكر بأن توم والش قال له: “بالإضافة إلى السيارات، والوجوه، وأرقام السيارات، عليك أن تصوّر أي شيء يبدو مثيراً للاهتمام”.

اعتقد هاري بأن العمود مثير للاهتمام وأنه من الجيد وضع صورته في الملفات، ولذلك أمسك بالكاميرا اليدوية وصوّر لعشر ثوانٍ، ثم مضى في طريقه.

بدأت الأرض ترتفع شيئاً فشيئاً، وحلّت محلّ أشجار الصنوبر أشجار السنديان الكبيرة، والدردار، والقيقب التي شكلت خضرتها المتبقية مزيجاً رائعاً من اللون الأحمر، والبرتقالي، والأصفر. كانت هناك سجادة من الأوراق المتساقطة تغطي الأرض ويُسمع حفيفها مع مرور هاري فوقها.

ألقي هاري نظرة سريعة على الخريطة، وتحقق من وجهة سيره بواسطة البوصلة، وتبين له بأن النادي يقع أمامه مباشرة على مسافة لا تتعدّى كيلومتراً واحداً.

أخرج شطيرة، وبدأ بتناولها من دون أن يتوقف فيما كان يستمتع بهواء جبال أديرونداك النقي مع بقائه متأهباً لاحتمال حدوث مشكلة. فعلى الرغم من أنه عميل فيدرالي، يبقى تجاوز الحدود تجاوزاً للحدود. فبدون تصريح بالدخول، لم يكن يملك الحق بالتواجد في أملاك خاصة تحيط بها اللافتات أكثر مما يملك صائد في أرض غيره بدون إذن.

ومع ذلك، عندما سأل والش عن التصريح، قال له: “لا نملك قضية قوية لتنفيذ عملية مراقبة. فلماذا نسأل قاضياً إذا كان سيجيبنا بالنفي؟” أو كما كان يطيب لشرطة نيويورك أن تقول عندما تنتهك القانون: “من الأفضل أن تطلب العفو لاحقاً على أن تطلب الإذن الآن”.

أدرك هاري، على غرار باقي أعضاء الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب، بأن القواعد قد تغيّرت بعد مرور دقيقتين على إصابة البرج الثاني، وأن القواعد التي لم تتغيّر يمكن خرقها. وهذا ما جعل العمل أكثر سهولة، ولكن في بعض الأحيان، كما هو الحال الآن، أصبح العمل أكثر خطورة.

خفت كثافة الأشجار، ولاحظ هاري وجود الكثير من بقايا الأشجار المقطوعة والمنقولة بعيداً عن المكان، ربما من أجل استخدامها للتدفئة، وربما لأسباب أمنية. ومهما يكن السبب، أصبح الغطاء والقدرة على التخفي أدنى بكثير مما كانا عليه قبل مئة متر.

كان في مقدوره رؤية حقل مكشوف أمامه، ولذلك اقترب ببطء ماراً بين أشجار موزعة بغير انتظام. توقف أسفل آخر شجرة قيقب لا تزال منتصبه وأجرى مسحاً

على الأرض المكشوفة بواسطة المنظار. وهناك، رأى طريقاً معبّدة تخترق الحقل حتى أسفل التل وصولاً إلى بوابة المدخل حيث رأى كشك حراسة مصنوعاً من الخشب. كان على جانب الطريق صف من أجهزة الإنارة الأمنية المركبة على أعمدة معدنية، كما لاحظ وجود أعمدة هاتف خشبية إضافة إلى خمسة أسلاك مجدولة تخرج من بين الأشجار وتعبر الحقل والطريق وتختفي مجدداً بين الأشجار في الجانب البعيد من الطريق. افترض بأن المشهد يشكل تكملة لما رآه بالقرب من السياج، وبدا أن هذه الأعمدة والأسلاك تحيط بالأرض، مما يعني أن أرضاً مساحتها أربعون كيلومتراً مربعاً مضاءة بالأنوار الكاشفة. قال في نفسه: "لا يمكن أن يكون ذلك نادياً للصيد".

أعاد مسح الطريق أثناء صعوده التل وصولاً إلى بيت جبلي ضخم من طابقين شيد وفقاً للنمط السائد في جبال أديرونداك، وكان ينتصب فوق المنحدر الصاعد أمامه على مسافة مائتي متر تقريباً. وعلى المرح الممتد قبالة البيت، انتصبت سارية علم طويلة يرفرف عليها العلم الأميركي، وأسفل العلم، لاحظ وجود علم أصفر مثلث الشكل. كانت توجد خلف البيت بعض المنشآت الخدمية، وفي أعلى التل رأى ما يشبه برجاً لمحطة لاسلكي أو هاتف خليوي، ولذلك التقط صورة تليسكوبية للبرج بواسطة كاميرته النيكون.

كان البيت مبنياً من الأحجار النهرية، وجذوع الأشجار، والألواح الخشبية مع رواق كبير مُعمد عند واجهته. وكانت هناك ستّ مداخن حجرية بارزة من السقف الخشبي الأخضر تطلق دخاناً رمادي اللون في الهواء. كان في مقدور هاري رؤية الأنوار من النوافذ الأمامية، وسيارة جيب سوداء اللون في مرآب مرصوف بالحصى قبالة المنزل. من الواضح أنه يوجد أشخاص داخل المنزل، وأمل بأن يكونوا الضيوف الذين ينتظرهم. فهذا هو سبب مجيئه إلى المكان في الأساس.

استخدم كامير النيكون لالتقاط بضع صور تليسكوبية لمرآب السيارات والبيت، ثم أمسك بالكاميرا اليدوية وقام بتصوير البيت وما يحيط به.

علم بأن عليه الاقتراب أكثر إذا كان ينوي تصوير السيارات القادمة، وأرقامها. وسبق أن عرض عليه إيد فروم تيك صورة جويّة للبيت، وأشار إلى أن الأرض التي تحيط به مكشوفة، لكن كان يوجد الكثير من النتوءات الصخرية التي توفر أمكنة للاختباء.

نظر هاري إلى تلك النتوءات المنتشرة على التل، وخطط لمساره بحيث ينتقل من تكوين صخري إلى آخر إلى أن يصل إلى بقعة مشارفة تبعد مسافة ثلاثين متراً تقريباً عن المنزل وعن مرآب السيارات. ومن هناك، رأى أنه سيتمكن من التقاط الصور الفوتوغرافية وتصوير السيارات المتوقفة على شريط الفيديو، وتصوير الأشخاص الذين يدخلون البيت. كان بحاجة إلى البقاء هناك حتى وقت متأخر من بعد الظهر - استناداً إلى ما قاله والش - ثم الذهاب إلى المطار المحلي للتحقق من لائحة الركاب الواصلين وحجوزات السيارات.

عاد هاري بالذاكرة إلى الوقت الذي كان يراقب فيه مجموعة من الشبان المنتمين إلى الجيش الجمهوري الأيرلندي والذين أقاموا مخيماً تدريبياً في مكان لا يبعد كثيراً عن هذا المكان. إن محمية أديرونذاك الحرجية بمثل مساحة ولاية نيو هامشير، وهي عبارة عن خليط من الأراضي ذات الملكية الخاصة والعامة وتضم عدداً قليلاً جداً من السكان، وهذا ما يجعلها مكاناً جيداً للصيد، والترييض في الجبال، واختبار الأسلحة غير المرخصة. غير أن هذه المراقبة تختلف بعض الشيء عن مداومة مخيم الجيش الجمهوري الأيرلندي من حيث عدم ارتكاب جرائم ظاهرة، ويرجح أن يكون لدى الأشخاص الذين يقيمون في هذا البيت الكبير نفوذ في مكان ما.

كان هاري على وشك الانطلاق نحو النوء الصخري الأول عندما ظهرت فجأة ثلاث سيارات رباعية الدفع سوداء من خلف المنزل، وبدأت بتسلق التل بسرعة عالية. في الواقع، كانت تتجه نحوه مباشرة. "يا للمصيبة". التقت وتراجع نحو صف الأشجار، وعندها سمع صوت نباح الكلاب في الغابة. "مصيبة كبيرة". تقدمت سيارات الدفع الرباعي الثلاث نحو الأشجار، وترجل رجلان من كل سيارة. كانت في حوزة الرجال بنادق صيد.

ظهر ثلاثة رجال من خلف الأشجار التي حوله، وكان معهم كلاب بوليسية تتيج، وتشد على رباطاتها. ولاحظ أنه يوجد في حوزة الرجال أسلحة جنسية مثبتة عند خواصرهم. والآن، تنبه هاري إلى شخص رابع فيما كان يخرج من بين الأشجار، وبدأ من مشيته أنه المسؤول عنهم.

أدرك هاري بأن الطريقة الوحيدة التي سمحت لهم بتحديد موقعه بهذه الدقة تعتمد على أجهزة مزروعة في المكان لكشف الحركات أو الأصوات. هؤلاء الأشخاص يحبون فعلاً التمتع بالخصوصية. أحس هاري بإحساس لم يعتد عليه من القلق، رغم أنه لم يكن نابعاً من خوف. سيكون الأمر صعباً ولكنه لن يكون خطراً.

شكل الحراس الأميون دائرة أحاطت بهاري، ولكنهم كانوا على مسافة ستة أمتار تقريباً. كانوا يرتدون ثياباً مموهة من النوع العسكري مع رقع عليها العلم الأميركي على الكتف اليمنى. وكان كل واحد منهم يرتدي قبعة مستدقة وعليها صورة النسرين الأميركيين.

اقترب الرجل المسؤول أكثر - كان قاسي الملامح، في منتصف العمر - ورأى هاري أنه يحمل عروة للاسم من النوع العسكري مكتوباً عليها كارل.

قال كارل لهاري: "سيدي أنت في أملاك خاصة".
تظاهر هاري بالذهول وأجاب "هل أنت متأكد؟"
"أجل. سيدي".

"حسناً، إذن أرشدني إلى الطريق من فضلك..."
"كيف تمكنت من اجتياز السياج، سيدي".
"سياج؟ أي سياج؟"

"السياج الذي يحيط بالأرض، سيدي، وعليه لافتات تقول ممنوع الدخول".
"لم أرَ أية... آه، ذلك السياج. أنا آسف يا كارل، كنت ألاحق نقار الخشب إلى أن حلّق في اتجاه هذا المكان، ولذلك وجدت فتحة في السياج..."
"لماذا أنت هنا؟"

لاحظ هاري أن النبرة التي يتحدث بها كارل باتت أقل تهذيباً، فقد نسي كلمة سيدي. أجاب هاري "أنا أراقب الطيور"، وقدم له الكتاب الدليلي الخاص بالطيور. ثم نقر على المنظار وقال: "أنا أراقب الطيور".

"ولماذا تحمل هاتين الكاميرتين؟"

"أنا ألتقط صوراً للطيور". أيها الغبي. "إذن، إذا كان في مقدورك إرشادي إلى حيث يمكنني الخروج من هذه الأرض - أو ما هو أفضل نقلي بالسيارة - فسأغادر على الفور".

لم يتفوه كارل بكلمة، وشعر هاري بأن تلك أولى الإشارات إلى مشكلة محتملة.
قال كارل: "يوجد الملايين من الفدادين من الأراضي العامة في هذه المنطقة، فلماذا أحدثت ثقباً في السياج؟"

"أنا لم أحدث أي ثقب يا صديقي. لقد وجدت ثقباً وبالمناسبة، عليك اللعنة، كارل".

أدرك كارل وكل من كان حوله أن هاري لم تعد تبدو عليه صفة مراقب الطيور. أضف إلى ذلك أنه كان على وشك إبراز بطاقته الفيدرالية ليلفت انتباه هؤلاء الأوغاد، ويطلب منهم أن يعيدوه بسياراتهم إلى سيارته المقطورة. لكن فكرته

الثانية كانت اجتناب تحويل المشكلة إلى قضية فيدرالية. فلماذا يقول لهم إنه عميل فيدرالي أرسل إلى المكان للقيام بعملية تجسس؟ سوف يغضب والش من ذلك كثيراً. قال هاري: "سأغادر هذا المكان" وخطا خطوة نحو الغابة. وفجأة، رُفعت البنادق وسحبت المسدسات من قرايبها، وبدأت الكلاب الثلاثة تنبح وتشدّ رباطاتها.

"توقف وإلا أطلق عنان الكلاب".

أخذ هاري نفساً عميقاً وتوقف. قال كارل: "هناك طريقتان للقيام بهذا الأمر، طريقة سهلة وأخرى صعبة".

"دعنا نقوم بالطريقة الصعبة".

نظر كارل إلى الحراس التسعة الآخرين، ثم نظر إلى الكلاب، ثم نظر إلى هاري. بدأ يتحدث بطريقة تصالحية وقال: "سيدي، لدينا أوامر صارمة بإحضار أي منتهك لحرمة المكان إلى نادي الصيد، والاتصال بالشريف، وطلب نقله بواسطة أحد رجال القانون إلى خارج المكان. لن نتقدم بأية شكوى، ولكنك ستنتقل نصيحة من الشريف بأنه في حال انتهكت حرمة هذا المكان ثانية، فسوف تُعتقل. وأنت لا تستطيع، بموجب القانون أو بموجب سياستنا التأمينية، الخروج من المكان لوحده ماشياً، كما أننا لن نقلك إلى خارج الأرض. وحده الشريف يمكنه القيام بذلك. وكل ذلك من أجل سلامتك".

فكر هاري في الأمر. فمع أن المهمة كانت فاشلة، إلا أنه في مقدوره إحراز بعض النجاح عبر تفحص نادي الصيد من داخله، وربما يحصل على بعض المعلومات هناك. فقال لكارل: "حسن يا رفيقي، لنذهب".

طلب كارل إلى هاري أن يستدير ويمشي نحو سيارات الدفع الرباعي. اعتقد هاري بأنهم سيقولونه في إحداها، ولكنهم لم يفعلوا، إذاً، ربما كانت سياستهم التأمينية صارمة فعلاً.

لكن سيارات الدفع الرباعي لازمته فيما كان يجري توجيهه على الطريق وأثناء صعوده التل وصولاً إلى نادي الصيد، بصحبة كامل عناصر مفرزة الحراس الذي كانوا في سيارات الدفع الرباعي.

وفيما كان يمشي، بدأ يفكر في هؤلاء الحراس التسعة، وكلابهم، وبيت البواب، والسياح ذي الحلقات المتسلسلة، والسلك الشائك، والأضواء الكاشفة، وأكشاك الهاتف، وربما أجهزة استشعار الحركات والأصوات. لا يمكن أن يكون ذلك نادياً لصيادي الطيور أو السمك الذي تذهب إليه كل يوم. ولكنه شعر بالغضب فجأة من والش، الذي بالكاد أطلعه على التفاصيل، وشعر بالغضب أكثر من نفسه لأنه لم يستشعر وجود مشكلة.

علم بأنه ينبغي عليه عدم الإحساس بالخوف، ولكن غريزته التي صقلتها عشرون سنة من الخبرة في العمل مع الشرطة وخمس سنوات في العمل في محاربة الإرهاب، أعلمته بوجود عنصر خطر في المكان.

لكي يتأكد من حقيقة حدسه، قال لكارل الذي كان يمشي خلفه: "انظر، لماذا لا تستخدم هاتفك الخليوي وتتصل بالشريف الآن وتوفر علينا بعض الوقت؟"

لم يجب كارل عن السؤال.

مدّ هاري يده إلى جيبه وقال: "يمكنك استخدام هاتفي الخليوي".

أطبق كارل فكيه وقال: "أبقى يديك حيث يمكنني أن أراهما، وأغلق فمك اللعين".
سرت قشعريرة باردة في جسد هاري مولر.

الفصل 4

جلس هاري مولر إلى طاولة في مواجهة رجل طويل، ونحيف في منتصف عمره، عرّف عن نفسه بأنه باين مادوكس، رئيس نادي كاستر هيل ومالكه. شرح السيد مادوكس بأن ذلك العمل ليس وظيفته اليومية، بل هواية وحسب. كما كان باين مادوكس رئيس شركة غلوبال أويل ومالكها - جوكو على سبيل الاختصار - وهي شركة سبق أن سمع هاري عنها، وشرح تفاصيل صورتين فوتوغرافيتين معلقتين على الجدار؛ واحدة لصهرنج نفط، والأخرى لحقل نفط مشتعل في هذه الصحراء أو تلك.

لاحظ مادوكس اهتمام هاري بالصورتين وقال: "الكويت. حرب الخليج". وأضاف، "أنا أكره أن أرى نفطاً جيداً يشتعل، وخصوصاً إذا لم يكن يوجد من يدفع ثمناً لقاء الحصول عليه".

لم يجب هاري.

كان السيد مادوكس يرتدي سترة زرقاء وقميصاً مرقطاً فاقع اللون. وكان هاري يرتدي ملابس الداخلية الطويلة. فقد تعرّض لعملية بحث مذلة على يد كارل وحارسين آخرين، إذ إنهم جردوه من ثيابه، وكانت في أيديهم قضبان تستخدم في نخس الماشية وعدوه باستخدامها في حال أبدى أية مقاومة. وقف كارل وأحد رفيقيه خلف هاري الآن، وفي أيديهما القضبان. حتى ذلك الحين، لم تظهر أية إشارة تشير إلى قرب وصول الشريف، ولم يعتقد هاري بأن الشريف في طريقه إلى المكان.

استمرّ هاري في مراقبة باين مادوكس الذي كان يجلس بهدوء خلف طاولته الضخمة في المكتب المصنوع من خشب الصنوبر في الطابق الثاني من نادي الصيد. ومن خلال نافذة عن يمينه، كان في مقدوره رؤية منحدر متصاعد خلف النادي، وفي أعلى التل، كان في وسعه رؤية الهوائي الطويل الذي سبق أن رآه من الغابة.

سأل السيد مادوكس ضيفه، "هل ترغب في احتساء بعض القهوة أو الشاي؟"

"عليك اللعنة".

"هل هذا يعني كلا؟"

"عليك اللعنة".

حدّق باين مادوكس بهاري، وحدّق هاري بمادوكس. رأى هاري أن مادوكس في سنّ الستين تقريباً، يتمتع بلياقة بدنية ممتازة، وأسمر البشرة في الوقت غير المعتاد، وشعره رمادي اللون مسرّح إلى الخلف، وأنفه طويل ونحيل ومعقوف بحيث بدا أشبه بنسر ذي عينين رماديتين. كما اعتقد هاري بأن الرجل يبدو ثرياً، ولكنه ليس ثرياً غيباً. فقد كان في مادوكس شيء يشير إلى القوة، والنفوذ، والذكاء، القيادة والسيطرة. كما لم تظهر عليه علامات التوتر لخطفه عميلاً فيدرالياً واحتجازه. أدرك هاري بأن ذلك ليس بالأمر الجيد.

أخرج مادوكس سيجارة من علبة خشبية موجودة على طاولته وسأل "هل تمانع في أن أدخن؟"

"لا يهمني إن احترقت". وأضاف "اتصل بالشريف. الآن."

أشعل مادوكس السيجارة بواسطة ولّاعة فضية وبدأ ينفخ الدخان على نحو ينمّ عن تفكير عميق، ثم قال: "ما الذي جاء بك إلى هنا أيها التحريّ مولر؟" "مراقبة الطيور".

"أنا لا أقصد أن أكون وقحاً، لكن يبدو الأمر أشبه بهواية لطيفة بالنسبة إلى رجل يعمل في محاربة الإرهاب".

"أنت على مسافة دقيقة واحدة من وضعي إياك قيد الاعتقال".

"حسناً إذاً، دعني أستخدم تلك الدقيقة بحكمة". نظر مادوكس إلى الأشياء المتناثرة على الطاولة: الهاتف الخليوي لهاري ومجيبه الصوتي، اللذان تم إطفأؤهما الآن، وسلسلة مفاتيحه، والكاميرا اليدوية، وكاميرا نيكون الرقمية، والمنظار، ودليل سيبلي للطيور، وخريطة مساحية للمكان، وبوصلة، وقطاعة أسلاك، وأوراقه الثبوتية، ومسدسه الغلوك 27 من عيار 9 ملم، أو ما يسمى بالغلوك المنمنم الذي يمكن إخفاؤه بسهولة. ولاحظ أن مادوكس أبعد المجلة، وكان ذلك تصرّفاً ذكياً.

سأل مادوكس، "ما الذي ينبغي أن أفعله بهذه الأشياء؟"

"أي شيء أيها الملعون ترغب في فعله. أعطني أغراضني، ودعني أرحل عن هذا المكان، وإلا عليك أن تتوقع دخول السجن لمدة تتراوح ما بين عشرين سنة والباقي من حياتك لاختطافك عميلاً فيدرالياً".

رسم مادوكس على وجهه إمارات الانزعاج وانعدام الصبر. "تعال معي سيد مولر. لقد تجاوزنا ذلك الآن، ونحن بحاجة إلى أن نمضي قدماً".

"عليك اللعنة".

طرح مادوكس اقتراحاً فقال: "دعني ألعب دور التحريّ. أنا أرى منظراً، وآلة تصوير فيديو، وكاميرا رقمية باهظة الثمن، وعدسات تليسكوبية، ودليلاً عن الطيور. بالاستناد إلى هذه الأشياء، يمكنني الاستنتاج بأنك مراقب طيور متحمس. في الحقيقة، أنت متحمس لدرجة أن في حوزتك أيضاً قطاعة أسلاك لكي تستخدمها إذا ما حال سياح بينك وبين طائر، هذا بالإضافة إلى مسدس من عيار 9 ملم في

حال لم يكن الطائر يرغب في البقاء مدة تكفيك لالتقاط صورة له". ثم سأل هاري،
"كيف ترى أدائي؟"
"لا يبدو ممتازاً".

"دعني أتابع المحاولة. أرى هنا أيضاً خريطة مساحية جيولوجية رُسم عليها خط باللون الأحمر يحيط بأملاكي، إضافة إلى منزل البواب، وهذا النادي ومنشآت أخرى. وهذا يوحي بأنه تم التقاط صورة جويّة لأملاكي، وهذه العلامات المضافة تم نقلها إلى خريطةك. أليس ذلك صحيحاً؟"
لم ينبس هاري ببنت شفة.

تابع السيد مادوكس حديثه قائلاً: "كما أرى هنا على طاولتي هذه الشارة، وبطاقة تعرّف عنك بأنك تحرّر متقاعد من شرطة مدينة نيويورك. تهانينا".

"لكن أكثر ما يثير اهتمامي هو أن الشارة وبطاقة التعريف تشيران إلى أنك عميل فيدرالي في الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب. أنت لست متقاعداً".
حدّق بالصورة التي ببطاقة التعريف، ثم بهاري مولر وسأل "هل تعمل هذه الأيام؟"

قرّر هاري محاولة التعمية على القصة مرّة أخرى، لعلّ الرجل يبحث عن سبب لإطلاق سراحه. قال هاري: "حسناً، دعني أقول لك مرّة أخرى ما سبق أن قلته لحرّاسك المهووسين. قدمت إلى هذا المكان لكي أنصب خيمة في عطلة نهاية الأسبوع. وأراقب الطيور، وألتقط صوراً فوتوغرافية لها. وأنا عميل فيدرالي أيضاً، وبموجب القانون، يتوجب عليّ حمل أوراقي الثبوتية وسلاحي. فلا يجدر بك أن تجمع اثنين إلى اثنين وتصل إلى مجموع مقداره خمسة. هل تفهم؟"

أوماً مادوكس برأسه موافقاً وقال: "أنا أفهم. لكن ضع نفسك مكاني وسأضع نفسي مكانك. أنا العميل الفيدرالي هاري مولر، وأنا أصغي إلى رجل يقول لي إن كافة هذه القرائن التي أراها أمامي - التي تشير إلى عملية مراقبة - يمكن تحليلها بمراقبة الطيور. إذاً، هل ينبغي أن أطلق سراحك؟ أم هل أطلب تفسيراً منطقياً ومطابقاً للواقع أكثر من ذلك؟ ماذا تفعل لو كنت مكاني؟"

"أنا آسف، لا يمكنني سماعك بسبب صوت قميصك المزعج".

ابتسم السيد مادوكس، ثم فتح دليل سينلي، ووضع نظارته ونظر إلى إحدى صفحات الدليل، ثم سأل هاري، "أين يمكن العثور على الأرجح على أكل السمك يا سيد مولر؟"

"بالقرب من البحيرات".

"كان ذلك سؤالاً سهلاً جداً". قلبّ بضع صفحات ثم سأل "ما هو لون طائر الدُخْل اللازوردي؟"

أجاب هاري "لونه بني".

هز السيد مادوكس رأسه وقال: "كلا، كلا يا سيد مولر. اللازوردي تعني الأزرق، أزرق مثل السماء. هذا سؤال آخر. والجواب عن اثنين من أصل ثلاثة يعني النجاح". قلب صفحات الدليل ثم سأل "ما هو لون ذكر ال...".

"هاي، خذ ذلك الدليل، وضع طبقة من الجلو عليه، واضرب به قفاك".

أغلق مادوكس الدليل ووضع جانبا. والتفت إلى شاشة حاسوبه وقال لهاري: "إليك صورك الفوتوغرافية الرقمية. أنا لا أرى أي طيور فيها. ولكنني أرى أنك مهتم بأحد الأعمدة الخدمية التي لدي... دعني أرى... هذه لقطة تليسكوبية للبرج الذي ينتصب خلف النادي... لقطات قريبة من النادي... آه، هناك طائر جاثم على السقف. ما هذا؟"

"صقر يبحث عن قاذورات".

التقط مادوكس الكاميرا اليدوية، وأعاد تشغيل الشريط، ونظر من خلال محدّد الرؤية وقال: "ها هو العمود مجدداً... لقد لاحظت الأغصان البلاستيكية، أفترض بأن... ها هو النادي مجدداً... قمت بتصوير مناظر جميلة من المكان الذي كنت تقف فيه... ذلك الطير يطير مبتعداً عن المكان. ما اسمه؟ يبدو أنه بلشون أزرق، لكن كان ينبغي أن يهاجر جنوباً بحلول هذا الوقت. لقد كان هذا الخريف دافئاً على نحو غير مألوف. إنه الاحتباس الحراري، إذا كنت تصدق هذا الهراء". وضع مسجل الكاميرا وقال: "هل تعرف ما هو الحل لمشكلة الاحتباس الحراري العالمي؟ سأخبرك. إنه الشتاء النووي". ضحك وقال: "نكتة قديمة".

عاد مادوكس إلى كرسيه، وأشعل سيجارة أخرى. وبدأ ينفخ الدخان على شكل حلقات كاملة، ويراقبها فيما ترتفع وتتبدد، ثم قال: "فنّ ضائع".

تفحص هاري مولر الغرفة فيما كان باين مادوكس يمارس لعبته القديمة. كان في مقدوره سماع أنفاس الرجلين اللذين كانا يقفان خلفه عندما أشاح بناظره إلى جدار مكسو بشهادات في إطارات. اعتقد هاري بأنه لو تمكن من فهم حقيقة الرجل فقد يعود عليه ذلك بفائدة ما.

لاحظ مادوكس نظرات هاري فقال: "اللوحة التي في أعلى اليسار هي شهادة حصولي على وسام النجمة الفضية. واللوحة الثانية هي شهادة حصولي على وسام النجمة البرونزية، ثم وسام القلب الأرجواني. ثم هذه رتبتي كملازم ثان في جيش الولايات المتحدة. وفي الصف الثاني أوسمة الخدمة العادية، بما في ذلك وسام حرب فييتنام وإشادة الوحدة الرئاسية. لقد خدمت في فوج الخيالة السابع التابع لفرقة الخيالة الجوية الأولى. كان فوج الخيالة السابع الوحدة القديمة للجنرال كاستر. وهذا جزء من سبب تسمية النادي بهذا الاسم. ربما أقول لك الجزء الآخر لاحقاً، ولكن في حال فعلت ذلك، فسوف أضطرّ إلى قتلك"، وعلا صوته بالضحك. "أنا أمزح فقط. هيا ابتسم. أنا أمزح فقط".

وجد هاري نفسه مضطراً للابتسام.

“الصف الأخير هو إشارة المشاة القتالية، وشارة القناص الخبير، وشهادة مدرسة التدريب على حرب الأدغال، وأخيراً، تسريح من الجيش. تركت السلك العسكري بعد ثماني سنوات من الحرب برتبة مقدم. لقد جعلنا الترقّي في الرتب سريعاً هذه الأيام، فالأعداد الكبيرة من الضباط القتلى فتحت لائحة الترقّيات. هل خدمت في الجيش؟”

“كلا”. قرّر هاري مواصلة اللعبة فقال: “كنت صغيراً جداً، وبعد ذلك أوقفوا عمليات التجنيد”.

“هذا صحيح. ينبغي عليهم استئنافها”.

قال هاري: “بالتأكيد، وينبغي عليهم تجنيد النساء أيضاً. فهنّ يردن المساواة في الحقوق، وبالتالي ينبغي أن يتحمّلن مسؤوليات مساوية”.

“أنت محقّ تماماً”.

كان هاري يحرز نجاحاً، ولذلك تابع حديثه قائلاً: “لا يزال ابني يريد تسجيل اسمه في لوائح المجنّدين تحسباً لاحتمال استئناف التجنيد مجدداً. ولكن ابنتي لن تفعل ذلك. لكن لماذا كل ذلك؟”

“بالضبط. لديك ولد وبنت؟”

“أجل”.

“هل أنت متزوج؟”

أجاب هاري “مطلق”.

“آه، وأنا أيضاً”.

قال هاري: “ستدفعك النساء إلى الجنون”.

أجاب مادوكس “فقط في حال سمحت لهنّ بذلك”.

“حسناً، إننا نسمح لهنّ بذلك”.

ضحك مادوكس وقال: “إننا نفعل ذلك. وعلى أية حال، لماذا أنت في مهمة مراقبة لصالح الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب. لماذا؟”

“كم أمضيت من الوقت في فييتنام؟”

نظر مادوكس إلى هاري مولر لبضع ثوانٍ، ثم أجاب “لفترتي خدمة دامت كل واحدة منهما سنة كاملة، ثم فترة خدمة ثلاثة اختصرتها صلية من رشاش كلاشينكوف أخطأت قلبي بمسافة مقدارها ثلاثة سنتيمترات واخترقت رنتي اليمنى، ثم كسرت أحد أضلاعي قبل أن تخرج من جسми”.

“أنت محظوظ لأنك بقيت على قيد الحياة”.

“أنا أقول ذلك لنفسي كل يوم. كل يوم بمثابة هدية. هل سبق أن تعرّضت لإطلاق نار؟”

“خمس مرّات، ولكنني لم أصب أبداً.”

“أنت محظوظ لأنك لا زلت حياً”. نظر السيد مادوكس إلى هاري وأضاف “هذه الحوادث تؤدي إلى تغييرك، بحيث لا تعود إلى كما كنت مجدداً. لكن هذا التغيير ليس إلى الأسوأ بالضرورة”.

“أعرف ذلك. فلدي أصدقاء أصيبوا بعيارات نارية”. فكَرَّ في جون كوري، ولكنه كان واثقاً من أن كوري بقي الأحمق نفسه قبل الإصابة وبعدها. قال: “أفكر في بعض الأحيان بأنه كان عليّ أن أتطوّع. لقد انتهت حرب فيتنام، ولكن كان لا يزال في مقدوري الخدمة في الجيش. ربما كانت ستسمح لي فرصة المشاركة في اجتياح جزيرة غرينادا أو أي بلد آخر”.

“حسناً، لا تكن قاسياً على نفسك، فمعظم الرجال الأميركيين لم يخدموا في الجيش. ولكي أقول لك الحقيقة، الحرب شيء مخيف وملعون. والآن، دخلنا في هذه الحرب التي تشنّ على الإرهاب، ومن الواضح أنك يا سيد مولر في الخطوط الأمامية. أليس ذلك صحيحاً؟”

“أجل”.

“وعندما نقول الإرهاب، فنحن نعني بوجه عام الإرهابيين الإسلاميين. أليس ذلك صحيحاً؟”

“أجل ولكن...”

“إذاً، هل تبحث عن إرهابيين إسلاميين في هذا المكان؟ هل يمكنني أن أقدم لك المساعدة؟”

كان هاري يبحث عن فكرة، ولكن السيد مادوكس واصل كلامه قائلاً: “إذا كان هناك أي شيء يمكنني القيام به يا سيد مولر، ما عليك سوى أن تخبرني بذلك. لا يوجد شخص يتمنى الفوز في الحرب على الإرهاب أكثر مني. كيف يمكنني المساعدة؟”

“حسناً، هذه هي المشكلة. فقبل نحو خمس سنوات، كنت أعمل على مراقبة عناصر من الجيش الجمهوري الإيرلندي - إنهم إرهابيون - على مسافة لا تبعد أكثر من خمسة وعشرين كيلومتراً من هذا المكان. كانوا قد أقاموا مخيماً تدريبياً”. تابع هاري إطلاع مادوكس عن آخر المعلومات حول هذه القضية وختم حديثه بالقول: “أرسلنا ثمانية منهم إلى سجن فيدرالي لقضاء فترات تتراوح ما بين ثلاث سنين وعشرين سنة”.

“آه، أجل. أنا أذكر تلك الحادثة لأنها كانت قريبة من هنا”.

“أجل. ولذلك فأنا أقوم بالشيء نفسه. إننا ندقق في الكثير من المحميات الخاصة للتأكد مما إذا كان هناك أي نشاط مشبوه يقوم به عناصر من الجيش الجمهوري الإيرلندي. فلدينا تقارير استخباراتية تفيد بأن...”

“إذاً لا علاقة لهذا الأمر بالإرهابيين الإسلاميين؟”

“كلا، ليس اليوم. إننا نلاحق عناصر الجيش الجمهوري الأيرلندي.”

يبدو أن ذلك مضيعة للوقت والموارد على ضوء أحداث 11 سبتمبر/أيلول.”

“حسناً، أنا أعتقد ذلك أيضاً. ولكننا بحاجة للحصول على معلومات عن أي شيء وأي شخص.”

“أنا أعتقد بوجود ذلك”. فكر مادوكس لبرهة ثم سأل “إذاً، أنت تعتقد بأن نادي كاستر هيل... ماذا؟ مخيم تدريب للجيش الجمهوري الأيرلندي؟”

“حسناً، تلقى رؤساؤنا معلومات تتحدث عن نشاط في هذه المنطقة، ولذلك اختاروني لكي أقوم بمراقبة المكان”. وأضاف “أنت تعرف، فربما يكون هناك أشخاص يستخدمون أملاكك بدون علمك.”

“لا يمكن لأحد أن يدخل أملاكك بدون علمي، كما عرفت للتو.”

أجل، أنا أرى ذلك. سأرفع تقريرتي...”

“بالتأكيد لا يوجد أشخاص يشاركون في عمليات تدريب شبه عسكرية.”

“أجل، أنا...”

“ولكن ذلك لا يشرح سبب التقاطك صوراً لنادي الصياد. كان ينبغي أن تكون في الخارج تبحث في الغابة عن عناصر الجيش الجمهوري الأيرلندي.”

“أجل، لقد سلكت طريقاً أخرى.”

“لقد فعلت ذلك بكل تأكيد. لكن المهم هو أنك تقوم بعملية مراقبة.”

“حسناً، أجل. أنا بحاجة إلى الكشف عن عشرات الملكيات في هذه المنطقة.”

“فهمت. لذلك، ينبغي عليّ عدم الاعتقاد بأنني تشرفت بذلك لوحدتي؟”

“عفواً؟”

“ينبغي عليّ عدم الاعتقاد بأنه جرى اختياري؟”

“كلا، إنه مجرد عمل روتيني.”

“هذا أمر يبعث على الارتياح. بالمناسبة، هل لديك أي إذن من الحكومة بالقيام بهذه النشاطات؟”

“لديّ إذن، ولكنه ليس معي.”

“أليس من المفترض أن تحمل الإذن معك؟” ثم لوح بيده فوق الطاولة وقال مبتسماً: “إننا لم نعثر على شيء، حتى عندما نظرنا في أمعائك.”

“هاي، عليك اللعنة.”

“عفواً؟”

“سأغادر هذا المكان...” ثم مَدَّ يده إلى الأشياء المتناثرة على طاولة مادوكس، ولكن سرت موجة شديدة من الألم في الجانب الأيمن من جسمه. سمع صوت ارتطام، ثم لم يعد يحسّ بشيء.

أدرك أنه كان ممدداً على الأرض، والعرق البارد يتصبب من جسمه. لم يكن يرى بشكل واضح، ولكن كان في مقدوره رؤية كارل وهو يقف فوقه، ويربت بالقضيب على راحة يده وكأنه يريد أن يقول: “هل ترغب في ضربة أخرى؟”

حاول هاري أن يقف على رجليه، ولكنهما كانتا مثل المطاط. وقف الحارس الآخر خلفه ورفع من تحت ذراعيه، وأسقطه على الكرسي مجدداً.

حاول هاري التنفّس بشكل منتظم وتهدئة عضلاته. كانت عيناه لا تزالان فاقدتي التركيز، وبدأ أن كل شيء يطنّ في أذنيه.

قدّم له أحد الحراس قارورة بلاستيكية من المياه، بالكاد استطاع الإمساك بها.

قال السيد مادوكس: “أنا مندهش مما يمكن للكهرباء أن تفعله بالإنسان. لا يوجد تقريباً أي برهان مرئي آخر. أين وصلنا؟”

حاول هاري أن يقول عليك اللعنة، ولكنه لم يستطع التلظ ببتلك الكلمات.

“أعتقد بأنك كنت تسعى إلى إقناعي بأنك في مهمة روتينية للبحث عن مخيمات التدريب التي يقيمها الجيش الجمهوري الأيرلندي. لم أفتنع بذلك.”

أخذ هاري نفساً عميقاً وقال: “ما قلته لك هو الحقيقة.”

“حسناً إذناً، دعني أطمئنك إلى أنه لا يوجد أعضاء من الجيش الجمهوري الأيرلندي في أملاكي. في الواقع سيد مولر، تعود أصولي إلى إنكلترا فعلاً، ولكنني لست مولعاً بالجيش الجمهوري الأيرلندي.”

لم يتلظ هاري بحرف واحد.

قال مادوكس: “حسناً، دعنا نتوقف عن حديثنا الفارغ عن الجيش الجمهوري الأيرلندي وندخل في صلب الموضوع مباشرة. ما الذي يعتقد رؤساؤك بالضبط أنه يحدث هنا؟”

وهنا أيضاً التزم هاري بعدم الردّ.

“هل ترغب في تشجيع كهربائي لكي تجيب على سؤالتي؟”

“كلا... أنا لا أعرف. إنهم لا يطلعونني على أي شيء.”

“لكن لا بدّ وأنهم قالوا شيئاً مثل ‘هاري، نحن نشتبّه بأن نادي كاستر هيل...’ ماذا؟ كيف صنّفوا هذا المكان وأعضاءه؟ هذا الأمر مهم بالنسبة إليّ، وأنا أريدك أن تخبرني. وستخبرني بذلك الآن أو في وقت لاحق، ولكنني أعتقد بأنه سيكون من الأسهل لو تفعل ذلك الآن.”

حاول هاري أن يصفى ذهنه من الصدمة الكهربائية ويدرس الوضع، فهو لم يسبق أن كان في الجانب الآخر من طاولة التحقيق، كما أنه لم يسبق أن خاض مثل هذه التجربة أو خضع لتدريب كان سيوفر له التوجيهات في وضع مثل هذا.

“سيد مولر؟”

لم يكن في مقدوره الحكم إن كان في مقدوره الإصرار على قصة الجيش الجمهوري الأيرلندي، أو ما إذا كان ينبغي أن يقول لهذا الوغد شيئاً مما يعرفه. من الواضح أن الهدف هو الخروج من هذا المكان حياً، بالرغم من أنه بالكاد كان يصدق أن حياته في خطر.

“سيد مولر؟ قمنا بمراقبة الطيور، ثم الجيش الجمهوري الأيرلندي. ما هي القصة الجيدة فعلاً، أنا لا أقصد القصة الحقيقية. يبدو أنك مرتبك قليلاً، ولذلك أسمح لي بأن أساعدك. قيل لك بأن نادي كاستر هيل مؤلف من مجموعة من المجانين الأغنياء من قدامى اليمينيين الذين يتآمرون على القيام بأمر ربما لا يكون قانونياً. هل هذا صحيح؟”

أوما هاري برأسه موافقاً.

“ما هو الشيء الآخر الذي قالوه عنا؟”

“لا شيء، ليس من واجبي أن أعرف أي معلومات عن المهمة الموكلة إليّ تنفيذها ما لم يخبروني بها من تلقاء أنفسهم.”

“آه، أجل. الحاجة إلى أن تعرف. هل ذكروا أن العديد من أعضائنا يشغلون مراكز مرموقة جداً، ويتمتعون بنفوذ واسع في المجتمع والحكومة؟”

هزّ هاري رأسه نافيةً وقال: “لا حاجة لي لمعرفة ذلك.”

“حسناً، أعتقد بأنك بحاجة إلى أن تعرف. وهذا هو السبب الذي أنت هنا من أجله، سواء أكنت تعرف أم لا. الحقيقة هي أن أعضاء هذا النادي لديهم الكثير من النفوذ، النفوذ السياسي، والنفوذ المالي، والنفوذ العسكري. هل تعرف بأن أحد أعضائنا يشغل منصب نائب وزير الدفاع؟ وأن عضواً آخر أحد كبار مستشاري الرئيس في قضايا الأمن القومي. هل كنت تعرف ذلك؟”

هزّ هاري رأسه نافيةً.

“إننا لا نقدر قيام إحدى الوكالات الحكومية بعملية مراقبة غير شرعية لنشاطاتنا التي هي قانونية تماماً.” وأضاف “نحن نصطاد الحيوانات، والأسماك، ونشرب الشراب، وناقش الوضع العالمي. والدستور نفسه يحمي حقنا في الاجتماع، وحرّيتنا في التعبير، وخصوصيتنا. أليس ذلك صحيحاً؟”

أوما هاري برأسه موافقاً.

“هناك شخص في وكالتك قد تجاوز حدوده، وسيطلب إليه تبرير تصرفاته.”

هنا أيضاً، أوما هاري برأسه موافقاً. كان يصدق مادوكس. فلن تكون تلك المرّة الأولى التي يرتكب فيها أحد رؤسائه خطأ ويأمر بتنفيذ عملية مراقبة لمجموعة ما

أو شخص ما ليس مذنباً بأي شيء. ومن ناحية أخرى، هذا هو السبب الذي جرى تنفيذ عملية المراقبة من أجله؛ التأكد مما إذا كان الاشتباه بممارسة نشاط إجرامي دقيقاً أو مبرراً. قال هاري: "أعتقد بأنهم أخطأوا".

"أوه، أنا أعرف بأنهم أخطأوا. وأنت علقنت وسط هذه المعمة".
"هذا صحيح".

"إذاً، أنت لست عميلاً من مكتب التحقيقات الفيدرالي؟"
"كلا".

"ولا ضابطاً في وكالة الاستخبارات المركزية؟"
"اللجنة، لا".

"من تكون؟ عميل متعاقد؟"

"أجل. ضابط متقاعد من شرطة نيويورك، وأعمل لصالح مكتب التحقيقات الفيدرالي".

أضاف السيد مادوكس "على مستوى متدن".

"أجل، وأشكرك على الصدمة الكهربائية".

"أنا لا أدري عما تتحدث". نظر السيد مادوكس إلى ساعته وقال: "أنا أتوقع وصول أصدقاء". حدّق في وجه هاري وسأله، "هل كنت تعرف أنني أتوقع قدوم أصدقاء؟"

"كلا".

"أهي مصادفة أن تأتي إلى هنا في هذا اليوم بالذات؟"

لم يردّ هاري على السؤال.

"تحدث إليّ يا سيد مولر، فلدي صباح حافل".

"أه... حسناً، طُلب إليّ التأكد من احتمال قدوم شخص".

"طُلب إليك مراقبة الضيوف القادمين، وتصويرهم، وتسجيل أرقام لوحات سياراتهم، وملاحظة أوقات وصولهم، وما إلى ذلك".

"أجل".

"كيف تمكن هؤلاء الأشخاص الذين تعمل لديهم من معرفة أنه يوجد اجتماع اليوم؟"

"ليس لديّ أدنى فكرة".

"لماذا التقطت صورة فوتوغرافية للعمود الخدمي؟"

"لقد رأيته صدفة".

“متى وصلت إلى هنا؟”

“في الليلة الماضية”.

“هل يوجد شخص معك؟”

“كلا”.

“كيف وصلت إلى هنا؟”

أجاب هاري “قدتُ سيارتي المقطورة إلى هذا المكان”.

“وهل هذه مفاتيحها؟”

“أجل”.

“أين توجد السيارة؟”

“على الطريق إلى الجنوب من هذا المكان”.

“قريباً من المكان الذي دخلت من خلاله إلى أملاكي؟”

“أجل”.

“هل يُفترض بأن ترفع تقريراً عبر الهاتف؟”

أجاب هاري “أجل”، مع أن ذلك لم يكن صحيحاً.

“متى؟”

“عندما أغادر المكان”.

“فهمت”. أمسك مادوكس بهاتف هاري الخليوي، وقام بتشغيله وقال: “أرى أنه وصلتكَ رسالة”. وأضاف “في حال تعجبت من سبب توفر إرسال قوي في وسط المجهول، أريدك أن تعرف بأنني أملك برجي الخاص لترحيل موجات الهاتف الخليوي”. وأشار ناحية النافذة وقال: “عرفتُ الآن ما هو ذلك البرج، وفي إمكانك وضع تسمية على الصورة الفوتوغرافية التي التقطتها له. كما يمكنك الإشارة إلى أنه مزود بجهاز تشويش لكي لا يتمكن أحد من الإنصات إلى مكالماتي”. ثم سأل هاري “أليس رائعاً أن يكون المرء ثرياً؟”

“كيف لي أن أعرف؟”

ثم سأل مادوكس، “ما هو كود صندوق بريدك الصوتي؟”

أعطى هاري الكود لمادوكس، واتصل هذا الأخير بالبريد الصوتي، وأدخل رقم الكود، وقام بتشغيل الجهاز.

قالت لوري: “مرحباً يا عزيزي. وصلتني رسالتك. كنتُ نائمة، وسوف أذهب للتبضع اليوم برفقة شقيقتي وأن. اتصل بي لاحقاً، فسأخذ هاتفك الخليوي معي. هل هذا جيد؟ أخبرني إن كنت تنوي المبيت في ذلك المكان. أنا أحبك، وأنا مشتاقة

إليك". وأضافت، "كن حذراً من هؤلاء المعتوهين اليمينيين، فهم يحبون أسلحتهم. توخّ الحذر".

علق مادوكس بالقول: "يبدو حديثها جميلاً جداً، باستثناء ذلك الجزء الذي تحدثت فيه عن المعتوهين اليمينيين وعن أسلحتهم". وأضاف "من الواضح أنها تعتقد بأنك قد تضطرّ إلى قضاء الليلة هنا. وربما تكون على حق". أطفأ الهاتف وقال لهاري: "أعتقد بأنك تعرف بأن هذه الأشياء ترسل إشارة يمكن تعقبها".

"أجل، فهذه هي وظيفتي".

"هذا صحيح. تكنولوجيا مدهشة. ففي إمكاني الاتصال بأطفالي في أي وقت أثناء، ومن أي مكان. بالطبع، إنهم لا يرتدون على مكالماتي أبداً، ولكنهم يعاودون الاتصال بي بعد مرور خمس دقائق، أو عندما يكونون بحاجة إلى شيء ما".

وجد هاري نفسه مضطراً إلى الابتسام.

قال السيد مادوكس: "إذن يبدو أنك تحمل الصفة التي ذكرتها عن نفسك. لكن حتى أكون صادقاً معك يا سيد مولر، أعتقد بأنك ربما تكون عميلاً لقوة أجنبية".

"ماذا؟"

"أنا لست مهوساً. إن للأشخاص الذين يملكون عضوية في هذا النادي أعداء في كل مكان في العالم، أعني النوع الصحيح من الأعداء. فنحن جميعاً وطنيون يا سيد مولر، وقد تسببنا ببعض المشكلات لأعداء أميركا في أنحاء مختلفة من العالم".

"هذا أمر جيد".

"اعتقدت بأنك ستوافقني الرأي. وهؤلاء أنفسهم أعداؤك. ولذا، سأستخدم العبارة العربية القديمة، 'عدوّ عدوّي هو صديقي'".

"هذا صحيح".

"لكن في بعض الأحيان يكون عدوّ عدوّي عدواً لي أيضاً. وليس مردّ ذلك أنه يريد أن يكون كذلك، بل لأننا نختلف في الرأي حول كيفية التعامل مع عدونا المشترك. ولكن هذه مناقشة أفضل أن أرجئها إلى وقت آخر".

"أجل، سأتصل بك في الأسبوع القادم".

وقف باين مادوكس ونظر إلى ساعته وقال: "سأقول لك أمراً. بما أنك ووكالتك مهتمان كثيراً بهذا النادي وأعضائه، فسأقوم بعمل لم يسبق أن قمتُ به من قبل. سأسمح لك، وأنت غريب، بالمشاركة في اجتماع المجلس التنفيذي، والذي سيُعقد بعد ظهر هذا اليوم بعد غداء ترحيبي بأعضاء نادينا القادمين. هل ترغب في الانضمام إلينا؟"

"كلا. أعتقد بأنه ينبغي أن..."

"اعتقدت بأنك أتيت إلى هنا من أجل جمع المعلومات؟ لم هذه العجلة؟"

"أنا لست مستعجلاً، ولكنني..."

“حتى أنني سأسمح لك بالتقاط بعض الصور”.

“شكراً ولكنني...”

“أعتقد بأن حضورك اللقاء يمكن أن يعود على كلينا ببعض النفع، وسأراقب ردّة فعلك على المواضيع التي نناقشها. في بعض الأحيان، ندخل هذا الحصن بطريقة ذهنية، كما تعرف، حيث يتم استبعاد الحقيقة الخارجية، ولا نسمع غير حقيقتنا. وهذا ليس بالأمر الصحي”.

امتنع هاري عن الردّ، ولكنّ باين لطّف من حدّة فكرته وقال: “أريدك أن تشعر أنك حرّ في أن تعلّق، وتقول لنا إن كنا فعلاً مجموعة من المجانين المسنّين؛ معتوهين يمينيين”. ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة وقال: “نحن بحاجة إلى رأيك الصادق في مشروعنا التالي، المشروع الأخضر”.

“ما هو المشروع الأخضر؟”

حدّق السيد مادوكس في حرّاسه، ثم نظر إلى هاري وهمس في أذنه، وقال: “المعركة النووية الكبرى”.

الفصل 5

اقتيد هاري مولر معصوب العينين وحافي القدمين إلى أسفل سلّم وصولاً إلى ما يُفترض بأنه قبو نادي الصيد. كان الجوّ بارداً ورطباً، وكان في مقدوره سماع أصوات المحرّكات الميكانيكية والكهربائية.

سمع باباً يُفتح، ثم شعر بنخزة تدفعه إلى الأمام. أقفل الباب بعد ذلك وسمع صوت انزلاق مزلاج قفل معدني.

وقف ثم قال: “هاي، أنت، هل أنت هنا؟”

ساد الصمت في المكان. أصغى لبرهة ثم نزع العصابة عن عينيه ونظر حوله، فوجد نفسه وحيداً.

وقف هاري في غرفة صغيرة بُنيت جدرانها من الطوب الخرساني وطلّيت بلون الطلاء الرمادي نفسه الذي طلّيت به الأرضية الخرسانية. وكان السقف المنخفض مكسوّاً بألواح معدنية متموجة.

بعد أن تكيفت عيناه مع الضوء المتوهج المنبعث من مصباح فلوري مثبت في السقف، رأى سريراً معدنياً واحداً في الغرفة وكان مثبتاً بالأرضية. وعلى السرير كانت توجد حشيرة رقيقة، وعليها قميصه وسرواله المرقطان فسارع إلى ارتدائهما. تفقد جيوبه ولكنهم لم يردّوا إليه شيئاً.

كان يوجد في إحدى زوايا الغرفة مرحاض ومغسلة. لم يكن المرحاض مجهزاً بكرسي ولا بخزان مياه، أي أن الغرفة بدت كما لو كانت زنزانة سجن. لم تكن هناك مرآة فوق المغسلة ولا حتى مرآة بلاستيكية أو معدنية مثل تلك التي تُستخدم في السجون.

تقدم نحو الباب المعدني الذي لم يكن مزوداً بمقبض أو نافذة، ودفعه، ولكنه لم يتحرّك. ثم بدأ يفتش الغرفة بحثاً عن أي شيء يمكنه استخدامه كسلاح، ولكن الغرفة كانت فارغة تماماً، باستثناء الفراش، ومشعاع صديء لم يكن يبعث الكثير من الحرارة.

لاحظ بعد ذلك كاميرا دوّارة صغيرة للمراقبة مثبتة في إحدى زوايا السقف، وإلى جانبها مكبّر صوت في فجوة. ألصق إصبعه الوسطى بالكاميرا وصاح “عليكم اللعنة”.

لم يردّ عليه أحد.

نظر حوله بحثاً عن شيء يمكنه استخدامه لتعطيم الكاميرا ومكبّر الصوت، لكن لم يكن يوجد أي شيء غير مثبت في الغرفة باستثنائه. تراجع إلى الوراء ثم عدا وقفز وضرب الكاميرا بيده. لكن الكاميرا استمرت في مسح الغرفة، ثم سمع صوتاً حاداً أثار القشعريرة في بدنه، مما دفعه إلى وضع يديه على أذنيه والتراجع بعيداً عن مكبّر الصوت. واستمرّ الصوت المؤلم، فصاح هاري، “حسناً، حسناً”.

توقف الصوت وسمع أحدهم يقول “إجلس”.

“عليكم اللعنة”. أو غاد. انتظروا ريثما أخرج من هنا.

فقد هاري إحساسه بالزمن، ولكنه اعتقد بأن الساعة لا بد وأن تكون العاشرة أو الحادية عشرة صباحاً تقريباً. كانت معدته خاوية، ولكنه لم يكن يشعر بالجوع، بل كان يشعر بالعطش. كما كان بحاجة إلى التبول.

مشى نحو المرحاض فاتبعتة الكاميرا. قضى حاجته ثم انتقل إلى المغسلة، وفتح الحنفية الوحيدة. سالت المياه الباردة في الحوض، فغسل يديه ثم استخدمهما في الشرب من الحنفية.

لم تكن هناك منشفة، ولذلك مسح يديه بجانبه سرواله. ثم عاد إلى السرير وجلس، وبدأ يفكر في المحادثة التي جرت بينه وبين باين مادوكس.

المعركة النووية الكبرى.

قال في نفسه: “ما هو ذلك الشيء اللعين الذي كان يتحدث عنه هذا الأبله؟”

وماذا بشأن هذا الاجتماع الذي دُعي إلى حضوره؟ لم يكن يوجد شيء منطقي ما لم... ما لم تكن تلك مكيدة.

وقف وقال: “هكذا إذاً”. إنه أحد مخيمات التدريب السخيفة تلك. “يا له من أمر مقزز”.

فكر في المهمة برمتها، بدءاً من الدقائق العشر التي قضاها في مكتب توم والش إلى الرجل التقني، وقطع السياج، والحراس، والزنزانة التي في نادٍ خاص - كان الأمر كله بمثابة اختبار... درس من دروس “السَّير” - البقاء، المراوغة، الفرار، والمقاومة.

حسناً، إنه لم ينجح بالتأكيد في جزء المراوغة، وهذا هو سبب وجوده في الزنزانة. أعاد التفكير في الاستجاب الذي أجراه شخص اسمه مادوكس - جزء المقاومة - “آه، اللعنة! هل أفسدت الأمر؟ ما الذي قلته له؟ قلت له بأن يذهب إلى الجحيم... ثم سردت قصة الجيش الجمهوري الأيرلندي، كان أمراً ذكياً مني... أليس كذلك؟”

ثم فكر بشأن القضيب المعدني. “لماذا فعلوا ذلك؟ أجل... ربما”.

وأخيراً، هناك القسم المتعلق بالهرب، ثم المراوغة مجدداً والبقاء في الغابة... “أجل، هذا هو المكان الذي يتم فيه الاختبار”.

أعاد كل شيء في ذهنه ومال إلى ظنّه الجديد بأن العملية كانت ضرباً من الجنون من تدبير وكالة الاستخبارات المركزية أو مكتب التحقيقات الفيدرالي. لا بدّ وأنها كذلك، لأن أي شيء عدا ذلك سيكون مستغرباً جداً.

كانوا يراقبونه من أجل شيء مهم، وهذا الشيء المهم هو اختبار كبير. فهم يقومون بهذا الأمر ليعرفوا مقدار قدرتك على التحمل، أي أن نادي كاستر هيل كان أشبه بمزرعة لوكالة الاستخبارات المركزية في فرجينيا. أجل.

قال في نفسه: "حسناً، هذا أمر جيد. لقد اجتزت الاختبار الأول. والآن، سنحضر الاجتماع ونرى ماذا سيتم التباحث فيه. حافظ على رباطة جأشك يا هاري". صاح في الكاميرا "يا أوغاد، سوف أنتزع رؤوسكم اللعينة وأضرب أعناقكم".

ثم عاد، ووضع ظهره على حشية الفراش الرقيقة وابتسم بينه وبين نفسه. تناءب وما لبث أن غرق في سبات عميق.

نتيجة للوهج الصادر عن الضوء الفوقوي وبسبب البرد، حلم بأنه أصبح في الخارج مجدداً، يمشي في الغابة. كان يلتقط صوراً للطيور، ثم دخل في جدال مع بعض الرجال، ثم دخل في حديث ودّي مع السيد مادوكس الذي أعاد إليه مسدسه وقال: "سوف تحتاج إليه". ثم شهر الرجال بنادقهم، وانطلقت الكلاب تعدو نحوه. ضغط على الزناد، ولكن الرصاصة لم تتطلق.

نهض هاري من نومه بسرعة، ومسح العرق البارد عن وجهه. "اللعنة". ثم عاد واستلقى على السرير، وحدق في السقف المعدني. كان هناك شيء ما يزعجه. إنه مادوكس. هناك شيء ما في هذا الرجل بدا... حقيقياً. "كلا، لا يمكن أن يكون حقيقياً"، لأنه لو كان حقيقياً، ستكون حياته في خطر.

فُتح الباب، وسمع صوتاً يقول: "تعال معنا".

القسم 3

يوم السبت

نورث فولك، لونغ أيلاند

إذا كان الحب هو الجواب، هل يمكنك إعادة صياغة السؤال؟

- ليلى توملين

الفصل 6

ذهبت وكايت إلى فندق برد أن بريكفاست في ماتيتوك قبل وقت الإقفال عند الساعة العاشرة صباحاً، وحجزت غرفة من المالكة، وهي سيدة تذكّرني بالسيدات اللواتي يعملن في مركز ميتروبوليتن الإصلاح في وسط المدينة.

كان المنزل القديم جذاب كل ما يمكن أن أتوقعه وأكثر. في الواقع، كان مكاناً رائعاً جداً.

خلدنا إلى النوم في وقت متأخر من صباح يوم السبت، ولذلك فاتنا الفطور المنزلي، وفاتنا أيضاً اللقاء مع الضيوف الآخرين الذين سمعنا صوت اثنين منهم من خلال الجدران الرقيقة في الليلة السابقة. كان المرأة كثيرة التأوه، ولكنها لم تكن متعددة النشوات لحسن الحظ.

على أية حال، أمضينا يوم السبت في التجوال في كروم العنب في نورث فولك، والتي حلت محل مزارع البطاطا التي أذكرها عندما كنت طفلاً. لقد نضجت الكرمة الآن، وهي تنتج شراباً فاخراً. احتسبنا القليل من الشراب المجاني في كل كرم، واستمتعت على وجه الخصوص بشراب سافينون بلانك، الذي كان مشوباً بطعم البطاطا.

مساء السبت، ذهبنا إلى مطعم على طوف عائم كان يتميز بإطلالة رائعة على خليج بيسونيك، وكان رومانسياً للغاية، في نظر كايت.

جلسنا في المشرب في انتظار إعداد طاولتنا، وعرض النادل العشرات من زجاجات الشراب الفرنسي الأصل المصنوع محلياً التي يمكن تقديمها للزبائن بالكوب. ودار حديث بين كايت والنادل - وكان شاباً يافعاً بدا أن في استطاعته الاستفادة من قضاء بضعة أسابيع في مخيم شبابي - بشأن أنواع الشراب الفرنسي الأبيض واستقر رأياً على نوع ليس قوي النكهة. كنت أعتقد بأن العنب من أنواع الفاكهة.

سألني الشاب اليافع، "هل يبدو أي من أنواع الشراب الفرنسي جيداً بالنسبة إليك؟"

"إنها جميعاً كذلك، ولكنني سأختار 'الباد'."

كان هناك رزمة من الصحف على المشرب، ولاحظت العنوان الرئيسي لصحيفة التايمز: البنطاغون يخطط لإعطاء لقاحات مضادة للجذري لما يصل إلى 500 ألف شخص.

بدا الغزو أشبه بصفقة منتهية ما لم يستسلم صدام حسين. فكّرت بوكيل المراهنات لمعرفة أرجحية احتمالات دخولنا الحرب. كان عليّ أن أضع رهاناً في الأسبوع

الماضي، عندما كانت الاحتمالات بعيدة، ولكنني حصلت على معلومات من مصادر مطلعة، وهذا يعتبر غشاً. كما أنه سيكون من غير الأخلاقي كسب المال من وراء الحروب، ما لم تكن الحكومة شركة متعاقدة.

سألت كايت، وهي محامية، “هل أنا متعاقد حكومي أو وكيل متعاقد لدى الحكومة؟”

“لماذا تسأل؟”

“أنا أعاني من قضية أخلاقية.”

“على الأرجح أنه ليس صراعاً عنيفاً.”

“كوني لطيفة، فأنا أفكر في الاتصال بوكيل المراهنات ووضع رهان على حرب العراق.”

“هل لديك وكيل مراهنات؟”

“أجل، أليس لديك واحد؟”

“كلا، فهذا عمل غير قانوني.”

“هل أنا قيد الاعتقال؟ هل يمكننا تأجيل موضوع تقييد اليدين إلى وقت لاحق؟”

حاولت ألاّ تبتسم ونظرت إلى الناحية الأخرى من المشرب. “أخفض صوتك.”

“أنا أحاول أن أكون رومانسياً.”

جاءت المضيئة ورافقتنا إلى طاولتنا.

نظرت كايت إلى قائمة الطعام، وسألتني إن كنت أودّ تقاسم دزينة من المحار معها، وذكررتني بابتسامة “بأنها منشط جنسي.”

قلت لها: “إنها ليست كذلك في حقيقة الأمر، فقد تناولت دزينة منها في الأسبوع الفائت ولم تتجح سوى إحدى عشرة فقط.” وأضفت، “تكتة قديمة.”

“من الأفضل أن تكون كذلك.”

كانت ثمار البحر الطبق المميّز لهذا المطعم، ولذلك طلبت بطة اللونغ أيلاند. إنها تتقن السباحة. أليس كذلك؟

بدأت أشعر بالاسترخاء والسعادة لكوني بعيداً عن إجهاد وظيفتي والمدينة. قلت لكاييت، “كانت تلك فكرة جيدة.”

“كنا بحاجة إلى الابتعاد عن المدينة.”

فكرت في هاري في شمال ولاية نيويورك، وأردت أن أسأل كايت مجدداً عن نادي كاستر هيل، ولكن كان الهدف من وجودنا في هذا المكان ترك العمل وراءنا.

تكفّلت كايت بقائمة الشراب الفرنسي، وبعد مناقشة قصيرة ساحرة مع النادل، أمرت بإحضار زجاجة من الشراب الفرنسي الأحمر.

أحضر النادل الزجاجية، وتذوقت كاييت الشراب، وقالت إنه قوي النكهة مع شيء من طعم الإجااص الذي يتناسب جيداً مع بطتي. ولكنني لا أعتقد بأن بطتي تأبه لذلك.

وعلى أية حال، رفعت كوبها وقالت: “إلى أجهزة الإنذار التي لا تعمل في عطل نهاية الأسبوع”.

لامس كل منا كوبه بكوب الآخر وشربنا. لا بدّ وأن كوبها كان بنكهة الإجااص.

وضعتُ كوب الشراب بالقرب من الشمعة وقلت: “كمّ جميل”.

“ما هو الجميل؟”

“الأصفاذ؟” وأشاحت بناظريها.

هكذا، تناولنا عشاءً رائعاً في محيط خلّاب، وكانت عينا كاييت الجميلتان الزرقاوان تلمعان على ضوء الشمعة، كما أن الشراب الفرنسي جعلني أشعر بالدفء والسعادة.

كان من السهل الإدعاء بأن كل شيء يسير على ما يرام في العالم. ولكن الحال ليس كذلك بالطبع، ولم يسبق له أن كان كذلك، ولكنك بحاجة إلى سرقة بضع ساعات بين الحين والآخر والإدعاء بأن ما تبقى من العالم لن يذهب إلى الجحيم.

وحول هذا الموضوع، لا يزال كل من أعرفهم يتحدثون عن التغيير الذي طرأ على حياتهم بعد 11 سبتمبر/أيلول، وأنه لم يكن إلى الأسوأ في جميع نواحيه. فهناك الكثير من الأشخاص، بمن فيهم أنا وكاييت أيضاً، أفاقوا وقالوا: “أن الأوان لكي نتوقف عن القلق. أن الأوان لكي نعاود الاتصال مع الأشخاص الذين نحَبِّهم ونتخلص من الأشخاص الذين لا نحَبِّهم. إننا لسنا أمواتا، ولذلك فنحن بحاجة إلى أن نعيش حياتنا”.

حاول والدي، الذي كان من قدامى المحاربين في الحرب العالمية الثانية، مرّة أن يصف لي المزاج الذي ساد في البلاد عقب الهجوم على بيرل هاربور. لم يكن يجيد استعمال الكلمات، وكان يجد صعوبة في رسم صورة لأميركا في أول ذكرى ميلاد بعد 7 ديسمبر/كانون الأول 1941. وأخيراً، توصل إلى الكلمة المناسبة وقال: “كنا جميعاً خائفين، ولذلك أكثرنا من الشرب والمجون، واتصلنا بأشخاص لم نرهم منذ مدّة وزرناهم. وأرسل الناس الكثير من البطاقات والرسائل، واقترب الجميع من بعضهم، وساعد كل منهم الآخر، وبالتالي لم يكن الأمر في غاية السوء”. ثم سألتني “لماذا احتجنا إلى حرب لكي نفعل ذلك؟”

بفضل والدي، تلك كانت حياتنا. أمضى والداي يومين بدءاً من 11 سبتمبر/أيلول من العام الفائت في محاولة الاتصال بي من فلوريدا. وعندما تمكنا من الاتصال بي أخيراً، أمضيا خمس عشرة دقيقة في التعبير عن مدى حبهما لي، وهو الأمر الذي شكّل مفاجأة لي، ولكنني أكيد من أنهما يعنيان ما يقولانه.

هذه هي حياتنا التي نعيشها اليوم، لكن بعد مرور سنة أو سنتين، باتت تفتقر إلى هجوم آخر على البلاد. سنعود إلى وضعنا السابق المعتاد، أشخاص مترفعون

يركزون على ذواتهم. ولا بأس بذلك أيضاً، لأنه بصراحة، لقد سئمت من رفقة المدينة وسؤال عائلتي عن حياتي وكيف أقضيها. إن لكل منا لحظة تأمل وتقويم لحياته، وأن الأوان لكي نتكيف مع العمل الذي نقوم به، والعودة إلى ما كنا عليه سابقاً. ولكنني أحب الإكثار من الشرب والانغماس في العريضة، وينبغي علينا المواظبة على ذلك لفترة أطول. ولي صديق أعزب قال لي... حسناً، هذا موضوع آخر أرجئ الحديث عنه لوقت آخر.

في هذه الأثناء، قلت لكاييت: "أنا أحبكِ".

مدت يدها من فوق الطاولة، وأمسكت بيدي وقالت: "أنا أيضاً أحبك جون".

كان ذلك أمراً جيداً آخر حدث في ذلك اليوم. لم أكن الزوج الأكثر حرصاً يوم 10 سبتمبر/أيلول، ولكن في اليوم التالي، عندما اعتقدت بأنها ماتت، انهار عالمي مع البرجين. وعندما رأيتها على قيد الحياة، أدركت أنني كنت بحاجة إلى القول "أنا أحبكِ" مرّات كثيرة، لأنه في هذا النوع من العمل وفي هذه الحياة، لن تعرف أبداً ماذا سيحصل لك في الغد.

القسم 4

يوم السبت

شمال ولاية نيويورك

تعتقد القدرة دائماً أنها تملك روحاً عظيمة وآراءً كبيرة تتعدى فهم الضعيف، وهي تعتقد بأنها تقوم بواجباتها أمام الله فيما هي تنتهك كافة قوانينه.

- جون آدمز

الفصل 7

جلس هاري مولر معصوب العينين ومقيد الرجلين على كرسي مريح بدا أنه مصنوع من الجلد. شم رائحة خشب يحترق ودخان سجائر. وكان في مقدوره سماع أصوات تتحدث بنبرة منخفضة، واعتقد أنه سمع صوت باين مادوكس.

قام شخص بإنزال العصابة التي كانت على عينيه إلى رقبته، وما لبثت عيناه أن تكيفتا مع الضوء، فرأى أنه جالس عند طرف طاولة طويلة مصنوعة من خشب الصنوبر. كما كان يجلس إلى الطاولة خمسة رجال آخرون: اثنان في كل جانب، والشخص الخامس الذي كان عند الطرف الآخر في مواجهته كان باين مادوكس. كان الرجال يتبادلون الأحاديث كما لو أنه غير موجود.

كان يوجد أمام كل رجل أوراق صفراء اللون، وأقلام، وقوارير مياه، وفناجين قهوة. ولاحظ هاري لوحة مفاتيح أمام مادوكس.

تفحص أرجاء الغرفة، والتي كانت مكتبة أو ما شابه. كانت الموقدة إلى يساره وعلى جانبيها نافذتان تم إنزال ستارتيهما لكي لا يتسنى له النظر إلى خارج الغرفة، ولكنه علم من المسار الذي سلكه وهو معصوب العينين من زinzانته بأنه في الطابق الأرضي. كان يقف بالقرب من الباب كارل وحارس آخر، وكانا مسلحين بمسدسين في قرابيهما، ولكن لم يكن في حوزتهما قضبان معدنية.

لاحظ الآن حقيقة جلدية ضخمة جداً في وسط الأرضية. كانت حقيقة قديمة مثبتة بعربة مدولية. بدا وكأن مادوكس رآه للمرة الأولى فقال: "أهلاً بك يا سيد مولر. هل ترغب في فنجان قهوة أو شاي؟"

هز هاري رأسه.

خاطب مادوكس الرجال الأربعة قائلاً: "أيها السادة، هذا هو الرجل الذي أخبرتكم عنه؛ التحري هاري مولر من شرطة ولاية نيويورك، متقاعد، ولكنه يعمل حالياً في الوحدة التكتيكية الفيدرالية لمحاربة الإرهاب. أرجو منكم أن تشعروه بأنه مرحّب به".

وأما كل من الحاضرين برأسه إلى الضيف ترحيباً به.

لاحظ هاري أن اثنين من الحاضرين بدا وجههما مألوفين. واصل مادوكس حديثه فقال: "كما تعرفون، أيها السادة، لدينا القليل من الأصدقاء في الوحدة التكتيكية، لكن من الواضح أن أيّاً منهم لم يكن على علم بأن السيد مولر سيزورنا اليوم".

قال أحد الرجال: "حسناً، سنحتاج إلى التحقق من ذلك". وأوماً الباقرن برؤوسهم تعبيراً عن موافقتهم.

حاول هاري أن يفكر في التفاهات التي تجري حوله، لكي يعزز آماله بأن ما يحصل كان اختباراً كبيراً مقسماً إلى مراحل. لكن في مكان ما في عقله، كانت تلك الآمال تتلاشى بالرغم من تمسكه بها.

أشار مادوكس إلى الحارسين، فغادرا الغرفة.

نظر هاري إلى الرجال الجالسين إلى الطاولة. كان اثنان منهم في سنّ مادوكس تقريباً، وكان الثالث أكبر منهما. وأما الرابع الجالس إلى يمينه فكان أصغرهم سنّاً. كانوا جميعاً يرتدون سترات زرقاء اللون وقمصاناً منقشة غير رسمية مثل مادوكس، في ما بدا أنه اللباس الرسمي لذلك اليوم.

ركّز هاري على الرجلين اللذين بدا وجههما مألوفين؛ كان متأكداً من أنه رأهما على شاشة التلفاز أو في الصحف.

لاحظ مادوكس نظرات هاري فقال: “اعذرنى لأنني لم أعرفك على مجلس إدارتي التنفيذي بطريقة رسمية...” لكن أحد الرجال قاطعه قائلاً، “باين، ليس من الضروري أن تذكر الأسماء.”

ردّ عليه مادوكس “أعتقد بأن السيد هاري تعرّف على بعضكم على أية حال.” لم يجب أحد باستثناء هاري الذي قال: “لا أعتقد بأننا بحاجة إلى ذكر أي أسماء...”

قال مادوكس: “أنت بحاجة إلى أن تعرف الرفقة عظمية الشأن التي أنت جالس معها.” وأشار مادوكس إلى الرجل الجالس إلى يمينه مباشرة، وكان أكبر الحاضرين سنّاً، وهو الشخص الذي أبدى اعتراضه. “هاري، هذا بول دان، مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي وعضو في مجلس الأمن القومي والذي تعرفه على الأرجح.”

التقت مادوكس إلى الشخص الجالس بجانب دان والقريب من هاري وقال: “هذا الجنرال جايمس هاوكنز، من سلاح الجوّ الأميركي وعضو في هيئة أركان الحرب المشتركة، والذي ربما تعرفه أيضاً، بالرغم من أن جيم قليل الظهور.”

ثم أشار إلى الرجل الجالس إلى يساره وقال: “هذا إدوارد وولفر، نائب وزير الدفاع، وهو يحب عدسات الكاميرا.” إياك أن تقف بين إيد وكاميرات محطات التلفزة وإلا فسوف تقع أرضاً.” ابتسم مادوكس، بخلاف الباقين.

أضاف مادوكس، “تخرّجت وإيد من مدرسة التلامذة الضباط في سلاح المشاة، فورت بينينغ، بولاية جورجيا سوية في أبريل/نيسان 1967. كما خدمنا في فييتنام في الفترة ذاتها. وحقق لنفسه شهرة ذائعة الصيت منذ ذلك الحين، في حين جنيت الكثير من المال.”

لم يبتسم وولفر مما حمل هاري على الاعتقاد بأن الكلام ليس أكثر من نكتة قديمة.

واصل مادوكس حديثه فقال: "الشخص الجالس إلى يمينك يا هاري هو سكوت لاندسايل، من وكالة الاستخبارات المركزية، والذي يحجم عن الظهور أمام عدسات الكاميرا بالتأكيد، وهو أيضاً ضابط الارتباط في الوكالة مع البيت الأبيض".

نظر هاري إلى سكوت لاندسايل. بدا مغروراً ومتعجباً على غرار غالبية عملاء وكالة الاستخبارات المركزية الذين كان من تعاسة حظهم أنه عمل معهم. قال مادوكس: "هذا هو مجلس الإدارة التنفيذي لنادي كاستر هيل. أما باقي أعضاء النادي - حوالي عشرة أشخاص في عطلة نهاية الأسبوع هذه - فهم إما يتريضون في الجبال أو يصطادون الطيور، وهو ما أمل ألا يزعجك". وشرح للرجال الآخرين ما كان يعنيه بالقول "السيد مولر يراقب الطيور".

أراد هاري أن يقول: "عليك اللعنة" ولكنه لا بالصمت، فقد أدرك الآن أن الأشخاص الجالسين في الغرفة لم يأتوا إلى المكان للمشاركة في اختبار لمؤهلات هاري مولر للحصول على وظيفة أكبر وأفضل.

قال مادوكس لهاري: "كان من المقرر أن يكون يوم عطلة الأسبوع هذا اجتماعاً منتظماً مقرراً سلفاً بغرض التداول في الشؤون العالمية، وتبادل المعلومات، ومجرد الاستمتاع بصحبة بعض الرفاق. غير أن حضورك أوجب عليّ تسميته بالاجتماع الطارئ لمجلس الإدارة التنفيذي". وأضاف "أنا واثق من أنه لا يعني لك شيئاً الآن، ولكن ربما يعني الكثير في وقت لاحق".

قال هاري: "أنا لا أرغب في سماع شيء من ذلك".

حدّق بهاري وقال: "اعتقدتُ بأنك تحرّ. لقد أمضيتُ القليل من الوقت في التحقق من ذلك مستعيناً بأصدقائي في الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب، ويبدو أن حقيقتك مطابقة لما تقول".

لم يردّ عليه هاري، ولكنه تساءل عن هويات أصدقاء مادوكس في الوحدة التكتيكية.

واصل مادوكس حديثه قائلاً: "إذا كنت عميلاً من مكتب التحقيقات الفيدرالي، أو من وكالة الاستخبارات المركزية، سيكون ذلك مصدر قلق كبيراً لنا".

قال سكوت لاندسايل، من وكالة الاستخبارات المركزية: "باين، يمكنني أن أوكد لك بأن السيد مولر ليس ضابطاً في الوكالة".

ابتسم مادوكس وقال: "أفترض بأن الأمر يتطلب شخصاً لمعرفة ذلك".

واصل لاندسايل كلامه فقال: "أنا متأكد تماماً من أن السيد مولر ليس عميلاً من مكتب التحقيقات الفيدرالي. إنه يبدو مطابقاً لمظهره؛ أي شرطي يعمل لصالح مكتب التحقيقات في عملية مراقبة".

"أشكرك على هذا التأكيد".

"أهلاً وسهلاً. والآن، أودّ الحصول على بعض التطمينات، باين. فأنت لم تكن في غاية الوضوح بشأن متى سيتم الإبلاغ عن أن السيد مولر فقد أثناء تأديته مهامه".

ردّ عليه مادوكس "إسأل السيد مولر، فهو جالس قربك مباشرة".

التقت لاندسايل إلى هاري وسأله "متى سيبدأون بالتساؤل عن المكان الذي أنت فيه؟ لا أريد سماع أكاذيب. أنا أعرف بأنهم يعملون في الطابق 26 من المبنى فيدرال بلازا. وكل ما لا أعرفه الآن، في استطاعتي أن أعرفه لاحقاً".

رأى فيه هاري شخصاً سافلاً تقليدياً من وكالة الاستخبارات المركزية، ممن يدعون دائماً بأنهم يعرفون أكثر مما يعرفون في الحقيقة. أجابه هاري "حسناً، إذاً، اكتشف الأمر بنفسك".

واصل لاندسايل حديثه بدون تعليق، مثل محققٍ مدرّب، وقال: "هل سيتصل بك شخص ما؟"

"من أين لي أن أعرف؟ فأنا لا أعلم الغيب".

تدخل مادوكس فقال: "أنا أتحقق من هاتفه الخليوي ومجيبه الصوتي كل نصف ساعة تقريباً. والرسالة الوحيدة التي وصلته كانت من لوري، صديقته". وأضاف "سأرسل لها رسالة نصّية من هاتف السيد مولر".

أوما لاندسايل برأسه وقال: "أتمنى ألاّ يقطع أحد من الوحدة التكتيكية عطلته". ثم سأل هاري "متى يُفترض أن تعود إلى المبنى 26 فيدرال بلازا؟"

"عندما أصل إليه".

"من كلفك بهذه المهمة؟ والش أم باريزي؟"

اعتقد هاري بأن الرجل يعرف الكثير عن الوحدة التكتيكية. أجاب هاري "تلقّيت أوماري من شريط تسجيل يتلف نفسه تلقائياً".

"وأنا أيضاً. ماذا جاء في ذلك الشريط، هاري؟"

"سبقت أن أجبت عن هذا السؤال. إنها عملية مراقبة للجيش الجمهوري الأيرلندي".

"هذه إجابة غير مقنعة". ثم خاطب لاندسايل الحاضرين قائلاً: "على الأرجح أن مهمة السيد مولر جاءت من واشنطن، ووفقاً للتقاليد المقدسة في العمل الاستخباري، لا أحد يقول لأحد شيئاً أكثر مما يعتقد بأنه بحاجة إلى معرفته. وهذا سبب حدوث هجمات 11 سبتمبر/أيلول بكل أسف. لقد تغيّرت الأمور، ولكن من الصعب التخلص من العادات القديمة، وهي ليست عادات سيئة في بعض الأحيان".

فالسيد مولر مثلاً لا يستطيع أن يخبرنا عن أمر لا يعرف عنه شيئاً". وأضاف "أنا متأكد تماماً بأننا في وضع أمن لمدة ثمان وأربعين ساعة على الأقل. وعلى الأرجح ستقتده صديقه قبل وقت طويل من افتقاد رئيسه له". ثم سأل هاري "هل هي على صلة بأجهزة تنفيذ القانون أو بعالم الاستخبارات على أية حال؟"

"أجل، إنها ضابطة في وكالة الاستخبارات المركزية. عاهرة سابقاً".
ضحك لاندسايل وقال: "أعتقد بأنك تعرفها جيداً".

لكن مادوكس قاطعه بالقول: "أشكرك يا سكوت على مساعدتك". ثم خاطب هاري "إن زيارتك للمكان، وحتى بوصفك شخص متدني المرتبة في مهمة مراقبة، أثارت لدينا بعض القلق".

إمتنع هاري عن الرد، ولكنه نظر إلى الرجال الآخرين الذين بدأ أنهم قلقون من أمر ما.

واصل مادوكس حديثه فقال: "لكن ربما يتأتى بعض الخير من ذلك. فنحن نخطط للمشروع الأخضر منذ زمن طويل، وأنا أخشى من أن التخطيط تحول إلى تسويق، وهو الأمر الذي يحصل غالباً عندما يحتاج الأمر إلى اتخاذ قرارات سريعة". نظر مادوكس إلى مجلسه التنفيذي، فأوماً رجلان برأسيهما، فيما بدأ الانزعاج على الرجلين الآخرين.

قال مادوكس: "هاري، أعتقد بأن وجودك المادي في هذه الغرفة مذكر قوي بأن لدى القوات التابعة للحكومة رغبة شديدة في معرفة من نكون وماذا نعمل. أعتقد بأن الوقت قد انتهى". نظر مادوكس إلى الرجال الأربعة الذين أوماؤا برؤوسهم كارهين.

قال مادوكس: "إذاً، أيها السادة، إذا لم تكن لديكم أية اعتراضات أخرى، فسيبقى السيد مولر معنا لكي نتسنى لنا مراقبته". ثم نظر إلى هاري وقال: "أريد أن أوضح لك بجلاء تام أنه بالرغم من إحتيازك هنا، إلا أنه لن يصيبك مكروه. وكل ما في الأمر أننا بحاجة إلى إبقائك هنا إلى أن يبدأ المشروع الأخضر، ربما في غضون يومين أو ثلاثة أيام. هل تفهم؟"

فهم هاري مولر أنه ربما يموت في أقل من يومين أو ثلاثة أيام. ولكن على المستوى الآخر، بالنسبة إلى هؤلاء الرجال الذين اعتقد من واقع خبرته في عالم الشرطة بأنهم ليسوا ممن يرتكبون جرائم قتل، اعتقد بأن مادوكس يقول الحقيقة. فلم يكن في مقدوره التصديق - أو حمل نفسه على التصديق - أن أشخاصاً مثل هؤلاء سيفقدون على قتله. حدق في لاندسايل، الذي بدأ أنه الشخص الوحيد في الغرفة الذي يمكن أن يكون خطراً فعلاً.

“سيد مولر؟ هل فهمتَ ما أقول؟”

أوما هاري برأسه وقال: “أجل”.

“هذا جيد. لا تدع مخيلتك تُخرج أفضل ما عندك، لأن ما ستسمعه في الساعة التالية أبعد ما يكون عن أكثر خيالاتك وحشية لدرجة أنك ستتنسى نفسك على أية حال”.

نظر هاري إلى مادوكس الذي بدا أنه لا يزال رابط الجأش وطلق اللسان، ولكن كان في مقدور هاري أيضاً رؤية بعض التوتر والقلق في وجه مادوكس من أمر ما.

فكّر هاري في الرجال الأربعة الآخرين، والذين اعتقد بأنه لم يسبق له أن رأى أشخاصاً بمثل قوتهم، ورأى أنهم قلقون جداً. فقد بدا وجه الرجل المسنّ، دان مستشار الرئيس، شاحباً، كما لاحظ أن يديه ترتجفان. وبدا وولفر، الرجل من وزارة الدفاع، وهاوكنز الجنرال، عابسين. وحده لاندسايل بدا مرتاحاً، ولكن كان في استطاعة هاري معرفة أنه يتظاهر بذلك.

بغض النظر عما يجري في المكان، إعتقد هاري بأنه حقيقي، وأنه شيء يثير الرعب في نفوس هؤلاء الأشخاص. وهذا ما بعث الراحة في نفس هاري عندما علم بأنه لم يكن الشخص الوحيد في الغرفة الذي ينتابه الخوف.

الفصل 8

نهض باين مادوكس وقال: "لقد دعوت إلى عقد هذا الاجتماع الطارئ للمجلس التنفيذي لنادي كاستر بيل لكي أطلب".

واصل حديثه واقفاً فقال: "يا سادة، كما تعرفون، بعد مرور سنة واحدة على هجمات 11 سبتمبر/أيلول، وضعت وزارة الأمن الداخلي الأمة تحت التحذير من درجة اللون البرتقالي. إن الغرض من هذا الاجتماع تحديد ما إذا كان ينبغي علينا المضي قدماً في المشروع الأخضر الذي من شأنه أن يقلل من مستوى التهديد الخاص بذلك اللون، وبشكل دائم". ثم نظر إلى هاري وقال: "سيعجبك ذلك. أليس كذلك؟"

"بالتأكيد".

"ربما يؤدي ذلك إلى فصلك من العمل".

"لا بأس بذلك".

"هذا جيد. والآن، إذا كان في مقدور المجلس تحمّل ذلك معي، فأنا أرغب في إشراك هاري في الأمر. في الواقع، يمكننا جميعاً الاستفادة من وجهة نظر أخرى قبل أن نتخذ أية قرارات". ثم نظر إلى هاري وسأله "هل سمعت عن الدمار المؤكد المتبادل؟"

"أنا... أجل".

"أثناء الحرب الباردة، لو أطلق السوفييات صواريخهم النووية نحونا، لكننا أطلقنا ترسانتنا من الأسلحة النووية نحوهم بدون تردد، وكانت آلاف الصواريخ ستنتساقط على كلا البلدين، مما يعني الدمار المتبادل المؤكد". نظر إلى هاري وقال: "هل تذكر ذلك؟"

أوما هاري رأسه موقفاً.

واصل مادوكس حديثه وقال: "من المفارقات أن العالم حينها كان أكثر أمناً فعلاً. لم يكن هناك تردد من جانبنا، ولم تكن هناك مجادلات سياسية. تميزت تلك الاستراتيجية ببساطة جميلة. فالصور الرادارية لآلاف الصواريخ

النووية التي تتجه نحونا كانت تعني بأننا سنكون في عداد الموتى. لكن السؤال الوحيد الأخلاقي - هذا إن وُجد - كان، هل نقتل عشرات الملايين منهم قبل أن نموت جميعاً؟ كلانا يعرف الإجابة عن ذلك السؤال، لكن كان يوجد أشخاص عقولهم مشوشة في واشنطن اعتقدوا بأن الانتقام لا يُعدّ مبرراً لنا لكي ندمّر جزءاً كبيراً من الكوكب، لأنه لن تُخدم غاية من القتل المتعمد لرجال ونساء وأطفال أبرياء ضمنّت حكومتهم فناءنا التام. حسناً، لقد أزال مبدأ الدمار المؤكد المتبادل - مار - تلك الأسئلة عبر جعل ردنا تلقائياً. فلم نكن بحاجة إلى أن نعتمد على رئيس فقد أعصابه أو يعاني من أزمة أخلاقية، أو خارج مكتبه يلعب الغولف أو يمارس الجنس في مكان ما”.

كان هناك القليل من النكات المهذبة. واصل مادوكس حديثه فقال: “السبب الرئيسي لنجاح مبدأ مار هو أنه كان واضحاً ومتماثلاً. فقد علم كل طرف بأن ضربة نووية أولى من أحدهما ستطلق ضربة مقابلة من الآخر مساوية لها في القوة أو أقوى منها، وهو ما سيؤدي إلى دمار حضارة البلدين”. وأضاف “وهذا سيفسح المجال أمام أمكنة مثل أفريقيا، والصين، وأميركا الجنوبية، لكي تترث ما تبقى من الأرض. إنه أمر يثير الكآبة، ألا تعتقد ذلك؟”

تذكر هاري كيف كان العالم قبل انهيار الاتحاد السوفياتي. كانت الحرب النووية مرعبة فعلاً، ولكنه لم يصدق للحظة بأنها ستتدلج.

بدا أن مادوكس قرأ ما كان يجول في خاطره عندما سأله “ولكن ذلك لم يحصل أبداً، كما أنه لن يحصل أبداً. حتى أن أكثر الديكتاتوريين السوفيات جنونا لم يكن ليفكر في هذا السيناريو. فعلى الرغم من تشدّد اليساريين الداعين إلى التهدئة في الكلام والمتفقين الحمقى، في الواقع، أكد الدمار المؤكد المتبادل أن العالم سيكون في مأمن من معركة نووية كبرى. أليس كذلك؟”

تساءل هاري عن الأمر اللعين الذي يلمح إليه هذا الرجل.

جلس باين مادوكس، وأشعل سيجارة، وسأل هاري، “هل سبق أن سمعت بشيء اسمه عاصفة النار؟”
“كلا”.

نظر مادوكس إليه عن قرب ثم شرح له معنى العبارة “إنها خطة حكومية سرّية. هل سبق أن سمعت تلك الكلمات بشكل عابر أو في سياق من أي نوع كان؟”
“كلا”.

“لم أكن لأعتقد ذلك. فهذه الخطة السريّة لا يعرفها سوى من هم في أعلى المناصب الحكومية”. وأضاف “إضافة إلينا نحن. والآن أنت؛ إذا كنت تعي ما أقول”.

تدخل بول دان، المستشار الرئاسي، وقال: “باين، هل نحن مضطرون إلى الحديث عن ذلك أمام السيد مولر؟”

نظر مادوكس إلى دان وقال: “كما قلت سابقاً، إنه تمرين جيد لكل واحد فينا. ففي غضون وقت قصير جداً، سنتخذ قراراً سيغيّر العالم الذي نعرفه، وتاريخ العالم في السنوات الألف القادمة. وأقل ما يمكننا القيام به هو أن نشرح وجهة نظرنا للسيد مولر الذي يمثل الأمة التي نقول إننا سنحميها، ناهيك عن شرح أنفسنا لأنفسنا في هذه اللحظة الحرجة؟”

خاطب لاندسايل، الضابط في وكالة الاستخبارات المركزية، الحاضرين قائلاً: “عليكم أن تدعوا باين يدير الأمر على طريقته. من المفترض أنكم تعرفون ذلك الآن”. وأضاف إدوارد وولفر، “والأهم من ذلك أن هذه لحظة تحويلية في تاريخ العالم، وأنا لا أريد من باين، ولا من أي شخص آخر، أن يعتقد بأننا لم نعطيها وقتاً يوازي أهميتها”.

التفت مادوكس إلى صديقه القديم وقال: “شكراً لك. لا أحد يمكنه أن يعرف ماذا حصل هنا اليوم، ولكننا نعرف، والله يعرف. وفي حال عرف العالم في يوم من الأيام، عندها سيتوجب علينا تبرير أنفسنا أمام الله وأمام الإنسانية”.

علّق لاندسايل بنبرة جافية، “دعونا لا نخبر...”

تجاهله مادوكس، ونفخ دخان سيجارته، وقال: “أولى الهجمات الإرهابية الإسلامية بدأت في السبعينيات كما تذكرون”. بدأ باين مادوكس بمجزرة أولمبياد ميونخ، وسرد قصصاً امتدت على مدى ثلاثين سنة من خطف الطائرات، وتنفيذ تفجيرات، وعمليات خطف، وإعدامات، والجرائم الجماعية التي ارتكبتها المجاهدون الإسلاميون.

بقي الرجال في الغرفة صامتين، ولكن بعضهم أوماً برأسه عندما تذكر هذا الهجوم الإرهابي أو ذلك.

أعاد هاري مولر الحديث عن كل هجوم تقريباً أتى على ذكره مادوكس، وما فاجأه كان هذا العدد الكبير من الهجمات التي نفذت في السنوات الثلاثين الأخيرة.

وتفاجأ أيضاً من أنه نسي بعضاً منها؛ حتى الكبيرة منها، مثل الهجوم بسيارة مليئة بالمتفجرات على تكتة المارينز في لبنان والذي أدى إلى مقتل 241 أميركياً، أو المتفجرة التي زرعت في طائرة البانام في رحلتها رقم 103 فوق منطقة لوكربي والتي أودت بحياة المئات من الأشخاص.

شعر هاري بمزيد من الغضب مع سرد تفاصيل كل هجوم، واعتقد بأنه في حال أحضر إرهابي - أو أي شخص مسلم - إلى الغرفة، فسوف يقطعه إرباً كل شخص موجود فيها. كان مادوكس يعرف كيف يهيج الحشود.

في الواقع، نظر مادوكس إلى الجالسين حول الطاولة وقال: "كل شخص موجود هنا كان لديه صديق، أو شخص قُتل في مركز التجارة العالمي أو في البنتاغون". ثم نظر إلى الجنرال هاوكنز وقال: "قتل ابن أخيك، النقيب تيم هاوكنز، في البنتاغون". ونظر بعد ذلك إلى لاندساييل وقال: "قتل اثنان من زملائك من وكالة الاستخبارات المركزية في مركز التجارة العالمي. أليس ذلك صحيحاً؟" أوماً لاندساييل برأسه موقفاً.

نظر مادوكس إلى هاري وقال: "وأنت؟ هل فقدت أي شخص في ذلك اليوم؟" أجابه هاري "رئيسي... النقيب ستاين وبعض الرفاق الآخرين الذين عرفت أنهم قضوا في البرج الشمالي..."

قال مادوكس: "أقدم لك تعازي الحارة". وختم سرده للفظاعات، والأعمال الوحشية، والعنف ضد أميركا والغرب، وقال: "كان ذلك أمراً جديداً تماماً، ولم يعرف العالم ولا الولايات المتحدة كيفية الردّ عليه. اعتقد العديد من الناس بأنها ظاهرة لن تلبث أن تزول. لكن من الواضح أنها لم تزل، بل ازدادت سوءاً. في الواقع، لم يكن العالم الغربي مجهزاً للردّ على هذه الهجمات الإرهابية، ويبدو أننا فقدنا القدرة على الردّ على هؤلاء الأشخاص الذين يقتلوننا. وحتى عندما هوجمت الولايات المتحدة في عقر دارها - تفجير مركز التجارة العالمي سنة 1993 - لم نفعل شيئاً". ونظر إلى هاري وقال: "أليس ذلك صحيحاً؟"

"أجل... ولكن ذلك غير كل شيء".

"أنا لم ألاحظ ذلك".

قال هاري: "حسناً، لقد غير تاريخ 11 من سبتمبر/أيلول كل شيء. إننا ماضون نحو..."

"أنت تعرف يا هاري أنه يمكنك أنت وأصدقائك في الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب، ومكتب التحقيقات الفيدرالي بأكمله، ووكالة الاستخبارات المركزية، والاستخبارات الدفاعية، وجهاز الأم أي 5 والأم أي 6 البريطانيان، والإنتربول، وباقي الأجهزة

الاستخباراتية الأوروبية عديمة النفع، أن تمضوا بقية حياتكم اللعينة في ملاحقة الإرهابيين الإسلاميين، ولكن ذلك لن يفضي إلى نتيجة”.

“أنا لا أعرف...”

“أنا أعرف. في السنة الماضية، كان مركز التجارة العالمي والبنيتاغون. وفي السنة التالية، سيكون البيت الأبيض ومبنى الكونغرس”. ثم توقف مادوكس لبرهة، ونفخ حلقات دخانية من فمه، ثم قال: “وفي إحدى السنوات، سيكون الهدف مدينة أميركية بكاملها. قنبلة نووية. هل لديك شك في ذلك؟”

إمتنع هاري عن الرد.

“هاري؟”

“كلا، لا شك لدي في ذلك”.

“جيد، ولا يوجد شك لدى أي شخص آخر من الجالسين إلى الطاولة. ولهذا السبب نحن هنا”. ثم سأل هاري “كيف يمكنك منع حدوث ذلك؟”

“حسناً... في الحقيقة، أعمل في بعض الأحيان مع الفريق نست؛ فريق دعم الطوارئ النووي. لا بد أنك سمعت عنه”.

ابتسم مادوكس وقال: “هاري، أنت جالس هنا مع نائب وزير الدفاع، وأحد كبار مستشاري رئيس الولايات المتحدة لشؤون الأمن القومي، وعضو في هيئة أركان الحرب المشتركة، وضابط الارتباط لدى وكالة الاستخبارات المركزية مع البيت الأبيض. إذا كان يوجد شيء لا نعرفه، فسوف أفاجأ كثيراً”.

“إذاً، لماذا تسألني كل هذه الأسئلة؟”

بدا الانزعاج على مادوكس وقال: “دعني أخبرك شيئاً عن نست. إنه قسم مكافحة الحرائق التطوعي في العصر النووي. إنه أمر في غاية الطرافة، وفي الفاعلية نفسها تقريباً. هناك ألف شخص تقريباً من المتطوعين من مختلف الميادين العلمية، والحكومية، ووكالات تنفيذ القانون، الذين يتكرون أحياناً في زيّ سواح ورجال أعمال. إنهم يمشون أو يقودون سياراتهم في المدن الأميركية وفي غيرها من الأهداف الحساسة، مثل السدود،

والمفاعلات النووية، وما شابه، حاملين أجهزة الكشف عن أشعة غاما والنيوترونات والتي خبأوها داخل حقائبهم، وفي حقائب الغولف، وفي برادات علب الجعة، ... إلخ. هل هذا صحيح؟

“أجل”.

“هل تمكنتم يوماً من العثور على قنبلة نووية؟”

“ليس بعد”.

“ولن تتمكنوا من ذلك يوماً. يمكن وضع جهاز تفجير نووي أو قنبلة قدرة في شقة أو منتزه مع جهاز توقيت، وعندما تصبح فرص العثور نست أو هاري مولر عليها قريبة من الصفر. أليس ذلك صحيحاً؟”

“أنا لا أعرف. فقد يحالفك الحظ أحياناً”.

“هذا ليس بالأمر المطمئن جداً يا هاري. السؤال هو كيف تمنع الحكومة الأميركية سلاح دمار شامل وخصوصاً إذا كان قنبلة نووية قام بزرعها إرهابيون؛ من تدمير مدينة أميركية؟” نظر إلى هاري وقال: “أريدك أن تتعلم درساً من استراتيجية الحرب الباردة القائمة على الدمار المؤكد المتبادل، وتقول لي كيف يمكننا منع الإرهابيين من زرع قنبلة نووية وتفجيرها في إحدى المدن الأميركية. هذا ليس سؤالاً بلاغياً. أجبني رجاءً”.

أجاب هاري “حسناً، أعتقد أنه ينبغي أن نتعامل معهم كما تعاملنا مع الروس؛ إذا عرفوا بأننا سنضرب بالسلاح النووي، فلن يقدموا على ضربنا بالسلاح النووي”.

قال مادوكس: “هذا صحيح، لكن طبيعة العدو قد تغيرت. فشبكة الإرهاب العالمي لا تشبه الاتحاد السوفياتي القديم. كان السوفيات يشكلون إمبراطورية لها حكومة، وفيها مدن، وأهداف صعبة، وأخرى سهلة. وجميع ذلك محدد في خطة هجومية أعدّها البنتاغون ويعرفها السوفيات. ومن ناحية أخرى، نجد أن الإرهاب الإسلامي عديم الشكل. فإذا قامت منظمة إرهابية إسلامية بتفجير قنبلة نووية في نيويورك أو واشنطن، من هي الجهة التي ستثار منها؟” ثم نظر إلى هاري وقال: “من؟”

فكر هاري للحظة ثم أجاب “بغداد”.

“ولماذا بغداد؟ كيف لك أن تعرف إن كان لصدام حسين أي علاقة بهجوم نووي على أميركا؟”

أجاب هاري "ما هو الفرق؟ فأبي مدينة عربية تعتبر هدفاً جيداً مثل المدينة التي تليها". وأضاف "سيبلغ الرسالة الجميع".

"بالطبع سيبلغونها. ولكن توجد خطة أفضل. في فترة إدارة ريغان، استحدثت الحكومة الأميركية ووضعت قيد الاستخدام خطة سرّية اسمها **عاصفة النار**. ما تعنيه عاصفة النار هو التدمير النووي للعالم الإسلامي بأكمله بواسطة الصواريخ النووية الأميركية، رداً على هجوم إرهابي نووي على أميركا. كيف يبدو الأمر بالنسبة إليك؟"

امتنع هاري عن الردّ.

"يمكنك التحدث بحريّة، فأنت من بين الأصدقاء. ألا ترغب في أعماق قلبك في رؤية الصحراء وقد تحوّلت إلى بحر من الزجاج الذائب؟"

نظر هاري إلى الجالسين حول الطاولة ثم أجاب "أجل".

أوما مادوكس برأسه وقال: "ها هو هاري، الذي يعتبر مواطناً أميركياً عادياً في معظم النواحي، يرغب في رؤية الإسلام وهو يُستأصل بعملية إبادة جماعية نووية".

أحس هاري بالسعادة لانسجامه مع التفاهات التي يتقوّه بها مادوكس؛ هذا كل ما يمكن أن توصف به تفاهات، وعلى الأرجح أن مخيّلة المعتوهين اليمينيين هي التي تدفع هؤلاء الأشخاص إلى تبني هذه المواقف. ولم يكن في مقدوره ملاحظة أية صلة بين ما يقوله مادوكس وما هو قادر على فعله. وقد ذكره ذلك بالأيام التي قضّاها في وحدة المخابرات التابعة لشرطة نيويورك، عندما قام باستجواب راديكاليين يساريين كانوا يتحدثون عن ثورة عالمية ونهوض الجماهير، وما إلى ذلك. وقد اعتاد رئيسته على تسمية ذلك بأحلام بينكو الرطبة. نظر هاري إلى الجالسين حول الطاولة مجدداً. لكن من ناحية أخرى، لا يبدو أن هؤلاء الأشخاص يعبثون أو يتلاعبون معه. في الواقع، يبدو أنهم جديون بشأن أمر ما، وهم أشخاص يحتلون مناصب هامة.

قطع مادوكس على هاري أفكاره وقال له: "كيف يمكننا حمل حكومة الولايات المتحدة على وضع نهاية سريعة للإرهاب، ولهذا الخطر النووي الوشيك والواضح الذي يهدد الأراضي الأميركية؟ حسناً، سأخبرك. يتعين على الحكومة أن تطلق **عاصفة النار**. أليس كذلك؟"

إمتنع هاري عن الإجابة، لكن مادوكس نظر إليه وقال: “هناك حوالى سبعين حقيبة مجهزة بقنابل نووية فقدت من مخازن الاتحاد السوفياتي السابق. هل تعرف ذلك؟”

أجاب هاري “ست وسبعون”.

“أشكرك. هل خطر ببالك يوماً احتمال وصول أي من هذه الحقائب النووية إلى أيدي إرهابيين إسلاميين؟”

“تعتقد بأنهم حصلوا على بعض منها”.

“حسناً، أنت محق. لقد فعلوا ذلك. وسأقول لك شيئاً لا تعرفه - شيئاً يعرفه أقل من عشرين شخصاً من مختلف أنحاء العالم - لقد تم اكتشاف واحدة من تلك الحقائب النووية في العاصمة واشنطن في العام الفائت. ولم يتم ذلك لأن الحظ حالف فريق نست، بل نتيجة لتحرك مكتب التحقيقات الفيدرالي عقب تلقيه وشاية”.

أحجم هاري عن الرد، ولكنه فكر في الكلام الذي سمعه، وبالبرد الذي يسري في بدنه.

واصل مادوكس حديثه وقال: “أنا متأكد من وجود المزيد من الحقائب النووية التي تم تهريبها إلى البلاد، وعلى الأرجح عبر المنطقة غير المراقبة كما يجب من الحدود مع المكسيك”. وابتسم إلى هاري وقال: “على الأرجح أن هناك واحدة في شقة في الجهة المقابلة من الشارع لمكتبك”.

“كلا، أن لا أعتقد ذلك. لقد مسحنا المنطقة”.

“حسناً، أردت أن أوضح وجهة نظري، فلا تأخذ كلامي على حرفيته. والسؤال هو لماذا لم يتم تفجير حقيبة نووية سوفياتية مفقودة في إحدى المدن الأميركية؟ هل تعتقد بأن لدى الإرهابيين الإسلاميين أي حس أخلاقي حيال تدمير مدينة أميركية وقتل مليون من الرجال والنساء والأطفال الأبرياء؟”

“كلا”.

“ولا أنا أعتقد ذلك أيضاً. ولا أي شخص آخر بعد 11 سبتمبر/أيلول. ولكنني سأقول لك لماذا لم يحصل ذلك ولماذا لن يحصل ذلك. لأنه لكي تكون خطة عاصفة النار رادعاً يمكن التعويل عليه، كما كان الدمار المؤكد المتبادل، لا يمكن الإبقاء على الخطة سرية بالكامل. في

الواقع، منذ أن بُدئ بتنفيذ خطة عاصفة النار، جرى إعلام كافة رؤساء الحكومات الإسلامية من قبل الإدارات المتعاقبة في واشنطن بأن هجوماً على مدينة أميركية بواسطة سلاح دمار شامل سيضمن تلقائياً ردّاً ثانياً أميركياً نووياً يستهدف ما بين خمسين ومئة مدينة وأهدافاً أخرى في العالم الإسلامي.”

قال هاري: “هذا جيد”.

واصل مادوكس حديثه وقال: “وكما يمكن لهؤلاء السادة أن يشهدوا يا هاري، تنتظر الحكومة الأميركية إلى خطة عاصفة النار على أنها حافز قوي جداً يدفع تلك الدول إلى السيطرة على الإرهابيين الذين ينشطون على أراضيها، وإلى حثّها على تقاسم المعلومات مع الوكالات الاستخباراتية الأميركية، وإلى فعل كل ما يلزم فعله لحماية نفسها من التبخر. في الواقع، جاءت الوشاية المتعلقة بالحقيبة النووية من الحكومة الليبية. وبالتالي، يبدو أن الخطة تعمل بنجاح”.

“هذا رائع”.

أضاف مادوكس، “إن شيئاً مثل فريق نست ردّ دفاعي على الخطر النووي يبعث على الأسى. لكنّ عاصفة النار ردّ استباقي. إنها سلاح موجّه صوب رؤساء الدول الإسلامية؛ سلاح سينطلق في حال فشلوا في منع أصدقائهم الإرهابيين من امتلاك أسلحة نووية. وما من شك في أنه تم تحذير غالبية، إن لم يكن كافة، المنظمات الإرهابية من ذلك من قبل الحكومات الإسلامية التي تأويهم، وتساعدهم، وتقيم اتصالات معهم. لكن التأكد مما إذا كان الإرهابيون يصدقون ذلك أم لا بحث آخر. ولغاية الآن، يبدو أنهم يصدقون، وهو السبب الذي يفسر على

الأرجح عدم تعرضنا لهجوم بأسلحة دمار شامل. ما رأيك يا هاري؟”

“يبدو الأمر منطقيًا بالنسبة لي”.

“ولي أيضاً. كما جرى إبلاغ الحكومات الإسلامية بأن عاصفة النار خطة مبرمجة؛ بمعنى أنه لا يمكن لرئيس أميركي تعديل هذا الردّ الموجّه ضدّ الإسلام ولا إلغاؤه. وهذا يمنع أعداءنا من محاولة تحليل كل رئيس لمعرفة إن كان يملك - أو تملك - الشجاعة الكافية. إن الرئيس ليس طرفاً في المعادلة إلى حدّ بعيد بعد وقوع انفجار نووي في أميركا، تماماً كما كان الحال إبان الحرب الباردة”. ونظر إلى بول دان وسأله “هل هذا صحيح؟”

أجاب دان، “هذا صحيح”.

ثم نظر مادوكس إلى هاري وقال: “يبدو أنك شردت في التفكير. ما الذي تفكر فيه؟”

“حسناً... أنا متأكد من أن شخصاً في الحكومة قد فكر في ذلك. لكن ألا تعتقد بأن خمسين أو مئة صاروخ نووي تنهال على الشرق الأوسط ستحرق ذلك الشيء الذي يسمى النفط؟”

ابتسم بعض الحاضرين، وابتسم مادوكس أيضاً. نظر إلى إدوارد وولفر وقال: “لقد أكد لي نائب وزير الدفاع بأنه لا توجد حقول نفطية على لائحة الأهداف، ولا مصافٍ نفطية، ولا موانئ لتصدير النفط. ستظل هذه المواقع سليمة، ولكنها ستصبح تحت إدارة جديدة”. وأضاف “عليّ أن أتدبّر أمر معيشتي يا هاري”.

“أجل. ولكن ماذا بشأن البيئة؟ أنت تعرف تأثير السقوط النووي، الشتاء النووي”.

أجاب مادوكس “قلت لك، إن حل مشكلة الاحتباس الحراري هو في الشتاء النووي. أنا أمزح فقط. انظر، تمت دراسة تأثير الانفجارات النووية المدمّرة الخمسين أو حتى المئة في الشرق الأوسط بشكل مكثف من جانب الحكومة. لن يكون الأمر بهذا السوء”. وأضاف “أعني أنها تشكل بالنسبة إليهم انفجارات. لكن بالنسبة إلى باقي الكوكب، ستستمرّ الحياة، اعتماداً على طراز الحاسوب الذي تحبّه”.

“حقاً...؟” كان هناك شيء آخر يزعج هاري مولر، فقال: “حسناً، هذا الأمر لن يحصل على أية حال لأنه، وكما قلت سابقاً، إذا علم الإرهابيون بشأن ذلك... أعني، هل تعتقد أو هل سمعت بأنهم سيهاجموننا بالسلح النووي؟”

“أنا لم أسمع شيئاً. وأنت، هل سمعت شيئاً؟ في الواقع، يعتقد زملائي هنا بأن عاصفة النار رادع شديد الفاعلية لدرجة أن احتمال الهجوم على مدينة أميركية بسلاح نووي من قبل إرهابيين إسلاميين ضئيل جداً. ولهذا السبب يتعين علينا نحن أن نقوم بذلك”.

“تقوم بماذا؟”

“لقد ابتكرنا نحن الرجال الموجودون في هذه الغرفة، المشروع الأخضر - الخطة التي تقضي بتفجير قنبلة نووية في مدينة أميركية، مما سيطلق ردّ عاصفة النار - والذي يعني التدمير النووي للإسلام”.

لم يكن هاري متأكداً من أنه سمع الكلام على الوجه الصحيح وانحنى نحو مادوكس.

نظر مادوكس إلى هاري وتابع كلامه قائلاً: “وسرّ الجمال في هذه الخطة هو أن الحكومة ليست بحاجة إلى التأكد من أن الهجوم النووي على أميركا كان من فعل إرهابيين إسلاميين. فهناك افتراض مسبق قوي جداً بأن الذنب يقع على عاتق المجاهدين الإسلاميين، وبالتالي لا داعي إلى الحصول على دليل قاطع لإطلاق عاصفة النار. خطة عبقرية، أليس كذلك؟”

أخذ هاري نفساً عميقاً وقال: “هل أنت مجنون؟”

“كلا، هل يبدو أننا مجانين؟”

لم يكن هاري يعتقد بأن الأشخاص الأربعة الآخرين مجانين، ولكن مادوكس كان معتوهاً فعلاً. أخذ هاري نفساً عميقاً وسأل “هل تملكون سلاحاً نووياً؟”

“بالطبع لدينا أسلحة نووية. لماذا تظن أننا هنا؟ في الواقع، نحن نملك أربع قنابل نووية...” وقف مادوكس، وتقدم نحو الحقيبة الجلدية السوداء اللون، وربت على ظهرها.

“هذه إحداها”.

الفصل 9

اقترح باين مادوكس أخذ استراحة قصيرة، فغادر الجميع الغرفة في أثناءها باستثناء سكوت لاندسايل وهاري مولر.

وقف لاندسايل عند الطرف البعيد من الطاولة قبالة هاري، وكان كل منهما ينظر إلى الآخر. قال لاندسايل: "إياك أن تفكر بما تفكر فيه".

"لا يمكنني سماعك. اقترب أكثر".

"توقف عن التظاهر بالرجولة، أيها التحري. إن الطريقة الوحيدة لكي تخرج من هنا هي في سماحنا لك بذلك".

"لا تراهن بالسراويل التحتية الحربية لوكالة الاستخبارات المركزية على ذلك".

قال لاندسايل: "إذا أجبت عن جملة من الأسئلة، ففي إمكاننا التوصل إلى حل ما".

"كلامك يشبه الكلام الذي اعتدت أن أقوله للمشتبه فيهم. كنت أكذب أيضاً".

تحاشى لاندسايل التعليق وسأل هاري "متى أسند إليك توم والش هذه المهمة. وما الذي قاله لك؟"

"قال لي بأن أردي ثياباً سميكة وأقل من مصروف الغاز".

"نصيحة جيدة. وأشكرك على تأكيدك لي بأن والش هو المسؤول". ثم سأل "ماذا كان يُفترض بك أن تفعله بأقراصك الرقمية؟"

"أن أعتز على عميل في وكالة الاستخبارات المركزية، وأحلق بها أسته".

"هل كان من المفترض أن تذهب إلى مطار أديرونداك كجزء من مهمتك؟"

أدرك هاري بأن لاندسايل يجيد عمله. إن عملاء وكالة الاستخبارات المركزية جديرون بالازدراء، ولكنهم أشخاص جديرون بالازدراء ويتمتعون بقدر كبير من الاحترافية. أجاب هاري "كلا، ولكنها فكرة جيدة. وأنا أراهن بأنني سأجد اسمك على قائمة الركاب الواصلين".

"هاري، لدي من المعارف أكثر مما لديك من جوارب نظيفة في دولابك". ثم سأل "من غير والش في المبنى الفيدرالي 26 لديه معلومات عن مهمتك؟"

"من أين لي أن أعرف".

قال لاندسايل: "سأقول لك شيئاً لم أقله سابقاً، لدي صديق في المبنى الفيدرالي 26 أخبرني بأنك تحدثت إلى زميلك في الغرفة، جون كوري، في ردهة المصعد،

وأنت كنت تحمل حقيبة معدنية استلمتها من الرجل التقني. هل سألك كوري عن العمل الذي تقوم به؟”

“لَمْ لا تعبت بنفسك؟”

تجاهل لاندسايل هذا الاقتراح وسأل “أنا أحاول مساعدتك يا هاري”.

“كنت أظن أنك من وكالة الاستخبارات المركزية”.

نظر إلى هاري مولر وسأله “هل ترغب في المشاركة في هذا العمل يا هاري؟”

“أجل بالتأكيد، فأنا معك”.

“ربما لا تعني ذلك حقيقة الآن، ولكن قبل أن نفرغ من هذا الأمر، سيتبين لك أنها الطريقة الوحيدة لإنقاذ البلاد”.

“ألا تشعر بالحاجة إلى التبول أو إلى أي شيء آخر؟”

“كلا، ولكن لديّ سؤال أريدك أن تفكر فيه يا هاري: هل تعتقد بأنه جرى توريطك في ذلك؟”

“ما الذي تعنيه بذلك؟”

“أعني أن شخصاً طلب إلى والش، ربما في واشنطن، إرسال شخص إلى هنا - شخص يعمل في المراقبة من شرطة ولاية نيويورك - لالتقاط صور للأشخاص القادمين إلى النادي. يبدو أن المسألة تافهة، أليس كذلك؟ ولكن الأشخاص الذين أصدروا الأوامر - وربما يكون والش نفسه - عرفوا أنك لن تصل إلى مسافة كيلومتر من النادي قبل أن يُلقى القبض عليك”.

قال هاري: “لقد اقتربتُ مسافة أكثر من ذلك بكثير”.

“أودّ أن أهنئك. إذًا، ما أفكر فيه يا هاري هو أنك كنت كبش فداء. هل تفهمني؟”

“كلا”.

“ما أعنيه هو أن الأمر من السخافة بحيث إن السبب الوحيد لإرسالك إلى هنا هو إرهابنا وحملنا على تعليق العمل بالمشروع الأخضر. أو ربما حملنا على تسريع العمل فيه. ما هو رأيك؟”

أجاب هاري “سبق أن عملت مع وكالة الاستخبارات المركزية، والذي أعتقد أنه هو أن جماعتك ترى مؤامرة في كل شيء باستثناء الأشياء التي فيها مؤامرة فعلاً. ولهذا السبب أنتم تعبتون”.

“ربما تكون لديك وجهة نظر، لكن دعني أشاركك هواجسي. جرى إرسالك إلى هناك من قبل مسؤولين رفيعي المستوى، عبر والش، إما بهدف حملنا على التحرك

أو لتوفير مذكرة تفتيش لمكتب التحقيقات الفيدرالي لكي يأتي إلى هنا بحثاً عنك وعن الحقائق النووية الأربعة التي ربما يعتقدون بأنها موجودة هنا”.

امتنع هاري على الردّ، ولكنه بدأ يفكر في ما سمعه.

واصل لاندسايل حديثه فقال: “دعني أفترض أولاً أن شخصاً يريد حملنا على التحرك. ترى من يكون؟ حسناً، ربما يكون من جماعتي، أو ربما يبحث البيت الأبيض نفسه عن عذر لإطلاق عاصفة النار”.

فكر هاري في هذا الأمر، ولكنه امتنع عن الردّ أيضاً.

واصل لاندسايل حديثه فقال: “لكن ربما يوجد سبب آخر؛ أعني إرسالك إلى هذا المكان لكي تختفي فيه بحيث يمكن لمكتب التحقيقات الفيدرالي مدهامة المكان بذريعة ومذكرة تفتيش. في الواقع، إن الأشياء الوحيدة الجرمية في النادي هي القنابل الأربعة وأنت، إلا أن لا القنابل النووية ولا أنت ستبقيان في هذا المكان وقتاً أطول من ذلك. إن جهاز الإرسال الذي يعمل بتردد شديد الانخفاض قانوني، ولكن يصعب تفسير الحاجة إلى استخدامه، أليس كذلك؟”

شعر هاري كما لو أنه دخل إحدى المستشفيات الخاصة بالعلاج النفسي في شمال الولاية، وأنه وصل بعد مرور عشر دقائق على سيطرة المرضى عليه. ما هو سبب استعمال جهاز إرسال بتردد شديد الانخفاض؟ هل تريد إرسال رسائل بتردد شديد الانخفاض؟ لماذا تريد...؟

سأل لاندسايل، “هل تعرف بأمر جهاز الإرسال؟”

“أجل”.

ابتسم لاندسايل، وحدّق بهاري ثم سأله “ربما كنت لا تعرف”. وأضاف “التردد شديد الانخفاض، هل يعني لك شيئاً؟”

“كلا”.

أراد لاندسايل أن يتحدث عن أمر معين، ولكن الباب فُتح ودخل مادوكس والرجال الثلاثة الآخرون الغرفة.

نظر لاندسايل إلى مادوكس وأشار إلى الباب.

قال مادوكس للباقيين: “اعذرونا في التحدث على انفراد”.

غادر مادوكس ولاندسايل الغرفة، وقال مادوكس لكارل الذي كان يقف قريباً من الباب: “راقب السيد مولر”.

دخل كارل الغرفة وأغلق الباب.

مشى لاندسايل في الممر وتبعه مادوكس. قال لاندسايل: "حسناً، لقد تحدثت إلى مولر، ويبدو أنه صادق في قوله بأنه لا يعرف شيئاً باستثناء المهمة التي جرى تكليفه بها". وأضاف "لم يحصل مولر على تفاصيل لا من والش ولا من غيره، وهذا إجراء روتيني عند إرسال شخص متدني الرتبة ليقوم بمراقبة في مهمة حساسة".

أجاب مادوكس "أنا أعرف ذلك، فما الذي تلمح إليه بالضبط؟"

فكر لاندسايل للحظة ثم أجاب "ليس لدي أدنى شك في أن الجهة التي أرسلت هاري مولر إلى هنا، بصرف النظر عن تكون، كانت واثقة من أنه سيُلقي القبض عليه. أليس ذلك صحيحاً؟"

امتنع مادوكس عن الرد.

تابع لاندسايل كلامه قائلاً: "وأنا واثق تماماً من أن وكالة الاستخبارات المركزية على علم بما ننوي فعله يا باين، وكذلك وزارة العدل ومكتب التحقيقات الفيدرالي".

أجاب مادوكس "أنا لست متأكداً من ذلك".

"ولكنني متأكد. وأنا أعتقد، بناء على معلوماتي، بأن وزارة العدل ومكتب التحقيقات الفيدرالي على وشك إسكاتك". نظر لاندسايل إلى مادوكس ثم قال: "ولكن لديك بعض المعجبين والأصدقاء في الحكومة، ووكالة الاستخبارات المركزية بوجه خاص يريدون منك أن تمضي في المشروع. هل تفهمني؟"

أجاب مادوكس "أنا لا أعتقد بأن أي شخص في الحكومة، باستثناء الأشخاص الموجودين هنا، لديه أدنى فكرة عن المشروع الأخضر أو..."

"باين، تنازل عن شيء من كبريائك. هناك من يتلاعب بك ويستخدمك، و...".

"هذه تقاهات".

"هذه ليست تقاهات. انظر، لديك خطة رائعة. ولكنك لا تزال تعمل عليها منذ فترة طويلة. لقد اتصل بك الخيرون في وزارة العدل ومكتب التحقيقات الفيدرالي، وهم يريدون منك أن تقوم بالعمل الصائب وتُفشل هذه المؤامرة. ولكن وكالة الاستخبارات المركزية تنظر إلى الأمور بطريقة مختلفة تماماً". وأضاف "تعتقد الوكالة بأن خطتك رائعة وعبقرية بالتأكيد".

سأل مادوكس "هل أنت متأكد من كل ما تقول؟ أم أنك تتكهن؟"

فكر لاندسايل في الرد ثم قال: "قليل من الاثنين". وأضاف "انظر. بوصفي ضابط الارتباط لدى وكالة الاستخبارات المركزية مع البيت الأبيض، أنا لست ضمن حلقة 'لانغلي' تماماً. ولكنني كنت أعمل في فرع بلاك أوبس، وسمعت عنك قبل وقت طويل من سماعك عني".

وهنا أيضاً لاذ مادوكس بالصمت.

واصل لاندسايل حديثه قائلاً: “كل فرع سرّي تابع للمؤسسة الاستخبارية لديه أعضاء أسطوريون، رجال ونساء يُنظر إليهم على أنهم أكبر من الحياة. وأنا عملت مع شخص من أمثال هؤلاء، وحدثني مرّة عن عاصفة النار، وفي تلك المناسبة ذكر اسمك، باين، كفرد لديه القدرة على إشعال عاصفة النار.”

بدا مادوكس منزحاً من تلك المعلومات، وسأل “هل هذا هو سبب لقائي بك؟”

لم يردّ لاندسايل على السؤال بطريقة مباشرة، ولكنه قال: “إنه سبب تعييني في البيت الأبيض”. وأضاف “أدّت مؤامرتك الصغيرة هنا إلى مؤامرة مماثلة بين أفراد معينين في وكالة الاستخبارات المركزية وكذلك في البنتاغون... وربما في البيت الأبيض نفسه. وبعبارة أخرى، يوجد أشخاص آخرون في واشنطن عدا مجلسك التنفيذي، يقدمون لك المساعدة. أنا متأكد من أنك تفهم ذلك وتفهم أيضاً أنه لو لم تكن موجوداً، لاحتاج من في الحكومة ممن يريدون إشعال عاصفة النار إلى زرع قنابلهم النووية في المدن الأميركية بأنفسهم”. أجبر على الابتسام وقال: “ولكننا نحب تشجيع المبادرات الخاصة التي تستند إلى الإيمان”.

سأل مادوكس “ماذا تقصد يا سكوت؟”

“وجهة نظري يا باين هي أنه بصرف النظر عن الجهة التي أرسلت هاري مولر إلى هنا، فهي تريد إنهاء المسألة بسرعة. إذا كان مكتب التحقيقات الفيدرالي هو تلك الجهة، فأنت على وشك أن تعتقل. وإذا كانت وكالة الاستخبارات المركزية، فهذا يعني أنها تريد منك أن تتحرك بسرعة”. وأضاف “لا شك لديّ في أن كلتا المنظمتين تعرف ما تخطط له المنظمة الأخرى، وتحولت المسألة إلى سباق لمعرفة فكرة من ستجح في حماية الأمن الأميركي”.

حدّق مادوكس بصمت ثم قال: “كل ما أحتاج إليه هو نحو ثمان وأربعين ساعة”.

أجاب لاندسايل “أمل بأن يتوفر لك هذا الوقت الكثير. أنا على اتصال بالوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب، وصديقي هناك أخبرني بأن مولر يعمل في قسم الشرق الأوسط ولا يعمل في قسم الإرهاب المحلي، ولذلك فمن غير المألوف اختياره لتنفيذ هذه المهمة. ولكنه قال لي بأن شخصاً اسمه جون كوري، وهو ضابط سابق في شرطة نيويورك مثل مولر ويعمل أيضاً في قسم الشرق الأوسط، كان الشخص الذي اختير في الأساس للقيام بعملية المراقبة. لقد تم اختياره عن قصد. لماذا؟ هذا هو السؤال. فما هو الفرق في إرسال أي منهما ليكون كبش فداء؟” أشعل سيجارة وقال: “أتذكر أن الضابط في الوكالة الذي أخبرني بداية عن عاصفة النار ألحق مرةً بالوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب، وفيما كان يعمل هناك، دخل في صراع مع الشخص الذي يُدعى كوري. وأسوأ ما في ذلك الصراع هو أن كلاهما أراد قتل صاحبه”.

نظر مادوكس إلى ساعته، فيما واصل لاندسايل كلامه “ويبدو أن إحدى النقاط الكثيرة التي يختلفان حولها هي الزوجة الحالية لكوري، وهي عميلة من مكتب التحقيقات الفيدرالي جرى إلحاقها بالوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب”. وابتسم قائلاً: “هناك دائماً امرأة”.

ابتسم مادوكس أيضاً وقال: “الغيرة الجنسية هي العامل غير المضمون في التاريخ. فقد انهارت إمبراطوريات لأن جاك كان يضاجع جيل، ولأن جيل يضاجع جيم أيضاً”. وسأل “لكن ماذا تقصد من وراء ذلك؟”

أجاب لاندسايل “أرى في الأمر أكثر من مصادفة لأنه من المفترض أن يكون كوري جالساً حيث يجلس مولر الآن، في انتظار أن يموت”.

قال مادوكس: “في بعض الأحيان يا سكوت، المصادفة ليست أكثر من مصادفة. وما هو الفرق على أية حال؟”

تردد لاندسايل في الإجابة ثم قال: "لكن إذا لم تكن تلك مصادفة، فأنا أرى عقلاً مدبراً يقف وراء ذلك؛ شخصاً أخبرني منذ البداية عن عاصفة النار وعمل أيضاً على إيصالني إلى هذا المنصب في البيت الأبيض، وهو الذي عرفني بنايدي كاستر هيل... ولكن ذلك مستحيل لأن ذلك الشخص قد توفي، أو يُفترض بأنه قد توفي. يقال: بأنه قضى نحبه في مركز التجارة العالمي".

قال مادوكس: "إما أن يموت الناس أو يبقوا على قيد الحياة".

فأجابه لاندسايل "إن الشخص الذي أحدثك عنه عفريت كبير. فهو ميت عندما يحتاج إلى أن يكون ميتاً، وهو حي عندما يحتاج إلى العودة مجدداً. ما أودّ قوله هو أنه إذا كان ذلك الشخص هو المسؤول عن وجود مولر هنا، سأكون أكثر ارتياحاً لفرص تنفيذ المشروع الأخضر في غضون الساعات الثماني والأربعين القادمة، وسأكون أكثر ارتياحاً حيال إشعال الحكومة لعاصفة النار كردّ عليه".

حدّق مادوكس بلاندسايل وقال: "إذا كان ذلك يُشعرك بارتياح أكبر يا سكوت، فأنا سعيد لأجلك، لكن ما الذي يجري هنا. لقد عملت على هذه الخطة طوال عقد تقريباً، وسوف أجعلها تتحقق".

أجابه لاندسايل "لكنك لن تتمكن من ذلك في حال أسكتوك في غضون يوم أو يومين". وأضاف "عليك أن تكون ممتناً لأن لديك أصدقاء في واشنطن، وممتناً جداً إذا كان معلمي السابق في بلاك أوبس على قيد الحياة ويوفر الحماية لك".

"حسناً، إذا كنت تقول ذلك... ربما عندما ينتهي كل شيء يمكنني أن ألتقي بهذا الرجل، في حال كان في عداد الأحياء، وأصافحه". وسأل مادوكس "ما اسمه؟"

أجاب لاندسايل "لا يمكنني إعطاؤك اسمه، حتى وإن كان قد مات فعلاً".

"حسناً، إذا رأيته يوماً حياً، وإذا كان ملاكي الحارس في هذا المشروع، فاشكره نيابة عني".

"سأفعل".

أشار مادوكس إلى الباب وقال للاندسايل: "دعنا نواصل الاجتماع". وفيما كان لاندسايل يتقدم نحو الباب، أوما مادوكس برأسه تعبيراً عن سعادته لمعرفة أن هذا

الرجل الغامض فكر في الأمر ملياً. في الواقع، لم يمت هذا الرجل يوم 11 سبتمبر/ أيلول، وهو الأمر الذي كان يعرفه مادوكس، بل كان في طريقه إلى نادي كاستر هيل. كان السيد تيد ناش، وهو صديق قديم لباين مادوكس، قد اتصل قبل اجتماع المجلس التنفيذي مباشرة لمعرفة إن كان جون كوري مسجوناً لدى مادوكس. وعندما قال له مادوكس بأنهم ألقوا القبض على السيد هاري مولر بدلاً منه، خاب أمل ناش وقال: "إنه السمكة الخطأ"، ولكنه بدا متقائلاً وقال: "سأرى ما يمكنني أن أفعله لحمل كوري على الذهاب إلى نادي كاستر هيل". وأضاف "ستحبّه يا باين، فهو تافه مغرور بمثل ذكائنا تقريباً".

دخل لاندسايل الغرفة ولحقه باين مادوكس ومشى نحو نهاية الطاولة وقال: "سيتوصل الاجتماع إلى قرار". وأشار إلى الحقيبة السوداء التي تتوسط الغرفة وقال: "ذلك الشيء، الذي ترونه لأول مرّة، قنبلة آر أي - 155 سوفياتية الصنع، تزن حوالي ثلاثين كيلوغراماً وتحتوي على حوالي اثني عشر كيلوغراماً من البلوتونيوم عالي الإشباع، بالإضافة إلى جهاز تفجير".

نظر هاري إلى الحقيبة. عندما كان يعمل في فريق نست، لم يخبره رؤسائه عمّا يبحث عنه؛ قنابل ذرية صغيرة من مختلف الأحجام والأشكال، وكما قال المدرب: "لن تجدوا رمزاً ذرياً على الجهاز أو جمجمة وعظمتين متصلتين أو أي شيء. وكل ما عليكم فعله هو الاعتماد على أجهزكم الخاصة بالكشف عن الأشعة غاما والنيوترونات".

واصل مادوكس حديثه فقال: "سيحدث هذا الشيء الصغير انفجاراً تبلغ قوته خمسة كيلو طن، أي حوالي نصف القدرة التفجيرية للقنبلة التي أسقطت على هيروشيما. وبما أن هذه الأجهزة قديمة، وتحتاج إلى صيانة مستمرة، يمكن أن يكون الانفجار أقل قوة. ولكن ليس في ذلك الكثير من العزاء إذا صدف أنك جالس بالقرب منها". وارتسمت على وجهه ابتسامة.

قال لاندسايل: "في الحقيقة، إننا نجلس بالقرب من إحداها". وقال ممزحاً: "ربما لا يجدر بك أن تدخن يا باين".

تجاهله مادوكس وقال: "أودّ أن أضيف إلى معلوماتكم يا سادة بالقول بأن هذا الشيء الصغير سيمسح وسط مانهاتن ويتسبب بمقتل حوالي نصف مليون إنسان على الفور، ووفاة نصف مليون إنسان آخر متأثرين بالانفجار".

تقدم مادوكس نحو الحقيبة الكبيرة ووضع يده عليها. "تكنولوجيا مدهشة. عليك أن تفكر في هذه الذرات التي يمكن شطرها أو صهرها بواسطة رجال قتلة لإطلاق هذه الطاقة الخارقة".

أزاح هاري مولر بصعوبة شديدة عينيه عن القنبلة النووية. لاحظ وجود قارورة مياه أمامه لأول مرّة، وببهد مرتجفة، شرب منها.

خاطبه مادوكس "لا تبدو على ما يرام".

أجاب مولر "لا يبدو أي منكم على ما يرام، ومن أي مكان لعين حصلت على هذه القنبلة؟"

"في الواقع، كان ذلك الجزء السهل من العملية. كان مجرد مسألة مالية مثل أي شيء آخر في الحياة، إضافة إلى طائرتي الخاصة التي استخدمتها في نقلها من جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق. لقد دفعت - من جيبي الخاص - عشرة ملايين دولار، إذا كنت مهتماً بالتفاصيل. كان ذلك ثمن أربع قنابل، لا ثمن قنبلة واحدة. ويمكنك تصوّر عدد الحقائق النووية التي اشتراها أصلاً أشخاص مثل بن لادن".

شرب هاري الماء الذي في قارورته وأخذ قارورة لاندسايل وقلمه ووضعها في جيبيه. لم يلاحظ أحد الأمر مع مواصلة مادوكس حديثه.

قال مادوكس لهاري، وكان يريد أيضاً إفادة الآخرين: "إننا لسنا وحوشاً يا سيد مولر. إننا رجال محترمون هدفنا إنقاذ الحضارة الغربية، وإنقاذ عائلاتنا، وأمّتنا".

سأل هاري "بقتل ملايين من الأميركيين؟"

أجاب مادوكس "سيقتلهم الإرهابيون الإسلاميون على أية حال. إنها مجرد مسألة وقت. وسيكون الحال أفضل إذا قمنا بذلك في وقت أقرب. وسنقوم نحن باختيار المدن، وليس هم".

"هل جُننتم؟"

صاح مادوكس بغضب "توقف يا هاري. قبل وقت قصير، لم تكن لديك مشكلة في مسح العالم الإسلامي؛ رجال، ونساء، وأطفال، بالإضافة إلى السياح ورجال الأعمال الغربيين، ومن يدري من سيكون غيرهم في الشرق الأوسط في الأسبوع القادم..."

"الأسبوع القادم؟"

"أجل. وكما قلت لك، يمكنك أن تشكر نفسك ومنظمتك على ذلك. اليوم، كنت الوحيد الذي يحوم في المنطقة. وغداً أو في اليوم الذي يليه، سيكون العملاء الفيدراليون وربما جنود من 'دram كامب' من سيحاصر هذا المكان بحثاً عنك... وعن هذه"، وربت على الحقيبة.

كاد هاري أن يقفز من مقعده.

"لذلك، يتعين علينا إخفاؤك وإرسال الحقائق إلى وجهاتها النهائية". وقال للمجلس: "وفي هذه الأثناء، سنكمل العمل الذي بين أيدينا. أولاً... عاد إلى الطاولة وضغط على زرّ على لوحة المفاتيح. انطفت الأنوار وأضاءت شاشة

مسطحة مثبتة على الجدار، وظهرت عليها خريطة ملونة للشرق الأوسط وشرق آسيا. "... سنلقي نظرة على العالم الإسلامي، الذي نحن على وشك تدميره".

الفصل 10

بدأ باين مادوكس كلامه قائلاً: “هذه يا سادة بلاد الإسلام التي تمتد من الساحل الأطلسي لشمال أفريقيا، مروراً بالشرق الأوسط وآسيا الوسطى، ووصولاً إلى شرق آسيا، لتنتهي في إندونيسيا، أكبر البلاد الإسلامية من حيث عدد السكان، والتي هي الجبهة القتالية الأخيرة في الحرب على الإرهاب”.

توقف لكي يترك انطباعاً لدى الحاضرين ثم أضاف، “يوجد أكثر من مليار مسلم يعيشون في هذه البلاد اليوم. وفي وقت ما في الأسبوع القادم، سيصبح هذا العدد أقل بكثير”.

أفسح مادوكس للحاضرين المجال لاستيعاب الموضوع، ثم أضاء مصباح القراءة وقال: “وفر لنا إيد لائحة بالمدن الإسلامية المستهدفة بموجب خطة عاصفة النار...” ونظر إلى الورقة التي أمامه وقال مازحاً: “تبدو شبيهة بلائحة أمنياتي لعيد الميلاد”.

لم يضحك أحد. أضاف مادوكس قائلاً: “سيقدم لنا إيد بعض التفاصيل المتعلقة بخطة عاصفة النار”.

بدأ نائب وزير الدفاع، إدوارد وولفر، شرحه بالقول: “يوجد في الحقيقة لائحتان: اللائحة ألف واللائحة باء. تتضمن اللائحة ألف منطقة الشرق الأوسط بأكملها - الجزيرة العربية، قلب الإسلام - إضافة إلى أهداف معينة في شمال أفريقيا، والصومال، والسودان، والأجزاء المسلمة من آسيا الوسطى، والقليل من الأهداف في شرق آسيا. وهذه اللائحة بقيت على حالها في الأساس طوال السنوات العشرين الماضية، ولكننا كنا نضيف هدفاً بين الحين والآخر مثل الجزء الشمالي من الفلبين الذي أصبح مرتعاً للأصولية الإسلامية. لاحظوا أيضاً أننا كنا نحذف بعض الأهداف أحياناً. فنتيجة لاحتلال أفغانستان، على سبيل المثال، قمنا بشطب معظم أجزاء أفغانستان من لائحة الأهداف إضافة إلى أماكن معينة في منطقة آسيا الوسطى، والخليج حيث يتمركز الجنود الأميركيون في الوقت الحالي”.

أوماً الجميع برؤوسهم، وكتب قلة من الحاضرين ملاحظات سريعة.

واصل وولفر كلامه فقال: “كما أضفنا أهدافاً جديدة تقع في جنوب أفغانستان، وتحديدًا منطقة تورا بورا والمناطق الحدودية المجاورة لها في باكستان، حيث نعتقد بأن بن لادن مختبئ فيها”. وأضاف، “إذا نجا بن لادن من الانفجار، سيكون ملك الأراضي النووية الفاحلة”.

ضحك البعض بأدب.

سأل سكوت لاندسايل، “ولماذا أعددتهم لائحتين؟”

أجاب وولفر، “يوجد ردّان تأريّان محتملان بموجب خطة عاصفة النار. فاللائحة ألف هي في صلب الخطة ولا تراجع عنها، أما اللائحة باء فاللجوء إليها متوقف على مستوى الهجوم الإرهابي على أميركا ونوعه. فإذا كان هجومًا جرثومياً أو كيميائياً مثلاً، فإن الأهداف المدرجة في اللائحة ألف هي التي ستدمّر. وإذا كان الهجوم نووياً، وأدى إلى دمار مدينة أميركية أو أكثر، فسوف تضاف اللائحة باء إلى الردّ الثأري بشكل تلقائي”.

قال مادوكس: “حسناً، نحن نعرف أن الهجوم على أميركا سيكون نووياً لأننا نحن من سيفجر تلك القنابل”.

ساد الصمتُ الغرفة، ثم قال بول دان: “باين، أنت لست مضطراً إلى التصرف بكل هذا الحماس حيال هذه الخطة”.

“أنا آسف يا بول. ولكن هذا ليس أحد الاجتماعات المهذبة لمجلس الأمن القومي. هنا يمكننا التعبير صراحة عما يجول في خواطرنا”.

لم يجب بول دان، وواصل وولفر حديثه فقال: “هناك قلق دائماً من مستوى السقط الإشعاعي إضافة إلى التغيّرات المناخية... وهذا هو سبب وجود لائحة أساسية وأخرى متممة. كما أنه ليست كل المدن الإسلامية تأوي إرهابيين بكل تأكيد، أو غير صديقة للولايات المتحدة. لكنّ خطة عاصفة النار خلصتنا من معظم ذلك الجدل عبر الربط بين الردّ وطبيعة الهجوم على الولايات المتحدة. وبالتالي، إذا أدّى الهجوم بسلاح كيميائي أو جرثومي إلى مقتل

عشرين ألف شخص فقط على سبيل المثال، في نيويورك أو واشنطن، فسوف يستأصل ردنا اثنين وستين هدفاً فقط من الأهداف المدرجة في اللائحة ألف. وأضاف، “نحن لا نريد أن نظهر كما لو أننا بالغنا في ردّة فعلنا”.

سخر لاندسايل من سخافة تلك العبارة، ولكن لم يظهر أن أحداً لاحظ وجه الفكاهة في المسألة.

أضاف وولفر، “لغاية اليوم، تتضمن اللائحان معاً 122 هدفاً. ونحن نتوقع حدوث إصابات أولية تطال حوالي مئتي مليون شخص، وربما يموت مئة مليون آخرون في غضون ستة شهور بسبب التأثيرات الإشعاعية”. وقال في نبذة واقعية: “وبعد ذلك، من الصعب أن نقدر تأثيرات الأمراض، والتعرض لتأثيرات الطقس، والمجاعة، والانتحار، والصراعات المدنية، وما إلى ذلك”.

لم يعلّق أحد على ما سمع.

قال إيد وولفر: “أدرك الأشخاص الذين وضعوا خطة عاصفة النار بأنه من الضروري ألا يضطر أي رئيس مستقبلي أو إدارته، إلى اتخاذ أية خيارات استراتيجية أو أخلاقية. فإذا حصل هجوم من النوع كذا، سنردّ باللائحة ألف، وإذا حصل هجوم من نوع آخر، سنردّ باللائحة باء. الأمر في غاية البساطة”.

أشاح هاري مولر بناظريه عن الخريطة المضيئة، ونظر إلى الرجال الأربعة على جانبي الطاولة. تحت الضوء المنعكس من الشاشة، بدا هؤلاء الرجال الأربعة الآن هادئين، بعد أن كانوا متوترين بعض الشيء قبل نصف ساعة. بدا كما لو أنهم يقولون، لا بأس، إنها هنا. انتبه وتابع عمك.

ثم نظر إلى مادوكس الذي كان ينظر إلى الشاشة التلفزيونية، ورأى تلك الابتسامة الغريبة على وجهه، كما لو كان يرى جلدًا يرتجف. لاحظ مادوكس نظرات هاري وغمزه.

التفت هاري في مقعده ونظر إلى الشاشة. يا إلهي، الخطة حقيقية. كان الله في عوننا.

واصل وولفر كلامه فقال: “إن خطة عاصفة النار ببساطة نسخة عن ماد. في الواقع، قامت مجموعة من المحاربين القدامى إبان الحرب الباردة في عهد إدارة

ريغان باقتراح هذه الخطة، وتطويرها، ووضعها موضع التنفيذ”.

بقي صامتاً للحظة، ثم قال بنبرة رزينة: “كانوا رجالاً شجعاناً. لقد وقفوا وجهاً لوجه أمام السوفييات، والطرف الآخر هزّ برمشه أولاً. لقد مرّروا إلينا درساً عظيماً وإرثاً رائعاً. ولكي نكون جديرين في نظر هؤلاء الرجال الذين أعطونا عالماً خالياً من الإرهاب السوفياتي، نحن بحاجة إلى القيام بعمل تجاه الإرهابيين الإسلاميين كما كان محاربو الحرب الباردة هؤلاء على استعداد للقيام به تجاه الاتحاد السوفياتي”.

مرّة أخرى، ساد الصمت الغرفة. ثم قال الجنرال هاوكنز: “كان لدى الروس على الأقل بعض الشرف، وخوف من الموت، وكانوا سيخجلون من إلحاق الدمار بمدنهم وشعوبهم. ولكن هؤلاء الأندال - الإسلاميين - يستحقون كل شيء سينزل بهم”.

وجّه مادوكس سؤاله إلى إدوارد وولفر، “قل لنا ما الذي سينزل بهم؟”

بلغ وولفر ريقه وقال: “الذي سينزل بهم هو 122 رأساً حربياً نووياً بأوزان مختلفة، تنطلق أساساً من غواصاتنا النووية من فئة أوهايو المنتشرة في المحيط الهندي، إضافة إلى بعض الصواريخ الباليستية العابرة للقارات التي ستطلق من أميركا الشمالية”. وأضاف “سيتم إبلاغ الروس بالأمر، من باب المجاملة وكتدبير احترازي، قبل دقيقة تقريباً من إطلاق الصواريخ”.

قال الجنرال هاوكنز: “تمثّل هذه الرؤوس الحربية نسبة ضئيلة جداً من ترسانتنا. وستتبقّى آلاف من الرؤوس الحربية في حال احتجنا إلى شنّ هجوم آخر على الإسلام، أو في حال خطر على بال الروس أو الصينيين أية أفكار سخيفة”.

أوماً وولفر برأسه ثم قال: “تتضمن اللائحة ألف كافة العواصم في الشرق الأوسط تقريباً - القاهرة، دمشق، عمّان، بغداد، طهران، إسلام آباد، الرياض، وغيرها - إضافة إلى المدن الرئيسية الأخرى، ومعسكرات تدريب الإرهابيين، وكافة المنشآت العسكرية”.

نظر إلى أوراقه وقال: “كانت مقاديشو، عاصمة الصومال، في الأصل مدرجة في اللائحة باء، ولكن منذ إسقاط طائرة البلاك هوك العمودية، انتقلت إلى اللائحة ألف للثأر من تلك الهزيمة المخزية. والأمر نفسه ينطبق

على مدينة عدن الساحلية في اليمن؛ سنأخذ بثأر المدمرة كول أيضاً”.

علق مادوكس بالقول: “أنا مسرور لأنه يجري تطوير هذه اللائحة مع تغيير الظروف. ولدينا الكثير من الحسابات التي ينبغي تصفيتها”.

أجاب وولفر، “بالطبع لدينا حسابات. لكن بقدر ما نرغب في الثأر لثكنة المارينز التي دُمرت في بيروت، فهذه العاصمة لم تُدرج في اللائحة. كما أنها ستصبح رأس جسر لنا نحو شرق أوسط جديد ومتطور”. وأضاف، “لاحظوا أيضاً أن إسرائيل لن تعود محاطة بالأعداء؛ بل ستصبح محاطة بأراضٍ قاحلة”.

سأل لاندسايل، “هل يعرف الإسرائيليون شيئاً عن خطة عاصفة النار؟”

أجاب وولفر “إنهم يعرفون عنها بقدر ما يعرفه أعداؤنا. وقد عرضناها عليهم كخطة محتملة. ولكنهم لم يشعروا بغبطة عارمة لاحتمال تساقط الغبار الذري عليهم، ولكن لديهم برامج جيدة للدفاع المدني، ويمكنهم اجتياز تلك المرحلة بأمان إلى أن يصفى الجو”.

عاد لاندسايل وسأل بابتسامة، “إيد، هل تعتقد بأنه ينبغي أن نحجز مقعداً في رحلة إلى الأراضي المقدسة في عيد الفصح؟”

أجاب وولفر، “إننا نتحدث عن عالم جديد تماماً يا سكوت، عالم تعود فيه الإجراءات الأمنية في المطارات إلى المستوى الذي كانت عليه في الستينيات من القرن الماضي، عالم يمكن أن يرافك فيه أفراد عائلتك وأصدقائك إلى البوابة من جديد، وحيث خزائن الحقائب ليست شيئاً من الماضي، عالم لا يعامل فيه كل مسافر بالطائرة على أنه إرهابي محتمل، وحيث تقتصر الإجراءات الأمنية المتعلقة بالطائرات على المسائل الميكانيكية لا على الإرهابيين الذين هم على متنها، أو الأحذية المحشوة بالقنابل، عالم لا يعود فيه كل سائح أو رجل أعمال أميركي هدفاً محتملاً للإرهابيين. في هذا العالم الجديد، أيها السادة، سيتم التعامل مع كل أميركي بلطفة، واحترام، وقليل من الهيبة؛ مثل الطريقة التي عومل بها أبائنا وأجدادنا الذين حرّروا أوروبا وآسيا من الشر. ولذلك، أجل يا سكوت، خطط للسفر إلى الأرض المقدسة يوم عيد الفصح. ستتم معاملتك بطريقة لائقة، ولن تضطرّ إلى القلق من المتفجرين الانتحاريين في المقاهي المزدهمة”.

ساد الصمت الغرفة فيما كان وولفر يواصل عرضه لمخلصه عن موضوع المدن المقدسة”. “كما ستتضمن الأهداف الأولية المدن الإسلامية المقدسة. وهذا لوحده سيستأصل قلب الإسلام”. وأضاف، “وسيتم تجنب أقدس مدنهم، من الدمار - ليس بسبب الحساسية تجاه ذلك الدين - بل لأجل معاملة المدينة كرهينة سيطالها الدمار في حال هدد أي إرهابيين بقوا على قيد الحياة بتنفيذ عملية ثأرية”. وأنهى كلامه بالقول: “إن الحكومات في الشرق الأوسط على علم بذلك، وقد طلبت إلينا تجنب المدينة من الدمار أيضاً في حال حصل الأسوأ. ولكننا أجبناهم بالنفي”.

قال مادوكس: "هذا جواب جيد. فلدي الكثير من التعاملات غير السارة مع العائلة... المالكة. وفي الأسبوع القادم، سيطويهم التاريخ، والأمر الوحيد الجيد في ذلك المكان هو النفط الذي ينتظرنا أسفل الرمال".

تجاهل إدوارد وولفر ذلك التعليق وأضاف، "والمدينة الإسلامية المقدسة الأخرى التي لن يتم تدميرها هي القدس بالطبع والتي نحترمها نحن كمسيحيين، واليهود أيضاً بوصفها أكثر مواقعنا قداسة. ونحن نتوقع أن يقدم الإسرائيليون، بعد تنفيذ خطة عاصفة النار، على طرد المسلمين من القدس، وبيت لحم، والناصرة، وغيرها من المواقع المقدسة المسيحية الأخرى التي لا تزال تحت سيطرتهم. وإذا لم يفعلوا، فسوف نفعل ذلك نحن".

علق مادوكس قائلاً: "بالنسبة إلى المدن التي سيتم ضربها، أرى عدداً من المدن التركية في اللائحة، ولكنني لا أرى إسطنبول".

شرح وولفر السبب قائلاً: "إسطنبول كنز تاريخي، وتقع من الناحية الجغرافية في أوروبا، وستصبح مدينة القسطنطينية مرة أخرى. وسيتم طرد المسلمين منها". وأضاف "في الواقع، توجد يا سادة خطة سياسية للعالم في حقبة ما بعد عاصفة النار لإعادة رسم بعض الخطوط على الخريطة وإخراج الشعوب من الأماكن التي لا نريدهم أن يبقوا فيها. والقدس، وبيروت، وإسطنبول من الأماكن التي نفكر فيها، بالرغم من أنني لست مطلعاً على تفاصيل هذه الخطة السياسية".

علق مادوكس بالقول: "بغض النظر عن شكل هذه الخطة، يمكننا أن نترك لوزارة الخارجية أمر تدبيرها".

قال الجنرال هاوكنز: "أمين"، ثم أشار إلى أنه "مع تدمير بغداد وغالبية أجزاء العراق، لن نكون بحاجة إلى الدخول في حرب ضدّ صدام حسين".

ردّ وولفر قائلاً: "في الحقيقة، لن نكون بحاجة إلى الدخول في حرب ضدّ سوريا أيضاً، أو إيران، أو أي بلد معادٍ آخر لأنه لن يعود موجوداً".

قال مادوكس: "يعجبني هذا الكلام. ألا يعجبك يا هاري؟"

تردد هاري ثم أجاب "بلى، إذا كان يعجبك الكلام عن جريمة جماعية".

نظر مادوكس إلى هاري وقال: "لدي ولد يا هاري، باين الصغير، وهو ضابط احتياط في الجيش الأميركي. إذا دخلنا في حرب مع العراق، فسوف يُطلب إليه الالتحاق بالخدمة، وربما يلقي حتفه هناك. الخلاصة هي أنني أفضل أن أرى الجميع في بغداد يُقتلون على أن يبلغني أحدهم بأن ولدي قُتل في العراق. هل تعتبر ذلك أنانية؟"

لم يردّ هاري، ولكنه قال في نفسه، أجل هذه أنانية. كما أن مادوكس نسي أبناء وبنات الأميركيين الذين ينوي قتلهم بالقنابل النووية داخل أميركا.

وجّه باين مادوكس سؤالاً إلى هاري وإلى الحاضرين "في بعض الأحيان، تُبرز النكتة حقيقة لا يرغب الناس في الإقرار بها. ولذلك أقصص علينا يا سيد مولر إحدى النكات التي ربما سمعتها عندما كنت تعمل شرطياً". ابتسم مادوكس ابتسامة شخص يريد أن يقص نكتة جميلة وقال: "إذن، يبدو أن الرئيس، أعني رئيس السيد دان، ووزير الدفاع، رئيس السيد وولفر". ابتسم مجدداً وقال: "مختلفان حول مسألة سياسية ما، ولذلك استدعيا مساعداً صغيراً، فقال له وزير الدفاع: 'لقد قررنا إلقاء قنبلة ذرية على مليار عربي وعلى امرأة واحدة جميلة، وشقراء، وعيناها زرقاوتان. فما هو رأيك؟' فسأله المساعد الصغير 'سيدي الوزير، لماذا تريدون قصف امرأة جميلة شقراء وزرقاء العينين؟' وبدوره، قال وزير الدفاع للرئيس، هل تسمع ذلك؟ 'قلت لك بأن أحداً لا يأبه لمليار عربي'".

كان هناك بعض الضحك المهذب والمضبوط، كما أن هاري ابتسم أيضاً لدى سماعه النكتة القديمة التي سبق أن سمعها مرّات عديدة.

وجه مادوكس سؤاله إلى هاري وقال: "هل فهمت قصدي؟"

عاد إدوارد وولفر إلى موضوعه وقال: "في ما يختص العراق، من المعلوم أن الحروب البريّة مكلفة على صعيد الرجال، والمواد، والمال. كما أنه يوجد للحروب البريّة دائماً عواقب غير مقصودة. ويمكنني أن أقول لك من واقع خبرتي - ويمكن لبول إيضاح ذلك - إن الإدارة تميل إلى إشعال حرب مع العراق، ثم مع سوريا، وفي نهاية المطاف مع إيران. لا أعتقد بأن أياً منّا يعارض ذلك من حيث المبدأ، لكن بالنسبة إلى رفاقنا الذين حاربوا في فيتنام - باين، جيم، وأنا - يمكننا القول بدرجة من اليقين بأنه عندما تطلق كلاب الحرب، فسوف تخرج عن سيطرتك. سرّ الجمال في الهجوم النووي أنه سريع ورخيص. وسبق لنا أن اشترينا ترسانة ذرية ضخمة ودفعنا ثمنها - لدينا حالياً حوالي سبعة آلاف رأس حربي نووي - وهي موجودة في المخازن ولا نستفيد منها بشيء. وفي مقابل جزء بسيط من كلفة تلك الرؤوس الحربية، يمكننا تحقيق نتائج كبيرة جداً. إن نتائج ضربة نووية غير مشكوك فيها". وأضاف مبتسماً، "ولن تتعذب ذا نيويورك تايمز، والواشنطن بوست في معرفة إن كنا سننتصر في الحرب على الإرهاب أم لا".

ضحك الجميع، وقال مادوكس بطريقة منمّقة: "أنت تعني أنني لن أكون بحاجة إلى قراءة قصة تدمي القلب في

التايمز عن فتاة صغيرة وأمها التي أصيبت بفعل عاصفة النار؟”

عاد الجميع إلى الضحك مرة أخرى، وقال وولفر: “لا أعتقد بأن التايمز أو الواشنطن بوست سترسل أي مراسلين إلى رماد نووي للحصول على ما يسمى قصة تهم الإنسانية”.

ابتسم مادوكس، ثم نظر إلى الخريطة التي ترسم على الشاشة وقال: “أرى على اللائحة سدّ أسوان الكبير”. نقل المؤشر نحو موقع مصر والجزء الشمالي من النيل وقال: “يوجد هنا، فيما أعتقد، أمّ كافة الأهداف”.

أجاب وولفر، “بالتأكيد، إنها كذلك. يمكن لصاروخ متعدد الرؤوس أن يدمّر السدّ ويطلق مليارات الغالونات من المياه في اتجاه مجرى النيل، والذي من الناحية العملية، سيمحو مصر عن الخريطة، وربما يؤدي إلى مقتل ما بين خمسين وستين مليون شخص مع طوفان وادي النيل وتدفق المياه في البحر الأبيض المتوسط”. وأضاف، “وسيكون ذلك أكبر خسارة منفردة في الأرواح والممتلكات؛ كما أنه لا توجد حقول نفطية هناك. ومن سوء الحظ، يتعين علينا القبول بفقدان آلاف من السياح الغربيين وعلماء الآثار ورجال الأعمال الغربيين، وغيرهم، إلى جانب خسارة مواقع تاريخية”. ولكنه أضاف، “ينبغي المحافظة على الأهرامات”.

سأله مادوكس، “أيد، أرى أن مدناً مصرية عديدة على امتداد وادي النيل على لائحة الأهداف التي ستضرب برؤوس نووية. إذا اعتبرنا أن مياه أسوان ستجتاح تلك المدن، ألن تكون الصواريخ زائدة عن الحاجة؟ وهل ورد اسمها في الكتاب المقدس؟”

نظر وولفر إلى صديقه وقال: “لم أفكر في الأمر قبل ذلك”. وتوقف للحظة ثم قال: “أعتقد بأن مياه الفيضان ستطفي الحراق في المدن المشتعلة”.

قال مادوكس: “هذا أمر سيئ جداً”.

تابع وولفر حديثه فقال: “هناك بعض الأخبار السيئة، كما سبق أن ألمحت، وهي أن عدداً كبيراً من الغربيين سيقتلون في هذا الهجوم، من السياح، ورجال الأعمال، والمغتربين، والعاملين في السفارات، وغيرهم. ويمكن لهذا العدد أن يصل إلى مئة ألف، وسيكون العديد منهم من الأميركيين”.

لم يعلق أحد على هذا الكلام.

واصل وولفر حديثه فقال: “ومن سوء الحظ أيضاً أننا لا نستطيع التكهن بالوقت الذي ستصبح فيه هذه المناطق صالحة للسكن مجدداً أو مستقرة من الناحية الاجتماعية من أجل استمرار الإمدادات النفطية. غير أن محلاً في وزارة الدفاع يتكهن بأنه لن يحدث نقص خطير في تلبية الاحتياجات العالمية أو الوطنية لأن هذه البلدان التي تنتج النفط لن تستخدمه بعد ذلك. وبالتالي، ينبغي أن يكون النفط المستورد من مصادر أخرى إضافة إلى الاحتياطي من النفط، كافيان لتلبية أية

طلبات قصيرة الأمد في أميركا وأوروبا الغربية". وأضاف، "وعلى الأرجح أن يتوفر النفط السعودي لنا أولاً؛ في غضون سنتين".

قاطع مادوكس بالقول: "ينبغي على المسؤولين الحكوميين أن يتحدثوا إلينا بوصفنا من العاملين في القطاع الخاص. وتحليلي هو أنه سيتم استئناف تصدير النفط السعودي بواسطة ناقلات النفط في غضون سنة تقريباً". وأضاف، "أعتقد بأننا يمكننا الحصول على برميل النفط مقابل مئة دولار في حال تفاقمت المشكلات المتعلقة بضح النفط وشحنه بعد الحرب النووية".

تردد وولفر ثم قال: "باين، يميل وزير الدفاع إلى الاعتقاد بأن سعر البرميل سيهبط إلى عشرين دولاراً على اعتبار أننا سنتحكم بكافة عمليات الضخ والشحن". وأضاف، "الفكرة هي أننا سنحتاج إلى نفط رخيص الثمن للمساعدة في إنعاش الاقتصاد الأميركي والذي نتكهن بأنه سيدهور بشكل سريع بعد أن تعاني مدينتان أميركيتان من الدمار النووي".

لوح باين مادوكس بيده وقال: "أعتقد بأن في ذلك مبالغة أيضاً. ستشهد أسواق الأسهم هبوطاً سريعاً مقداره بضعة آلاف نقطة لمدة تقل عن عام. وستعاني بعض المدن من نزوح سكاني إليها لبضعة شهور، كما حصل مع نيويورك بعد 11 سبتمبر/أيلول. ولكن بعد أن يتبين أن العدو قد مات ودُفن، سنشهد نهضة أميركية تدهش العالم". وقال لولفر: "لا تكن متشائماً. إذا كان انهيار الاتحاد السوفياتي إيذاناً ببزوغ فجر القرن الأميركي، فإن التخلص من الإسلام سييسر بألفية السلم، والازدهار، والثقة بالنفس الأميركية، ناهيك عن القوة الأميركية التي لا تضاهي. ستجعل الألفية الأميركية الإمبراطورية الرومانية تبدو مثل دولة من العالم الثالث".

لم يعلق أحد، ولذلك واصل مادوكس كلامه وقال: "ستكون الأمور مختلفة. سيتم التخلص من آخر الأخطار العالمية التي تهدد أميركا، وستجتمع الأمة بأكملها حول الحكومة على غرار ما فعلت بعد 11 سبتمبر/أيلول وبيرل هاربور. وسيتم التعامل مع الأعداء الداخليين لأميركا، بمن فيهم الأعداء المتنامية من السكان المسلمين، بدون احتجاجات. ولن ترى أية مظاهرات مناوئة للحرب في أميركا، ولا في أي مكان في العالم. والأوغاد الذين رقصوا في مختلف أنحاء العالم في الشوارع بعد 11 سبتمبر/أيلول إما سيكونون في عداد القتلى أو يقبلون أقدامنا".

أخذ نفساً ثم بدأ يتكلم بسرعة، "وسوف يغلق الأوروبيون أفواههم، ثم يأتي دور كوبا، ثم كوريا الشمالية. وسيبقي الروس أفواههم مغلقة أيضاً، لأننا بعد أن نخوض حرباً نووية مرّة، سيفهم الجميع أننا يمكن أن نقوم بذلك مرّة أخرى. وعندما يحين الوقت المناسب، سنضع حداً للمشكلة الصينية وهي في مهدها قبل أن تكبر وتتحدّانا".

راقب هاري مولر الرجال الآخرين فيما واصل مادوكس كلامه المسهب. بدا بالنسبة إلى هاري أن الرجال الآخرين منزعجون بعض الشيء الآن بعد أن انتقل مادوكس من مشكلة الإرهاب الإسلامي إلى البحث عن أعداء جدد وقتلهم. ثم جاء دور النفط الذي اعتقد هاري بأنه لا يقل أهمية في نظر باين مادوكس وشركة النفط

العالمية عن التخلص من الإرهابيين. وهاري يعرف أصلاً أن الرجل مجنون، ولكنه بات الآن يرى مقدار هذا الجنون؛ وكذلك رفاق مادوكس.

وقف مادوكس وتحدث بنبرة عالية، “وبوصفنا من قدامى المحاربين في فييتنام، سأقول لكم، سنستردّ أيضاً شرفنا الضائع عندما يزحف جنودنا نحو سايجون وهانوي من غير أن تنبس الصين أو غيرها ببنت شفة”.

نظر باين مادوكس إلى زملائه الأربعة وأنهى كلامه بالقول: “بالنسبة إلينا، إن عدم شنّ حرب نووية - ومواصلة حربنا ضدّ أعدائنا بالأسلحة التقليدية والوسائل الديبلوماسية، وخسارة الأرواح والأموال في هذه المعركة، وإطالة أمدّها من غير أن يلوح نصر واضح في الأفق - خطأ من الناحية الأخلاقية. فنحن نملك الوسائل اللازمة لإنهائها بطريقة سريعة، وحاسمة، وقليلة الكلفة باستخدام الأسلحة التي في حوزتنا أصلاً. إن عدم استخدام هذه الأسلحة ضدّ أشخاص لن يتورّعوا عن استخدامها ضدّنا لو أمكنهم ذلك، سيكون انتحاراً قومياً، وحماقة استراتيجية، وإهانة للتفكير الفطري”. ثم جلس في مقعده.

ساد الغرفة صمت مطبق. نظر هاري إلى الوجوه من خلال الضوء الخافت وقال في نفسه: “أجل، إنهم يعرفون بأنه مجنون، ولكنهم لا يابّهون طالما أنه يعبر عما يفكرون فيه”.

أشعل باين مادوكس سيجارة وقال: “حسناً، دعونا نتحدث الآن عن المدن الأميركية التي يلزم التضحية بها، وكيف ومتى سنقوم بذلك”.

القسم 5

يوم السبت

نورث فولك، لونغ أيلاند

ناسو بوينت، لونغ أيلاند، الثاني من أغسطس/آب 1939 أف
دي روزفلت، رئيس الولايات المتحدة،

البيت الأبيض، واشنطن العاصمة

سيدي... ربما بات في الإمكان إطلاق تفاعل تسلسلي نووي
باستخدام كتلة كبيرة من اليورانيوم تُنتج مقادير هائلة من
الطاقة وكميات ضخمة من العناصر الجديدة الشبيهة بالراديو،
والتي بواسطتها عزيزي الرئيس، يمكن إطلاق قوة تدميرية
هائلة.

- ألبرت أينشتاين

الفصل 11

بعد تناول العشاء في المطعم العائم، توجهتُ وكايت بواسطة السيارة نحو **أورينت بوينت** عند الرأس الشرقي لنورث فولك في لونغ أيلاند. كانت السماء قليلة الغيوم، ولكن كان في مقدوري رؤية النجوم التي نادراً ما أراها في مناهاتن.

إن نورث فولك عبارة عن أرض رملية جرفتها الرياح، ومكان جميل على نحو غير مألوف، محاط بلونغ أيلاند ساوند من الشمال، وخليج غاردينر من الجنوب، والمحيط الأطلسي من الشرق.

بما أن المياه المحيطة تخزن حرارة الصيف، يتميز فصل الخريف هناك بدفء غير عادي بالنسبة إلى خط العرض الذي تقع عنده. في الواقع، كان هذا المناخ المحلي، وربما بالإضافة إلى الاحتباس الحراري بوجه عام، السبب في ظهور الأراضي المزروعة بالكرمة حديثاً، والتوسع الكبير في السياحة، وهو ما غير من طبيعة الأرض.

في طفولتي، كنت أقضي فصل الصيف هنا برفقة والديّ مع العائلات الأخرى القوية والأقل ثراءً والتي لا يمكنها تحمل تكاليف الإقامة في هامبتون، أو التي أرادت على وجه الخصوص تجنب الزحمة في هامبتون.

أحد هؤلاء الأشخاص الأقوياء كان ألبرت آينشتاين، الذي أمضى فصل الصيف هنا في مكان يسمى ناسو بوينت سنة 1939. وبما أنه لم يكن يوجد الكثير ليفعله، فعلى الأرجح توفّر لديه الكثير من الوقت ليفكر. ولذلك في أحد الأيام، ونزولاً عند إلحاح علماء فيزياء آخرين، كتب رسالة إلى فرانكلين روزفلت - والتي باتت تسمى **رسالة ناسو بوينت** - نصح الرئيس فيها بقوة بالمضي نحو صنع قنبلة نووية قبل أن يصنع النازيون قنبلتهم. والباقي، كما يقولون، تاريخ.

بالعودة إلى المناخ المحلي والطقس الدافئ، قلت لكايت: "ما رأيك في السباحة؟"

نظرت إليّ وقالت: "إنه شهر أكتوبر/تشرين الأول يا جون".

قلت: “ينبغي علينا الاستفادة من الاحتباس الحراري قبل أن يقوم بذلك كل شخص آخر. في غضون عشر سنوات، سيكون هذا المكان مليئاً بأشجار النخيل بدلاً من الكرم، وسيأتي الآلاف من الناس إليه في شهر أكتوبر/تشرين الأول للاستمتاع بأشعة الشمس”.

“إذاً، لنعد إلى المكان بعد عشر سنوات لكي نسبح”.

واصلت سيري شرقاً سالكاً الطريق 25، وهو طريق يرجع إلى الحقبة الاستعمارية كان يُعرف سابقاً بطريق الملك عندما كان البريطانيون هنا قبل الثورة. وعلى امتداد الطريق، كنت أرى المرتفعات الواقعة إلى الشمال، كان في إمكاني رؤية البيوت القديمة المصنوعة من الألواح الخشبية البيضاء والمنازل الصيفية التي بُنيت حديثاً من خشب الأرز والزجاج. لم أرغب يوماً في أن أصبح ثرياً، ولكنني أفكر بين الحين والآخر في بدء ثورة جديدة بحيث أتمكن من الاستيلاء على منزل صيفي في وسط الماء لأحد سماسرة البورصة. أعني أنني سأعيده له في بضع سنين، ويكون الجميع قد استفاد من التجربة.

اقتربنا من أورينت بوينت، وكان أمامنا محطة المركب الذي ينقل المسافرين إلى نيو لندن، وكونتيكت، والمدن التي وراءها، والمنطقة المحصورة حيث يصل المركب الحكومي إلى مركز أمراض الحيوانات فائق السرية في بالم أيلاند.

حملني هذا بالطبع على التفكير في ذلك الصيف عندما كنت أتعافى في هذا المكان من جراحي التي أصبت بها من جرّاء تعرّضي لإطلاق نار، وعملت في التحقيق في جريمة غريبة مزدوجة فيما كان يُفترض بي مراقبة الجراح التي أحدثتها الرصاصات ريثما تلتئم. كما تورّطت في علاقة مع سيدة اسمها إيمّا وايتستون والتي لا أزال أفكر فيها كثيراً.

نتيجة لهذه الأحداث، تورّطت في علاقة أيضاً مع سيدة اسمها بيت بينروز التي كانت تعمل تحرّية في القسم الجنائي في المقاطعة على تلك القضية - تعرفت على بيت قبل أن أتعرف على كايت، أو ربما تعرّفت عليهما في وقت واحد - ولذلك لا آتي على ذكر بالم أيلاند واسم بيت بينروز كثيراً عندما أتحدث عن القضايا القديمة مع كايت.

كما أنه أثناء عملي على تلك القضية، التقيت أولاً بالسيد تيد ناش من وكالة الاستخبارات المركزية، وكان لهذا اللقاء تأثير عميق في حياتي، وفي حياته أيضاً كما تبين فيما بعد. فقد انتهت حياته قبل حياتي، ولذلك لم يعد يفكر فيّ كثيراً، بالرغم من أنني لا زلت أفكر فيه بين الحين والآخر.

في انعطاف غريب آخر للقدر، تعرّف تيد ناش على كايت قبل أن أتعرف عليها، وأنا على اعتقاد بأنه كان بينهما شيء قبل تعرّفي عليها. ولذلك، أعيش في بعض الأحيان في هذه الرؤيا الخيالية بأن ناش نجا من حادثة انهيار مركز التجارة العالمي، وأنني التقيت به مجدداً. ثم تتواصل هذه الرؤيا الخيالية على شكل مواجهة شفوية أنتصر فيها بالطبع، وتليها مواجهة بدنية - بدون سلاح - حيث ألقيه من حافة جرف، أو من ناطحة سحاب، وأحياناً أنهش رقبتة، ثم أراقبه وهو ينتفض.

سألتني كايت، “ما الذي تفكر فيه؟”

استفقت من أحلام اليقظة وأجبت “في مقدار جمال هذا العالم”.

سألتني “ما هو اسمك الذي ذكرته لي؟”

“كوني لطيفة، أنا أحاول أن أكون في مزاج جيد... لا يهم الاسم”.

“جيد. دعنا نذهب إلى فندق بي أند بي ونقضي ليلتنا معاً”.

انعطفت بالسيارة على الفور كما لو أنها باتت تسير على دولابين على الطريق المهجور وزدت من السرعة.

“خفف سرعتك”.

رفعت قدمي قليلاً عن دواسة البنزين. وكما يقول المثل القديم، “النساء بحاجة إلى سبب لقضاء أمسية رومانسية، أما الرجال فيحتاجون إلى مكان. وبناء على ذلك، انعطفت بسرعة عندما وصلت إلى لافتة تقول منتزه أورينت بيتش العمومي.

“إلى أين أنت ذاهب؟”

“إلى مكان رومانسي”.

“جون، دعنا نذهب إلى فندق بي أند...”

“هذا أقرب”.

“هيا يا جون. أنا لا أرغب في القيام بذلك في العراء”.

أنا لا أبه إلى المكان الذي أقوم فيه بذلك طالما أنني أقوم به. وقلبي يشير بوضوح إلى هذا الطريق.

واصلت السير في طريق ضيق مظلم ثم زدت السرعة عندما وصلت إلى نباتات البردي والعشب البحري في شبه جزيرة ضيقة. اتسعت الأرض، ورأيت فسحة بين النباتات في جهة اليسار فانعطفت نحو مسار ينتهي عند الماء. استخدمت الدفع الرباعي، وواصلت سيرتي في أرض تنتشر فيها برك الماء إلى أن وصلنا إلى شاطئ رملي صغير في خليج غاردينرز.

أطفأت المحرّك، ونزلنا من سيارة الدفع الرباعي، ونزعنا أحذيتنا وجواربنا، ومشينا على حافة الماء.

كان في إمكاننا رؤية ساحل بلام أيلاند الموحش شرقاً،
و غاردنرز أيلاند في الجنوب، حيث لا تزال عائلة غاردنر
تقيم منذ القرن السابع عشر، وحيث يقال إن القرصان كيد
دفن كنزها، وهو أمر ربما يكون صحيحاً، ولكن أبناء
العائلة لا يتحدثون عن الموضوع.

في مكان أبعد جنوباً ظهرت أضواء هامبتونز حيث يملك المصطافون كنزاً أعلى
من الكنوز التي يمكن لأي قرصان أن يأمل بسرقتها من خلال عمليات السلب
والنهب.

غيرت الموضوع وقلت: “هيا نسبح بالعراء”. نزعت سترتي وألقيتها على
الرمال.

لمست كايث الماء بإبهامها وقال: “إنها باردة”.

“إنها أكثر دفئاً من الهواء”. ثم نزعت قميصي وسروالي. “هيا”. تجردت من
ملابسي التحتية ونزلت إلى الماء. كان جسمي أشبه بعجينة باردة.

لاحظت كايث ذلك وقالت: “ربما كنت بحاجة إلى تبريد”. ثم دفعتني وقالت:
“هيا يا طرزان”.

حسناً، كانت تلك فكرتي، ولذلك استحضرت ما قرأته في كتيب بولار بير
الخاص بالسباحة في شهر يناير/كانون الثاني في المحيط الأطلسي في كوني
أيلاند، فأطلقت صيحة تخثر الدم، وركضت نحو المياه، ثم غصت فيها.

اعتقدت أن قلبي توقف عن الخفقان، ولكنني بقيت في الماء لأطول فترة ممكنة،
ثم رفعت رأسي وقلت لكايث: “سيكون الأمر على ما يرام حالما تنزلين إلى
الماء”.

“هذا جيد. ابق في الماء، وسأذهب إلى فندق بي أن بي. إلى اللقاء”.

صرخت “كنت أعتقد بأن عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي أقوياء. أنت جبانة”.

“وأنت غبي. اخرج من الماء قبل أن تموت من البرد”.

“حسناً، لقد تشنجت عضلاتي...” غصت في المياه، ثم أخرجت رأسي مجدداً،
وبصقت الماء وصحت “النجدة”.

“هل تمزح؟”

“النجدة”.

سمعتها تقول: “اللعة”، أو ربما قالت: “اغرق”. ثم نزعت ملابسها، وأخذت
نفساً عميقاً وركضت نحو الماء إلى أن وصل إلى مستوى خصرها، ثم غاصت في
الماء، وبدأت تسبح نحوي.

ملأت رئتيّ بالماء وطففت على ظهري، ونظرت إلى السماء الرائعة. اعتقدت بأنني رأيت كوكبة الفرس الأعظم من خلال الغيوم المتفرقة.

اقتربت كايث منّي حتى مسافة بضعة أمتار وقالت: “أيها الأخرق؟”
“عفواً؟”

“إذا كنت لا تغرق الآن، فستغرق في غضون دقيقة من الآن.”
“أنا لم أقل إنني أغرق”. ثم قلت لها عومي على ظهرك، وسأريك كوكبة الفرس الأعظم.”

“لا يمكنني أن أصدق بأنك فعلت ذلك. أنا أتجمد من البرد.”
“المياه أكثر دفئاً من..”

وضعت يدها على وجهي ودفعنتي أسفل الماء، وأبقتني تحته ولمدة طويلة. سبحت أسفل الماء، ثم صعدت إلى السطح خلفها. توجهت نحو الشاطئ مباشرة. وعندما صعدت، كانت تسبح في دائرة وهي تحاول أن تبصر في الظلام. صرخت “لقد عضضتُ للتو قرشاً أبيض.”

التفتت إليّ وتلفظت بالكثير من الكلمات غير اللطيفة. ولكنني سمعت الكلمتين “أخرق، أبله.”

قلت: “حسناً يكفي غزلاً، سأعود إلى الشاطئ، هل تتوین البقاء في الماء؟”
امتنعت عن الردّ، وتوجهت نحو الشاطئ بسرعة.

كانت تسبح بسرعة، ولكنني لحقت بها، وتسايقنا لنرى من سيصل إلى الشاطئ أولاً. أعتقد بأننا متنافسان للغاية، وهذا ما يبقي علاقتنا مثيرة جداً. كما أن أحدنا كان أحمق لم ينضج بعد، بخلاف الآخر، وبذلك صار كل واحد منا متمماً للآخر، مثل سعدان ذكر ضخّم ومدربته الأنثى.

على أية حال، أعتقد بأن كايث كانت غاضبة منّي، ولذلك تركتها تصل إلى الشاطئ قبلي. وعندما مشينا على الشاطئ، كانت تحفف بدنها بسروالي وسترتي الرياضية.

أحسست ببرد شديد بعد أن خرجت من المياه مع هبوب نسمة هواء باردة جعلت أسناني تصطك. قلت لها: “كان الأمر منعشاً.”

لم أسمع أي جواب.

حاولت اتباع مقاربة أخرى فقلت: “هاي، أنتِ سباحة فعلاً”. ثم سألتها، “هل ترغبين في قضاء أمسية رومانسية؟”

كانت تجمع ملابسها ولم يبدُ أنها سمعتني.

“كايث، مرحباً.”

التفتت إليّ وقالت: "لم يسبق أن صاحبت في حياتي رجلاً يبدو ناضجاً، ولكنه بهذه الطفولية، وهذا الغباء، وهذا الطيش، وهذا التهور، وهذا..."

أردت أن أقاطعها فقلت: "إذن، أعتقد بأن ذلك يعني أن فشل العلاقة أمر مستبعد".

"ماذا تقول، هل تمزح؟"

"حسناً، اعتقدت بأنك قلت بأن..."

"لا تتكلم معي".

"لا بأس".

هكذا، وقفنا على الشاطئ، بدون ملابس، أعني كانت تبدو جميلة جداً بالرغم من شعرها المبلل وشفتيها الزرقاوين. كانت تنظر إليّ أيضاً، وعرفت بأن الدفء عاد إليها بالرغم من درجة حرارة الهواء. التفتت إليّ وقالت: "قل أنا آسف".

قلت: "أنا آسف".

عدنا إلى سيارة الدفع الرباعي، وأدارت كايث المسخن عند أعلى درجة. غادرنا المنتزه العمومي، ثم توجهنا غرباً نحو فندق بي أند بي.

قالت كايث: "إذا أصبت بالتهاب رئوي، سيكون الذنب ذنبك".

"أنا أعرف. أنا آسف".

"اعتقدت بأن قرشاً عضني".

"أنا أعرف. كان ذلك عملاً أخرج. أنا آسف".

"وينبغي عليك ألا تدعي الغرق أبداً".

"أنا أعرف بأنه عمل لا يُغتفر. أنا آسف".

"أنت أخرج تماماً".

"أعرف ذلك".

هكذا سلطنا الطريق الموحش، ونحن نمسك بيدي بعضنا، ونستمع إلى محطة إذاعية من كونتيكيت تبث أغاني لجوني ماثيس، ونات كسنغ كول، وإيلاً فيتزجيرالد.

وصلنا إلى فندق بي أند بي، وبدا أن المفتاح الغبي لا يعمل، كدت أسقط الباب أرضاً، ولكن كايث تمكنت من فتحه، وصعدنا السلالم كمراهقين.

وفي النهاية يمكنني أن أقول أن حماماً ساخناً بعد...، أفضل من ممارسة... في الخليج البارد.

القسم 6

يوم السبت

شمال ولاية نيويورك

إن أميركا، بالتعاون مع اليهود، هي زعيمة الفساد وانحلال القيم، سواء أكان ذلك فساداً أخلاقياً، أم إيديولوجياً، أم سياسياً، أم اقتصادياً. إنها تنتشر الكراهية، والمجون بين الناس عبر وسائل الإعلام الرخيصة.

- سليمان أبو غيث

متحدث باسم أسامة بن لادن

الفصل 12

بقي أعضاء المجلس التنفيذي، وهاري مولر صامتين، فيما كان مادوكس يجمع أفكاره. ثم بدأ مادوكس حديثه فقال: "أولاً، نحن بحاجة إلى وضع إطار زمني للمشروع الأخضر. الحقائق النووية... " وأشار إلى الحقيبة التي في وسط الغرفة " ... بحاجة إلى صيانة دورية لضمان انفجارها وتحقيق أفضل النتائج المرجوة. لكن العملية معقدة جداً، لأننا مضطرون إلى التعامل مع مادة البلوتونيوم، ولكن الأخبار الجيدة هي أن لديّ عالماً فيزيائياً نووياً يقوم بهذه المهمة اسمه **ميخائيل**، وهو روسي يعمل في أميركا. لقد اتصلت به وسيأتي إلى هنا غداً. وبحلول مساء الغد، وفي حال لم نصادف أية مشكلات، سنضع الأجهزة على نار حامية".

سأل سكوت لاندساييل "هل يعرف ميخائيل أي شيء عن المشروع الأخضر؟ أو عن خطة عاصفة النار؟"

"بالطبع لا. فهو يعتقد أن هذه القنابل سوف تُزرع في مدن في الشرق الأوسط، وهو ما يبدو أمراً منطقياً بالنسبة إليه. وهذا كل شيء يحتاج إلى معرفته".

"وأين هو الآن؟"

"إنه يعيش في الساحل الشرقي، ويعمل في إحدى الجامعات الأميركية. وهذا كل ما تحتاجون إلى معرفته". وأضاف مادوكس "إنه يعرف بأن الأمر ملح". وابتسم قائلاً: "في مقابل خمسين ألف دولار ثمناً للزيارة، أعتقد بأنه سيأتي إلى هنا على جناح البرق".

سأل لاندساييل "وهل تثق بهذا الرجل؟"

"ليس تماماً. ولكنني عرضت عليه مبلغ مليون دولار في حال انفجرت القنابل النووية على أن يتم احتساب نسبة المبلغ بناء على عدد القنابل التي تتفجر والنتائج التقريبية التي تترتب على انفجارها". وأضاف، "يملك ميخائيل حافظاً قوياً".

سأل لاندساييل "وعندما تتفجر القنابل في المدن الأميركية - بدلاً من أن تتفجر في الشرق الأوسط - كيف ستكون ردّة فعل ميخائيل حيال ذلك؟"

“ليس لديّ أدنى فكرة. وهل لذلك أهمية؟”

“وماذا سيحصل لميخائيل بعد أن تنفجر القنابل؟”

قال مادوكس: “أنت تطرح الكثير من الأسئلة يا سكوت”.

“أنا شديد الحذر من الناحية الأمنية، لأنه تراودني فكرة تثير قلقي وهي أن ميخائيل قد يعتمد إلى شرب الكثير من شراب البطاطا الروسي والإفصاح لشخص ما عن أنه يعمل بدوام جزئي في صيانة قنابل نووية في نادي كاستر هيل”.

“ليس في نيّتي حصول ذلك”.

“هل هذا يعني أنك تعتني بميخائيل؟”

نظر مادوكس إلى أعضاء المجلس الثلاثة الآخرين، ثم قال للاندسايل ورفاقه: “لا تقلقوا بشأن ذلك”.

أصغى هاري مولر إلى مناقشة الحاضرين لفكرة قتل الشاهد. فإذا كان ميخائيل، الذي أحيط علماً بجزء من العملية، سيتم الإجهاز عليه، فلن يتوفر لديه، أي لهاري مولر، أدنى فرصة للنجاة، وهو الذي يعرف بأنها قريبة من الصفر على أية حال.

قال مادوكس: “من الواضح أن العملية أصبحت على المسار السريع منذ الزيارة غير المعلن عنها للتحريّ مولر، ولكنني لا أرى سبباً يمنعنا من تنفيذ المشروع الأخضر في الأيام القليلة القادمة”. نظر إلى لاندسايل وقال: “أيها السادة، في الحقيقة نحن مجبرون على المضي قدماً، ولا خيار أمامنا سوى ذلك”.

قال بول دان، مستشار الرئيس: “باين، أعتقد أن بإمكاننا إخفاء تلك القنابل النووية إلى أن يحين الوقت المناسب”.

“الوقت المناسب هو الآن يا بول. فأنا أعتقد - بناء على معلومات وصلتني مؤخراً - بأنه يوجد أشخاص داخل الحكومة بدأوا يشكون في شيء، ويتعين علينا المضي في المشروع قبل أن يأتوا إلى هنا. وبالتالي، ينبغي أن توضع هذه القنابل في أماكنها في غضون يوم أو يومين، وعلينا أن نعود إلى واشنطن وتكون قريباً من الرئيس بحيث إننا عندما نطلق المشروع الأخضر، يطلق الرئيس عاصفة

النار“. ثم وجه مادوكس سؤاله إلى دان، “ما هو جدول أعمال الرئيس ليومي الاثنين والثلاثاء؟”

نظر دان إلى ورقة أمامه وأجاب، “سيكون الرئيس في البيت الأبيض يوم الاثنين صباحاً، يوم كولومبوس، ثم يسافر إلى ديربورن بولاية ميتشيغان، ويصل إلى مطار مقاطعة أوكلاند قرابة الساعة الثالثة والنصف. فقد بات يفصلنا عن يوم الانتخابات أقل من ثلاثة أسابيع، كما تعرف، ولذلك سيلقي الرئيس خطاباً دعماً لديك بوثوماس المرشح لمنصب حاكم ولاية ميتشيغان. ثم ينتقل في موكب سيارات إلى ريتز كارلتون في ديربورن حيث سيلقي خطاباً في حفلة عشاء لدعم ثاديوس ماكوتر المرشح لعضوية الكونغرس في المقاطعة. ثم يغادر على متن الطائرة الأولى لسلاح الجو، ويتوقع وصوله إلى قاعدة رايت باترسون الجوية عند الساعة العاشرة مساءً تقريباً، ومن ثم ينتقل بواسطة الطوافة إلى البيت الأبيض، ويصل إلى ساوث لون عند الساعة العاشرة والنصف تقريباً”.

فكر مادوكس في الأمر ثم قال: “ربما يكون يوم الاثنين، يوم كولومبوس، يوماً يقرر الإرهابيون الإسلاميون فيه تفجير قنابل نووية في المدن الأميركية”.

قال بول دان: “باين، لا أعتقد بأن يوم عطلة، لجملة من الأسباب المتنوعة، يوماً جيداً... للقيام بذلك”. وشرح وجهة نظره فقال: “فمن ناحية، لا أنا ولا أيد سنكون مع الرئيس عندما يسير في الطريق يوم الاثنين، كما لن يكون سكوت في البيت الأبيض أيضاً”. ونظر إلى لاندساييل لكي يؤكد صحة ما قاله.

قال سكوت لاندساييل: “سأكون في نزهة مع رفاقي، وسأمارس لعبة الكرة اللينة يوم الاثنين”.

ضحك مادوكس وقال: “حسناً إذاً، علينا تأجيل شنّ الهجوم النووي على أميركا”. ثم توجه بحديثه إلى إدوارد وولفر وقال: “ربما سنحتاج إلى بعض المعلومات عن **الجيب** لمساعدتنا على اتخاذ هذا القرار”.

أوما وولفر برأسه موافقاً وقال: “ربما تعرفون جميعاً قليلاً من التفاصيل عن **الجيب**؛ أي خطة الإخلاء الطائرة المشتركة. كانت الخطة تستدعي أثناء الحرب الباردة نقل الرئيس ومجموعة مختارة من الضباط العسكريين والقادة السياسيين بأقصى سرعة ممكنة - بواسطة السيارات أو الطوافات - إما إلى قاعدة رايت باترسون أو إلى المطار الوطني، أيهما أقرب إلى المكان الذي يكون الرئيس

متواجداً فيه. وفي المطار المعني، تكون هناك طائرة نفاثة من طراز إي - 4 بي جاهزة للإقلاع متى تلقّت إشارة بذلك. وهذه الطائرة تسمى مركز القيادة الوطنية الطارئ المحمول جواً، نيسب، واسمها الرمزي كائنيكاب، ويشار إلى الطائرة أحياناً بطائرة يوم الحساب”.

نظر وولفر إلى الجالسين في الغرفة وقال: “سيصطحب الرئيس كرة القدم النووية معه بالطبع، وفي إمكانه شنّ هجوم انتقامي من مركز القيادة المحمول جواً”. وأضاف: “لكن طرأت بعض التعديلات على الجيب وكائنيكاب بعد 11 سبتمبر/أيلول، والتي تدخل حيّز التنفيذ عندما لا يُستخدم في الهجوم على أميركا صواريخ بالستية عابرة للقارّات. فإذا تبين أن الهجوم من عمل إرهابيين، فمن المفترض أنه لن يتوفر لنا تحذير قبل عشر أو خمس عشرة دقيقة توفره هذه الصواريخ لنا، وعندها سيكون ممكناً تفجير قنبلة نووية مخبّأة في واشنطن في أية لحظة. ولذلك سيكون الردّ مختلفاً؛ سيكون الرئيس بحاجة إلى الصعود إلى طوافة المارينز الجاثمة في حديقة البيت الأبيض بأسرع ما يمكن، حيث تنقله إلى مكان آمن بعيد عن واشنطن التي ستكون بالطبع هدفاً محتملاً للإرهابيين”.

قال مادوكس: “حسناً، نحن نعرف بأنها لن تكون واحدة من المدن على لائحة أهدافنا لأسباب واضحة تتعلق بالبقاء الوطني”. وابتسم قائلاً: “ناهيك عن أنكم ستكونون هناك جميعاً أيها السادة عند الساعة صفر. ستبدون جميعاً أبطالاً عبر مكوثكم في مكاتبكم عندما ينتشر الذعر والارتباك الذي سيلقي انفجار القنابل النووية. وستكونون بحاجة - إيد، وبول، وسكوت - إلى التأثير في الأحداث”.

قال وولفر: “في الحقيقة، سبق أن قمنا بذلك عبر الضغط من أجل إدخال هذا التعديل في الخطة جيب. فطائرة المارينز تفتقر إلى الأجهزة المتوفرة في الطائرة الأولى

لسلاح الجو أو الطائرة إي - 4 بي التي يمكن أن تتعامل مع أحجام كبيرة من الاتصالات وأنواع معينة من الرسائل المشفرة، وبالتالي ستستهلك إجراءات الإخلاء جزءاً كبيراً من الوقت الفاصل بين الهجوم والردّ عليه، ويقل احتمال تلقي الرئيس أية رسائل أو حصوله على نصيحة سيئة قد تحمله على التفكير في التدخل لوقف تنفيذ خطة عاصفة النار“. وختم وولفر كلامه بالقول: “إن الوقت الذي يمضيه الرئيس في طوافة المارينز فترة أقل من مثالية من أجل ممارسة القيادة، والسيطرة، وإجراء الاتصالات”.

رد مادوكس بالقول: “هذا وقت مثالي لنا”. ثم سأل بول دان، “إذاً، ما هو جدول أعمال الرئيس ليوم الثلاثاء؟”

أجاب دان “سيبقى الرئيس في البيت الأبيض طوال اليوم. وسيستضيف عند الساعة الثانية من بعد الظهر مؤتمراً يُعقد في البيت الأبيض يعالج موضوع ملكية الأقليات للمنازل السكنية. وسيمضي ما تبقى من النهار في المكتب البيضاوي. وسيتناول عشاءه مع أصدقاء، ومجموعة مختارة من الموظفين، والسيدة الأولى”. وأضاف دان، “ينبغي أن يعمل سكوت حتى وقت متأخر من ذلك اليوم في مكتبه الواقع في الجناح الغربي، وينبغي أن يكون إيد قريباً بقدر الإمكان من وزير الدفاع طوال اليوم، وينبغي أن يكون جيم في البنناغون ويتابع تحركات أعضاء هيئة أركان الحرب المشتركة”. وختم دان حديثه بالقول: “وسأكون على طاولة العشاء في البيت الأبيض”.

بدا أن مادوكس غرق في أفكاره، ثم قال: “حسناً، يبدو أن الثلاثاء هو أفضل يوم لإطلاق المشروع الأخضر. وهذا يوفر لنا فسحة لإنجاز ما ينبغي إنجازه”. وشرح ما عناهه بالقول: “أولاً، ينبغي أن يحضر ميخائيل إلى هنا، وربما يحتاج إلى بعض الوقت لصيانة القنابل النووية. ثانياً، عليّ أن أتأكد من أن طائرتي ستكون هنا وجاهزة للإقلاع. ثالثاً، أنا بحاجة إلى تشغيل مولدات الكهرباء التي تعمل بالديزل لإمداد هوائي التردد شديد الانخفاض بالطاقة. ثم ينبغي التحقق من جهاز الإرسال الذي يعمل على التردد شديد الانخفاض، وسأقوم بذلك بنفسي... ثم أعالج المسائل

المتعلقة باللوجستيات الخاصة بالرحلتين إلى المدن المستهدفة”.

أصغى هاري إلى مادوكس، ولكنه لم يكن واثقاً من الحديث الذي يسمعه، بالرغم من أن الآخرين كانوا على علم بما قاله.

واصل مادوكس حديثه فقال: “إذاً، لنقل أن الوقت هو في الساعات الأولى من مساء يوم الثلاثاء. أنا أعرف بأن الرئيس يخلد إلى النوم في وقت مبكر، وأنا لا أريد إيقاظه من سريره ووضعه في طائرة المارينز وهو لا يزال بالبيجاما”. ابتسم قائلاً: “ولنفترض بأنه أثناء ساعة العشاء، سيكون بول والسيدة الأولى مع الرئيس، وهو ما سيجعل عملية الإخلاء بالطائرة أسهل على الجميع. وسأقوم أنا بتحديد الوقت الدقيق لذلك، وتمريه إلى سكوت وايد اللذين سيعملان حتى ساعة متأخرة من ذلك المساء في مكثبيهما”. ونظر إلى الجنرال هاوكنز وقال: “وأنت يا جيم ستعمل حتى وقت متأخر في البنناغون”.

أوما هاوكنز برأسه موافقاً.

ختم مادوكس كلامه بالقول: “إذاً يا سادة، سيبدأ العالم الجديد مساء يوم الثلاثاء، أي بعد ثلاثة أيام وثلاث ساعات تقريباً من الآن. وستبقون جميعاً على اتصال. وأنت يا سكوت ستعمل على تهدئة الوضع بالإعلان عن أنك تمتلك معلومات أكيدة تفيد بأن المدن التي تعرّضت للهجوم النووي ستكون الوحيدة التي تعاني من هذا المصير”.

أوما لاندسايل برأسه موافقاً وقال: “سأبذل كل ما في وسعي، ولكن بات هناك العديد من الناس الذين يتقون بوكالة الاستخبارات المركزية هذه الأيام”.

“لقد حملك البيت الأبيض على الاعتقاد بوجود أسلحة دمار شامل في العراق، وأنا بالمناسبة لا أعتقد بوجودها هناك”.

ابتسم لاندسايل وأجاب، “قد تكون موجودة وقد لا تكون. وعلى أية حال، ستكون حقبة ما بعد عاصفة النار موضع النقاش، وهذا أمر جيد للجميع”.

أوما مادوكس برأسه، ونظر إلى وولفر وقال: “كيف تدخل خطة عاصفة النار حيّز التنفيذ فعلاً؟ اشرح لنا ذلك؟”

أجاب إدوارد وولفر، “بعد التبليغ عن تعرّض مدينة أميركية أو أكثر لهجوم بأسلحة الدمار الشامل، والذي سيكون في هذه الحالة بالأسلحة النووية، والتأكد من

الخبر، يبعث وزير الدفاع برسالة مشفرة إلى كولورادو سبرينغز يقول فيها ببساطة: أطلق عاصفة النار، مع عبارة تليها تفيد بمستوى الرد؛ اللائحة ألف أو اللائحة باء“. ثم نظر إلى الجالسين حول الطاولة وقال: “إذا تعرّضت واشنطن نفسها للدمار، و/أو إذا لم يتبلّغ الرئيس أية رسالة من وزير الدفاع، فسوف تبدأ خطة عاصفة النار على أية حال”.

لم يدل أحد بأي تعليق، ولذلك واصل وولفر كلامه فقال: “إن الإجراءات البروتوكولية والاحترافية شبيهة بتلك الخاصة بالخطة **مار** بالرغم من أن خطة عاصفة النار أسرع إلى التنفيذ من **مار**، وهذه من الحالات النادرة التي ينتصر فيها المنطق البديهي. وبعبارة أخرى، حالما يعرف الناس في كولورادو سبرينغز - من أي مصدر موثوق - بأن مدينة أميركية تعرّضت لهجوم نووي، يقومون بإرسال رسالة مشفرة إلى صوامع الصواريخ التي ستستخدم في الردّ في خطة عاصفة النار، وإلى مركز العمليات البحرية في نورفولك وبيرل هاربور، والذين سيتصلان بدورهما بأسطول الغواصات. وسيتم إصدار أمر قبل الإطلاق إلى صوامع الصواريخ والغواصات، لأن خطة عاصفة النار تشترط توفر فترة فاصلة مقدارها ثلاثون دقيقة بين مرحلة ما قبل إطلاق الصواريخ ولحظة إطلاقها”.

نظر وولفر إلى الجالسين حول الطاولة وقال: “وفي هذه الأثناء، سينتظر الأشخاص الذين يعملون في كولورادو سبرينغز وصول أية رسالة مشفرة من الرئيس ربما تعدّل الخطة أو تلغيها”.

قال لاندسايل: “كنت أعتقد بأنه لا يمكن للرئيس إلغاء الردّ بعاصفة النار”.

أجاب وولفر، "يمكنه ذلك، ولكن فقط في حال توفرت له دلائل كثيرة وقاطعة تفيد بأن الهجوم النووي لم ينطلق من أراضٍ إسلامية. وأمامه ثلاثون دقيقة فقط لحسم قراره. وفي حال كان على متن طوافة المارينز في طريقه إلى موقع آمن، تصبح الفرصة ضئيلة لتلقيه مثل هذه المعلومات. وكما تكلمنا سابقاً، هناك افتراض قوي مسبق بتوجيه الاتهام إلى الإرهابيين الإسلاميين، وخصوصاً بعد 11 سبتمبر/أيلول. في الواقع، ستبدو بصمات أصابع تنظيم القاعدة على هذه القنابل النووية. وفي غياب أي دليل آخر، يفيد بأن كوريا الشمالية هي من أطلق الهجوم مثلاً، أو إقدام إحدى الجماعات المحلية على إشعال عاصفة النار، مع أن ذلك بعيد الاحتمال، فستستهدف عاصفة النار أرض الإسلام. من الناحية العملية، نحن نطلق النار أولاً ثم نطرح الأسئلة بعد ذلك". وأضاف "إذا كنا مخطئين في تحديدنا لمصدر الهجوم، نكون قد حققنا هدفاً هاماً على أية حال".

قال مادوكس: "فهمت من بول أن الرئيس لن يسعى إلى إلغاء خطة عاصفة النار".

أجاب بول، "جرى إطلاع الرئيس مجدداً على المعلومات المتعلقة بعاصفة النار بعد هجمات 11 سبتمبر/أيلول مباشرة، وفي مناسبة حديثة في الذكرى السنوية الأولى لتلك الهجمات. ويبدو أنه مرتاح للخطة، ويفهم أن كل ما ينبغي عليه القيام به هو عدم القيام بشيء".

قال وولفر: "إذا لم تتلقَ كولورادو سبرينغز رسالة من الرئيس بعد ثلاثين دقيقة، فهذا الصمت يعني أمراً بشن الهجوم. ولذلك، لنقل إننا في غضون ساعة على الهجوم النووي على أميركا، نكون قد سحقتنا بردنا النووي أولئك المسؤولين عن الهجوم".

قال لاندسايل: "أمل بالأحداث ذلك، لأننا نحن المسؤولون".

لم يرَ مادوكس في ذلك أي دعابة وقال: “كلا يا سكوت، الإرهابيون الإسلاميون هم المسؤولون في النهاية عن دمار بلادنا”. وأضاف “فهم لا يزالون يعبثون معنا منذ وقت طويل، وإذا لعبت بالنار، فسَتُحرق إشعاعياً”.

عَلّق لاندسايل على ما سمع بالقول: “لنفترض أي سبب يريحك”. ثم سأل مادوكس، “ما هي العمليات اللوجستية التي ينبغي القيام بها لإيصال تلك القنابل النووية إلى أماكنها؟”

أجاب مادوكس، لديّ طائرتا سايتايشون نفائتان، وهما ليستا هنا في هذه اللحظة بكل أسف، ولكنني اتصلت بالطيارين، وستصل الطائرتان إلى مطار أديرونديك. يوم غد أو يوم الاثنين على أبعد تقدير، عندما يقول لي ميخائيل بأن القنابل باتت جاهزة، يقوم الطيارون ومساعدوهم بنقل الحقائق الأربع على متن سيارتي جيب إلى المطار وتحميلها في الطائرتين”. ثم نظر مادوكس إلى الحقيبة السوداء وقال: “إنها تسمى حقائب تقجيرية، ولكن كما ترون، إنها لا تشبه أي شيء رأيتموه من أميركان تورستر أو سامسونايت. ولذلك، قبل أن يراها عامة الناس، سنضع كل واحدة منها في حقيبة كبيرة خاصة بالملابس مع قفل مصنوع من الفولاذ الكربوني. ثم يتوجه الطيارون ومساعدوهم إلى مدينتين مختلفتين حيث يستقلون سيارات تاكسي تنقلهم إلى الفنادق المحددة - ومعهم حقائبهم - وينتظرون تلقي المزيد من التعليمات”.

سأل لاندسايل، “هل يمكنك الوثوق بهؤلاء الأشخاص؟”

أجاب مادوكس، “إنهم يعملون لديّ منذ وقت طويل، وجميعهم من العسكريين السابقين، وسينفذون الأوامر”.

“وهل سيتم إبلاغهم عن الوقت الذي ينبغي عليهم فيه مغادرة غرفهم؟”

أجاب مادوكس، “لسوء الحظ، سيكونون داخل غرفهم عندما تنفجر الحقائق. من البديهي أنهم لا يعرفون أي شيء عن محتوياتها، ولكنهم يعرفون أنها تحتوي على أشياء قيّمة، ولا يمكن أن تترك بدون حراسة”.

أصغى هاري مولر إلى كل ما جرى في المناقشة. كان قد فقد القدرة على متابعة إحصاء عدد القتلى قبل فترة، وبات يعرف الآن بأن فرص خروجه من المكان حياً قد انخفضت بضع نقاط تحت الصفر.

مدّد هاري رجليه المصفدتين، ثم وضع قدمه على السلسلة. أدرك بأنه لن يتمكن من كسرهما، ولكنّ يديه كانتا طليقتين، وعلى افتراض أنه لا يوجد رجل مسلح في الغرفة، فقد يتمكن من الخروج عنوة. نظر هاري إلى الباب خلسة، ثم إلى النوافذ التي أسدلت عليها الستائر.

لاحظ مادوكس حركات هاري وخاطبه قائلاً: “هل سببنا لك الشعور بالملل؟ هل لديك مكان تنوي الذهاب إليه؟”

قال هاري: “عليك اللعنة”.

قال بول دان: “باين، إننا لم نعد بحاجة إلى بقاءه هنا وقتاً أطول من ذلك”.

أجاب مادوكس، "أخشى أن هذا هو أفضل مكان للسيد مولر في الوقت الحالي. فنحن لا نريد أن يتحدث إلى الحراس ويزعجهم بحديث مجنون عن قنابل نووية". نظر إلى مولر ثم خاطب الآخرين "طلبت إحضار مادة مهدئة إلى هنا، فالسيد مولر بحاجة إلى البقاء نائماً حتى يوم الثلاثاء".

لم يعلّق أحد على ما قاله مادوكس باستثناء هاري الذي قال للرجال الأربعة الآخرين: "هذا المعتوه عازم على قتلي. هل تفهمون ذلك؟"

لم يجب أحد منهم أو ينظر إلى هاري باستثناء سكوت لاندسايل الذي ربت على كتف هاري وقال: "لن يصيبك أحد بمكروه".

دفع هاري يد لاندسايل بعيداً وقال: "أنتم جميعاً قتلة ملاعين".

قاطعته مادوكس قائلاً: "هاري، أنت غاضب بدون سبب. ربما أنت بحاجة إلى أخذ مسكن الآن. أو ربما ترغب في إغلاق فمك، وتسمع باقي القصة؟"

لم يجب هاري، وقال مادوكس لمجلسه التنفيذي: "كما سبق أن أشرت، سيبقى الطيارون ومساعدوهم في مراكزهم، وفي وقت معين من يوم الثلاثاء، عندما يخبرني بول بأن الرئيس والسيدة الأولى يتناولان طعام العشاء في البيت الأبيض، سأقوم بتشغيل جهاز الإرسال الذي يعمل بتردد شديد الانخفاض، وأرسل إشارة من ثلاثة أرقام تفجر الحقايب النووية الأربع. وفي هذه الأثناء، يكون الرئيس قد انتهى من تناول طبق السلطة، ووصلته الأخبار الرهيبة، لتبدأ الساعة بالعدّ مؤذنة بإطلاق عاصفة النار فيما ينتقل الرئيس والسيدة الأولى بواسطة الطوافة إلى مكان آمن". وسأل "هل جرت تسمية أي منكم لكي يتم إخلاؤه معه؟"

أجاب بول دان: "أنا، ولكن فقط في حال كنت في مكان قريب منه".

أجاب مادوكس، "حسناً، لا يمكنك أن تكون أقرب إليه أكثر من أن تكون على طاولة العشاء معه".

ابتلع الجنرال هاوكنز ريقه وقال لمادوكس: "أعرف أننا سبق أن تحدثنا عن الأمكنة التي ستوضع القنابل فيها، ولكن بما أن الوقت مناسب، أرغب في معرفة ما يجول في خاطرك بالتحديد. فقد ذكرت مدينتين، ولكن يوجد لدينا أربع قنابل نووية".

أجاب باين مادوكس، "كما ذكرت سابقاً، إنها أسلحة ذات مفعول متدنّ، وربما لا تقضي إلى النتائج التي نرجوها. ولذلك، بعد التشاور مع ميخائيل، وضعت خطة لزرع قنبلتين في كل من المدينتين. وبالتالي، في حال لم تنفجر إحدى القنبلتين، تكون هناك قنبلة أخرى نعتمد عليها. وفي حال أدى الانفجار إلى أعظم النتائج، نكون قد حصلنا على انفجار أجمل".

نظر إلى الجالسين حول الطاولة وقال: "لنفترض مثلاً أننا اخترنا سان فرانسيسكو لتكون المدينة الأولى، سوف يحجز الطيارون في فندق ومعهم إحدى الحقيبتين، فيما يحجز الطيارون المساعدون في فندق قريب ومعهم الحقيبة الثانية. والآن، لدينا مركزان للانفجار، يقع كل منهما ضمن شعاع التدمير الكامل للمركز الآخر، بحيث إنه في حال انفجرت إحدى القنبلتين، فسوف تسحق الفندق الذي توجد فيه القنبلة الثانية. ولهذا الأمر أهمية بالغة لأنه ينبغي ألا يتم العثور على قنبلة لم تنفجر، مع طيار مدهول، في غرفة في فندق يمكن أن توصل مسار التحقيق إليّ. وبعبارة أخرى، سيؤدي أحد الانفجارين إلى محو الدليل على وجود قنبلة محتملة لم تنفجر، وقتل الطيار، في المكان الآخر". وأضاف "إذا لم تنفجر القنبلتان، فسوف أتصل بالطيارين وأزودهما بتعليمات إضافية".

سأل الجنرال هاوكنز، "ما مدى إمكانية الاعتماد على هذه القنابل؟"

أجاب مادوكس، "أكد لي ميخائيل أن احتمال انفجار كل من هذه القنابل يزيد على التسعين في المئة. وفي ما يتعلق بالفعالية القصوى للانفجار، فإننا لن نتمكن من معرفة مقدارها إلا بعد حدوثه. وكما سبق أن قلت، إنها قنابل قديمة يعود تاريخ صنعها إلى العام 1977 تقريباً. وبما أنها قنابل نووية صغيرة، فهي أكثر تعقيداً من رأس حربي ذري بقوة واحد ميغاطن على سبيل المثال. ولكن ميخائيل أجرى لها عمليات الصيانة، وقال لي بأن تصميمها جيد وأن أجهزة التفجير والمحتوى من البلوتونيوم في حالة ممتازة".

قال الجنرال هاوكنز: "يعتبر ميدان الأسلحة، والأسلحة النووية بشكل خاص، أحد الميادين التي برع فيها السوفييات". وابتسم مضيفاً، "أثناء الحرب الباردة، كنّا نتندّر بالقول إنه لا داعي لأن نقلق بشأن الحقائق النووية السوفياتية لأن السوفييات لا يملكون التكنولوجيا اللازمة لصنع حقيبة".

ابتسم بعض الحاضرين، ونظر مادوكس إلى الحقيبة وقال: "لا يبدو أنها سيئة". ثم ضحك ونظر إلى الرجال الجالسين حول الطاولة وقال: "والآن، ربما كان أصعب قرار علينا اتخاذه - القرار الذي لم يسبق أن ناقشناه بالتفصيل - وأن أوان مناقشته، هو تحديد المدينتين الأميركيتين اللتين سنحتاج إلى التضحية بهما لكي تصبح أميركا والعالم خاليين من الإرهاب الإسلامي؟"

الفصل 13

ضغط باين مادوكس على زرّ من أزرار لوحة المفاتيح، فحلّت خريطة الولايات المتحدة محل خريطة العالم الإسلامي. قال مادوكس: “انسوا أنكم أميركيون، وضعوا أنفسكم في مكان الإرهابيين الإسلاميين. أنتم قادرون على تدمير مدينتين أميركيتين. فما هما هاتان المدينتان؟”

أشعل مادوكس سيجارة، وراقب دخانها وهو يتصاعد أمام الخريطة المضاءة للولايات المتحدة، ثم قال: “حسناً، سأبدأ أولاً. لو كنت إرهابياً إسلامياً، سيكون خيارى الأول نيويورك وخيارى الثانى واشنطن. ولكنى لست إرهابياً إسلامياً، وبالتالي فإن واشنطن ليست على لائحة أهدافنا. كما أن نيويورك لن تكون على لائحتنا أيضاً لأن فيها أسواق الصرف، وهي على قدر عظيم من الأهمية بالنسبة إلى الاقتصاد العالمى، إضافة إلى حقيقة أنني أعتقد بأنه يوجد لدينا جميعاً، وكذلك السيد مولر، أصدقاء وعائلات في منطقة نيويورك”.

قال لاندسايل: “ولا تنس الشقة التي في بارك أفنيو يا باين”.

أجاب مادوكس، “لديّ العديد من الأرصدة في عدة مدن يا سكوت. وهذا ليس أحد اعتباراتي. فالشيء الوحيد الذي سنفكر فيه هم أحيائنا الموجودون في المدن التي سنستهدفها. وربما سنحتاج إلى إخراج بعض الأشخاص من مدينة مستهدفة تحت ذريعة معينة. ولكننا سننغاضى عن ذلك إذا اضطررنا”.

سأل لاندسايل، “أين تقيم زوجتك السابقة؟”

أجاب مادوكس بنبرة تتمّ عن انزعاجه، “في بالم بيتش. وهي ليست هدفاً إسلامياً محتملاً لهجوم نووي”.

ابتسم لاندسايل وقال: “لو كنت أدفع نفقة زوجتك، لكنت دافعت بقوة عن استهداف المنطقة التي تقيم فيها”.

قال مادوكس: “حسناً، أعتقد بأنه ينبغي علينا استثناء كافة مدن الساحل الشرقى من لائحة الأهداف المحتملة، لأن أي انفجار نووي في أي مدينة تقع على امتداد ممر بوسطن - بالتي مور ستكون له عواقب خطيرة على الاقتصاد الوطنى، وهذا أمر ينبغي علينا أن نتجنبه. ومن ناحية أخرى، وكما قلت سابقاً، نحن بحاجة إلى أن نوجد انطباع بأنه هجوم إسلامى”.

أصغى هاري مولر إلى الرجال الخمسة فيما كانوا يتباحثون في أمر المدينتين الأميركييتين اللتين ينوون استهدافهما. في هذه المرحلة، بدو أشبه برجال أعمال يفكرون في إقفال مصنع في هذه المدينة أو تلك. وبدا الأمر أبعد ما يكون عن الحقيقة لدرجة أن هاري نفسه بدأ ينسى ما كانوا يتحدثون عنه حقيقة.

قال باين مادوكس: “أعتقد بأنه ينبغي التفكير جدّياً في ديترويت. فهذه المدينة مئة على أية حال، وتضم عدداً كبيراً من السكان المسلمين، وهي قريبة جداً من

كندا التي أصبحت أكثر ميلاً إلى السلام وشوكة اشتراكية في خاضرتنا. ويمكن أن يكون ذلك إشارة جيدة لحلفائنا الكنديين”.

أجاب إدوارد وولفر، “ربما تكون ديترويت في أعلى لائحة أهدافنا، لكن بالنظر إلى الأسباب التي سبق أن أشرت إليها يا باين، ينبغي ألا تكون في قمة أية لائحة لجماعة إسلامية إرهابية”.

“أنا أعرف ذلك، ولكنها هدف مغرٍ للغاية”.

قال لاندسايل مذكراً مادوكس: “فكّر كما لو كنت إرهابياً مسلماً. أنا أقترح ميامي التي تضم عدداً كبيراً من السكان اليهود. وبالرغم مما للمدينة من أهمية اقتصادية بالنظر إلى المرفأ الموجود فيها، ورغم أنها تعتبر مقصداً للسياح، ففي إمكاننا العيش بدونها”. وأضاف “في إمكاننا توجيه ضربة استباقية إلى بعض الناخبين المترددين قبل أن يحين موعد الانتخابات القادمة”.

ضحك البعض. ولكن بول دان قال: “توجد جالية كوبية كبيرة في ميامي وهي تدعم كثيراً... بعض سياسات الإدارة”. وأضاف “سيكونون بمثابة عون لنا عندما نتصدى للمشكلة الكوبية”.

وأما الجميع برؤوسهم تعبيراً عن موافقتهم، ثم قال الجنرال هاوكنز: “أقترح استهداف عالم ديزني. ألم تصدر تهديدات إسلامية ضدّ عالم ديزني؟” ونظر إلى الطاولة الهادئة وقال: “إنها هدف مثالي. فليس هناك صناعة، ولا قيمة اقتصادية أو عسكرية حيوية. كما أنها بعيدة عن المراكز السكانية...”.

نظر باين مادوكس إلى الجنرال هاوكنز وقال: “هل تقترح بأن نقتل ميكي ماوس؟” فضحك الجميع.

أضاف مادوكس، “ميني، غوفي، ما هي الأسماء الأخرى؟ أنت متوحش يا جيم، ناهيك عن الأطفال الموجودين هناك. إننا لسنا وحوشاً”.

لم يكن هاري مولر متأكداً تماماً من صحة ذلك. ولكن صورة هؤلاء الأشخاص لا تتطابق مع صورة الرجال المضطربين نفسياً أو اجتماعياً، أو المجانين والعنفين. بدا بالنسبة إلى هاري، إن هؤلاء أشخاص شبه طبيعيين، ومتقنون، وناجحون، ويعملون في وظائف جيدة، ولديهم عائلات، وأصدقاء، وأشخاص يجلوّنهم. وأقرب شبه لهؤلاء الأشخاص هم أفراد الجيش الجمهوري الأيرلندي. فغالبيتهم طبيعيين، ولكنهم مشبعون بالكرهية والحماسة لقضيتهم. ولهذا السبب، لم يرتكبوا أي شيء خطأ، على غرار ذلك الشخص الذي ينتمي إلى الجيش الجمهوري الأيرلندي الذي استجوبه مرّة والذي طلب طبقاً من سمك الطون كوجبة غداء لأنه كان يوم جمعة في فترة الصوم الكبير. وكان قد قتل شرطيين بدم بارد في بلفاست. إن أمثال هؤلاء الأشخاص أكثر إثارة للرعب من المجرمين الذين يتسكعون في الشوارع.

كان باين مادوكس يتحدث قائلاً: “شيكاغو في غاية الأهمية بالنسبة إلى الاقتصاد الأميركي. ولذلك، لديّ ثلاثة

مدن مرشحة وهي: لوس أنجلوس، وسان فرانسيسكو،
ولاس فيغاس. سدوم، وغومورا، و..”

قال لاندسايل على سبيل المساعدة: “بابل”.

“شكراً لك. أولاً سان فرانسيسكو. صحيح إن لها بعض الأهمية الاقتصادية، ولكن الأهم من ذلك حقيقة أن هذه المدينة تزداد فساداً، وقد أصبحت بثرة ممتلئة قيحاً في قفا أميركا. وهي مرتع يساري قذر للانحراف الجنسي، ومعاداة القيم الأميركية، والإصلاح السياسي، والنزعة الانهزامية، وسياسة التهذئة”.

قال لاندسايل: “لم لا تخبرنا عن رأيك في سان فرانسيسكو؟”

تجاهله مادوكس وسأل، “هل يمكن لأي من الحاضرين المجادلة ضدّ وضع سان فرانسيسكو على لائحة الأهداف؟”

أجاب إدوارد وولفر قائلاً: “حسناً، لدي اعتراض. فمن ناحية تعيش ابنتي هناك، بالرغم من أنه يمكنني السفر إليها في الغد بحجة زيارة مريض من أفراد العائلة. وهي أيضاً مدينة جميلة من الناحية المعمارية. وأنا أعتقد بأن سان فرانسيسكو ستكون، في أميركا الجديدة، أشبه بمختبر اجتماعي، لأنه سيكون من المشوق معرفة كيفية تفاعل المدينة مع تدمير مدينتين أميركيتين، وما سيلي ذلك من تدمير لمعظم أجزاء العالم الإسلامي”.

فكّر الجميع في الأمر، ثم قال مادوكس: “أنا لست مهتماً بالتفاعل، بل أنا مهتم أكثر بزوالها عن الوجود”.

قال بول دان: “هذا موقف أناني ومتحامل يا باين. إننا لا نناقش رأيك الشخصي في سان فرانسيسكو والتي لن تكون في أعلى قائمة أهداف المتطرفين الإسلاميين. فنحن نعلم بأنه لم تصدر أية تهديدات لتلك المدينة”.

أجاب مادوكس، “ولماذا ينبغي أن تكون هناك تهديدات؟ لو كنت إرهابياً إسلامياً، أو ماركسياً، أو أسامة بن لادن نفسه، فإن آخر مدينة في العالم يمكن أن أهدها هي مدينة سان فرانسيسكو الصديقة”.

قال وولفر: “وهذا بالضبط السبب الذي يدعونا إلى عدم اعتبارها هدفاً”.

بدا مادوكس مغتاضاً لأن بعض حججه تُستخدم ضدّه. ضرب بيده على الطاولة وقال: “ستكون سان فرانسيسكو على لائحة الأهداف النهائية”.

سأل لاندسايل، “هل تترأس الاجتماع يا باين، أم تتولّى إدارته؟”

أخذ مادوكس نفساً عميقاً وأجاب، “أنا أعتذر عن أسلوبني في الإدارة. ولكن هذه ليست لجنة حكومية، بل هي مجلس تنفيذي بحاجة إلى اتخاذ بعض القرارات السريعة الصعبة والنهائية. إن إسهاماتكم قيّمة، والأعمال التي ستقومون بها

يوم الثلاثاء لا غنى عنها من أجل نجاح تنفيذ خطة عاصفة النار. في حين أنني بحاجة إلى إجماع، فإننا بحاجة إلى الوضوح وحسّ الاتجاه أيضاً". وأضاف "وكما كتب فريدريك نيتشه، 'الشكل الأكثر شيوعاً للغباء الإنساني هو نسيان المرء ما يحاول أن يقوم به'".

قال لاندسايل: "شكراً لك. أعتقد بأننا نعرف ما نحاول أن نقوم به؛ إشعال حرب نووية من جانب واحد عبر توليد انطباع بأننا تعرّضنا لهجوم. وينبغي ألا يكون ذلك صعباً جداً". وأضاف "إذا كنت تذكر، هناك العديد من الأشخاص الذين اتهمونا بتدبير الهجوم على مركز التجارة العالمي وعلى البنّتاغون، وبالتالي في إمكاننا الثأر منهم. فقد فهموا الفكرة وإن كانوا مخطئين في ذلك الحين. أما الآن، فسيكونون محقّين. ولكننا بحاجة إلى اختيار الأهداف الصحيحة، على أمل ألاّ يعتقد أحد - في غضون الساعات الأولى على الأقل - بأننا من نفذ الهجوم بحيث نتمكن من النيل منهم. إذاً، لنكن منطقيين وأذكياء في اختيار أهدافنا". وابتسم قائلاً: "هذا ما كان سيقوله نيتشه".

تجاهل مادوكس هذه الإشارة وقال: "المدينتان التاليتان اللتان ينبغي التفكير فيهما هما لوس أنجلوس ولاس فيغاس. دعونا نبدأ بلوس أنجلوس أولاً. إنها مركز اقتصادي، ولكن المدينة من الضخامة بحيث لا أعتقد بأن انفجار قنبلتين نوويتين بقوة خمسة كيلو طن سيحدث أضراراً كبيرة أو نزوحاً سكانياً أكثر مما تحدثه إحدى هزاتها الأرضية أو أعمال الشغب الدورية فيها. ولذلك، أودّ أن أستهدف على وجه التحديد منطقة هوليوود وبيفرلي هيلز. هل يتوجب عليّ ذكر الأسباب؟"

قال الجنرال هاوكنز: "أعتقد بأننا جميعاً متفقون على هذه المدينة".

أوما مادوكس برأسه قائلاً: "ولا تتسوا أنه صدرت تهديدات محددة جداً، وصدرت بيانات عامة عن مجاهدين إسلاميين توعدوا فيها هوليوود. ويبدو أنهم ينظرون إلى المكان على أنه موطن الفساد الأخلاقي. وهذا لا ينمّ عن تفكير ليبرالي، وأنا محرج من الاعتراف بأنني أتفق معهم في الرأي".

ضحك البعض بشكل خافت.

نظر مادوكس إلى ملاحظة موضوعة على الطاولة وقال: "هناك رجل اسمه سليمان أبو الغيث، وهو متحدث رسمي باسم بن لادن قال: 'إن أميركا، بالتعاون

مع اليهود، هي زعيمة الفساد وانحلال القيم، سواء أكان ذلك فساداً أخلاقياً، أم إيديولوجياً، أم سياسياً، أم اقتصادياً. إنها تنتشر الكراهية، والمجون بين الناس عبر وسائل الإعلام الرخيصة“”. وأضاف مادوكس “هناك كلمة مفقودة في الترجمة، وأنا أعتقد بأنه كان يتحدث عن هوليوود”.

وهنا أيضاً صدرت بعض الضحكات الخافتة.

ضغط مادوكس على بعض الأزرار فظهرت خريطة لوس أنجلوس على الشاشة. قال مادوكس: “هذه منطقة عمرانية ممتدة، وإذا ركزنا على هوليوود...” وبعد أن كبر قسماً من الخريطة أضاف “وبيفرلي هيلز المجاورة. ويمكننا أن نرى بأنه بالكاد يتداخل شعاعا انفجاري القنبلتين. وهذا ما يشكل مشكلة في حال لم تنفجر إحدى القنبلتين وأمكن تعقب آثارها وصولاً إلينا. ولكنني أعتقد بأنه ينبغي علينا المجازفة لأن المكافآت عظيمة جداً”.

قال بول دان: “أعتقد بأن ذلك سيرتد علينا بطريقة أو بأخرى. باين، سيكون لدينا مركزان لانفجارين يمكن تحديدهما بأنهما فندقان، وفي وقت ما، سيحصل مكتب التحقيقات الفيدرالي على لائحة بأسماء كافة الأشخاص الذين نزلوا في الفنادق الموجود هناك. وفي النهاية، ستكشف لوائح النزلاء في الفنادق الأربعة عن أسماء طياريك، وستكشف التحقيقات المتعمقة عن مسارات رحلاتهم والمطارات التي هبطوا فيها. وأنا لا أعتقد بأن مكتب التحقيقات الفيدرالي، أو وكالة الاستخبارات المركزية، سيعتبران ذلك من قبيل المصادفة”.

فكر مادوكس للحظة، ثم نظر إلى هاري مولر وقال: “ما رأيك يا هاري؟”

“أعتقد بأنكم جميعاً فقدتم عقولكم اللعينة”.

“نحن نعرف ذلك. ولكنني أبحث عن رأي شخص محترف”. وأضاف، “أرجوك”.

تردد هاري ثم قال: “لو كنت أعمل على هذه القضية، لما كنت سأحتاج إلى أكثر من أسبوع واحد لكي أجمع تفاصيل الحادثة بأجمعها. فأنت تبدأ من مسرح الجريمة؛ أي الفندق اللذين تم تحديدهما على أنهما مركزا الانفجارين، ثم تنتقل إلى لائحة النزلاء التي يتم الاحتفاظ بها في حاسوب احتياطي موجود في مكان آخر، ثم تبدأ بتحليل تلك اللوائح إلى أن تصل إلى رابط معين”.

سأله مادوكس “هل سيختلف الأمر لو حجز الطيارون بأسماء مزيفة واستخدموا بطاقات اعتماد مزورة؟”

“أجل ولكن...”

“حسناً، هذه هي الخطة إذاً يا هاري، هذه هي الخطة يا بول. أنا لست بهذا الغباء”.

رفع هاري من سقف التحدي وقال: “هل من المصادفة أن لديك طائرتين هبطتا في مدينتين وقعت فيهما انفجارات نووية، وأنت فقدت طياريك الأربعة بعد تلك الانفجارات؟”

أجاب مادوكس، “هل تعرف عدد المصادفات التي توفرت في مبنيي مركز التجارة العالمي؟ المخاطرة إن وجدت هي في احتمال تعقب مجرى الأحداث وصولاً إلينا. لكن مع مقتل مليون شخص، يصبح الأمر مقبولاً وغير ذي أهمية. هل تعرف؟ إذا جاء عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي وقرعوا بابي، فعلى الأرجح أنهم سيقدّمون لي التهاني”.

لم يكن هاري يفكر على هذا النحو، ولكن لم يعلّق على ذلك.

أضاف مادوكس، “وفي حال استنتج مكتب التحقيقات الفيدرالي، أو أي شخص في الحكومة، بأن لنادي كاستر هيل علاقة بهذه الهجمات التي استهدفت أميركا والتي أدّت إلى إطلاق عاصفة النار، هل تعتقد بأنهم سينشرون ذلك الخبر في العالم؟ ماذا سيقولون؟ ‘إننا آسفون، لقد ارتكبنا خطأ بسيطاً’. ويلي ذلك بالطبع تعبير عن الأسف على مقتل منّي مليون مسلم، واعتذار صادق إلى الناجين المصعوقين، مع وعد بالأ يحدث ذلك ثانية”.

بدا الكلام منطقياً في نظر الجميع، وقال مادوكس: “دعونا نكمل مناقشتنا. لقد أجريت بعض الأبحاث المتعلقة باستهداف لوس أنجلوس، وقرّرت بأن أفضل فندقين يمكن أن يحجز فيهما الطيارون ومساعدوهم هما بيفرلي ويلشير في بيفرلي هيلز، وفندق هوليوود روزفلت”. وأضاف: “سأحجز غرفة لهم في كل من الفندقين باستخدام بطاقات اعتماد مزيفة، مع الطلب بأن تكون الغرفة في الطابق العلوي، وهو ما سيوفر مطلقاً أفضل، علماً بأنه سيكون أفضل ارتفاع للتفجير. كما أنه كلما ارتفعت أكثر، كلما قل احتمال تمكّن فريق نست المتجوّل من النقاط أية آثار لأشعة غاما أو النيوترونات”. ثم نظر إلى هاري وسأله، “هل هذا صحيح؟”

أجاب هاري “أجل، لا تقلق بشأن ذلك يا باين. ففرق نست عديمة النفع على أية حال. هل تذكر؟”

ضحك لاندسايل من بين كافة الموجودين.

بدا أن مادوكس كان على وشك قول شيء لا يسرّ هاري، ولكنه تابع حديثه وقال: “إذا كانت حساباتي صحيحة، وإذا أطلقت القنابل النووية أقصى قدر ممكن من الطاقة، ينبغي أن تتداخل حلقات التدمير. والدمار الكلي أو الجزئي الذي سيلحق بيفرلي هيلز سيخلصنا من عدد من النجوم السينمائيين غير الموهوبين، ومدراء استديوهات التصوير الذين يتقاضون أجوراً مرتفعة، وغيرهم من الأغنياء الذين يفتنون سيارات الليموزين”. ثم سأل بطريقة منمقة، “ما رأيكم في ذلك؟”

علّق لاندسايل بالقول: “أمل ألا تكون ديمي مور يومها في المنطقة”.

ردّ مادوكس، “سأعطيك خريطة لنجوم هوليوود يا سكوت. حسناً، إن منطقة الدمار الثانية تشمل العديد من المنشآت الخاصة بصناعة الأفلام، بما في ذلك استوديوهات بارماونت، واستوديوهات وارنر، إضافة إلى استوديو المحطة التلفزيونية أي بي سي. وكمكافأة إضافية، توجد مقرّات سكرين أكتورز غيلد ضمن المنطقة المستهدفة”. وقال: “أعتقد أننا سنشاهد أشرطة الدي في دي القديمة والأفلام السينمائية المعادة لفترة من الوقت”.

ابتسم عدد من الحاضرين بأدب.

قال بول دان: “تعدّ سان فرانسيسكو واحدة من أكثر المدن أهمية في البلاد إذ إن عدد سكانها يزيد على خمسة عشر مليون نسمة. وفي حال فجّرت قنبلتين نوويتين لتدمير هوليوود وبيفرلي هيلز، فقد يحدث ذلك فوضى وحالة ذعر في المدينة. ويمكن أن يعمد الملايين من الناس إلى الفرار، وستكون النتيجة كارثية”.

أجاب مادوكس، “يا بول، أنت تضع مسحة تشاؤمية على كل شيء. كن إيجابياً. فكّر في حل مشكلة الغرباء غير المسجلة أسماؤهم”. وأضاف، “جميعهم يعرف الطريق المؤدية إلى المكسيك”.

أجاب دان، “هذه إشارة عرقية”.

أبدى مادوكس إشارة تنمّ عن ندم ساخر وقال: “أنا آسف جداً. أنا أتفهم وجهة نظرك. في الواقع أنا أملك مخزوناً نفطياً ضخماً ومنشآت لتكرير النفط في جنوب لوس أنجلوس. ولكنني متفائل من أن الأمور ستعود إلى طبيعتها في غضون عام. والأهم من ذلك أن الإسلاميين يريدون فعلاً تدمير هوليوود. ولذلك فإن هذا الهدف على لائحة أهم المدن المستهدفة”.

أوما الجميع برووسهم.

واصل مادوكس حديثه فقال: “أخيراً وليس آخراً، لاس فيغاس”. ثم ضغط على بضعة أزرار فظهر مشهد جوي للاس فيغاس التّقط ليلاً على الشاشة. قال مادوكس: “بالنسبة لي، إنها هدف مثالي، فهي وكر لانعدام المساواة

يعجّ بالمخدرات، وأرض خالية من الأخلاق، ويسكنها
فنانون غشاشون، ورجال ملحدون، ونساء خليعات...”

قاطعها لاندسايل، “توقف. فبعضنا يهوى النساء الخليعات”.

أجاب مادوكس، “أنا أقدم لكم وجهة النظر الإسلامية”. وأضاف “هذه بلدة تضم
صناعة واحدة، ومع أنه يُعرف عني أنني أقامر في الكازينوهات، ففي مقدوري أن
أجد مكاناً آخر أهدر فيه مالي. وعلى أية حال، أنا لا أرى ضيراً في تسوية هذه
البقعة بالأرض. فهي بعيدة جداً عن المراكز السكانية، وهي في أعلى قائمة الأماكن
المستهدفة من قبل الإسلاميين، ولذلك ينبغي أن تكون في قمة لائحة أهدافنا”.

أوما الرجال الأربعة برؤوسهم موافقين.

أزاح مادوكس المشهد نحو مدينة لاس فيغاس، تلك
الواحة ذات الأضواء المتلألئة والمحاطة بالصحراء
المظلمة والتلال السوداء. قال: “في الواقع، ربما يكون
هناك جانب اقتصادي إيجابي في هذا المكان. فالمدينة آخذة
بالنمو بسرعة، وهي تستهلك الكثير من الكهرباء وكميات
أكبر من المياه النادرة”.

لم ينطق أحد بكلمة واحدة.

واصل مادوكس حديثه قائلاً: “ما أقترحه عليكم هو وضع حقيبة متفجرة في فندق
شاهق على امتداد الشريط - ربما يكون هذا الفندق سيزارز بالاس الذي يقع في
وسط الشريط - ووضع حقيبة أخرى في وسط المدينة. وينبغي أن ينتج عن ذلك
دمار كافة الكازينوهات، من غير أن تصاب الضواحي المحيطة بأذى”. وأضاف،
“من المصادفة أن هذه الضواحي يسكنها ناخبون جمهوريون بكثافة”. ابتسم،
وضغط على مفتاح فانطقات الشاشة.

أضينت أنوار الغرفة، وقال مادوكس: “إذا، أعتقد بأن لدينا ثلاث مدن مرشحة،
ويجب اختيار موقعين. هل نبدأ بالتصويت؟”

قال بول دان: “أعتقد بأنه سيكون من الصعب علينا... اختيار مدينتين ستعانيان
من دمار نووي. أعني، لقد اخترنا ثلاث مدن، ولكن ربما يكون من الأسهل علينا
الاقتراع من أجل المدينتين المعنيتين”.

نظر مادوكس إلى كل رجل في الغرفة، فأوماوا جميعاً برؤوسهم. قام بتقطيع
إحدى أوراقه الصفراء إلى ثلاثة أجزاء وكتب اسم كل مدينة على كل منها، ثم
أخفى الأسماء بحيث لا يمكن أن يراها أحد، وقال: “إذا، أنتم لا تعتقدون أنني كتبت
اسم سان فرانسيسكو مرتين”. وابتسم وطوى الأوراق على شكل أرباع، ووضعها

في كوب قهوة فارغ. ثم وضع الكوب في وسط الغرفة وقال: "هاري، اختر سدوم وغوموراه".

أجاب هاري مولر، "أذهب إلى الجحيم".

"إذاً، دعنا نقوم بالعملية بالطريقة الأخرى؛ اختر المدينة التي لن تُضرب بالقنابل النووية".

"كُلُّ بعض القاذورات".

بدا لاندسايل عديم الصبر، وسحب ورقتين ثم أحرقهما بواسطة ولاعة السجائر، وألقى بهما في منفضته. حدّق الجميع بالمنفضة. وبعد ذلك قال لاندسايل: "هاتان الورقتان تمثلان المدينتين الخاسرتين في اليانصيب النووي الوطني". ثم سحب الورقة المطوية الأخيرة من الكوب وقال: "المدينة التي ستجو من الدمار النووي هي.."

قال مادوكس: "لا تنتظر إليها. ضعها في جيبك وأرنا إيّاها لاحقاً. فأنا لا أريد من أحد أن يشعر بخيبة أمل، أو ارتباك، أو شرود خلال هذا الاجتماع".

دسّ لاندسايل الورقة التي تحمل اسم المدينة التي ستجو في جيبه وقال لهاري: "والآن، أنت لا تريد أن تعرف اسمها إلى أن ينتهي كل شيء".

لم يعتقد هاري البتّة بأنه سوف يعرف اسمها.

الفصل 14

أصغى هاري مولر إلى الرجال الخمسة فيما كانوا يبحثون في التفاصيل النهائية للمشروع الأخضر وعاصفة النار.

في مرحلة ما، وفي أعماق قلبه، وافق هاري على أن انفجار 122 رأساً حريبياً نووياً في الصحراء قد لا يكون أمراً سيئاً. لكن ما أقلقته كان القنابل النووية الأربع التي ستزرع في أميركا، وبدا أنها أزعجت وولفر، وهاوكنز، ودان، ولاندايل أيضاً. ولكنهم كانوا يتعاملون مع الوضع. سمع مادوكس وهو يقول: "لو كان في مقدوري اختيار الوقت، لكنت أحببت ضرب لوس أنجلوس أثناء حفلة أكاديمي ريواردس".

في الواقع، اعتقد هاري بأن مادوكس يتعامل مع الوضع بشكل جيد جداً.

عاد الجنرال هاوكنز إلى الموضع المفرح الخاص بعاصفة النار وقال بشوق: "من قبيل المصادفة أنه وقت احتفال أكاديمي ريواردس، ستكون البحيرة الضخمة خلف السدّ العالي في أسوان قد وصلت إلى أعلى مستوى لها".

أوما مادوكس برأسه وقال: "حسناً، بفضل السيد مولر، لن نكون بحاجة إلى اختيار الوقت المناسب". ونظر إلى هاري وقال: "بالرغم من أن النجوم، والقمر، والكواكب لن تكون في مواضعها يوم الثلاثاء، فأنا أعتقد بأن وصول السيد مولر إلى هنا كان إشارة بأننا بحاجة إلى الشروع في العملية". وعاد إلى الموضوع وقال: "نحن لسنا بحاجة إلى أن تكون الأمور مثالية لكي نطلق مئات الرؤوس النووية، فهذه الرؤوس ستوجد بنفسها عالمها المثالي الخاص".

نظر سكوت لاندايل إلى مادوكس وسأل، "باين، قبل أن تصبح غنياً وذا نفوذ، هل سبق أن استخدم أحد كلمة مجنون في جملة واحدة يرد فيها اسمك؟"

ملاً مادوكس كوبه بالماء ونظر إلى لاندايل. وأخيراً قال: "في بعض الأحيان، أجد نفسي خارجاً عن السيطرة عندما يُثار موضوع عاصفة النار". وأضاف، "إذا نظرنا إلى تاريخ البشرية، من النادر أن نجد لمشكلة عويصة حلاً بسيطاً. ويصبح الأمر أكثر ندرة عندما يضع القدر ذلك

الحل في رؤوس وأيدي حفنة من الرجال الطيبين. وهذا أمر يثيرني”.

لم يجب أحد حتى سكوت لاندسايل.

قال مادوكس: “هناك بعض التفاصيل العملية الأخرى. أولاً، ينبغي عليكم جميعاً أن تخططوا للمغادرة يوم غد. وسيغادر من تبقى من أعضاء النادي يوم الاثنين، كما هو مقرّر. وقد رتبت أمر وسيلة النقل التي ستقلنا لحضور القدّاس في الكنيسة يوم الاثنين”.

قال هاري: “أرغب في الذهاب إلى الكنيسة”.

نظر إليه مادوكس وقال: “ستنام حتى ساعة متأخرة. وهذا ينسجم مع القول إن أحداً من الموجودين لن يناقش جدول أعمال هذه الجلسة التنفيذية المغلقة للمجلس مع أي عضو آخر. عليكم أن تتصرفوا بطريقة طبيعية، وتمارسوا أعمالكم كالمعتاد. وكما تعرفون، ستيف دايفيز يعيش في سان فرانسيسكو، وجاك هارلو ووالث بوير يعيشان في منطقة لاس فيغاس. لا تنظروا إلى أي منهم كما لو كان على وشك أن يموت”. وأضاف، “في الحقيقة، نحن لم نعرف بعد المدينتين اللتين تم اختيارهما، وهو ما سيساعدكم في ذلك”.

لم يقل أي من الحاضرين شيئاً.

قال مادوكس: “إذا كانت قدرتكم على التمثيل لا ترقى إلى هذا المستوى، قولوا إنكم تتحدثون عن الحرب الوشيكة على العراق، وهي تسبب لكم القلق بالطبع. وأرجو ألا تتناولوا الكثير من المشروبات الكحولية. هل اتفقنا؟”

أوماً الجميع برؤوسهم.

واصل مادوكس حديثه قائلاً: “وفي ما يتعلق بوسائل الاتصال، نحن جميعاً نملك هواتف خلوية لا يمكن تعقبها، على غرار الأجهزة التي يحملها تجار المخدرات، وسنقتصر على استخدام تلك الهواتف فقط. وكما تعرفون، لديّ برج ترحيل خلوي خاص بي وجهاز لتشويش

الصوت. ولكنني سأتصل فقط عندما أكون بحاجة إلى معرفة شيء منكم". وأضاف "جلّ ما أنا بحاجة إلى معرفته يتعلق **بالمشروع الأخضر**، وأنا أستطيع متابعة كافة المحطات التي تذيع الأخبار على مدار الساعة". فكَرّ للحظة ثم قال: "في لحظة معينة من ساعة تناول الرئيس عشائه، ستصبح كل محطة إذاعية وتلفزيونية في أميركا - باستثناء تلك الموجودة في المدينتين - محطة تذيع الأخبار على مدار الساعة".

لم يقل أحد شيئاً، وواصل مادوكس حديثه قائلاً: "وبعد ذلك بحوالى الساعة، أتوقع سماع خبر هام عن الردّ الأميركي النووي على الهجمات النووية على أميركا. هل هذا صحيح يا بول؟ أيد؟"

أجاب إيد وولفر: "أجل، سيتم الإعلان عن **عاصفة النار** للأمة والعالم بأسره. فلا يوجد سبب لإبقاء الخطة سرّاً لأنه سيكون من الصعب إبقاء أمر إطلاق عدد ضخم من الصواريخ ووقوع مئة واثنين وعشرين انفجاراً نووياً سرّاً لفترة طويلة جداً". وأضاف، "في لحظة معينة من ذلك المساء، سيلقي الرئيس خطاباً في الأمة من مكانه الآمن، ويكشف عن وجود خطة **عاصفة النار**. ونأمل بأن يكون لذلك تأثير مهدّئ في البلاد. وفي حال لم يحقق ذلك، سيكون جيداً في رفع المعنويات الوطنية".

قال باين مادوكس: "حسناً، سيكون جيداً من أجل معنوياتي". وأضاف، "لقد شعر الجميع بالإحباط بعد 11 من سبتمبر/أيلول عندما لم نردّ على تلك الهجمات على الفور. ولكن هذه المرّة، لن يكون في مقدور الأميركيين اتهام حكومتهم بأنها تلتزم الحذر الزائد".

أجاب الجنرال هاوكنز، "هذا صحيح، ولكن هذه المرّة، سننلقى الكثير من النقد اللاذع على مبالغتنا في الردّ".

أجاب مادوكس، "هذه المرّة يا جيم، سيلوذ العالم ووسائل الإعلام بصمت مطبق. ولن نسمع حساً".

وأما أعضاء المجلس برؤوسهم، وكذلك فعل هاري.

قال مادوكس: “لا بدّ وأنها ستكون أمسية مثيرة. سأبقى هنا لإرسال الإشارة ذات التردد شديد الانخفاض والتي ستفجر القنابل”. ومرة أخرى، مشى نحو الحقيبة على الأرضية ووضع يده على الجلد الأسود. ونظر إلى كل رجل وقال: “سأضغط يا سادة على الزرّ النووي وهو ما سيدمرّ مدينتين أميركيتين بواسطة أربع قنابل نووية. وعندما أقوم بذلك، سأسأل الله المغفرة. وسترون أن عاصفة النار قد أطلقت كردّ انتقامي”.

سأله الجنرال هاوكنز، “إلى متى ستبقى هنا بعد يوم الثلاثاء يا باين؟”
عاد مادوكس إلى مقعده وأجاب “لا أدري. لماذا؟”

“حسناً، أنا أفهم بأنه سيكون هناك الكثير من الذعر في أميركا بعد انفجار القنابل النووية في المدينتين. وسيعتقد الناس بأنه إذا كان في حوزة العدو القليل من الأسلحة النووية، فقد يستخدم المزيد منها. وسيبدأ الناس بإخلاء المدن وهو ما سيحدث حالة من الفوضى، وبعض الإصابات وحالات الوفاة بكل أسف. وأفراد عائلتنا وأصدقائنا عرضة لبعض الخطر... ولا يمكنني ولا أريد الاتصال بالأشخاص الذين أعرفهم في كافة أنحاء أميركا لأطلب إليهم لزوم أماكنهم والمحافظة على هدوئهم. وكل ما يمكننا فعله هو الأمل بأن الضربة الثأرية - محو الإسلام - ستهدئ من روع الناس. لكن في هذه الأثناء...”

“جيم، ماذا الذي تتوي قوله؟”

“حسناً، الآن وبعد أن أزفت الساعة، أنا أفكر في... أعتقد بأننا جميعاً نفكر في حقيقة ما سيحدث”.

أجاب مادوكس، “أعرف أن الأمر يشكل مفاجأة يا جيم، ولكن هذا من نوع الأعمال التي احتجت إلى التفكير فيها بعد 11 سبتمبر/أيلول عندما بدأ التخطيط للمشروع الأخضر”.

“أجل، أعرف. ولكنني أفكر الآن في أمر بقائك هنا فيما نحن الأربعة في واشنطن، وأصدقائنا وعائلتنا موزعة في كافة أرجاء البلاد التي ستكون في حالة فوضى. أين ستكون عائلتك؟”

“في أي مكان يكونون فيه. وأنا لن أجري أية اتصالات”. وأضاف، “فأولادي لا يردون على مكالماتي على أية حال”.

“إنه قرارك. ولكنني أعتقد بأنك بحاجة إلى العودة إلى نيويورك في أسرع وقت ممكن بعد التفجيرات”.

“لماذا؟”

أجاب هاوكنز، “لمشاركتهم محنتهم يا باين”.

“حسناً، سأبذل كل ما في وسعي للذهاب إلى نيويورك بأسرع ما يمكن. ولكنني بحاجة إلى تدمير جهاز الإرسال ذي التردد شديد الانخفاض والتخلص منه، تحسباً لاحتمال مجيء أحد إلى المكان ومعه مذكرة تفتيش. هذه هي وظيفتي. ووظيفتك أيها السادة هي البقاء في واشنطن - أو في المكان الآمن المحدد - بغرض التأثير في الأحداث. هل أنتم موافقون؟”

أوما الجميع برؤوسهم.

نظر هاري مجدداً إلى الرجال الجالسين حول الطاولة. بدا أن الحقيقة تتكشف. ومرة أخرى، تذكر المجموعات الراديكالية التي استجوبها في السنوات الماضية. كانوا يتفوهون بكل شيء، لأن غالبيتهم لم تشأ، في أعماق نفسها، تعريض حياتها للخطر بزرع قنبلة، أو إطلاق النار على شرطي، أو سرقة أحد المصارف، أو خطف أي كان. وبين الحين والآخر - عندما يكون المسؤول عنهم واحد من أمثال باين مادوكس - تتحول بعض تفاهاتهم إلى حقيقة. وفي نصف تلك الحالات، يقدم أحد الأفراد في تلك المجموعات على إخبار رجال الشرطة بالخطة، أو تسليم نفسه بعد ارتكاب الجريمة من أجل التوصل إلى اتفاق.

نظر هاري إلى وجوه الحاضرين. ربما يعود أحد هؤلاء إلى رشده، بعد اقتراب موعد التنفيذ، قبل يوم الثلاثاء. فمستشار الرئيس، دان، بدا قلقاً بعض الشيء، وربما يقوم بالوشاية. والجنرال كان متقلّباً بعض الشيء أيضاً، ولكن هاري يعرف هذا النوع من الرجال؛ سيمضي في هذا الأمر، وربما ينسف دماغه بعد ذلك. أما وولفر، من وزارة الدفاع، فقد بدا ملتزماً بالبرنامج، ولم يكن ليتردد.

لكن ماذا عن لاندساييل. اعتقد هاري بأن تيد ناش الضابط في وكالة الاستخبارات المركزية، وخصم كوري، قد توفي الآن. وكان كوري قد قال مرة عن ناش: “أفضل ما يمكنك قوله عن ضابط في وكالة الاستخبارات المركزية هو أنه يكذب على الجميع بالتساوي”. لو أن لاندساييل وافق على كل شيء، لكان هاري سيشتك في أنه عميل مزدوج. ولكنه أزعج مادوكس كثيراً، وهذا يعني أنه مخلص للبرنامج على الأرجح، حتى وإن لم يكن مخلصاً لمادوكس. اعتقد هاري بأن مادوكس على علم بذلك، ولكن لا بدّ وأنه كان يثق بلاندساييل، وإلا لما كان هذا الرجل هنا. في الواقع، كان في مقدور هاري الإحساس بأن لاندساييل يتعامل مع مادوكس بحزم أكثر من باقي الحاضرين.

ثم جاء دور مادوكس نفسه. كان من النوع الذي يملك كل شيء، لكن ثمة أمر كان يدفعه للمخاطرة بكل شيء. لم يكن لهذا الأمر علاقة بالنفط، أو المال، أو السلطة، بل كان متعلقاً بالكرهية، كما هو الحال مع هؤلاء الرجال، وكما هو الحال مع بن لادن، وهتلر، وستالين، وكافة الأشخاص الذين استجوبهم هاري واعتقلهم

منذ أن انضم إلى وحدة محاربة الإرهاب. كما كان للأمر علاقة بشيء من الجنون أيضاً، وهو الذي يؤدي إلى الكراهية. أم هل الأمر كما هو من منظورهم؟

نظر مادوكس إلى هاري كما لو أنه عرف بالأفكار القاسية التي تراود هاري تجاهه وقال: "هل ترغب في قول شيء، عدا عليك اللعنة؟"

"أجل، بوصفي ضابطاً فيدرالياً يعمل على تطبيق القانون، أريد أن أذكر كل واحد منكم بأن التآمر على ارتكاب الجريمة جريمة..."

غير أن مادوكس قاطعه وقال: "نحن نتحدث عن حرب أيها التحري مولر، لا عن جريمة. فالجنرالات يضحون بجنودهم أحياناً - وحتى بالمدينين - لكي يعيش الجنود الآخرون ويقاقلوا مجدداً".

"كلام فارغ".

لوح مادوكس بيده تعبيراً عن الرفض وعاد إلى التركيز على أعضاء مجلسه التنفيذي وقال: "أيها السادة، في 11 سبتمبر/أيلول 2001، نفذت تسعة عشر مختطفاً إسلامياً خطتهم بدون أن يكون لديهم أي سبب وجيه لإلحاق الأذى بنا، وهم ليسوا بمنزلتكم أيها الرجال الجالسون حول هذه الطاولة. لم يتخلف منهم أحد، أو يبلغ عن الآخرين، ومضوا بإرادتهم إلى حتفهم. أنا لا أسأل أياً منكم أن يضحى بحياته، وجل ما أسأله هو ألا تكون أذيتنا لأعدائنا أقل شدة من أذيتهم لنا". وختم كلامه قائلاً: "إذا كان في مقدورنا القيام بذلك، فإنه يتعين علينا القيام بذلك".

أوما القليل من الحاضرين برؤوسهم.

قال مادوكس: "أرغب من كل واحد منكم في هذه المرة قول 'موافق' أو 'غير موافق' على المشروع الأخضر". ونظر إلى مساعد وزير الدفاع وقال: "أيد؟"

وقف إيد وولفر وقال: "يا سادة، إن ما نوشك أن نقدم عليه يتطلب شجاعة وعزيمة، ونحن لا نعاني من نقص فيهما هنا. إنني أعتقد أن كل واحد منا يعرف من صميم قلبه أن ما نقوم به ضروري وصواب". وأضاف، "هذا ليس وقتاً للتفكير في أنفسنا وفي المخاطر الشخصية التي نتحملها. إنه وقت العمل من أجل بلادنا؛ كما يفعل رجالنا ونساؤنا الذين يخدمون في القوات العسكرية كل يوم". وختم قائلاً: "أنا أصوت لصالح تنفيذ المشروع الأخضر".

ثم وقف الجنرال هاوكنز قائلاً: “بوصفي رجلاً عسكرياً، أقسمت على المحافظة على الدستور والدفاع عنه، كما فعلتم أنتم. كما أقسمت على إطاعة القائد العام للقوات المسلحة. وأنا أتعامل مع هذين القسمين بجدية، وقررت بعد كثير من التفكير بأنه يمكنني التصويت، وأنا بكامل وعيي، لصالح المضي قدماً في المشروع الأخضر”.

ثم وقف بول دان وقال: “كنت أتمنى لو لم يُفرض ذلك علينا مع هذا الوقت الضئيل لتحسين خطتنا، ولكن يتعين علينا الرد على من يعتدي علينا. وأنا أصوت لصالح المضي في المشروع”.

بقي سكوت لاندسايل في مقعده وقال: “لدي إحساس قوي بأن هذه هي الفرصة الوحيدة التي سنحصل عليها. فهاري مولر لم يُرسل إلى هنا من أجل مراقبة الطيور. وأفضل دفاع لنا في مواجهة مزيد من الاهتمام الحكومي بنشاطاتنا - واحتمال توجيه تهمة بالتآمر إلينا - هو في تبني موقف الهجوم. وفي حال لم نستخدم الأسلحة النووية، فسنخسر الحرب النووية”. وتابع قائلاً: “أنا أصوت لصالح الموافقة على المشروع”.

وقف باين مادوكس، وحدّق بصمت في الجدار البعيد، واستغرق في تفكير عميق. ثم نظر إلى مجلسه وقال: “أشكركم على شجاعتكم وإخلاصكم. بالطبع، أنتم جميعاً جنود في خدمة الحضارة”.

قال هاري: “الجنود الطيبون لا يقتلون المدنيين. هل قتلتم مدنيين في فييتنام؟ لهذا السبب مُنحت ميدالية النجمة الفضية؟”

نظر مادوكس إلى هاري وقال: “يا سادة، نحن الرجال المجتمعون هنا بعددنا القليل بمثابة الجيش الصغير الذي يمكن بل سيهزم انتشار الأصولية والإرهاب الإسلامي. نحن المجموعة الأخيرة من سلسلة طويلة من النساء والرجال المسيحيين الطيبين الذين دافعوا عن الإيمان وعن الحضارة الغربية في وجه الإسلام. أرجو منكم الجلوس”.

نظر الرجال الأربعة إلى بعضهم خلسة، ولكن أحداً منهم لم يعلّق على خطاب مادوكس.

ارتشف باين مادوكس القليل من الماء، كان هاري يشنّبهُ بأن ما يشربه مادوكس هو شراب البطاطا الروسي الذي يبعث على الدفاء.

ختم مادوكس حديثه قائلاً: “حسناً، لقد قلت ما لديّ. والآن، أطلب إليكم أن تحنوا رؤوسكم للصلاة بصمت وتسالوا الله أن يمنحكم القوة، والتوجيه، والقليل من الغفران”. وقال: “وأنت يا هاري، صل معنا”.

حنى باين مادوكس رأسه بصمت، ثم فعل الآخرون فعلته بعد تردد.

صلى هاري مولر لكي يعود أحد هؤلاء إلى رشده، أو يفقد رباطة جأشه، أو لكي يتلقّى رسالة قدسية أفضل من تلك التي يتلقّاها مادوكس.

بعد دقيقة، قال مادوكس: “أمين”، ثم قال: “تبدأ حفلة الكوكتيل في البار، وأرجو أن ترتدوا ملابس عادية. يمكن لمن يشاء أن يلعب البوكر. لدينا لوحة تهديف جديدة عليها صورة صدام حسين. وسيتم تقديم العشاء عند الساعة السابعة، أرجو أن ترتدوا ملابس رسمية. استخدموا المدفأة للتخلص من أوراقكم قبل الخروج. لقد انتهى اجتماع المجلس التنفيذي. أشكر حضوركم”.

جمع الرجال الأربعة أغراضهم وغادروا الغرفة بهدوء.

بقي كل من باين مادوكس وهاري مولر جالسين إلى الطاولة، وكان كل منهما يحدق في وجه صاحبه. قال مادوكس: “لم يبق أحد سوانا يا هاري”.

بدأ هاري مولر بتقييم الوضع. وجد أن أفضل فرصة أمامه هي في ضربه وإفقاذه وعيه، ثم الهروب من النافذة. لكن إذا كان في مقدوره التحدث إلى الأحمقين اللذين يقفان في الخارج، وإخبارهما بما كان يجري في الغرفة، سيكون ذلك حلاً أفضل من محاولة الهرب.

سأله مادوكس، “ما الذي تفكر فيه؟”

“أعتقد بأنني معجب بخططكم”.

“هذا كلام فارغ. قل لي، كيف كان أدائي؟”

“لا بأس”.

“لا بأس وحسب؟”

اعتقد هاري أن في إمكانه الانقراض على مادوكس في أقل من ثلاث ثوان حتى وهو مقيد بالأغلال.

قال مادوكس: “يزعجني أنك لا تفهم ما نريد. هل ترغب في استمرار هذه الحرب اللعينة على الإرهاب إلى أن يشيخ أحفادك؟”

“انظر يا رفيقي، ينبغي علينا أن نتحمل إصاباتنا، والنار لها. وهم لن يقدموا على ضربنا بالأسلحة النووية، ولذلك نحن لسنا بحاجة إلى استخدام هذه الأسلحة. أنت لا تفهم المقصود من خطة عاصفة النار”.

“كلا أنا أفهم. الفكرة هي أنها ناجحة جداً”.

“أجل، هذه هي الفكرة اللعينة”.

“الأمر أشبه بما يلي يا هاري، إذا لم يذهب الجبل إليهم، فسيأتونهم إلى الجبل. أليس ذلك صحيحاً؟”

“أجل كما تشاء”. أمسك بالمنفضة المعدنية الثقيلة التي كان يستعملها لاندسايلى، وألقاها على مادوكس، ثم قفز على قدميه فيما انحنى مادوكس لكي يتقذى المنفضة.

تقدّم هاري مسافة ثلاثة أمتار في أقل من ثانيتين، ولكن مادوكس كان قد وقف على قدميه وهرع نحو الباب. تحرك هاري بأسرع ما يمكنه وقدماه مكبلتان، ولكن مادوكس كان أسرع منه وشهر مسدساً من تحت سترته.

قفز هاري على مادوكس الذي أطلق النار من مسافة قريبة. توقف هاري، واربتك عندما لم يشعر بإصابته بالرصاص، وأدرك بأنه بالكاد سمع صوت المسدس.

ابتعد مادوكس أكثر، وحدق كل من الرجلين في الآخر. تقدم هاري خطوة نحو مادوكس، ولكنه شعر بثقل في رجليه وبالعرفة وكأنها تدور حوله.

قال مادوكس: “أنت بحاجة إلى أن تهدأ”.

شعر هاري أن رجليه تتحنيان، ما لبث أن سقط على ركبتيه. ولاحظ شيئاً يخرج من صدره فوضع يده عليه.

قال مادوكس: “هذا سهم نستخدمه مع الدببة السوداء. فمن غير المسموح لنا قتلها خارج موسم الصيد”.

انتزع هاري السهم من صدره، ولاحظ الدم على رأس السهم.

قال مادوكس: “وأنا لا يُسمح لي بقتل عميل فيدرالي، ولذلك عليك أن تموت بطريقة أخرى. ربما في حادث صيد”.

فتح الباب، وسأل أحد الحراس “هل كل شيء على ما يرام يا سيد مادوكس؟”

“أجل يا كارل. الرجاء أن تصطحب السيد مولر إلى غرفته”.

ظهر حارس آخر، وتوجه مع كارل نحو هاري.

بالكاد استطاع هاري الوقوف على قدميه، وكانت الغرفة تشتد ظلاماً، ولكنه أخذ نفساً عميقاً وقال: “نووي...” عرف بأنه ينبغي عليه البقاء بلا حراك لكي لا يسري المهدى في دمه بوتيرة أسرع. “إنهم عازمون على تفجير... الحقيبة...”

رفعه الحارسان على قدميه، وحنى كارل ظهره وحمل هاري كما يفعل رجل الإطفاء، ثم مشى نحو الباب.

وقف باين مادوكس قبالة الباب وقال لهاري، “إنني معجب بك بالفعل. كان ذلك شجاعة منك. وقد أسديت إليّ خدمة عظيمة. وبالتالي أرجو أن تسامحني”.

بالكاد كان هاري يستطيع أن يفهم ما يقوله مادوكس، ولكنه تمكن من القول: “عليك اللعنة”.

قال مادوكس: “لا أعتقد ذلك”. وقال لكارل: “أبقه هادئاً. وسأتحقق من حالته لاحقاً”.

غادر الرجال الثلاثة، وأغلق باين مادوكس الباب. كان منزعاً من سقوط أعقاب
السجائر على السجادة الشرقية فقام بتنظيفها.
بعد ذلك تقدم نحو الحقيبة السوداء، ومسح بيديه على الجلد الأملس اللامع، وقال
بصوت خافت: "أرجو أن تتفجر".

القسم 7

يوم الأحد

نورث فولك، لونغ أيلاند ومدينة نيويورك

لدينا الحق في قتل أربعة ملايين أميركي - مليونان منهم من الأطفال - وطرد ضعف ذلك العدد وجرح وشلّ مئات الآلاف.

- سليمان أبو الغيث

الناطق باسم بن لادن، مايو/أيار 2002

الفصل 15

تناولتُ وكايت وجبة الإفطار صباح يوم الأحد، وتبيّن لنا أن رفاقنا النزلاء لا يشكّلون مفاجأة كبيرة؛ التشكيلة المعتادة من ذوافة الشراب الفرنسي من مانهاتن. في هذه الحالة، ثلاثة أزواج من جنس غير محدد يأخذون كل شيء على محمل الجدّ، كما لو كانوا يختبرون الإذاعة الوطنية العامة. لم يكن في مقدوري تبين إن كان كل منهم يعرف الآخر، أو من يصاحبون.

كانوا يتحدثون ويمرّرون أوراقاً من صحيفة صنداي تايمز كما لو أنّهم وجدوا نصوصاً مقدسة.

جلست وكايت إلى الطاولة على مقعدين خاليين. أحضر لنا رئيس السجن القهوة وعصير البرتقال، ونصحنا بتناول وجبة ساخنة من الشوفان كطبق من المقبلات. ثم سألنا، "هل لديكم باغل؟" "كلا".

"أنا لا أستطيع قراءة التايمز بدون باغل. لكن الشوفان الحارّ، ينسجم مع وول ستريت جورنال. هل لديكم وول ستريت جورنال؟"

قاطعته كايت بالقول: "طبق ساخن من الشوفان يبدو جيداً. شكراً لك".

كان رفاقي الذين يتناولون إفطارهم يعلّقون على الأخبار القصيرة التي قرأوها في أوراق صحيفة التايمز؛ مثل الفنّ، والكتب، والسفر، ... إلخ.

بعد أن شربنا زجاجة من الشراب الفرنسي في الليلة الفائتة، ترك ذلك الشراب تأثيراً خفيفاً عليّ، وهو ما جعلني أشتكى، ولم أكن أشارك في المحادثة، بالرغم من أن كايت لم تلاحظ ذلك.

كنت أحمل مسدساً صغيراً من طراز سميث أند ويسون قرب كاحلي، ففكرت في نزع قرابه وسحبه والصراخ "لا تتحرّكوا. أنا فلسطيني! احرصوا وتناولوا وجبات الشوفان". ولكنني أعرف كيف تصبح كايت في كل مرّة أتصرّف فيها بطريقة حمقاء.

على أية حال، دارت المحادثة حول العنوان الرئيسي للتايمز - رامسفيلد يأمر بإعادة دراسة خطط الحرب من أجل تحرك أسرع - واتفق رفاقي النزلاء على أن الحرب على العراق باتت محتمة بالنظر إلى عقلية الإدارة الحالية.

كنت رجل مرهانات، وأردت المراهنة على شهر يناير/كانون الثاني أو ربما فبراير/شباط. ولكنني اعتقدت أنني سأكون على الأرجح أوفر حظاً إذا راهنت على مارس/آذار. شعر أحد الرجال، واسمه أوين، بأنني لا أعير الأمر انتباهي فسألني "ما رأيك يا جون؟ لماذا ترغب هذه الإدارة في الدخول في حرب مع دولة لم تلتحق بنا أية أذية؟"

بدا السؤال دسماً بعض الشيء، على غرار الأسئلة التي أطرحها على المشتبه فيهم، مثل "متى توقفت عن ضرب زوجتك وبدأت بالعمل مع القاعدة؟"

أجبت أوين بصدق، "أعتقد بأنه يمكننا تجنب هذه الحرب إذا أقصينا صدام وولديه المريضين نفسياً باستخدام فريق من القناصة والقليل من صواريخ كروز".

ساد الصمت في المكان للحظة، ثم قال أحد الحاضرين، واسمه مارك: "إذاً، ... أنت معارض للحرب ... ولكنك تعتقد بأنه ينبغي علينا قتل صدام حسين؟"

"هذه طريقتي في القيام بذلك. ينبغي علينا إبقاء الحرب كخيار أخير عندما نستنفد كل الوسائل الأخرى".

سألنتي امرأة، اسمها ميا، بطريقة منمّقة "هل نحن أصلاً بحاجة إلى الدخول في حرب؟"

سألتها، "ماذا كنت ستفعلين بعد الهجوم على مركز التجارة العالمي والبنتاغون؟ هل كنت سترسلين دجاجات ديكسي إلى أفغانستان في جولة سلمية؟"

قالت كايت: "جون يحب استخدام العبارات الاستفزازية".

اعتقدت أنني أنهيت المناقشة، وهو أمر يناسبني تماماً، ولكن بدا أن مارك مهتم بي فسأل "ما هي وظيفتك يا جون؟"

عادة ما أقول للناس أنا أفتش عن الحشرات، ولكنني قررت وضع حدّ لهذا الكلام الفارغ فأجبت "أنا عميل فيدرالي من الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب".

بعد مرور لحظة من الصمت، سأل مارك، "حقاً؟"

"حقاً. وكايت عميلة خاصة من مكتب التحقيقات الفيدرالي".

قالت كايت: "نحن نعمل سوياً".

قالت إحدى السيدات، واسمها أليسون: "كم هذا الأمر مثير".

سألني الشخص الثالث، واسمه جايسون، "هل تعتقد بأن مستوى الخطر - البرتقالي - حقيقي فعلاً، أم أنه يجري التلاعب بنا لأسباب سياسية؟"

"أنا لا أعرف يا جايسون. ماذا يقولون في التايمز؟"

أصرّ على سؤاله وقال: "ما مدى حقيقة الخطر الذي نعيش فيه اليوم؟"

أجابت كايت، "إن خطر الإرهاب على أميركا حقيقي جداً. لكن وبدون الإفصاح عن أية معلومات سرّية، يمكنني القول إنه لا توجد لدينا معلومات محددة عن هجوم وشيك".

سأل جايسون، "إذاً لماذا، نحن في حالة الإنذار ذي اللون البرتقالي الذي يعني أننا في خطر شديد ينذر بقرب وقوع هجوم إرهابي؟"

أجابت كايت، “هذا مجرد تدبير احترازي بسبب الذكرى السنوية الأولى لهجمات 11 سبتمبر/أيلول”.

قال مارك: “هذا شيء من الماضي. أعتقد بأنها مجرد طريقة يراد منها إبقاء البلاد في حالة خوف لكي تتمكن الإدارة من دفع أجندتها الأمنية المحلية، والتي تعني انقراضاً على الحريات المدنية”. ثم نظر إليّ وسألني، “هل توافق على ذلك يا جون؟”

“بالتأكيد. في الحقيقة، لقد أتيت مع العميلة الخاصة مايفيلد إلى هذا المكان لكتابة تقرير عن النشاطات التخريبية المعادية للحكومة، وأنا بحاجة إلى تحذيرك من أن أي شيء تقوله ربما يُستخدم ضدك في محكمة عسكرية”.

تمكن مارك بصعوبة من رسم ابتسامة خافتة على وجهه.

قالت لي أليسون: “أعتقد بأنك عدت إلى أسلوبك الاستقرازي مجدداً”.

“لا بد وأن السبب هو كريم ما بعد الحلاقة”.

ضحكت أليسون. أعتقد بأنها أعجبت بي. كما أنني أشتبه بقوة في أنها هي التي كانت تتأوه البارحة.

سألنا بام المرأة الثالثة، “هل سبق أن اعتقلتما إرهابياً؟”

بدا كما لو كان سؤالاً طبيعياً، لكن بسبب نبرة صوت بام، والسياق العام، كان يمكن حمل السؤال على محمل آخر، وهو ما فعلته كايت.

أجابضت كايت، “إذا كنتِ تعنين إرهابياً إسلامياً فالجواب هو لا، ولكن..” وقفت وسحبت بعنف سترتها لتعرض جرحاً طويلاً أبيض يبدأ من أسفل الجانب الأيسر من قفصها الصدري وينتهي في أسفل ظهرها، وقالت: “أصابني رجل ليبي اسمه أسد خليل ببندقية قنّاص. وأصاب جون أيضاً”.

كان جرحي بجانب وركي الأيمن، ولم أكن أعرف كيفية إظهاره لهذه الرفقة المختلطة.

جذبت كايت سترتها الصوفية إلى أسفل وقالت: “إذاً، الجواب هو لا، أنا لم أعتقل إرهابياً، ولكن إرهابياً أطلق عليّ النار. أضيفي إلى ذلك أنني كنت في مركز التجارة العالمي عندما اصطدمت به الطائرتان”.

ساد الغرفة بعض الهدوء، واعتقدتُ أن الجميع ينتظرون رؤية جرحي. يوجد في بدني فعلاً ثلاثة ثقوب أحدثتها رصاصات أطلقها سيد من أميركا اللاتينية، وأنهت حياتي المهنية مع شرطة ولاية نيويورك. كان هناك ثقبان في مكان فاضح، ولكن الثقب الثالث كان في صدري وكان في مقدوري القول إنه ناجم عن إطلاق النار الذي قام به أسد خليل، لأنني أردت فعلاً نزع قميصي لترى أليسون جرحي.

“جون؟”

“هاه؟”

“قلت أنا مستعدة للذهاب”.

“أشم رائحة سجق مقلي”.

“أريد أن أبدأ نهاري باكراً”.

“أجل” . وفتت وقلت للجميع: “إننا ذاهبون إلى بلام أيلاند. أنتم تعرفون مختبر بحوث الحرب الجرثومية. إننا نبحث عن ثمانية ليترات مفقودة من محلول جرثومة الجمرة الخبيثة، وعلينا أن نعرف المكان الذي وصلت إليه” . وأضفت “يمكن أن تكون هذه عملية قذرة في حال استخدم أحدهم مِذْراً لرش المحلول على بساتين العنب، أو..” سعلت مرتين وقلت: “اعذرونا. طاب يومكم” . ثم غادرنا البيت القديم ومشينا نحو سيارة الجيب.

قالت كايت: “لا يفترض بك قول أشياء كهذه”.

“ماذا تقولين؟”

قالت وهي تضحك: “أنت تعرف ماذا أقول” . لم تكن لتضحك قبل يوم 11 سبتمبر/أيلول ولا بعده بستة شهور. إلا أنها الآن، وكما قلت، أصبحت امرأة مختلفة، فقد خفت حدة طباعها كثيراً، وصارت تقدر أخيراً ذكائي الحادّ وظرفي المعقد. قالت: “أنت شخص غير ناضج إلى حدّ الجنون” .

لم يكن ذلك ما فكّرت فيه تماماً. سعدنا إلى سيارة الدفع الرباعي، وانطلقنا.

تحدثت في السيارة بصوت عميق وجهير، اعتقدت بأنه كان تقليداً لصوتي، وقالت: “إننا نبحث عن ثمانية ليترات مفقودة من محلول جرثومة الجمرة الخبيثة” .

“هل تعانين من نزلة برد؟”

واصلت كلامها وقالت: “يمكن أن تكون هذه عملية قذرة في حال استخدم أحدهم مِذْراً لرش المحلول على بساتين العنب”، ثم سعلت مرتين. وأضافت، “اعذروني، أعتقد أنني التقطت عدوى الجمرة الخبيثة” .

“أنا لم أقل ذلك” .

“من أين جئت بهذه القصة؟”

لا أدري. مجرد خاطرة بدرت إلى ذهني” .

“خاطرة مرعبة” .

“الجرثومة الخبيثة مرعبة جداً” .

“كنت أعني ذهنك” .

“أنت محقّة. والآن إلى أين نذهب؟”

أجابت كايت، “أعرف متجرّاً رائعاً يبيع التحف في ساوث أولد” .

“دعينا نذهب إلى الكنيسة، فهي أقل كلفة” .

“ساوث أولد. انعطف إلى اليسار الآن.”

هكذا، أمضينا صباح الأحد في متجر التحف. أنا لست معجباً بالتحف القديمة لأنني أرى أنها قطع قدرة من الخشب المتعفن وخردة متسخة من القماش المليء بالجراثيم.

من ناقل القول إننا لم نشتر شيئاً في الواقع، قالت كايت: “ما الذي يدعوني إلى شراء التحف؟ فأنا متزوجة من تحفة”.

تناولنا طعام الغذاء في مطعم يشبه الحافلة حيث حصلت أخيراً على الباغل إضافة إلى السجق والبيض اللذين فاتني تناولهما في وجبة الإفطار.

بعد أن تناولنا طعام الغذاء، صادفنا القليل من معامل الشراب الفرنسي حيث اشترينا عدداً من الزجاجات التي كان في مقدورنا شراؤها في مانهاتن بالسعر نفسه، ثم توقفنا عند موقف لإحدى المزارع.

نادراً ما كنا نتناول الطعام في المنزل، فهي لا تعرف كيفية الطهو، كما أنني لا أعرف أيضاً. ومع أنني لا أكل الفاكهة أو الخضار، فقد اشترينا طناً منها بأوراقها وأقدارها، إضافة إلى كيس من بطاطا لونغ أيلاند يزن خمسة وعشرين كيلو غراماً. سألت كايت، “ماذا تتوین أن تفعلی بكل هذه الخضار؟”

أجابت، “أنت تصطاد الغزال وأنا أصنع اليخنة”.

كان ذلك ممتعاً فعلاً. لماذا لم أفكر في ذلك؟

جمعنا أغراضنا من فندق بي أن بي، وسددنا الفاتورة، وعدنا أدرجنا إلى المدينة.

سألتني، “هل أمضيت عطلة نهاية أسبوع ممتعة؟”

“أجل، باستثناء وجبة الإفطار”.

“أنت بحاجة إلى التحدث إلى شخص لديهم وجهات نظر مختلفة”.

“أجل، فأنا متزوج”.

قالت: “أمر مضحك للغاية. لم لا نذهب إلى شمال الولاية في عطلة الأسبوع المقبل؟”

“إنها فكرة جيدة”. وهذا ما ذكرني بسؤال “ماذا تعرفين عن نادي كاستر هيل؟” وأضفت، “لم يقنعني جوابك السابق”.

فكرت في السؤال والتعليق، ثم أجابت، “أنا أعلم أنك أمضيت معظم عطلة نهاية الأسبوع هناك”.

“ماذا تعنين بذلك؟”

“حسناً، سألني توم والش إن كان لدي اعتراض على إرسالك إلى هناك في مهمة مراقبة”.

“حقاً؟ وماذا أجبت؟”

“قلت أجل لديّ اعتراض”. وسألتني، “كيف عرفت بنادي كاستر هيل؟”
“من هاري مولر الذي كُلف بتلك المهمة”.
“ماذا قال لك؟”

“أنا الذي يطرح الأسئلة. لماذا لم تخبريني عن ذلك؟”
“طلب مني توم ألا أفعل ذلك”. وأضافت، “ولكنني كنت عازمة على إخبارك”.
“متى؟”

“الآن. في طريق العودة إلى المدينة”.
“أجل. لماذا رفضت تكليفي بالمهمة؟”
“كنت أخطط للذهاب بعيداً معك في عطلة هذا الأسبوع”.
“أنا لم أعرف شيئاً عن هذا الأمر أيضاً، لغاية يوم الجمعة حوالي الساعة الرابعة والنصف”.
“كنت أفكر في هذه المهمة”.

“كنت تترحف فعلاً بحثاً عن مكان تختبئ فيه من أجل المراقبة”. قلت لها: “أنت تتحدثين إليّ يا عزيزتي. ولا يمكنك التحذلق على متحذلق صدف أنه تحرّي لامع أيضاً”.

فكرت في ما قلته ثم قالت: “حسناً، لم تُعجبني المهمة... ولذلك، قلت لتوم بأن لدينا خطأً أخرى، وعندها احتجت إلى التخطيط لقضاء يوم العطلة خارج المدينة”.

تقبلت كل ما قالته وسألتها، “ماذا تعنين بأن المهمة لم تعجبك؟”
“لا أعرف... مجرد حدس. أحياناً يتعلق الأمر بأسلوب توم..”
“هل تستطيعين أن تكوني أكثر تحديداً؟”

“كلا، ليس في استطاعتي ذلك. وإذا عدت إلى استحضار لقائي به، ربما استنتجت كثيراً مما قاله لي حينها. كما أنني لم أشأ أن أبقى لوحدي يوم عطلة نهاية الأسبوع”.

“لماذا لم تتطوّعي للذهاب معي؟”
“جون، انس الأمر. أنا آسفة لأنني كذبت عليك، وآسفة لأنني لم أخبرك قبل ذلك”.

“الاعتذار مقبول، إذا أخبرتني عن حقيقة نادي كاستر هيل”.
“أنا لست متأكدة. ولكن توم قال لي بأنه نادٍ اجتماعي وترفيهي، أعضاؤه من الرجال الأثرياء وأصحاب النفوذ”.
“كنت سأقضي وقتاً طيباً”.

“كان من المفترض أن تلتقط صوراً فوتوغرافية لـ...”

“أعرف كل ذلك. ولكن ما لا أعرفه هو لماذا نحتاج إلى مراقبة هؤلاء الرجال.”
“أنا لا أعرف، وهو لم يكن ليشاركني تلك المعلومات.” وأضافت، “يمكنك الافتراض بأنهم محافظون في توجهاتهم السياسية، وربما يكونون راديكاليين أيضاً.”

“هذه ليست جريمة.”

“هذا كل ما أعرفه.”

كنت أسير على طريق لونغ أيلاند السريع، متوجهاً غرباً نحو الشمس الآفلة. بدت رائحة السيارة الرباعية الدفع كما لو كانت مصنوعة في كوريا، وكنت أسمع قعقة زجاجات الشراب على أرضية السيارة الخلفية.

فكرت في ما قالته كايت، ولكن لم تكن تتوفر لديّ حقائق كافية للتوصل إلى أية استنتاجات. ومع ذلك، برزت بضع نقاط، مثل التوجّه السياسي لنادي كاستر هيل وعضويته الراقية. من المعلوم أن المجانين من جناح اليمين الذين يشاركون في نشاطات إجرامية من الطبقة الدنيا دائماً. وناديهم، إن كان لديهم نادٍ، هو محطة بنزين أو كوخ حجير في غابة. لكن يبدو أن هذه المجموعة شيء مختلف تماماً.

كان ذلك كل ما توفر لي من معلومات حتى تلك اللحظة، وإذا كنت ذكياً، سأجد في تلك المعلومات كل ما أنا بحاجة إليه، وإذا كنت بحاجة إلى معرفة المزيد، فسوف أسأل هاري غداً صباحاً.

قالت كايت: “أعتقد أنك مستاء منّي لأنني لم أثير إلى أنني تناقشت مع توم فكرة إرسالك في تلك المهمة.”

“كلا على الإطلاق. أنا سعيد لأن حياتي المهنية بين هاتين اليدين الأمينتين. في الواقع، بدا كما لو كنت أفكر في أنك تناقشت مع ويلش إن كان ينبغي إبعاد جوني الصغير في يوم عطلة نهاية الأسبوع.”

“جون...”

“ربما كان يجدر بك القول أنك لا تمنعين بذلك، ولكن كان عليه أن يستشير زوجته أولاً لكي يتأكد من أنه لا يوجد لديها مانع.”

“توقف عن التصرف كالأغبياء.”

“أنا أثير أعصابك قليلاً.”

“انس الموضوع، فهو غير مهم بالمرّة.” وأضافت، “اذهب إلى والش وقل له إنني أخبرتك، وأنت لست سعيداً من أسلوبه في الإدارة.”

“هذا بالضبط ما أنوي فعله.”

“لا تكن عدائياً. وحاول أن تكون دبلوماسياً.”

“أنا دبلوماسي للغاية.” ثم سألتها، “هل يمكنني أن أقبض بيدي على عنقه؟”

قادت السيارة بهدوء لفترة من الوقت. أدركت بأنه ينبغي عليّ التحدث إلى هاري قبل أن أواجه ويلش في الصباح. اتصلت بهاتف هاري الخليوي مستخدماً هاتفني الذي لا يحتاج إلى لمس.

سألنتي كايت “بمن تتصل؟”

“بمستشاري الخاص بالإجهاد العاطفي”.

وبعد أن رنّ الهاتف ستّ مرات، سمعنا صوت هاري وهو يقول “أنا التحري هاري مولر. بعد سماع النغمة، اترك لي رسالة ورقماً هاتفياً لكي أتمكن من الاتصال بك”. بيب.

قلت: “هاري، أنا كوري. تريد كايت أن تطهو لنا يخنة الصياد. لقد أحضرت البطاطا، والخضار، والشراب الفرنسي الأحمر. وينبغي على أحدنا أن يذهب لاصطياد الغزال لاستكمال مكونات الوصفة. اتصل بي في أسرع وقت ممكن”.

أقفلت الخط، وقلت لكاييت: “كان من الممكن أن تساهم مهمة المراقبة تلك في ترقبتي في حال لم أصبح وليمة لدب”.

“ربما كان هذا هو سبب رغبة توم في تكليفك بها”.

“لمساعدتي على الترقّي في مهنتي أو جعلي وليمة لدب؟”

“هل تجد حاجة إلى السؤال؟”

ابتسمتُ، وأمسكت بيديها، ثم شغلت المذياع لسماع شيء هادئ. وتحدثنا لبعض الوقت أثناء عودتنا إلى المدينة.

مع اقترابنا من نفق وسط المدينة، ظهر الأفق المضاء لمانهاتن. لم أعلّق أنا أو كايت على مركز التجارة العالمي الذي اختفى، ولكن عرف كل منا ما كان يفكر فيه الآخر.

أذكر أن إحدى الأفكار الأولى التي راودتني بعد انهيار البرجين أن رجلاً شهراً سكيناً في وجه أشخاص لا يحملون مسدسات، وأذكر أنني قلت لشرطي كان بجواري “الحمد لله. هذا يعني أنهم لا يحملون قنبلة نووية”.

أجابني الشرطي، “ليس بعد”.

القسم 8

يوم الاثنين

مدينة نيويورك

في أميركا، توجد صراعات حزبية، ولكن لا توجد مؤامرات.

- أليكس دي توكيفيل، Democracy in America (1835)

الفصل 16

صادف يوم الاثنين يوم كولومبوس، وهو يوم خاص يُحتفل فيه بذكرى وفاة رجل أبيض عثر على قارة وهو في طريقه إلى مكان آخر. وأنا نفسي مررت بتجارب مماثلة عندما خرجت من حانة دريزنرز.

كنا في ذلك اليوم نرتدي ملابس عادية، كنت أنتعل حذاءً شبيهاً بالموكاسان، وألبس سروال جينز أسود، وكنزة رياضية، وسترة جلدية. أما كايت فكانت تلبس الجينز، وكنزة ذات فتحة ضيقة، وسترة جلدية وتنتعل حذاءً عالي الساق. قلت: “حقيبة يدك لا تتسجم مع قراب مسدسك”.

“حسناً إذاً، أنا بحاجة إلى شراء حقيبة يد جديدة اليوم”.

ينبغي أن أتعلم كيف أبقى فمي الذكي مغلقاً.

خرجت برفقة كايت من منزلنا الكائن في شارع 72 الشرقي، وأوقف لنا ألفريد، البواب، سيارة أجرة.

كانت حركة المرور يوم العطلة في مناهاتن خفيفة، ووصلنا إلى مبنى فيدرال بلازا 26 بسهولة.

كان يوماً منعشاً وصافياً من أيام الخريف. سألتني كايت، “هل تعرف إن كان توم ويلش سيحضر اليوم؟”

أجبتها، “كلا، ولكن إذا ذكرت لي بعض الكلمات، فقد أتمكن من معرفة ذلك”.

“أنت أخرق”.

“أعتقد بأنها باتت حقيقة راسخة”.

كان سائق سيارة الأجرة، وهو صديق اسمه زياد الشيحي، يتحدث باللغة العربية مستخدماً هاتفه الخليوي.

وضعت إصبعي على شفتي وانحنيت إلى الأمام. همست في أذن كايت “إنه يتحدث إلى قائد خليته التابعة لتنظيم القاعدة... إنه يقول شيئاً عن التنزيلات بمناسبة يوم كولومبوس في بيرغدورفس”.

تهددت كايت.

بعد أن أنهى السيد الشيحي مكالمته، سألته “هل تعرف من يكون كريستوفر كولومبوس؟”

نظر إلى مرآته الخلفية وأجاب “دائرة كولومبوس؟ جادة كولومبوس؟ إلى أين تريد الذهاب؟ لقد قلت إنك تريد الذهاب إلى فيدرال بلازا”.

“ألم تسمع عن نينا، وبينتا، وسانتا ماريا؟”

“سيدي؟”

“كوين إيزابيلا أرجوك؟ هل ستشارك في استعراض يوم كولومبوس؟”

“سيدي؟”

“جون، توقف عن ذلك.”

“أنا أساعده فقط على اجتياز اختبار نيل الجنسية.”

“توقف عن ذلك.”

أسندت ظهري وبدأت أغني “أوتومن إن نيويورك.”

إنه يوم عطلة فيدرالية، ولذلك، لم تكن الوحدة التكتيكية الفيدرالية لمحاربة الإرهاب تعمل بكامل طاقتها، ولكن كايت قررت الذهاب على أية حال لمرافقتي وإنجاز بعض الأعمال المكتبية. تناولنا طعام الغداء معاً، ثم غادرت من أجل اغتنام فرصة تنزيلات يوم كولومبوس.

حتى عندما كنا نعمل وفقاً لبرنامج العمل نفسه، لم نكن نساfer معاً دائماً. ففي بعض الأحيان، يقضي أحدنا وقتاً طويلاً جداً أمام المرأة، ويفقد الآخر صبره ويغادر المكان.

كانت كايت تحمل في حقيبتها صحيفة التايمز، فسألته أن تعطيني قسم الأخبار الرياضية فأعطتني القسم ألف بدلاً من ذلك.

جاء في العنوان الرئيسي في الصفحة الأولى: رامسفيلد يفضل الأعمال الفعالة لإحباط أي هجوم. وجاء في التقرير أن الولايات المتحدة بحاجة إلى التحرك باكراً خلال “الفترة التي تسبق الأزمة” لإحباط هجوم يمكن أن تتعرض له البلاد. بدا بالنسبة لي أنه إذا كان صدام يقرأ التايمز، فسوف يستدعي وكيل مرافقاته ويراهن على أن الغزو سيبدأ في أواخر يناير/كانون الثاني.

القصة الكبيرة الأخرى كانت تفجير سيارة في نادٍ ليلي كثيراً ما يرتاده الغربيون في جزيرة بالي السياحية الإندونيسية. بدا أن ذلك جبهة جديدة في الحرب على الإرهاب العالمي. بلغت حصيلة القتلى 184 قتيلاً وتجاوز عدد الجرحى 300 جريح، وكانت تلك الخسارة الأكبر في الأرواح منذ 11 سبتمبر/أيلول 2001.

أقرت التايمز بأن الهجوم من تدبير متطرفين إسلاميين على الأرجح. هذا تخمين جيد. كما أنه وصف جيد من جانب التايمز أيضاً، فلماذا نسميهم إرهابيين أو

قتلة؟ سيكون ذلك بمثابة إصدار أحكام. وأدولف هتلر نفسه كان متطرفاً فاضاً.

من غير الوارد أن ننتصر في الحرب على الإرهاب ما لم ننتصر في حرب الكلمات. انتقلتُ إلى الصفحة التي فيها لعبة الكلمات المتقاطعة وسألت كايت، "ما هو تعريف العربي المعتدل؟"
"لا أدري".

"إنه شخص نفذت منه ذخيرته".

أومأت برأسها في حين ضحك زياد.

حقاً إن المرح يردم الهوة بين الحضارات المختلفة.

قالت كايت: "سيكون يوماً طويلاً".

وكما تبين لاحقاً، كانت محقة في ذلك.

الفصل 17

لم يكن هاري عند طاولته عندما وصلنا إلى فيدرال بلازا 26 في الخامسة إلا خمس دقائق، وهو لم يكن هناك عند الساعة 9:15 أو 9:30. وفي ما يتعلق بمكالمتي الأخيرة معه، كان من المفترض أن يرى والش اليوم. لكن والش كان هنا بخلاف هاري.

كان المكتب بحاجة إلى شيء من التغيير، وأنا أحصيت ثلاثة من أفراد شرطة نيويورك عند مكاتبهم، وعميلاً واحداً من مكتب التحقيقات الفيدرالي؛ كايث. كما كان من المفترض تواجد عميل واحد على الأقل يراقب الهواتف، والموجات اللاسلكية والإنترنت في مكان آخر في الطابق 26. وكنا نأمل بأن يمضي الإرهابيون يوم العطلة بأكمله يراقبون في نيو إنغلاند.

اتصلت بهاتف هاري مولر الخليوي عند الساعة 9:45 وتركت له رسالة، ثم اتصلت بمنزله في كوينز، وتركت له رسالة على ماكينة الإجابة. ثم اتصلت بمجيبه الصوتي، وهو الأمر الذي يعتبر رسمياً في هذه المهنة.

وعند الساعة الخامسة والعشر دقائق، جاءت كايث إلى الطابق الذي أعمل فيه وقالت: "توم والش يريد رؤيتنا".

"لماذا؟"

"لا توجد لديّ أدنى فكرة". ثم سألتني، "هل تحدثت إليه؟"

"كلا". مشيت مع كايث نحو مكتب والش. كان الباب مفتوحاً فدخلنا.

وقف والش، ولاقانا في منتصف الطريق، وهو ما يعني في العادة أنك لست في مشكلة. أشار إلينا بالجلوس إلى الطاولة المستديرة بالقرب من النافذة. كان يوجد على الطاولة أوراق ومجلدات مبعثرة، وهو أمر مستغرب جداً عندما كان جاك كوينغ في هذا المكتب.

كان يوجد عند نافذة مكتبه، التي كان يمكن منها رؤية البرجين التوأمين مرّة، لوحة كبيرة سوداء ملصقة على الزجاج يظهر فيها البرجان وعبارة، 11/9؛ لن ننسى.

كان يوماً خريفيّاً جميلاً، كما سبق أن أشرت، مثل ذلك اليوم الذي وقعت فيه الهجمات قبل سنة وشهر. ولولا الاجتماع الذي كان مقرراً في ويندوز في مركز التجارة العالمي، لربما كان جاك هنا في مكتبه يشهد تلك الهجمات، ولكان رأها ديفيد ستاين، أيضاً من مكتبه. وكما تبين، شاهد الرفيقان تلك الهجمات من مسافة أقرب بكثير.

بدأ توم والش الحديث بالقول: "جون، لقد أخبرني رفاقنا في أمن الحواسيب أنك استخدمت كلمة المرور الخاصة بك للدخول إلى ملف سرّي يوم الجمعة".

“هذا صحيح”. نظرت إلى والش. كان أصغر من أن يكون عميلاً خاصاً في موقع المسؤولية، في سنّ الأربعين تقريباً، أيرلندي داكن البشرة، ليس قبيح الوجه، وغير متزوج. وقد اكتسب لقب رجل السيدات، كما كان يمتنع عن شرب الكحول، وهذا ما جعله أيرلندياً شاذاً؛ أي رجل يفضل النساء على الشراب الاسكتلندي.

سألني، “لماذا أنت مهتم بذلك الملف؟”

“لا أعرف، توم. لم أستطع الدخول إليه، ولذلك لا أعرف إن كان لديّ اهتمام به”.

نظر إليّ، وبدا عديم الصبر بعض الشيء.

كنت أعتقد بأن أسلوب جاك كوينغ التيوتوني لا يروق لي، واعتقدت بأنني سأعجب بوالش على اعتبار أنه نصف أيرلندي مثلي، ولكن كان ذلك مثلاً على الوظيفة التي تصوغ الرجل؛ طبيعة تتغلب على طبيعة أخرى.

قال والش: “ماذا تعني عبارة ’نادي الجمال العراقي لأسلحة الدمار الشامل‘؟”

“إنها مجرد مزحة”. نظرت إلى كايت، ولكنها لم تكن مسرورة، بل كانت مرتبكة.

“فهمت”. ونظر إلى كايت، رفيقته في مكتب التحقيقات الفيدرالي، وسألها، “هل أخبرت جون عن مهمة المراقبة؟”

“أجل، ولكن ليس قبل يوم الأحد”.

خاطبني والش “إذاً، هاري أخبرك بها”.

لا يمكنك أبداً الغدر بزميل في الشرطة، ولذلك أجبته “هاري مولر؟ ما شأنه بكاستارد...؟ ما اسم ذلك النادي؟”

“حسناً، الأمر لا يهم على أية حال”.

“أوافقك الرأي. وبما أنني هنا، هل يمكنني التقدم بشكوى رسمية لأنك طلبت الإذن من زوجتي لكي ترسلني في مهمة في شمال الولاية؟”

أجابني قائلاً: “لم أكن أطلب الإذن منها، بل كنت أجاملكما. أنت متزوج، وأردت أن أعرف إن كان ذلك يتعارض مع أية خطط خاصة لديكما لقضاء عطلة نهاية الأسبوع”.

“في المرّة القادمة، عليك أن تسألني”.

“هذا جيد. لقد وصلت الفكرة”.

“ولماذا خطر اسمي ببالك؟”

بدا أن والش لا يريد مناقشة ذلك، ولكنه أجاب، “من الواضح أنني اعتقدت بأنك أفضل رجل يمكن أن يقوم بهذه المهمة”.

“كما تعرف يا توم، آخر مهمة مراقبة قمت بها خارج المدينة كانت في السنترال بارك، حيث تهتُ لمدة يومين”.

ابتسم بأدب وقال: “حسناً، كنت أفكر في النواحي الأخرى للمراقبة”.

“نواحٍ مثل”.

“حسناً، من ناحية، تتضمن مهمة المراقبة هذه الدخول إلى أملاك خاصة بدون مذكرة. كما أن هذا المكان - نادي كاستر هيل - يتمتع بحراسة أمنية جيدة، وهناك احتمال توقيف الشخص الذي يقوم بالمراقبة واستجوابه من قبل الحراس الخاصين، وأنا أعرف أنك تستطيع التعامل مع هذا الوضع”. وأضاف “إن أعضاء هذا النادي أفراد لديهم بعض النفوذ السياسي في واشنطن”.

بدأت أعرف لماذا لم يرغب أحد في الطلب إلى قاضٍ منح مذكرة تفتيش. وإلى جانب ذلك، بدا أن هناك تناقضاً بين ما قاله لي هاري مولر - مهمة مراقبة روتينية، فتح ملف، ... إلخ - وما قاله توم والش للتوّ. وبما أنه لا يمكن لهاري أن يكذب عليّ، فقد استنتجت بأن هاري لم يحصل على معلومات كاملة من والش.

قلت لو والش: “إذاً، الخلاصة هي أنك احتجت إلى شرطي لكي يكون المتورط في حال سارت الأمور على نحو غير مؤاتٍ”.

“هذا ليس صحيحاً البتّة. دعونا ننقل إلى صلب الموضوع”. نظر توم والش إلينا وقال: “لم تردنا أية أخبار من هاري مولر”.

اعتقدت بأن هذا هو سبب وجودنا في مكتبه، ولكنني أملت بأن يكون الأمر بخلاف ذلك. سألته، “هل كان من المفترض أن يتصل بك؟”

“في حال صادف مشكلة فقط”.

“في بعض الأحيان يا توم، عندما تكون هناك مشكلة، تكون تلك الحالة التي لا تتلقّى فيها أي اتصال”.

“أشكرك على هذه الخاطرة. حسناً، دعوني أخبركما بما أعرف. لقد غادر هاري مولر هذا المكان، كما تعرفان، قبل الساعة الخامسة من مساء يوم الجمعة. ذهب إلى فريق الدعم التقني، وحصل على المعدات التي يحتاج إليها، وذهب إلى المرآب لكي يستقل سيارته المقطورة، والتي اصطحبها معه تحسباً لهذه المهمة. وصدف أن جنيفر ليوبو رآه في المرآب حيث تبادل بعض الكلمات، وكان آخر شخص رآه. وفي وقت لاحق، سمعنا حديثاً دار بينه وبين صديقته لوري على الهاتف الخليوي، عند الساعة السابعة وثمانٍ وأربعين دقيقة من صباح يوم السبت”.

ضغطت والش على زر جهاز تسجيل على الطاولة. سمعنا صوت هاري وهو يقول: “مرحباً يا عزيزتي، أنتِ حبّي الأول والوحيد. أنا هنا في منطقة جبلية، ولذلك ربما لن يكون استقبالك لمكالمتي جيداً لفترة طويلة، ولكنني أردت أن أقول مرحباً. لقد وصلت إلى هنا في الليلة الماضية عند منتصف الليل تقريباً، وقضيت ليلتي في السيارة المقطورة، وأنا الآن في مهمة بالقرب من مسكن اليمينيين المخبولين، ولذلك لا تردّي على مكالمتي. وسأصل بك لاحقاً من خط أرضي إذا

لم أستطع التحدث إليك عبر الهاتف الخليوي، هل اتفقنا؟ أنا لا أزال بحاجة إلى القيام بأمر في المطار المحلي في وقت لاحق من اليوم، ولذلك ربما أحتاج إلى قضاء ليلتي هنا. وسأخبرك عندما أتأكد من الأمر. سأكلمك في وقت لاحق. أحبك.”

علق والش على ما سمع بالقول: “إذاً، نحن نعرف بأنه وصل إلى هناك، ونعرف بأنه كان قريباً من المكان المستهدف. وعند الساعة التاسعة وست عشرة دقيقة صباحاً، اتصلت به، وتركت رسالة على هاتفه الخليوي الذي استرجعناه من شركة الهاتف”. ثم ضغط على الزرّ مجدداً فسمعنا صوت لوري وهي تقول: “مرحباً يا عزيزي. وصلنتي رسالتك. كنت نائمة، وسوف أذهب للتبضع اليوم برفقة شقيقتي وأن. اتصل بي لاحقاً، فساخذ هاتفك الخليوي معي. هل هذا جيد؟ أخبرني إن كنت تتوي المبيت في ذلك المكان. أنا أحبك، وأنا مشتاقة إليك”. وأضافت، “كن حذراً من هؤلاء المعتوهين اليمينيين، فهم يحبون أسلحتهم. توخّ الحذر”.

قلت لو والش: “من الواضح أنك تحدثت إليها”.

“أجل، هذا الصباح. قالت لي بأنها تلقت عند الساعة الرابعة تقريباً من بعد ظهر يوم السبت رسالة نصية من هاري على هاتفها الخليوي تقول...” ونظر إلى ورقة على طاولته جاء فيها “أنا آسف، لم أتمكن من تلقي مكالمتك، فالإرسال سيئ هنا. لقد التقيت ببعض الأصدقاء؛ صيادين ومنتزهين؛ أراك يوم الاثنين”.

لم يثر أي منّا فكرة أنه يمكن أن تكون الرسالة النصية من تأليف شخص آخر غير هاري. ولكن من الواضح أن لوري اعتقدت بأن هاري هو الذي بعث بالرسالة لأن والش قال: “لم تكن سعيدة. فقد اتصلت به بعد تلقيها الرسالة النصية، ولكنه لم يجب. واستمرت في الاتصال وترك الرسائل، كما اتصلت به عبر مجيبه الصوتي أربع أو خمس مرّات. وآخر رسالة نصية أرسلتها إليه كانت يوم الأحد مساءً. ووصفت لي رسائلها بأنها كانت تعبر عن شعور متزايد بالغضب والقلق. قالت له بأنه في حال لم يردّ على اتصالاتها فسوف تنقطع العلاقة بينهما”.

سألته، “في أية مرحلة تحوّل غضبها إلى قلق؟”

أجابني والش، “عند الساعة العشرة تقريباً من يوم السبت مساءً. كان لديها رقم الاتصال الخاص بالاتصال بعد انتهاء الدوام، حيث اتصلت وتحدثت إلى العميل المناوب في مكتب التحقيقات الفيدرالي - كين رايلي - وعبرت له عن قلقها”.

أومأت برأسي. سبق أن تلقيت اتصالات مثل هذا الاتصال من صديقات، وأصدقاء، وأزواج، وزوجات. وأنت تبذل كل ما في وسعك لتعرف إن كان يوجد سبب وجيه للقلق. وبنسبة مئة في المئة تقريباً من تلك الحالات، يتضح أن المحبوب ليس ميتاً، ولكنه سيكون كذلك عندما يصل إلى البيت.

واصل والش حديثه قائلاً: “حاول كين أن يطمئننها، ولكن الصديقات لا يتلقين المجاملة نفسها التي تتلقاها زوجة أو فرد من أفراد العائلة، ولذلك لم يقدم لها الكثير من المساعدة. ولكنه أخذ منها رقم هاتفها، وقال لها بأنه سيعاود الاتصال بها في حال وصلته أية أخبار. وسعى فعلاً إلى الاتصال بهاتف مولر الخليوي ومجيبه الصوتي، ولكنه لم يتلق أي ردّ”. وأضاف والش، “لم يكن قلقاً”.

في الحقيقة، لم يكن يوجد سبب يدعو إلى القلق، باستثناء فشل هاري في الردّ على مجيبه الصوتي. فمن ناحية، كان ذلك يوم عطلة نهاية الأسبوع، ومن المعروف أن العملاء ينسون أجهزة المجيب الصوتي، في أيام العطل، أو يكونون في أمكنة صاخبة، مثل الحانات أو في فراش هائئ حيث يتجاهلون الصوت أو لا ينتبهون إليه. ومن ناحية أخرى، هاري كان في مهمة. قلت: “ربما كانت المشكلة في الاستقبال السيئ”.

أوما والش برأسه وقال: “عندما وصلت إلى هنا عند الساعة الثامنة، راجعت تقارير العملاء المناوبين يوم عطلة نهاية الأسبوع، واطلعت على إفادة كين رايلي بشأن لوري وهاري مولر. لم أشعر بالقلق، ولكنني اتصلت بهاتف هاري الخليوي، وبمنزله، وعرفت أن المجيب الصوتي معه. ثم اتصلت بالأنسة لوري وتحديث إليها. ثم أجريت عدة مكالمات أخرى، بما في ذلك مكالمة مع المكتب الميداني لمكتب التحقيقات الفيدرالي في ألباني، وطلبت إلى دائرة العملاء المناوبين في ألباني، وإلى غاري ميلبوس، الإبلاغ عن عميل مفقود، وقال إنه سيفعل بالرغم من أنني أحسست أنه لم يكن متأكداً من أن التحريّ هاري مولر فقد أثناء تأديته مهامه أو أنه غائب عن عمد. وعلى أية حال، قامت دائرة العملاء المناوبين بإبلاغ شرطة الولاية، والتي بدورها أبلغت الشرطة المحلية التي تعرف المنطقة، ولكن ليس لديها الكثير من الطاقات البشرية. وقد تحققوا من المستشفيات المحلية، ولغاية الآن لم يتم إدخال أحد إليها بهذا الاسم أو إدخال أشخاص لم تُعرف أسماؤهم”.

نظر إلى كايت وإليّ محاولاً، فيما أعتقد، تحديد ردّة فعلنا تجاه ما سمعناه، وتوسّعاً، كيف سيؤثر ذلك عندما يروي الحكاية للأشخاص الذين هم أعلى منه رتبة في التسلسل القيادي.

وأضاف، “بحثت شرطة الولاية عن هاري مولر عبر دائرة المركبات السيّارة، حيث قاموا بالتبليغ عن اسم الشركة المصنّعة للسيارة المقطورة، وعن طرازها، ولونها، ورقم لوحاتها. وحتى ربع ساعة من الآن، لم تتم إعادة السيارة... لكن في المناطق الكبيرة المفتوحة، ربما يتطلب الأمر وقتاً طويلاً حتى وإن كانت السيارة لا تزال في المنطقة”.

سألته كايت، “هل تصدر عن هاتفه الخليوي أو مجيبه الصوتي أية إشارات؟”

“لا تزال شركة الهاتف تحاول التحقق من الأمر. ولغاية الآن، الجواب هو لا”.

في ما يختص بمحادثتي مع هاري، عرفت أنه من المفترض أنه سيكون هنا هذا الصباح، ولكن والش لم يذكر ذلك بعد، ولذلك سألته، “هل كان من المفترض أن يقدم هاري لك تقريراً اليوم؟”

“أجل، كان من المفترض أن يسلمّ معداته وأقراص الكاميرا الرقمية إلى القسم التقني قبل التاسعة صباحاً، ثم يأتي إلى مكنتي ليطلعني على النتائج”.

“ولغاية الآن، لم تصل إلى مرحلة الشعور بالقلق”.

“أنا أشعر بالقلق، ولكنني لن أفأجأ إذا اتصل الآن أو دخل هذا المكتب”.

“أما أن فسأفأجأ”. وأضفت، “لم يكن هاري مولر ليتغيّب عن لقاء مع مشرف”.

لم يردّ والش على تعليقي.

لم أكن سعيداً جداً من أسلوب توم والش الهادئ في الإدارة، لكن ينبغي على الأشخاص الذين يتولون مسؤوليات جديدة أن يكونوا حريصين على عدم الاتصال بمدير مكتب التحقيقات الفيدرالي للتبليغ عن أن السماء على وشك السقوط.

كان هناك بالطبع البُعد الآخر لهذه المشكلة، وهو نادي كاستر هيل نفسه. فلو كان هاري مولر يراقب عبد السلام في الغابة سرّاً واختفى، لكان الردّ مختلفاً جداً. وإذا أردت أن أكون ساخراً، سأقول بأنه لو كان هاري مولر أحد عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي وليس أحد أفراد شرطة نيويورك، لربما كان الردّ أسرع بعض الشيء بالرغم من عطلة نهاية الأسبوع. في الواقع، ربما كان العميل في المكتب، كين رايلي، سيتصل بتوم والش يوم الأحد مساءً. لست أعني بذلك أن سلامة رجل في الشرطة أقل أهمية من سلامة عميل في مكتب التحقيقات الفيدرالي، بل إن الأمر على علاقة بالسمعة غير اللائقة لنيويورك والتي تستحقها بدرجة جزئية لكونها عديمة النظام.

سألت والش، “هل تعتقد أن اختفاء هاري على علاقة مباشرة بمهمته؟”

كان جواب والش جاهزاً فقال: “لا أريد التكهن بطبيعة اختفائه، لكن في حال فعلت، سأقول إنه من المحتمل أن هاري مولر تعرّض لحادث. فهناك الملايين من الفدادين من الأراضي البرية في تلك المنطقة، ومن المحتمل أنه ضل طريقه أو أصيب بمكروه. من المحتمل أنه تعرّض لكسر في رجله، أو وقع في شرك للدببة، أو حتى تعرّض لهجوم من الدببة”. وأضاف “وبناء على ما قالته لي دائرة العملاء المناوبين في ألباني، يقوم بعض الأشخاص هناك بالاصطياد خارج الموسم أحياناً. وبما أنه من المرجح أن هاري كان يرتدي ثياباً مموّهة، ربما يكون قد أصيب بطفلة من صياد عن طريق الخطأ. في البرية، يمكن أن يتعرّض المرء لكافة أنواع الأخطار، ولهذا السبب تسمّى بريّة”.

قالت كايت: “ولهذا السبب لا تعدّ فكرة جيدة إرسال شخص إلى هناك بمفرده. كان من الأفضل أن يكون معه شريك”.

أجاب والش، “إذا عدنا إلى الماضي، ربما يكون كلامك صحيحاً، ولكنني أشرفت على العشرات من مهام المراقبة في الأماكن الريفية بواسطة عملاء منفردين. إن أديرونذاك ليست المجاهل الأفريقية”.

“ولكنك قلت بأنه...”

“لا تنتقدوني في هذه القضية. إنه إجراء قياسي، وأنت لم تثيري تلك القضية عندما ناقشنا فكرة إرسال جون. دعونا نتصدى للمشكلة المباشرة”.

اعتقدت بأن والش هو المشكلة المباشرة، ولذلك تصدّيت له، “توم، ما هو نادي كاستر هيل بالضبط؟”

فكر للحظة ثم أجاب، “أنا لا أرى صلة بين هذا الأمر والعتور على هاري، ولكن إذا كنت تريد جواباً، ... بناء على ما أعرفه، وهو ليس بالكثير، إنه نادٍ خاص

وحصري جداً للصيد البري والمائي غالباً ما يكون أعضاؤه أثرياء، أو نافذين، أو الأمرين معاً”.

“قلت أيضاً إن لديهم نفوذاً سياسياً”.

“هذا ما قلته فعلاً، ويمكنني القول إن أعضائه نصفهم من سياسيي واشنطن والنصف الآخر من سماسرة وول ستريت”.

“من أين تحصل على هذه المعلومات؟”

“جري إطلاعي عليها، فلا تسألني عنها” وأضاف “أنا واثق من أن القائمة الحقيقية والمكتملة لأعضاء النادي ليست معلومات عامة، ولهذا السبب، هناك شخص ما في وزارة العدل أراد مراقبة ذلك الاجتماع”.

“من الذي اتصل بك؟”

“هذا ليس من شأنك”.

“جواب جيد” وفي ما يختص بالرسالة الهاتفية التي بعث بها هاري إلى صديقه، سألت والش “ما العمل الذي كان من المفترض أن يقوم به هاري في المطار؟ وما اسم ذلك المطار؟”

تردد والش قبل أن يجيب، ثم قال: “مطار أديرونذاك المحلي” وأضاف “على الأرجح أنه وصل بعض الأشخاص الذين كان من المقرر أن يحضروا هذا التجمع يوم عطلة الأسبوع على متن طائرة تجارية؛ فهناك طائرة نقل تخدم هناك. وكان من المقرر أن يذهب هاري إلى المطار يوم السبت أو في وقت مبكر من صباح يوم الأحد للحصول على لوائح مطبوعة بأسماء المسافرين”.

أومأت برآسي. لقد نسي والش أن يشير إلى إمكانية الحصول على لائحة المسافرين على متن الطائرات من أي مكتب سفريات يملك حاسوباً، أو مباشرة من مبنى الفيدرالي 26 نفسه بالتعاون مع شركات النقل الجوي. وهذا يعني أن مهمة هاري الأخرى في المطار كانت معرفة هويات الواصلين على متن طائرات خاصة أو مستأجرة. وبعد ذلك يأتي دور شركات تأجير السيارات، فالحصول على نسخ لعقود التأجير سيكون مفيداً جداً في محاولة تحديد الأشخاص الذين ربما حضروا اللقاء. بدأت أفكر في متابعة العملية بنفسي.

على أية حال، عمد توم والش إلى تغيير الموضوع فقال: “فتشيت شرطة الولاية الطائرة بواسطة أجهزة الاستشعار التي تعمل بالأشعة ما تحت الحمراء بحثاً عن كائنات حية كبيرة، أو مانت حديثاً. وهم مدربون ومجهزون تجهيزاً حسناً للبحث عن الأشخاص المفقودين في الغابات”.

“هذا جيد” جاء دوري الآن لتغيير الموضوع فأشرت إلى والش قائلاً: “يبدو أنك تلمح إلى أنها كانت مهمة روتينية، ولكنك هنا في يوم عطلة للاجتماع بهاري والحصول على ملخص للنتائج التي توصل إليها. ومن الواضح أن أعضاء القسم التقني متواجدون لاستلام أقراص الكاميرا الرقمية وشريط الفيديو والتي أفترض

بأنها سترسل في أسرع وقت ممكن إلى واشنطن إضافة إلى أية معلومات يحصل عليها من المطار.”

“ماذا تقصد بكلامك هذا؟”

“ما مدى إلحاحية عملية المراقبة تلك؟”

“ليس لديّ أدنى فكرة. أنا أنفذ الأوامر مثلك بالضبط... في الواقع، أنت لا تنفذ الأوامر، بخلافي أنا”. ونصحتني بالقول: “أنت بحاجة فقط إلى طرح أسئلة تساعدك على إنهاء مهمتك”. وزاد من معلوماتي بالقول: “وظيفتنا هي جمع المعلومات الاستخباراتية. في بعض الأحيان، نعرف كيفية القيام بذلك، وفي أحيان أخرى لا نعرف. يُطلب إلينا في بعض الأحيان التحرك بناء على معلومات استخباراتية، وأحياناً تقوم جهة أخرى بذلك”.

“منذ متى أنتم تعملون على هذه المهمة؟”

“منذ فترة طويلة”.

كما هو الحال دائماً، يوجد صراع خفيف بين الحضارات بين مكتب التحقيقات الفيدرالي والشرطة، وأنا متأكد من أنه يُحبط الجميع.

قالت كايت لوالش: “توم، لقد عملت مع الكثير من أفراد شركة نيويورك منذ أن التحقت بالوحدة التكتيكية، وتعلمت الكثير منهم، وتعلموا الكثير منّا”.

في الواقع، لم أتعلم شيئاً من مكتب التحقيقات الفيدرالي، بالرغم من أن التعامل مع وكالة الاستخبارات المركزية عمل مشوّق.

واصلت كايت حديثها فقالت: “منذ 11 سبتمبر/أيلول، صرنا بحاجة إلى التفكير بطريقة مختلفة، وطرح أية أسئلة نرغب في طرحها، وتحدي المسؤولين عنا عندما لا نفتتح بما يقولونه لنا”.

نظر والش إليها لفترة، ثم قال: “أعتقد أن هناك شخصاً يقدم لك مثلاً سيئاً”.

“كلا، ما حصل قبل سنة مضت هو الذي غير طريقتي في التفكير”.

لم يردّ والش على كلامها وقال: “دعونا نعود إلى موضوع فقدان...”

قاطعته كايت، وبدأت باتباع أسلوب محاميها. “توم، أنا لم أفهم بعد لماذا تخضع هذه المجموعة للمراقبة. ما هو النشاط غير القانوني أو الجريمة الفيدرالية التي يُشتبه بارتكابهم لها؟”

“لا علاقة للعمل الذي يُشتبه بأنهم يقومون به، بصرف النظر عن حقيقته، باختفاء هاري مولر الظاهر، ولذلك لا حاجة لديك إلى أن تعرفي أي شيء عنه”.

تدخلت في الموضوع وقلت له: “هذه مجموعة رجعية، أليس ذلك صحيحاً؟ نادٍ لمعتوهين من الجناح اليميني”.

أوما برأسه موافقاً.

“إذاً، إذا سلمنا بهذه الأمر وحقيقة أن أعضاء هذا النادي الذي يوصف بأنه نادٍ للصيد من أصحاب النفوذ السياسي والمالي الكبير، ربما نحن نتحدث عن مؤامرة للاستيلاء على الحكومة”.

ابتسم وأجاب، “أعتقد بأنهم قاموا بذلك فعلاً يوم الانتخابات”.

“هذه نقطة جيدة. وفي هذه الأثناء، نودّ فعلاً معرفة المعلومات التي أطلعتك عليها القيادة”.

قال: “حسناً، ما قيل لي هو إن لهذا الأمر علاقة بمؤامرة للتلاعب بأسعار النفط. فالشخص الذي من الواضح أنه يدير النادي هو باين مادوكس. ربما سمعتَ هذا الاسم، فهو يملك ويدير شركة النفط العالمية غوكو”. وأضاف “أعتقد أنني أخبرتكما أكثر مما أنتما بحاجة إلى معرفته”.

فكرت في الأمر. بدا الاسم مألوفاً، والتلاعب بأسعار النفط مسألة معروفة. لكن ذلك لا يشرح بالكامل سبب وجود نادي كاستر هيل، أو حتى سبب انتماء أعضائه إليه. هناك شيء غامض في الموضوع، وتوم والنش لن يعتمد إلى توضيح الأمر بطريقة مباشرة حتى ولو كان في مقدوره ذلك.

بالرغم مما تقدم، قلت له: “قرأت المذكرة التي رفعتها”.

“هذا أمر مشجّع”.

قلت: “كنت أعتقد بأن العراقيين على النار الحامية”.

“هذا صحيح”.

“إذاً؟ ما علاقة نادي كاستر هيل بالعراقيين أو بالحرب الوشيكية؟”

“لا توجد علاقة على حسب علمي. جاءت فكرة تكليف هاري بتلك المهمة لأن النادي أراد عقد اجتماع في يوم العطلة، وهو أمر أعتقد بأنه ليس شائعاً. هل تعاني من مشكلة في متابعة ذلك”.

“أنا آسف، فقد كنتُ على استعداد للعمل بموجب مذكرتك، وألفّ خرقة حول رأسي، وأحوم حول مقهى عراقي اليوم”.

قال: “انسَ هذا الموضوع. دعونا نعود إلى المشكلة التي بين أيدينا. بصراحة، لم أبلغ القيادة لغاية الآن عن هذا العميل المفقود، لكن في وقت مبكر جداً، سيقوم شخص هناك بالاستعلام عن المعلومات التي طلبنا الحصول عليها. وعندما يحدث ذلك، عليّ أن أشرح بأنني فقدتُ الاتصال بشكل مؤقت بهذا العميل الذي كُلف بالمهمة. وهذه لن تكون محادثة ودية، لكن إذا تمكنا من الاستراحة بين الحين والآخر، فقد أكون قادراً على توفير بعض الأخبار الإيجابية”.

قلت: “أرغب وكايت في الذهاب إلى شمال الولاية والمساعدة في عمليات البحث”.

أنا واثق من أنني لست خيار توم والنش الأول للقيام بهذه المهمة، ولكنني كنت منووباً في ذلك اليوم، إضافة إلى أنه يعرف بأمر الصداقة التي تجمعني بهاري. كما

أنه كان بحاجة إلى إرسال عميل من مكتب التحقيقات الفيدرالي إلى المنطقة في أسرع وقت ممكن، وكايت ارتكبت خطأً بالجميء إلى هنا لقضاء نصف يوم عطلة، وصار في مقدور والش أن يخبر واشنطن بأن لديه فريقاً فعلاً في طريقه إلى شمال الولاية.

خاطبنا والش قائلاً: "اعتقدت أنك سترغب في القيام بذلك، وبالتالي نكون قد فرغنا من هذه المسألة".

"هذا جيد. سنغادر في أسرع وقت ممكن".

نظر إلى ساعته وقال: "في الواقع، ستغادران في غضون خمس دقائق تقريباً، فهناك سيارة في انتظاركما لكي تتقلكما إلى مطار الطوافات في وسط المدينة. وهناك، ستقلكما طوافة تابعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي إلى مطار أديرونديك المحلي. ستستغرق الرحلة حوالي الساعتين، وستجد سيارة هيرتز مستأجرة باسم جون". وأضاف "اتصلا بي عندما تصلان إلى هناك، وسأزودكما بالمزيد من التعليمات".

سألته كايت، "هل يوجد شخص نتصل به هناك؟"

"ربما، فهناك عملاء من ألباني وآخرون من المنطقة سينضمون إليكما هذا المساء أو في الغد".

سألته، "هل حصلنا على مذكرة تفتيش لنادي كاستر هيل؟"

"آخر شيء سمعته من مكتبنا في ألباني هو أنهم يحاولون العثور على مدع عام يوم العطلة، والذي بدوره بحاجة إلى قاضٍ فيدرالي يرغب في العمل اليوم".

"هل حاولوا البحث في الصالونات؟"

واصل والش حديثه فقال: "سيحتاج المدعي العام إلى إقناع القاضي بأنها قضية فيدرالية، وأن عليه إصدار مذكرة تفتيش لأمالك نادي كاستر هيل - التي تبلغ مساحتها حوالي أربعين كيلومتراً مربعاً - ولكن ليس مبنى النادي نفسه، فنحن لن نتمكن من الحصول على ذلك بدون قضية محتملة، وما من سبب يدعونا إلى الاعتقاد بأن هاري مولر موجود داخل المبنى".

قالت كايت: "لسنا بحاجة إلى مذكرة تفتيش لولا وجود خطر مباشر يهدد حياة شخص".

وافق والش على ما قالته وأضاف، "أنا على ثقة من أن المالك، السيد مادوكس، سيرضى بالبحث عن شخص ربما يكون مفقوداً أو مصاباً في أملاكه، وسنبدأ بسلوك هذا المسار أولاً. لكن في حال لم يكن مادوكس متعاوناً، أو لم يكن موجوداً، وإذا لم يكن موظفو النادي يعرفون ماذا عليهم أن يفعلوا، عندها سننفذ مذكرة التفتيش للبحث في المكان".

سألته، "وكيف سنشرح لمادوكس أنه ربما يكون هناك عميل فيدرالي مفقود في أملاكه؟"

“لا حاجة إلى أن يعرف بأنه عميل فيدرالي. وسنترك أمر تفتيش الملكية إلى شرطة الولاية”. وأضاف “من الواضح أننا نبذل كل ما في وسعنا، من غير أن ننبه مادوكس إلى أنه يخضع للمراقبة”.

قلت: “إذا كان هاري محتجراً لدى حراس النادي، فهذا يعني أن مادوكس يعلم بأنه تحت المراقبة، أليس كذلك يا توم؟”

أجاب والش، “أولاً، لا يوجد دليل أو سبب يحملنا على الاعتقاد بأن هاري محتجراً في نادي كاستر هيل. لكن في حال كان هناك فعلاً، فسيتمسك بقصة غطائه بالتأكيد”.

“وهي؟”

“مراقب للطيور تاه في البرية”.

“أنا أعتقد بأن القصة لن تطير، اعذرنى على هذا الوصف. وماذا لو فتش الحراس مقتنياته؟ هل كان بدون معدات عندما دخل أرض النادي؟”

تردد والش ثم أجاب، “كلا. لكن ما هي احتمالات أن يقوم حراس من القطاع الخاص بإجراء عملية تفتيش بدني لشخص انتهك حرمة أرض؟ وهل سيسمح لهم هاري بذلك؟”

أجبتة، “أنا لا أعرف يا توم، ولكن لا أرغب في معرفة ذلك بالطريقة الصعبة. ولو كنت الشخص الذي اجتاز حدود الأرض لما كنت سأحمل معي بطاقتي الفيدرالية. فأفراد الشرطة الذين ينتحلون صفة تجار المخدرات لا يأخذون مسدساتهم وشاراتهم معهم”.

لا يظهر أن والش قدّر هذه المحاضرة وقال لي: “قبل كل شيء، نادي كاستر هيل ليس وكرّاً للمخدرات، ولذلك لا تستخدم تشبيهات شرطة نيويورك عندما لا تكون لائقة. ولذلك، دعنا نفترض بأن الحراس في نادي كاستر هيل لم يوقفوا هاري، أو يحتجزوه، أو يفتشوه”.

“حسناً، دعنا نفترض إذاً أنه تاه أو أصيب بجرح في أملاك النادي. ينبغي أن تتفدّ شرطة الولاية والشرطة المحلية عملية تفتيش بري وجويّ لأملاك النادي الآن. ماذا ننتظر؟”

“إننا لا ننتظر شيئاً يا جون. إننا نتحدث عن القيام بخطوة في كل مرة، وهم يبحثون في المنطقة الحرجية خارج أملاك النادي”. نظر إلينا وقال: “أنا شخصياً لا أعتقد بأننا سنجد هاري في تلك الأرض، ولا أنتما أيضاً إذا فكرتما في الأمر. دعونا نكون منطقيين، ونوازن بين قلقنا على هاري وحاجتنا إلى إبقاء السيد مادوكس جاهلاً بموضوع المراقبة”.

أجبتة، “أنا لا أعتقد بوجود أمل في ذلك”.

“هذا لا يختلف عن أية مهمة أخرى. ستحصل على ما تحتاج إليه من معلومات عندما تقوم بالخطوة التالية”.

“يبدو الأمر سخيماً بالنسبة لي”.

“إنها السياسة الرسمية المتبعة فعلاً”.

قالت كايت: “جون، ينبغي أن نذهب”.

وقف والش ووقفنا معه. قال: “إذا حدثت تطورات أثناء ذهابكما إلى هناك، فسأتصل بالطوافة”.

تصافحنا وقال والش: “إذا احتجتما إلى قضاء الليلة هناك، احجزا غرفة في فندق”.

قلت: “لا تتوقع أن ترانا إلى أن نعثر على هاري”.

“أتمنى لكما حظاً موفقاً”.

غادرنا مكتب والش، وعدنا إلى مكاتبنا، وأطفأنا حاسوبنا، وجمعنا حاجياتنا، ونزلنا بواسطة المصعد إلى الردهة.

كان هناك سيارة وسائقها في انتظارنا في الخارج. سألتني كايت ونحن في طريقنا إلى مطار الطوافات “ما رأيك؟”

“أعتقد بأنه ما كان ينبغي أن تذهبي إلى المكتب في يوم إجازتك. لا يوجد عمل طيب بدون ثمن”.

قالت: “كنت محظوظة بأنني قدمت إلى هنا. أعني ماذا تعتقد أنه حلّ بهاري؟”

أجبتها، “بناءً على خبرتي وإحصائياتي، التفسير الأكثر احتمالاً لأي حالة اختفاء، وخصوصاً إذا كنا نتحدث عن رجل راشد، هو أن الأمر ليس حادثاً لم يتم اكتشافها بعد، ولا جريمة انتحار، ولا اختفاء مقصود. فمن النادر أن تحدث أعمال غيبية في مثل هذه الحالات”.

فكرت في الأمر وسألتني، “هل تعتقد بأنه تعرّض لحادث”.

“كلا”.

“هل تعتقد بأنه انتحر؟”

“ليس هاري بالشخص الذي ينتحر”.

“هل تعتقد بأنه يضيع وقته في مكان ما؟”

“كلا”.

“إذاً... ”

“أجل”.

ولم نتحدث بعد ذلك طوال فترة ركوبنا في السيارة.

الفصل 18

كانت هناك بضع طوافات جاثمة في المطار، وكان من السهل علينا العثور على طائرتنا لأنها تحمل إشارة مكتب التحقيقات الفيدرالي، وغالبية طائرات مكتب التحقيقات لا تحملها. أنا أفضل السفر إلى مكان والوصول إليه مع مرافقة لا تحمل أية رموز، ولكن الطيار علل ذلك بأنها الطوافة الوحيدة المتوفرة على جناح السرعة. لا توجد لدي مشكلة.

صعدنا إلى متن الطوافة - من نوع بيل جت رانجر - وأقلعت من المنصة التي بجانب النهر الشرقي، وتبعنا مجرى النهر متوجهة شمالاً. على يساري بدا أفق جزيرة مانهاتن، وإلى يميني بدت الأراضي المنبسطة الغامضة لبروكلين وكوينز، والتي من النادر أن أذهب إليها.

واصلت الطائرة تحليقها شمالاً فوق هادسون متتبعه وادي النهر الساحر.

في أقل من عشر دقائق، مررنا فوق جسر تابين زي، وبعد ذلك ببضع دقائق، بتنا نحلّق فوق الأراضي الريفية المفتوحة على جانبي الوادي فيما واصلنا تتبع مجر نهر هادسون شمالاً.

أنا لست معجباً بتمضية الوقت في الهواء الطلق، لكن من هذه النقطة المرتفعة، كان المشهد بانوراما ساحرة من البلدات الصغيرة، والمزارع، والأشجار التي كانت أوراقها الخريفية تتوهج تحت أشعة الشمس الساطعة.

قالت كايت: "ينبغي أن نستأجر منزلاً لقضاء عطلة نهاية الأسبوع هنا".

عرفت أنها ستقول ذلك. فما من مكان نذهب إليه إلا وترغب في استئجار بيت جبلي أو ساحلي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع فيه. وأعتقد بأن عدد تلك المنازل بلغ أربعة عشر منزلاً. أحببتها، كما أحبها دائماً "هذه فكرة رائعة".

كان نهر هادسون، راين أميركا، يتلأل تحت أشعة الشمس، وكان في مقدورنا رؤية المنازل الريفية الكبيرة والقلاع على امتداد ضفتي النهر. قلت: "هناك قلعة رائعة مع لافتة مكتوب عليها 'للبيع'".

تجاهلت ما سمعت وقالت: "أحياناً أفكر في ترك عملي، وشراء منزل في الريف، وعيش حياة طبيعية". وسألتني، "هل سبق أن فكرت بذلك؟"

سمعت هذه العبارة قبل ذلك أيضاً، لكن ليس من كايت، وإنما من أشخاص آخرين منذ 11 سبتمبر/أيلول. والأطباء النفسانيون عللوا ذلك بالإجهاد الذي يلي التعرّض لرضوض نفسية، والقلق من الحرب، والخوف من هجوم آخر، والذعر من جرثومة الجمرّة الخبيثة، ... إلخ. أحببتها "كنت جاهزاً لتوضيب أمتعتي في السنة الماضية كما تذكرين، لكن بعد وقوع الهجمات، عرفت أنني لن أذهب إلى أي مكان". وأضفت "لديّ حوافز تدفعني إلى العمل".

أومأت برأسها وقالت: "أفهم ذلك، ولكنني أفكر باستمرار في أن ذلك سيحصل مرة أخرى، وعندها يمكن أن يكون الهجوم أسوأ. ربما سيستخدمون جرثومة

الجمرة الخبيثة، غازاً ساماً، قنبلة إشعاعية...”

لم أعلق على كلامها.

قالت: “لقد غادر الناس المدينة يا جون”.

“أعرف ذلك. فقد بات أسهل بكثير الآن الحصول على سيارة أجرة، وحجز طاولة في مطعم”.

“هذا ليس أمراً مضحكاً”.

“كلا إنه ليس أمراً مضحكاً”. في الواقع، أنا أعرف أشخاصاً اشتروا منازل في الريف بعد 11 سبتمبر/أيلول، أو اشتروا قوارب من أجل هروب سريع، أو رحلوا ببساطة إلى دبوبوك. وهذا ليس أمراً جيداً بالرغم من أنه ربما يكون ذكياً.

قلت لكاييت: “أنا أكبر منك سنّاً، وأنا لا أزال أذكر زمناً كانت الأمور تسير فيه بطريقة مختلفة. وأنا لا أحب طريقة العيش التي حملنا هؤلاء الأوغاد على اتباعها. إنني أرغب في العيش فترة طويلة بما يكفي لكي أرى الأمور تتجه نحو التحسن، وأرغب في أن ألعب دوراً في تحسينها”. وأضفت، “أنا لن أهرب”.

لم تردّ على كلامي، ونظر كل منا من النوافذ إلى المنظر الطبيعي في فصل الخريف.

على الضفة الغربية لنهر هادسون، ظهرت أكاديمية وست بوينت العسكرية الأميركية بأبراجها القوطية الشاهقة التي تأسر أشعة الشمس. وكان في مقدوري رؤية تشكيل للطلاب العسكريين على أرض الاستعراضات.

قالت كاييت: “إن الأمور لن تتحسن في زمانك أو زماني”.

“لا يمكنك معرفة ذلك. وفي هذه الأثناء، سنبدل أقصى ما لدينا”.

فكرت للحظة ثم قالت: “أعتقد بأنه لا علاقة للقضية التي يعمل عليها هاري بالإرهاب الإسلامي، ولكنها جزء من المشكلة نفسها”.

“من أية ناحية؟”

“الأمر كله يتعلق بأشخاص منخرطين في صراع على القوة من نوع معيّن. فالمراد هو استخدام كلمة الدين، أو السياسة، أو الحرب، أو النفط، أو الإرهاب... من أجل شيء أسوأ بكثير مما شهدناه لغاية الآن”.

“ربما. وفي هذه الأثناء، دعينا نعثر على هاري”.

عادت كاييت إلى النظر من النافذة.

تتميّز كاييت بالشجاعة البدنية، وهذا ما تبين لي عندما استخدمنا السيد خليل كهدف للتدريب بواسطة بندقيته القنّاصة، غير أن أحداث السنة الماضية نالت نصيبها من صحتها النفسية. كما أن عملنا في هذه المهنة لم يساعد أياً منّا في صحته العقلية بسبب قراءة المذكرات السرية التي كانت تصلنا كل يوم والمتعلقة

بهذا الخطر المحلي أو ذلك. كما أن الحرب التي بدأت تلوح في أفق العراق بدأت تتلف أعصاب بعض الأشخاص الذين كنت أعمل معهم.

عاشت كايت أياماً حلوة وأياماً مرّة، كما هو الحال معنا. وهذا اليوم لم يكن يوماً حلواً. في الواقع، كان يوم 10 سبتمبر/أيلول 2001 آخر الأيام الحلوة.

القسم 9

يوم الاثنين

شمال ولاية نيويورك

بالنظر إلى حجم الردّ الفيدرالي المنتظر على حادثة محتملة تُستخدم فيها أسلحة دمار شامل، فقد يشعر المسؤولون عن توجيه الردّ بالتردد في البداية في تشغيل الآليات التي تطلق الردّ.

- الإرهاب في الولايات المتحدة

من منشورات مكتب التحقيقات الفيدرالي، 1997

الفصل 19

بعد مرور ساعتين وخمس عشرة دقيقة على إقلاع الطائرة من مطار الطوافات في وسط المدينة، حلقت فوق بلدة لايك سرانك الواقعة في شمال الولاية. وبعد ذلك ببضع دقائق، ظهر ثلاثة مدارج طويلة للطائرات ترسم مثلثاً محاطاً بالغابة. وأعتقد أنني رأيت دببة متربصة عند حافة الفسحة الخالية من الأشجار.

وفيما كانت الطائرة تهبط، شاهدت بعض الطائرات النفاثة الجميلة التجارية جاثمة على المدرج، بالرغم من أن طائرة واحدة فقط رُسم على ذيلها شعار الشركة المالكة. بالنسبة إلى الطائرات المملوكة من قبل شركات تجارية، لا تدفع هذه الشركات ثمناً لقاء إعلاناتها لأسباب أمنية من ناحية، ولأنها تثير غضب حملة الأسهم من ناحية أخرى. وبالرغم من ذلك، نظرت إلى طائرة كانت تحمل شعار غوكو، ولكنني لم أر أية علامات مميزة بعد أن بدأت طائرتنا تحوم على ارتفاع منخفض.

كان الطيار يتحدث إلى شخص بواسطة جهاز اللاسلكي، ثم هبط بالطوافة على أرض معبّدة خلف مبنى مرتفع مصنوع من الخشب بدا شبيهاً ببيوت أديرونك، ولكنه بدا أنه لا يتناسب بعض الشيء مع مطار. ومن زيارتي المتباعدة للمناطق الجبلية، عرفت أن السكان المحليين يقيمون وزناً كبيراً للتقاليد الريفية، وفوجئت لأن العنابر لم تكن شبيهة بالأكواخ الخشبية.

على كل حال، أوقف الطيار محرك الطوافة، وانخفض مستوى الضجيج بدرجة كبيرة.

خرج مساعد الطيار من المقصورة، وفتح باب الكابينة، وأمسك بيد كايت فيما كانت تهّم بالخروج. تبعتها من غير أن أمسك بيد الرفيق، وقلت له بصوت يعلو على صوت الشفرات الدوّارة المتباطئة، "هل شاهدت دببة؟"

"ماذا قلت؟"

"لا بأس. هل ستبقى هنا؟"

"كلا. سننزود بالوقود، ثم نعود إلى نيويورك". وفيما كان يتحدث، لمحت صهريجاً للوقود يتجه نحونا وهو ما اعتبرته خدمة أسرع من الخدمة التي أحصل عليها في محطات الوقود. واعتقد بأنه لا بدّ وأن للأمر علاقة بشعار مكتب التحقيقات الفيدرالي المرسوم على الطوافة.

التفتُ ونظرت من حولي إلى أرض المطار الخالية تقريباً. كانت طائرات الشركات جاثمة في صف على منحدر أسود على مسافة بعيدة، وبدت وراءها مجموعة متفرقة من الطائرات الصغيرة الخفيفة. ولم يكن يوجد نشاط يستحق الذكر.

كان الطقس بارداً وكان في مقدوري رؤية بخار الهواء الذي أتنفسه، وهو الأمر الذي لم أكن أرغب في رؤيته في الساعة 1:30 من بعد ظهر يوم أحد مشمس في

مطلع أكتوبر/تشرين الأول.

قالت كايت: "هل تشم رائحة الهواء؟"

"أنا لا أشم شيئاً".

"الهواء الجبلي يا جون. وانظر إلى الأشجار وإلى تلك الجبال".

"أين نحن يا تُرى؟"

"في الفردوس".

من الواضح أن المبنى الذي في أديرونذاك كان محطة الوصول الرئيسية للركاب. مشينا نحو المدخل الأمامي الذي كانت له شرفة مسقوفة ومحاطة بقضبان حديدية صدئة. كانت هناك طاولة وماكينه بيبسي على الشرفة، وكان هناك رجل أمن يدخلن سيجارة. لا يمكن لأحد أن يخلط بين هذا المكان ومطار جون كينيدي الدولي.

قالت كايت: "سأتصل بتوم".

"لماذا؟"

قالت: "ربما يفترض بأحد أن يلتقي بنا هنا".

"حسناً، لا يمكنني فهم سبب عدم قدرتهم على العثور علينا". في الواقع، لم يكن يوجد أحد في الجوار، وبالكاد كان هناك أكثر من عشر مركبات في موقف السيارات، نصفها يعود لأشخاص جاءوا بتذكرة ذهاب إلى هذه البرية.

دخلنا المحطة التي كانت أكثر دفئاً من وادي الألب في الخارج. كانت محطة صغيرة، وعاملة، وهادئة.

بالرغم من صغر حجم هذا المكان وعزلته، كانت هناك نقطة تفتيش أمنية، مجهزة بممشى مزود بجهاز كاشف للمعادن وجهاز ماسح للحقائب. لم يكن يوجد موظفون أمنيون عند نقطة التفتيش، كما لم يكن يوجد مسافرون، ولذلك افترضت بأن خروجنا سيكون سريعاً.

نظرت كايت من حولها في المحطة الخالية وقالت: "أنا لا أرى شخصاً قدم لاستقبالنا".

"كيف يمكنك استنتاج ذلك مع كل هذه الحشود؟"

تجاهلت تعليقي وقالت: "هناك مقر لشركة لتأجير السيارات... ومطعم، وغرف جلوس. أين تريد أن تبدأ؟"

"من هنا". توجهت نحو مكتب قطع التذاكر الوحيد والذي كان يحمل شعار كونتيننتال كوميوثير.

سألنتي كايت، "ماذا تنوي أن تفعل؟"

"دعينا نرى ماذا كان يُفترض بهاري أن يجد هنا".

“هذا ليس ما أرسلنا توم...”

“اللعنة على توم”.

فكرت للحظة ثم قالت: “أجل عليه اللعنة”.

اقتربت من المكتب الصغير الذي كانت تعمل فيه امرأة حسنة الهذام في منتصف العمر وشاب جالس على كرسي وهو يراقبنا. بدا أنهما شقيقان، ولسوء الحظ، أعتقد بأن أبيهما شقيقان كذلك!! رحبت بنا السيدة التي كانت تحمل شارة مكتوباً عليها بيتي، “مساء الخير، كيف يمكنني مساعدتكما؟”

أجبتها، “أريد قطع تذكرة إلى باريس”.

سألتني، “هل ترغب في السفر عبر ألباني أو بوسطن؟”

“ما رأيك في عدم السفر عبر أي من المدينتين؟”

قالت بيتي: “سيدي، لا توجد رحلات مباشرة إلى أي مكان من هنا، إلا إلى ألباني أو بوسطن”.

“لا بد أنك تمزحين. وماذا بشأن الطائرات القادمة؟”

“الأمر نفسه. ألباني وبوسطن، كونتيننتال كوميوثير، رحلتان في اليوم. لقد فاتتك للتو آخر رحلة متوجهة إلى بوسطن”. أشارت بإصبعها إلى جداول القادمين والمسافرين على الجدار خلفها وأضافت “تتوجه طائرتنا إلى ألباني عند الساعة الثالثة من بعد الظهر”.

خط طيران جوي واحد، مدينتان، رحلتان إلى كل مدينة. هذا يجعل عملنا أسهل وأسرع. قلت لها: “أرغب في التحدث إلى المدير”.

“أنت تتحدث إلى المدير”.

“اعتقدت بأنك وكيلة لبيع التذاكر”.

“أنا كذلك”.

أمل بالأ تكوني الطيار أيضاً”.

بدت كايت عاجزة عن تحمل سخافاتي، فأبرزت بطاقتها وقالت: “مكتب التحقيقات الفيدرالي، سيدتي. أنا العميلة الخاصة مايفيلد وهذا هو التحري كوري، مساعدتي. هل نستطيع التحدث إليك على انفراد؟”

نظرت بيتي إلينا وقالت: “أه... أنتما الشخصان اللذان وصلا للتو على متن طوافة”.

أعتقد بأن الأخبار الهامة تنتشر بسرعة هنا. أجبتها “أجل يا سيدتي. إلى أين يمكننا الذهاب للتحقق من جداول أسماء الركاب؟”

نهضت من مقعدها، وطلبت إلى مساعدتها، راندي، المحافظة على الحصن، ثم قالت لنا: “اتبعاني”.

دخلنا عبر باب مفتوح إلى مكتب صغير فارغ يحتوي على طاولات، وحواسيب، وأجهزة فاكس، وأجهزة إلكترونية أخرى.

جلستُ إلى إحدى الطاولات، وسألت كايث - لا أعتقد بأنها أعجبت بي - "ما الذي تحتاجين إلى معرفته؟"

أجابت كايث، "أريد الحصول على لائحة بأسماء المسافرين الذين قدموا إلى هنا في أيام الخميس، والجمعة، والسبت، واليوم. كما أريد لائحة بأسماء المسافرين الذين غادروا في تلك الأيام إضافة إلى أسماء من غادروا اليوم." "حسناً..."

سألتها، "هل قدم شخص آخر إلى المكان، أو اتصل بك في الأيام القليلة الأخيرة ليسألك عن جداول أسماء الركاب؟" هزّت رأسها وأجابت، "كلا".

"هل يمكنك التحقق من أن شخصاً اتصل أو جاء إلى هنا في غيابك؟"

أومأت برأسها وقالت: "بكل تأكيد. كان جايك أو هاربيت، أو راندي سيقول لي". ربما كانت كايث على حق في أنه ينبغي عليّ أن أقوم بما قام به الكثير من زملائي وأحصل على وظيفة رئيس دائرة شرطة في بلدة صغيرة حيث يعرف كل واحد طبيعة أعمال الآخرين. يمكن لكايث أن تعمل حارسة عند نقطة دخول السيارات إلى المدرسة، وأمضي كامل وقتي في الحانة، فيما تقيم علاقة مع أحد حراس الغابة.

قلت لبيتي: "حسناً، هل يمكنك طباعة هذه اللوائح؟"

أدارت ببتي كرسيها، وضغطت على أزرار لوحة المفاتيح.

وفيما بدأت الطابعة تخرج أوراقها، نظرتُ إلى بضع صفحات وقلتُ: "لا يوجد الكثير من الركاب في هذه الرحلات".

أجابت ببتي وهي تضغط على المفاتيح "إنها طائرة صغيرة تسيّر رحلات يومية، وهي تتسع لثمانية عشر راكباً على الأكثر".

كانت تلك أخباراً طيبة. سألتها، "وهؤلاء هم كافة المسافرين الذين وصلوا إلى المكان أو سافروا منه في الأيام التي تكلمنا عنها؟"

"لغاية الآن، ولكنني لا أستطيع معرفة من سيسافر إلى ألباني عند الساعة الثالثة، ولا أسماء من سيسافرون يوم غد، ولكنني أحصل على لوائح حجز خاصة بتلك الرحلات".

"هذا جيد". ثم سألتها "هل لديك سجل بالطائرات الخاصة القادمة والمغادرة؟"

"كلا، فهذا خط جوي. لكن الطائرات الخاصة من جملة الملاحة الجوية العامة، ومكتب العمليات يهتم بهذا الأمر".

"بالطبع. ماذا كنت أريد أن أقول؟ إذاً، أين يوجد مكتب العمليات؟"

“عند الطرف الآخر للمحطة”.

لكن قبل أن أتمكن من القول إن المكان ليس كبيراً ليكون له طرف آخر، أضفت بيّتي “ستجد عندهم سجلاً بالطائرات القادمة والمغادرة فقط في حال أمضت ليلة هنا أو تزودت بالوقود”.

هذا ما يعجبني في هذه الوظيفة؛ أنت تتعلم شيئاً جديداً كل يوم عن أمر لن تستخدمه طوال المدة المتبقية من حياتك.

سألته كايث، “هل يمكنك الحصول على هذه السجلات؟”

أجابت بيّتي، “سأرسل راندي لكي يحصل على نسخة عنها”.

أمسكت بسماعة الهاتف وقالت لمساعدتها: “أريد منك هذه الخدمة يا عزيزي. اذهب إلى مكتب العمليات”. شرحت له ما تريده منه، وأعدت السماعة، وخاطبتنا قائلة: “هل يمكنني أن أسأل عن سبب حاجتك إلى لوائح المسافرين؟”

أجابت كايث، “لا يحقّ لنا الإجابة عن هذا السؤال، وأريد منك ألا تتكلمي عن هذا الموضوع مع أي شخص كان”.

وأضفت، “ولا إلى جايك، أو هارييت، أو راندي”.

أومأت بيّتي رأسها بطريقة عفوية فيما كانت تُفكّر في لائحة بكافة الأشخاص الذين ستخبرهم عن زيارة مكتب التحقيقات لها.

وفي غضون بضع دقائق، ظهر راندي وسلّم بعض الأوراق لبيّتي، والتي بدورها سلّمتها إلى كايث. نظر كلانا إلى الأوراق. كان هناك عشرات الطائرات الخاصة التي سجّلت نفسها في الأيام المعنية، ولكن المعلومات الوحيدة التي كانت مذكورة في الأوراق أفادت عن الشركة المصنّعة للطائرة، وطرزها، ورقم ذيلها. سألت بيّتي “هل يمكنك معرفة إن كانت توجد معلومات عن مالكي هذه الطائرات؟”

“كلا، ولكنكم تستطيعون معرفة ذلك من الأرقام الموجودة على الذيل”.

“حسناً، وهل يمكننا معرفة من كان على متنها؟”

“كلا، بالنسبة إلى حركة الطيران العامة - الرحلات الخاصة - لا توجد سجلات بأسماء الركاب. ولهذا السبب تسمى خاصة”.

“هذا صحيح”. وفي هذه الأثناء، يمكن أن يكون أسامة بن لادن على متن طائرة خاصة من غير أن يدري أحد بذلك. والآن، بعد سنة على أحداث 11 سبتمبر/ أيلول، لا يزال الأمن الخاص بالرحلات العامة غير موجود، في حين يجري تفتيش الركاب المسافرين على متن طائرات تجارية، بما في ذلك الأطفال، وأطقم الطائرات، والنساء المتقدمات في السن، حتى عندما يسافرون على متن طائرات صغيرة.

جمعت كايث الأوراق، ووضعتها في حقيبتها الصغيرة.

طرحت على بيتي السؤال النموذجي التالي “هل لاحظتِ أمراً غير اعتيادي في عطلة نهاية الأسبوع؟”

تقدمت بكرسيها نحونا، وسألت “هل لك أن تعطيني مثلاً؟”

لماذا يطرحون هذا السؤال دائماً؟ قلت: “غير اعتيادي، أعني غير اعتيادي”.

هزّت رأسها، وقالت: “لا أذكر حدوث أمر غير اعتيادي”.

“وصول عدد من الأشخاص أكبر من المعتاد؟”

“حسناً، أجل، يصل إلى المطار الكثير من الناس في أيام عطل نهاية الأسبوع. والمكان يشهد ازدحاماً في فصلي الصيف والشتاء. ولكن أعداد القادمين ممن يحبون الاستمتاع برؤية أوراق الأثلج في فصل الخريف ازدادت أيضاً، ثم تأتي عطلة الشكر، ثم عيد الميلاد، والتزلج، و...”

قاطعتها قبل أن نصل إلى يوم 2 فبراير/شباط، وسألتها “هل بدأ أي من الركاب غير مألوف؟”

“كلا، لكن أتعرف؟”

“ماذا تريد أن تقول؟”

“وصلت شخصية هامة من واشنطن”.

“هل كان تائهاً؟”

نظرت إلى كايت كما لو كانت تقول من هذا الأخرق الذي برففتكِ؟

أدارت كايت المناقشة، وسألت “من كان ذلك الشخص؟”

“أنا لا أذكر، وزير ما. ينبغي أن يكون اسمه على لائحة الركاب القادمين”.

“كيف وصل إلى هنا؟”

“على متن طائرة كومبوتير قادماً من بوسطن. أعتقد بأن ذلك حدث يوم السبت. أجل يوم السبت. وصل في رحلة الساعة الحادية عشرة، وقد تعرّف عليه أحد الحراس”.

سألتها كايت، “هل استأجر سيارة؟”

“كلا. أعتقد بأنه التقى بشخص من نادي كاستر هيل؛ إنه نادٍ خاص يبعد حوالي خمسين كيلومتراً من هنا. وكان هناك ثلاثة أشخاص آخرون في تلك الرحلة، وبدا أنهم رقيقة”.

سألتها، “كيف عرفت أن الشخص الذي التقى بالوزير من ذلك النادي؟”

“كان السائق يرتدي ملابس تعود إلى نادي كاستر هيل. وهم يأتون إلى هنا بين الحين والآخر لاصطحاب المسافرين”. وأضافت “حمل الأشخاص الأربعة حقائبهم وغادروا المكان بواسطة سيارة مقفلة خاصة بالنادي كانت في انتظارهم”.

أومأت برأسها. قليلة هي الأحداث التي تمرّ بدون أن يلحظها أحد في الأماكن الصغيرة. سألت بيتي، “هل اصطحبت تلك السيارة المزيد من الركاب القادمين على متن رحلات أخرى؟”

“لست أدري، ربما كنت في إجازة”.

“و هل أوصلت السيارة المقفلة أياً من الركاب المغادرين؟”

“لست أدري، فأنا لا أستطيع دائماً مشاهدة ما يحدث عند الرصيف”.

“حسناً”. لم أنشأ إظهار مزيد من الاهتمام بنادي كاستر هيل، ولذلك انتقلت إلى قصة وهمية وقلت: “ما نودّ معرفته هو إن كان أي شخص يبدو... كيف يمكنني أن أصف لك بدون أن أبدو عرقياً...؟ شخص يبدو كمن جاء من مكان تكثر فيه الجمال؟”

أومأت برأسها تعبيراً عن فهمها لما أردت قوله، وفكرت لثانية، ثم أجابت، “كلا، لا أعتقد بأن شخصاً يحمل هذه المواصفات جاء إلى هنا”.

أراهن على أنهم سيفعلون ذلك. قلت: “هل يمكنك إسداء خدمة لنا والسؤال عن ذلك لاحقاً؟”

أومأت برأسها بحماسة وقالت: “يمكنني ذلك بالتأكيد. هل تريدون مني أن أتصل بكم؟”

“سنتصل بك أو نزورك”.

“حسناً، سأستفسر عن ذلك”. وقفت ونظرت إلينا وسألنا “ما هو الموضوع؟ هل سيحصل شيء؟”

اقتربت أكثر من بيتي، وقلت بصوت منخفض “للأمر علاقة بأولمبياد الألعاب الشتوية في لايك بلاسيد. لا تخبري أحداً بذلك”.

فكرت بيتي في الأمر لبضع ثوانٍ، ثم قالت: “أقيمت الألعاب الأولمبية الشتوية في العام 1980”.

نظرتُ إلى كايت وقلت: “اللعنة، لقد تأخرنا كثيراً”. وسألت بيتي، “هاي، هل حصل شيء؟”

نظرت إليّ كايت بازدراء، ثم قالت لبيتتي: “هذه هي طريقة التحري كوري في التعبير عن عدم قدرته على مناقشة الموضوع. ولكننا نستطيع الاستفادة من مساعدتك”.

في العادة، هذه هي اللحظة التي تقدّم فيها للمواطن الصالح بطاقتك، ولكننا كنا ننشر ستاراً دخانياً، وكانت كايت المسؤولة عن التحقيق، ولذلك قدّمت لبيتتي بطاقتها وقالت: “سنتصل بك. أشكرك على المساعدة”.

“متى احتجتم إلى أي شيء، ما عليكم سوى السؤال”. وأضافت “إذا حاول هؤلاء الأشخاص فعل أي شيء هنا، سنقوم بالتعامل معهم”.

أجبتها بلهجة جون واين “هذه وظيفتنا، سيدتي. لا تحملي مسؤولية تنفيذ القانون على عاتقك”.

أصدرت صوتاً يشبه النخير، ثم قالت: “فيما أنتما هنا، ربما ترغبان في البحث في نادي كاستر هيل؟”

“لماذا؟”

“لأن أموراً غريبة تحدث هناك”.

أحسست كما لو أنني أشارك في فيلم سينمائي قليل الكلفة، حيث يجري تحذير الشخص القادم من المدينة من قبل أحد السكان المحليين من مكان يبعث على القشعريرة في التلة، ثم يتجاهل النصيحة، وهو ما كان سيحدث بالفعل في المشهد الثاني. أجبتها بطريقة عفوية، “شكراً. كيف حال الطعام في المطعم؟”

“ممتاز، ولكنه باهظ الثمن بعض الشيء. جرّب الدبل تشيز برغر”.

بدا وكأن بيتي أكلت منه كثيراً.

رافقتنا إلى خارج المحطة، وقالت لكاييت بنبرة تحذيرية: “بصرف النظر عما ستقومان به يا أنسة، لا تذهبا إلى نادي كاستر هيل”.

ابتسمت لكاييت وأجابت، “لا تطلبي الدبل تشيز برغر”.

في الواقع، كان ذلك أول عمل خطر عزمته على القيام به اليوم قبل الذهاب إلى نادي كاستر هيل.

الفصل 20

بعد أن غادرنا المحطة، قلت لكايث: "أريد الذهاب إلى دورة مياه الرجال".

"ينبغي عليك القيام بذلك، فأنت مليء بالقاذورات".

"أجل، سأوافيك عند مكتب تأجير السيارات".

أنعشت نفسي، ثم ذهبت إلى ناحية مكتب تأجير السيارات في غضون أربع دقائق. النساء يحتجن إلى وقت أطول.

كان يوجد مكتبان - إنتربرايز وهيرتز - الواحد خلف الآخر في ناحية صغيرة قبالة المحطة. كان الموظف في مكتب إنتربرايز جالساً وقرأ كتاباً. وفي مكتب هيرتز، كانت توجد شابة واقفة تعمل على الحاسوب تحمل شارة مكتوب عليها ماكس، والذي افترضت بأنه اسمها وليس مقاسها. قلت: "هاي ماكس، لدي حجز باسم كوري".

"أجل سيدي". تأكدت من الحجز، وقمنا بملء الأوراق في غضون دقائق قليلة فقط، ثم سلمتنا مفاتيح سيارة فورد توروس، وأرشدتنا إلى موقف السيارات المستأجرة، ثم سألتني "هل تحتاج إلى أية توجيهات؟"

"هل تقصدين توجيهات في الحياة؟"

ضحكت وقالت: "كلا، عنيت توجيهات في القيادة. هل تريد خريطة؟"

"بالتأكيد". أخذت الخريطة وقلت: "في الواقع، أنا بحاجة إلى مكان أبيت فيه".

أجابت، "هناك رفّ عليه كتبتيات. نوادي صيد، مطاعم، مناظر جميلة، وغيرها".

"هذا رائع. ما هو أفضل مكان في المنطقة؟"

"ذي بوينت".

"ماذا تعنين؟"

ابتسمت وقالت: "لا أدري يا جون، ما الفائدة؟" وضحكت وقالت: "أنا أوقع الناس بهذه العبارة دائماً".

"أراهن على أنكِ تفعلين ذلك. إذاً، ما هو المكان الذي نتصحيننا بالإقامة فيه؟"

"ذي بوينت".

"حسناً..."

"إنه باهظ الثمن بعض الشيء".

"مئة دولار مثلاً؟"

"كلا، السعر أقرب إلى الألف دولار".

“في العام؟”

“في الليلة”.

“لا بدّ وأنتِ تمزحين؟”

“كلا، أنا صادقة في ما أقول. إنه أشبه بفندق حصري”.

“حقاً” لا أعتقد بأن مكتب المحاسبة سيوافق على ذلك، ولكنني كنت في مزاج مجنون وسألت ماكس، “كيف يمكنني الوصول إلى ذي بوينت؟”

“توقف عن المراوغة”. وضحكت بصوت عالٍ، وضربت الطاولة بيدها وقالت: “تلت منك”.

“هاي، أنتِ طيبة”. ما الذي فعلته لكي استحقّ هذه المعاملة؟

سيطرت ماكس على نفسها وقالت: “هاي، هل تتويان الذهاب إلى هناك فعلاً؟”

“لِمَ لا؟ لديّ عمّ ثري”.

“يتعين أن تكون كذلك”. ثم سألتني، “هل أنت غني؟”

“أنا جون”.

ابتسمت بأدبٍ وقالت: “اسم جميل”.

أعطتني ماكس خريطة، ولاحظتُ وجود الكثير من الطرق المتعرجة الضيقة والتي تمر في أمكنة مكشوفة، والقليل من البلدات. فكرت في هاري الذي يحب أديرونذاك، وسألت الله العافية.

وضعت ماكس إشارة على الخريطة وقالت: “يقع فندق ذي بوينت عند بحيرة سراناك العليا، هنا تقريباً. ينبغي عليك الاتصال للحصول على التوجيهات. كما ينبغي عليك الاتصال لحجز غرفة، لأن الغرف محجوزة دائماً”.

“مقابل ألف دولار لليلة؟”

“أجل، هل تصدق ذلك؟” سحبتُ دليل الهاتف من أسفل الطاولة، ووجدت رقم هاتف فندق ذي بوينت، وكتبته على الخريطة، وقالت لي: “لن تجد منشوراً إعلانياً لهذا المكان في ذلك الرف”.

“حقاً”. وضعت الخريطة في جيبِي، وقالت ماكس: “إذاً، أنت من نيويورك سيتي؟”

“أنا كذلك بالفعل”.

“أنا أحب نيويورك. إذاً، ما الذي جاء بك إلى هنا؟”

“طوافة”.

بدأت تبسم، ثم خطرت ببالها فكرة وقالت: “آه، أنت الشخص الذي قدم على متن طوافة تابعة للأف بي أي”.

“أجل. فولر براش إنكوربوريتد”.

ضحكت وقالت: “كلا، إنها تعني مكتب التحقيقات الفيدرالي”.

جاءت كايت ومعها كوبان من القهوة وقالت: “أنت تمضي وقتاً طيباً هنا؟”

“أنا أستأجر سيارة”.

“يمكنني سماع صوتك وأنت تضحك من المطعم. ما هي النكتة؟”

“ما الفائدة؟”

ضحكت ماكس، ولكن كايت لم تضحك. قلت: “إنها قصة طويلة”.

قالت كايت: “اختصرها”.

“حسناً، يوجد مكان، ... فندق أو شيء اسمه...”

تدخلت ماكس بقصد المساعدة وقالت: “منتجع”.

“هذا صحيح، هناك منتجع يسمى ذي بوينت. في البداية سألتها ‘هل يوجد مكان

جيد لأبيت فيه، فقالت ‘ما الفائدة..؟’”

قاطعتني ماكس قائلة: “كلا، أنا قلت ‘ذي بوينت’ وأنت قلت ‘ماذا تعني بذي

بوينت؟’ وقال...”

قاطعتها كايت، “حسناً، فهمت الموضوع”. وضعت كوب القهوة الذي أحضرته

لي على الطاولة، وسألتني “ما هي النقطة التي نحن عندها الآن؟”

فأجبتها بطريقة احترافية، “أنا على وشك التعريف عن نفسي بأني عميل

فيدرالي”.

سبقتني كايت إلى إظهار بطاقتها وقالت لماكس: “أحتاج إلى نسخ عن كافة عقود

تأجير السيارات بدءاً من يوم الثلاثاء وحتى اليوم، بما في ذلك المركبات التي

أعادها مستأجروها. وانظري إن كان في مقدورك الانتهاء من ذلك في غضون

عشر دقائق. سنكون في المطعم”. مشت كايت نحو الطاولة التالية الخاصة بشركة

إنتربرايز رنت أكار، وتحدثت إلى موظف شاب كان جالساً هناك.

قلت لماكس: “إنها زوجتي”.

“أجل، لم أكن لأخمن ذلك”.

أخذت كوب القهوة، وذهبت إلى المطعم الذي لم يكن في الواقع أكثر من مقهى

صغير. كان السقف والجدران مطليان برسمة لسماء مرعبة مع غيوم بيضاء،

بعكس كل ما سبق أن رأيته في هذا الكوكب. وأسفل السقف كانت تتدلى نماذج

طائرات بلاستيكية مزدوجة الجناح، إضافة إلى صور فوتوغرافية لطائرات

متنوعة. وكان هناك طاولة مع أربعة كراسي خالية بدون ظهر، إضافة إلى حوالي

عشر طاولات كان في مقدوري اختيار واحدة من بينها. جلست إلى طاولة بالقرب

من نافذة تطل على الطريق الضيق.

تقدمت نادلة جذابة ومعها قائمة الطعام وسألت، “كيف مساؤك؟”
“مساوي رائع. أنا سعيد بزواجي. هل يمكنني الحصول على قائمة طعام أخرى؟
ستصل زوجتي في غضون دقائق.”

“بالتأكيد” وضعت القائمة على الطاولة، وذهبت لإحضار قائمة أخرى.
رنّ هاتفي الخليوي، وظهرت على الشاشة عبارة خاص، وهو ما يعني في 90
في المئة من الحالات أنه المكتب، ولذلك قمت بتحويل المكالمة إلى البريد الصوتي.
دخلت كايت المقهى فقلت لها: “لقد رنّ للتوّ هاتفي الخليوي.”
“على الأرجح أن بيرغدروف يبحث عنك.”

جلست، وأصغت إلى بريدها الصوتي، وقالت لي: “توم والش يريد منّي أن
أتصل به.”
“انتظري بضع دقائق.”

“لا بأس.” سحبت مجموعة النسخ من حقيبتها، ووضعتها على الطاولة. أخذت
نصفها، وبدأت أتصفحها فيما كنت أحاول الاتصال بواسطة الهاتف.
“ما هو الشخص الذي تريد الاتصال به؟”
“ذي بوينت.”

كان المجيب على الطرف الآخر اسمه تشارلز. قلت: “أودّ أن أحجز غرفة لهذه
الأمسية.”

“أجل سيدي. لدينا بعض الأماكن.”
“و هل توجد لديكم غرف أيضاً؟”
“أجل سيدي. لدينا غرفة الموهوك في نادي الصيد الرئيسي، وغرفة اللوك أوت
في ‘عش النسر’، وويذروانتش في ‘بيت الضيوف’.”

“على مهلك يا تشارلز. ما الذي يمكنني الحصول عليه مقابل ألف دولار؟”
“لا شيء.”

“لا شيء؟ ولا حتى كوخ في المطبخ؟”
ثم ذكر لي أسعار بعض الغرف الشاغرة، فأعجبني سعر الموهوك الذي يبلغ ألفاً
ومئتي دولار، وهي الغرفة المتوفرة الأقل كلفة. سألته “هل تتوفر في هذا المكان
تدفئة وكهرباء؟”

“أجل سيدي. كم ليلة تنوي البقاء عندنا؟”
“أنا لست متأكداً يا تشارلز. دعنا نبدأ بليتين.”

“أجل سيدي.” وأضاف “إذا بقيت في الفندق يوم الأربعاء، يتعين ارتداء ربطة
عنق سوداء عند تناول وجبة العشاء.”

“هل تقصد أنني بحاجة إلى ارتداء زيّ سهرة لكي أتناول عشاءي في الغابة؟”

“أجل سيدي”. وعلّل ذلك بالقول: “يتناول ويليام أفيري روكيفيلر، مالك الفندق، عشاءه كل مساء مع ضيوفه وهو يرتدي ربطة عنق سوداء. ونحن نحاول أن نمارس ذلك مساء يومي الأربعاء والسبت”.

“ربما أحتاج إلى تقوية هذه الممارسة. هل يمكنني الحصول على خدمة الغرف وأنا في ثيابي الداخلية؟”

“أجل سيدي. كيف تريد تأمين حجزك؟”

أعطيته اسمي وبطائتي الائتمانية الحكومية، وأنهينا بعض التفاصيل الأخرى، وسألته “هل توجد لديكم دببة؟”

“أجل سيدي. لدينا بار في...”

“دببة يا تشارلز، دببة. كما تعرف، أورشوس تيريبالوس”.

“آه، نحن... توجد دببة في المنطقة، ولكن...”

“أطعم الدببة هذه الليلة. أراك لاحقاً”، وأقفلت الخط.

سألته كاييت “هل سمعتك على الوجه الصحيح؟”

“أجل، دببة لعينة”.

“أعني سعر الغرفة”.

“أجل، نحن في غرفة الموهوك. أما ويذروانتش فسعرها ألفا دولار لليلة الواحدة. يبدو السعر باهظاً بعض الشيء”.

“هل أنت مجنون؟”

“لماذا تسألين؟ هاي، بعد قضاء ليلتين في الكوخ الكئيب بي أند بي الذي حجزت فيه، من حقنا المبيت في مكان جميل”.

“أعتقد بأننا سنحصل على بدل إقامة مقداره مئة دولار لليلة الواحدة في منطقة ألباني”. وأضافت “عليك أن تدفع الفارق”.

“سننظر في الأمر”.

رنّ جرس المجيب الصوتي لكاييت. نظرت إليه وقالت: “توم”.

قلت: “أخري الإجابة بضع دقائق إضافية”.

“ربما عثروا على هاري”.

“سيكون ذلك خبراً رائعاً”. تصفحت النسخ محاولاً العثور على شيء لافت.

كما تصفحت كاييت النسخ وقالت: “هذه طائرة كومبوتير عند الساعة الحادية عشرة من قبل الظهر قدمت من بوسطن يوم السبت... واو”.

“واو ماذا؟”

“إدوارد وولفر. أنت تعرف من يكون؟”

“أجل، إنه لاعب الوسط في فريق...”

“إنه نائب وزير الدفاع. شخص متعجرف للغاية يضغط من أجل شنّ حرب على العراق، ومقرب جداً من الرئيس. وكثيراً ما يظهر على شاشات التلفزة”.

“ربما كان هو الشخص الذي تعرّف عليه الموظف في المطار”.

“أجل، وهذا شخص آخر جاء على متن الطائرة نفسها؛ بول دان. إنه مستشار الرئيس...”

“لقضايا الأمن القومي، وعضو في مجلس الأمن القومي”.

“هذا صحيح. كيف عرفت ذلك؟”

“إنه سؤال خطر دائماً”.

“لماذا تحب أن تتظاهر بالحماسة؟”

أجبتها، “إنها غطاء جيد عندما أكون أحمق فعلاً. إذاً، وصل وولفر ودان يوم السبت، إضافة إلى شخصين آخرين، وفقاً لما قالته بيبي، ثم ركبوا جميعاً مركبة مغلقة تعود ملكيتها إلى نادي كاستر هيل”.

نظرت كاييت مجدداً إلى جدول أسماء الركاب القادمين من بوسطن عند الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر يوم السبت وقالت: “هناك تسعة رجال آخرون كانوا على متن الطائرة، ولكنّ أياً من هذه الأسماء لا يذكرنا بشيء، وبالتالي نحن لا نعرف من يكون هذان الشخصان اللذان صعدا إلى المركبة”.

“هذا صحيح”. تصفحتُ لوائح الركاب وقلت لكاييت: “غادر وولفر ودان على متن أول طائرة أقلعت من بوسطن البارحة متوجهين إلى واشنطن”.

أومأت برأسها وهي تفكر، ثم سألتني، “هل يعني ذلك شيئاً؟”

“حسناً، في الظاهر، لا يعني ذلك الكثير. فالكثير من الأغنياء والأشخاص من أصحاب النفوذ يسافرون معاً في إجازة مدتها ثلاثة أيام ليقيموا في منزل جبلي يملكه أحد الأثرياء في صناعة النفط. والأمر أشبه برحلات الاستكشاف، أو تجمّع لمجموعة ‘غارليل’، حيث يتكهن بعض الأشخاص، ووسائل الإعلام، بارتفاع قيمة كافة الأشياء المخادعة: التلاعب بأسعار النفط، والصفقات المالية والسياسية، والمؤامرات الهادفة إلى الاستيلاء على الكوكب، وما إلى ذلك. ولكن في بعض الأحيان، يقتصر الأمر على مجموعة من الأثرياء الذين يسافرون معاً من أجل الاسترخاء، ولعب الورق، والحديث عن النساء، وقول النكات القذرة”.

فكرت كاييت، وقالت: “الأمر كذلك في بعض الأحيان. غير أن شخصاً من وزارة العدل أمر بمراقبة هذا التجمّع”.

أجبتها، “هذا هو بيت القصيد”.

تابعت حديثها قائلة: "وليس من عادة وزارة العدل أن تطلب مراقبة نائب وزير الدفاع، وأحد مستشاري الرئيس، ومن يدري من يكون غيرهم في هذا النادي".

قلت: "هذا تحليل جيد". تفحصتُ لوائح أسماء الركاب وقلت: "نحن بحاجة إلى دراسة خلفية كل شخص قدم إلى هنا على متن طائرة تجارية في الأيام القليلة الأخيرة وننظر إن كانت توجد صلة بينهم - ثم محاولة معرفة ما كان من المفترض أن يكتشفه هاري من هذه المراقبة - من هم الأشخاص الذين توجهوا إلى نادي كاستر هيل".

أجابت كايت، "أنا لا أعتقد بأن هذه هي وظيفتنا. إن توم لم يأتِ على ذكر شيء من ذلك".

"من المستحسن إظهار روح المبادرة. توم يقدر ذلك، وبالمناسبة اللعنة على توم".

جاءت النادلة، فطلب أحدنا تشيز برغر دبل، وطلب الآخر سلطة الكوب، بصرف النظر عن معنى الاسم.

رنّ المجيب الصوتي فنظرتُ إلى الرقم. من غير المفاجئ أنه كان توم والش. قلت: "سأتصل به".

"كلا أنا من سيتصل به".

قلت لها: "دعيني أتولى هذا الأمر، فهو يحبني ويحترمني". اتصلت بهاتف توم الخليوي، وسألته "هل اتصلت بي على المجيب الصوتي؟"

"أجل اتصلت بك وبكايت عبر المجيب الصوتي، واتصلت بكما عبر الهاتف. كان من المفترض أن تتصلا بي حالما تصلان أرض المطار". "لقد وصلنا للتو. لقد واجهنا رياحاً معاكسة".

"استناداً إلى ما قاله الطيار، أنتما هناك منذ ساعة تقريباً".

"كان هناك طابور طويل عند مكتب تأجير السيارات. والأهم من ذلك، هل من أخبار جديدة بشأن هاري؟"

"لم تردنا أخبار جديدة بعد". لم يذكر لي أية تفاصيل. وقال: "أريدك أن تتوجه إلى المقرّ الإقليمي لشرطة الولاية في راي بروك الذي يبعد بضعة كيلومترات عن سارناك لايك. اتصل بالرائد هناك شافير، قائد الفرقة باء، ونسق عملية البحث معه. يمكنك عرض خدماتك وخبراتك، كما هي حقيقة، وعرض المشاركة في عمليات البحث".

"حسناً، أهذا كل شيء؟"

"هذا كل شيء حتى الآن. وفي هذه الأثناء، نقوم بالاتصال عبر بعض القنوات لمعرفة إن كان في مقدورنا إحضار بضع مئات من العناصر من كامب درام للمشاركة في عمليات البحث. فهذا سيسرّع العمليات بدرجة كبيرة. قل لشافير إننا لا نزال نعمل على هذا الأمر".

“سأفعل ذلك”.

“اتصل بي بعد أن تتكلم مع شافير”.

“سأفعل ذلك”.

“حسناً، هل يمكنني التحدث إلى كايت؟”

“إنها في حمام السيدات”.

“قل لها أن تتصل بي”.

“سأفعل ذلك”.

“ماذا تفعل الآن؟”

“أنتظر تشيز برغر دبل”.

“حسناً... لا تتسكع بالقرب من المطار لفترة طويلة، ولا تطرح على الأشخاص الموجودين هناك أية أسئلة”.

“ماذا تقصد بذلك؟”

“كل ما عليه القيام به هو التوجه إلى المقر الإقليمي في أسرع وقت ممكن”.

وأضاف “ولا تفكر حتى في الذهاب إلى نادي كاستر...”

“فهمت”.

“حسناً. لا يوجد شيء آخر”.

أنهيت المكالمة، وسألتي كايت “ماذا قال؟”

ارتشفت رشفة من فنجان القهوة، وعدت إلى أوراقي، وقلت: “يريد منا أن نذهب إلى نادي كاستر هيل ومعرفة إن كان باين مادوكس موجوداً هناك، لنتحدث إليه، ونعرف من هم الأشخاص الآخرون الموجودون هناك”.

“هل قال ذلك؟”

“لم يقل ذلك بالمعنى الحرفي”.

“هل يريدني أن أتصل به؟”

“كما تشائين”.

بدأت تفقد صبرها وقالت: “جون، ما هو الشيء اللعين الذي...؟”

“إليك ما دار بيننا من حديث. لا أخبار جديدة عن هاري، ووالش يريد منا الاتصال بشرطة الولاية، والمساعدة في البحث، وعدم التسكع في منطقة المطار”.

وقلت: “جاءت تعليماته متأخرة كثيراً”.

“أنا لم أسمع شيئاً عن الذهاب إلى نادي كاستر هيل”.

“لَمْ لا تذهبين إلى مقرّ شرطة الولاية فيما أذهب إلى نادي كاستر هيل؟”

لم تجب عن سؤالي.

قلت لها: "كايت، لقد أرسلنا إلي هنا كردّ شكلي على اختفاء أحد رفاقنا في الوحدة التكتيكية. نحن هنا من أجل تلقي الأخبار السيئة أو الأخبار الجيدة، وما إذا تم العثور على هاري ومتى كان ذلك. إنه مجرد بروتوكول وأنت تعرفين ذلك. والسؤال الذي أطرحه عليك هو هل تحيين أن تلعب دوراً انفعالياً أم استباقياً هنا؟"

"لديك طريقة مذهلة في عرض الأمور... دعني أفكر في الأمر."

"سأقوم بذلك."

حضر الطعام، وبدا أن التثيز برغر دبل يمكن أن يتسبب لك بنوبة قلبية في حال لمسته.

سألت كاييت، "هل تريد من بعضاً من هذه السلطة؟"

"وجدت بزّاقة في طبق سلطة في إحدى المرات."

"شكراً".

وقبل أن أتمكن من أكل حاجتي اليومية الدنيا من الدهون، دخل شخص من مكتب إنتربرايز المقهى، وسلم كاييت رزمة من نسخ عقود تأجير السيارات، وقال لها: "دوام عملي ينتهي عند الساعة الرابعة، في حال كنتِ تريدين أن أريك المكان. ربما يمكننا تناول العشاء معاً. سأكتب رقم هاتفني الخليوي على بطاقتي."

"أشكرك يا لاري. سأصل بك لاحقاً". وغادر بعد ذلك.

قلت: "أنت أغريته بالقيام بذلك."

"ما الذي تتحدث عنه؟"

لم أجب، وطلبت الفاتورة لكي يكون في مقدورنا الذهاب حالما تظهر ماكس.

تناولت قزمة أخرى من البرغر، وما لبثت أن دخلت ماكس المقهى، وبعد أن عرفت مكاننا توجهت نحونا على الفور. قالت لكاييت: "هذه كافة العقود التي وقّعناها منذ يوم الثلاثاء وحتى الغد، بما في ذلك السيارات التي تم إرجاعها. يوجد ستة عشر عقداً، إنه يوم عطلة حافل."

قالت كاييت: "أشكرك، وأرجو ألا تأتي على ذكر ذلك أمام أيّ كان."

"بالتأكيد". ثم نظرت إليّ وقالت: "أنت رجل محظوظ لأنك متزوج من امرأة مثل هذه".

كان فمي مليئاً بالبرغر، فأصدرت صوت شخير.

غادرت ماكس، وابتلعت ما كان في فمي من طعام، وقلت: "أنت أغريتها على قول ذلك."

"ما الذي تتحدث عنه؟"

تناولت قزمة أخرى، ووقفت، وقلت: "حسناً، لنذهب".

وضعتُ كايث الأوراق في حقيبتها، ووضعتُ عشرين دولاراً على الطاولة، وغادرنا المقهى. قلت: "إذا كنتِ لا تتوين الذهب معي، فاذهبي إلى مكتب الهيرتز، واستأجري سيارة أخرى. يوجد مقرّ شرطة الولاية في مكان يسمى راي بروك، وهو لا يبعد كثيراً عن هنا. ابحثي عن الرائد شافير، وسأتصل بك لاحقاً".

وقفت، وشعرت بالتردد بين ضرورة تنفيذ أوامر والش ورأيها الذي عبّرت عنه مؤخراً أمامه عن أن العالم قد تغيّر.

وأخيراً قالت: "سأذهب معك إلى نادي كاستر هيل، ثم نذهب بعد ذلك إلى مقرّ شرطة الولاية".

خرجنا من المحطة، ومشينا نحو موقف السيارات المخصصة للتأجير، ووجدنا سيارة التوروس الزرقاء. قادت السيارة إلى أن وصلنا إلى مبنى المحطة حيث يوجد مركز العمليات العام، ثم أوقفتُ السيارة، وقلت: "أريد أن أعرف إن كان لشركة غوكو طائرة نفاثة، وما إذا كانت قد استخدمت هذا المطار". أعطيتها خريطة الطرقات وقلت: "اتصلي بشرطة المقاطعة لتعرفي إن كان في مقدورك الحصول على توجيهات للوصول إلى نادي كاستر هيل".

دخلت المبنى، ووجدت شخصاً جالساً إلى طاولة، ويعمل على الحاسوب. سألته "هل يمكنني قطع تذكرة إلى باريس من هنا؟"

نظر أعلى شاشة الحاسوب وأجاب، "يمكنك الذهاب إلى حيث تشاء إذا كنت تملك أو تستأجر طائرة كبيرة بما يكفي. حتى أنك لست بحاجة إلى تذكرة سفر".

"اعتقدت أنني وصلت إلى المكان المناسب". قدمت له أوراقتي وقلت: "جون كوري من الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب. أنا بحاجة إلى أن أ طرح عليك بضعة أسئلة".

وقف، وتقدم نحو المنضدة، ونظر إلى أوراقتي وسألني "ما الأمر؟"

"من الذي أتحدث إليه؟"

"أنا تشاد ريكمان، مسؤول العمليات".

"حسناً يا تشاد، أريد أن أعرف إن كان هناك طائرة خاصة تستخدم هذا المطار، ومسجلة باسم شركة غلوبال أويل كروبوايشن، غوكو".

"أجل، طائرتان حديثتان من طراز سيسنا سايتايشن. هل توجد مشكلة؟"

"هل توجد في المطار أي منهما؟"

"كلا.. في الواقع حطّت الطائرتان في أرض المطار البارحة صباحاً، تفصل بينهما ساعة تقريباً، ثم تزودتا بالوقود، ثم أقلعتا بعد ذلك ببضع ساعات".

"كم كان عدد الركاب الذين صعدوا إلى متتهما؟"

“لا أعتقد بأنهما نقلتا أي ركاب. في العادة، نحن نرسل سيارة إلى الطائرة، وأنا متأكد من أنه لم يصعد إلى الطائرتين سوى أفراد الطاقم.”

“هل صعد أي راكب بعد أن أعادتنا التزوّد بالوقود؟”

“لا أعتقد ذلك. فقد هبطنا على أرض المطار، وأعادتنا التزوّد بالوقود، ثم أفلعتنا بعد ذلك ببضع ساعات.”

“حسناً، إلى أين توجهتا؟”

“لا يحتاج الطاقم إلى إخباري بوجهته، ولكن عليه إبلاغ إدارة الطيران الفيدرالية.”

“حسناً... كيف يتم الاتصال بين الطاقم وإدارة الطيران الفيدرالية؟ بواسطة اللاسلكي؟”

“كلا، الاتصال يتم عبر الهاتف. في الواقع، سمعت كلا الطيارين يبلاغان عن عزمهما على التوجّه إلى كنساس سيتي، ثم أفلعت إحداهما وتلتها الأخرى بعد ثلاثين دقيقة.”

فكرت في الأمر، ثم سألته، “لماذا تتوجه الطائرتان إلى كنساس سيتي من غير أن تنقلا ركاباً؟”

أجاب تشاد، “ربما كانتا تنقلان شحنة فقط. في الواقع، أذكر أنني رأيت سيارتي دفع رباعي نقلتا إلى الطائرتين بعض الأغراض.”

“ما الذي تم نقله إلى الطائرتين تحديداً؟”

“لم أرَ الحمولة.”

“هاتان طائرتان مخصصتان لنقل الركاب، أليس كذلك؟ بدون شحنة؟”

“أجل. ولكنهما تنقلان حمولة خفيفة في المقصورة.”

“لم أفهم بعد لماذا حلقت الطائرتان بدون ركاب ومع القليل من الحمولة، وتوجهتا إلى المكان نفسه.”

“هاي، إن الشخص الذي يملك الطائرتين، باين مادوكس، يملك آبار النفط اللعينة. وفي وسعه حرق كافة الوقود المخصص للطائرات إذا شاء ذلك.”

“هذا صحيح.” وسألته، “هل كانت كنساس سيتي وجهتهما النهائية؟”

“لست أدري. لكن تلك كانت خطة الرحلة التي سمعت الطاقم يبلاغ عنها عبر الهاتف. وعلى الأرجح أن الأمر يتعلق بمدى التحليق، ولذلك ربما ستواصل الطائرتان رحلتيهما من هناك، أو ربما ستعودان إلى هنا.”

“فهمت... إذن يمكنني الاتصال بإدارة الطيران الفيدرالية للحصول على خطط رحلتهما.”

“أجل، إذا كان مصرحاً لك بذلك، وإذا كنت تعرف أرقام التسجيل المكتوبة على ذيلي الطائرتين”.

“حسناً، أنا مصرح لي بذلك يا تشاد”. وسحبت ورقة كان قد أعطاني إياها تشاد من مكتبه ووضعتها على الطاولة. “ما هي الطائرة التي تعود ملكيتها إلى شركة غوكو؟”

نظر إلى الورقة وتحقق من أمر الرقمين: N2730G و N2731G. ثم قال: “رقما تسجيل متسلسلان. هناك الكثير من الشركات التي تسيّر طائراتها الخاصة وتعمل ذلك”.

“أنا أعرف ذلك”.

“حقاً؟ ما الأمر؟”

“مشكلة تقليدية على علاقة بالضرائب. إن الأثرياء مختلفون عنك وعني”.

“هل تمزح؟”

“حسناً، أشكرك يا تشاد. فكر ملياً في الأمر، واسأل نيابة عني لمعرفة إن كان يوجد شخص يتذكر أي شيء. وإليك رقم هاتفي الخليوي”.

“بالتأكيد”. كتب رقم الهاتف على بطاقتي وسألني، “ما هو الذي تبحث عنه بالضبط؟”

“سبق أن أجبناك؛ التهرب من الضرائب. أكياس مليئة بالمال. لا تخبر أحداً بشأن التحقيق الفيدرالي”.

“لن أتفوه بكلمة”.

غادرت مكتب العمليات، وصعدت إلى السيارة. قلت لكاييت: “هناك طائرتان تملكهما شركة غوكو استخدمتا المطار. وأخبرتها بالتفاصيل فيما كنت أغادر المطار بالسيارة وقلت لها: “إن علينا الاتصال بمكتب إدارة الطيران الفيدرالية في واشنطن لمعرفة خطط الرحلات المستمرة التي أبلغت عنها تلك الطائرتان”.

سألنتي كاييت، “لماذا تريد معرفة ذلك؟”

“لا أدري، لكن مادوكس يثير اهتمامي، وأنتِ لن تعرفي مقدار أهمية هذه المعلومات إلى أن تضيفها إلى الأجزاء الأخرى. في أعمال التحقيق، لا يوجد شيء اسمه الكثير من المعلومات”.

“هل يجدر بي تدوين الملاحظات؟”

“كلا، وسأعطيك واحدة من محاضراتي المسجلة على كاسيت مثل تلك التي أعطيتها لجون جاي”.

“شكراً لك”.

عند نقطة الخروج من المطار، سألت كاييت، “هل حصلت على التوجيهات؟”

“إلى حدِّ ما. قال الرقيب المناوب بأن عليّ سلوك الطريق 3 المتجه غرباً وصولاً إلى الطريق 56 المتجه شمالاً، ثم أسأل هناك”.

“الرجال الحقيقيون لا يسألون عن الاتجاهات”. وسألته، “ما هو الاتجاه الذي يؤدي إلى الطريق 3؟”

“حسناً، بما أنك سألت، انعطف نحو اليسار”.

في غضون دقائق معدودة، وصلنا إلى الطريق 3 الذي يتجه غرباً نحو البريّة. قلت لكايث: “تأكدي من وجود دببة. هاي، هل تعتقدين بأن مسدساً من طراز غلوك و عيار 9 ملم سيوقف دباً؟”

“لا أعتقد ذلك، ولكن آمل بأن تصادف واحداً لكي تعرف الجواب”.

“هذا ليس كلاماً ودّيّاً للغاية”. أسندت ظهرها إلى المقعد، وأغلقت عينيها وقالت: “كل دقيقة تمرّ بدون ورود معلومات عن هاري تجعلني أفكر بأنه ليس حياً”.

لم أجب على التعليق.

التزمت الصمت لفترة، ثم قالت: “كان من الممكن أن تكون أنت المفقود”.

كان من الممكن ذلك، لكن لو كنت الشخص الذي في الغابة في محيط نادي كاستر هيل، لسارت الأمور على نحو مختلف. وهنا أيضاً، ربما كان الحال بخلاف ذلك.

الفصل 21

واصلنا السير غرباً على الطريق 3، وهو طريق بدا أنه لا سبب يدعو إلى وجوده، باستثناء النظر إلى الأشجار أثناء انتقالك من اللامكان إلى اللامكان.

كانت كايت قد أخذت بضع منشورات دعائية في المطار، وبدأت تمعن في قراءتها. وهي تقوم بذلك متى سافرنا لكي تتمكن من زيادة خبراتها، ومن ثمّ تعيد سرد تلك المعلومات عليّ، مثل مرشد سياحي.

قالت إن بحيرة سارناك، والبلدة، والمطار، وهذا الطريق، كلها تابعة لمنتزه أديرونك التابع للولاية. كما قالت إن هذه المنطقة تُعرف بالريف الشمالي، وهو اسم وجدته رومانسياً.

قلت لكايت: "يمكن أن تموتي من البرد هنا في شهر أبريل/نيسان".

تابعت كلامها، وقالت: "هناك أقسام واسعة من المنتزه يرمز إليها على أنها أراضٍ بريّة إلى الأبد".

"هذا أمر يبعث على الاكتئاب".

قالت: "والأرض التي أُشير إلى أنها أرض المنتزه بحجم ولاية نيوهامشير".

"ما هي نيوهامشير؟"

"ومعظمها غير مأهول بالسكان".

"هذا واضح".

في الواقع، عرفت الآن كيف يمكن لشخص أن يتوه هنا لمدة أيام أو أسابيع، أو طوال المدة المتبقية من حياته، ولكنني أدركت أيضاً بأنه يمكن للمرء أن ينجو إذا كان لديه بعض التجارب السابقة في الغابات.

في الواقع، كان الطريق 3 طريقاً جميلاً من مسربين، يمرّ بين الحين والآخر ببلدات صغيرة، ولكن كانت هناك مساحات واسعة من الأراضي البريّة أثارت فيّ رُهاب الأماكن الواسعة ورهاب حدائق الحيوانات. وفهمت لماذا يملك هذا الشخص الذي يُدعى باين مادوكس نادياً للصيد في هذا المكان لو لم يكن في نيته شيء.

قالت كايت: "هذا منظر جميل للغاية".

"إنه كذلك".

كانت هناك لافتات صفراء مع صور ظلّية سوداء لغزلان تقفز، وهو ما اعتقدت بأنه تحذير من احتمال أن يقفز غزال أمام السيارات التي تسير على الطريق.

ظهرت لافتة كبيرة عند أحد المنعطفات عليها رسم أسود لدبّ وكلمة "تحذير". قلت: "هل رأيت ذلك؟ هل رأيت اللافتة التي تحذر من الدببة؟"

"أجل. هذا يعني أنه توجد دببة في المنطقة".

“يا للمصيبة. هل الأبواب مغلقة؟”

“جون، توقف عن التصرف كالأغبياء. الدببة لن تزعجك إن لم تزعجها.”

“الكلمات الأخيرة الشهيرة. كيف تعرفين ما الذي يزعج الدب؟”

“توقف عن الحديث عن الدببة.”

واصلنا سيرنا. لم نشهد الكثير من الازدحام في الطريق، بل بضع مركبات كانت تمرّ في الاتجاه المعاكس نحو بحيرة سارناك.

قالت كايت: “قل لي لماذا نحن ذاهبان إلى نادي كاستر هيل؟”

“إنها الإجراءات التقليدية التي تتبعها الشرطة. عليك أن تذهبي إلى آخر مكان عُرف أن الشخص المفقود كان فيه.”

“هذه القضية أكثر تعقيداً من قضية شخص مفقود.”

“في الواقع، إنها ليست كذلك. ولكن المشكلة مع مكتب التحقيقات الفيدرالي ومع وكالة الاستخبارات المركزية هي أنهما يجعلان الأمور أكثر تعقيداً مما ينبغي أن تكون.”

“هل هذه حقيقة؟”

“أجل إنها كذلك.”

“عليّ أن أذكرك بأننا لا نرغب في لفت نظر مادوكس أو أي شخص آخر هناك إلى أنه كان يوجد عميل فيدرالي في أرضه.”

“أعتقد بأننا سبق أن ناقشنا ذلك. لكن لو كنت في أملاك نادي كاستر هيل ورجلك مكسورة، ولا توجد خدمة لهاتف الخليوي، وهناك دبّ يقضم أصابع قدميك، هل كنت سترغبين منّي أن أتبع الأوامر وأنتظر الحصول على مذكرة تفتيش لكي أبحث عنك؟”

فكرت في الأمر ثمّ قالت: “أعرف بأن الشرطي سيخاطر بحياته وحياته المهنية لمساعدة شرطي آخر، وأعرف أنك ستفعل الشيء نفسه من أجلي؛ بالرغم من أنك ستشعر بالارتباك بشأن دوري المزدوج كزوجة لك وكعميلة من مكتب التحقيقات الفيدرالي...”

“هذه نقطة مثيرة للاهتمام.”

“ولكنني أعتقد بأن لديك خطة أخرى، وتتمثل في التعرف على حقيقة نادي كاستر هيل.”

“ما هو مفتاحك الأول لحل القضية؟”

“حسناً، يمكننا البدء بلوائح المسافرين بالطائرات وعقود تأجير السيارات كخيار أول. ويمكنك الاستعلام عن طائرة شركة النفط العالمية كخيار ثانٍ.”

“لا يبدو أنني أستطيع خداعك.”

“جون، أنا موافقة على أننا بحاجة إلى متابعة البحث عن هاري، لكن فيما عدا ذلك، أنت تتدخل في أمور يمكن أن تكون أكبر بكثير مما تعتقد”. وأضافت “إن وزارة العدل مهتمة بهذا الرجل وهذا النادي وضيوفه. لا تقصد مسار التحقيق”.

“هل تتكلمين بوصفك زميلتي، أم زوجتي، أم المحامية التي تدافع عني؟”

“أنا أتكلم بهذه الصفات الثلاث معاً”. وأضافت “حسناً، عبّرت لك عن وجهة نظري لأنه يتعين عليّ القيام بذلك ولأنني أشعر بالقلق لأجلك في بعض الأحيان. أنت مدفع مشحون”.

“أشكرك”.

“كما أنك لاعم وذكي للغاية، وأنا أثق بحكمك وقرائنك”.

“حقاً؟”

“حقاً. لذلك، حتى وإن كنتُ المسؤولة عنك من الناحية التقنية، فسأتبع قيادتك في هذه القضية”.

“لن أخذلك”.

“يجدر بك ألا تفعل ذلك. كما أريد أن أذكرك أيضاً بأنه لا يوجد شيء ينجح مثل النجاح. فإذا تخطيت... تخطينا الأوامر، فمن الأفضل أن يكون لدينا عذر لتبرير ذلك”.

“كايت، لو لم أكن أعتقد بأن هناك ما هو أكثر من التلاعب بأسعار النفط، لكنا الآن جالسين في مقرّ شرطة الولاية نحتسي القهوة”.

أمسكت بيدي، ثم واصلنا سيرنا.

بعد مرور حوالي أربعين دقيقة على مغادرتنا المطار، شاهدت لافتة للطريق 56 الذي يتجه شمالاً وقالت لكاييت: “حانة إلى اليمين”.

ضغطت على المكابح، وشهرت مسدس الغلوك، وقلت: “أين؟”

“هنا، حانة إلى اليمين. انطلق”.

“آه حانة. إياك أن تستعملي تلك الكلمة”.

“انعطف نحو اليمين. لقد وصلنا”.

انعطفت نحو الطريق 56 الذي يتجه شمالاً ثم واصلت سيرتي. كان ذلك الطريق أرضاً برّية حقيقية وقلت لكاييت: “يبدو أننا في منطقة هندية. ماذا يقول المنشور عن الهنود؟ هل هم أصدقاء؟”

“يقول إن معاهدة السلام مع السكان الأميركيين المحليين تنتهي يوم عيد كولومبوس، سنة 2002”.

“هذا أمر مضحك”.

سرنا مسافة ثلاثين كيلومتراً تقريباً، وشاهدنا لافتة بنية اللون تقول إننا نغادر منتزه أديرونداك.

قالت كايت: "قال الرقيب المناوب إن نادي كاستر هيل يوجد في أرض خاصة داخل المنتزه، وهذا يعني أننا تجاوزناه". ثم نظرت إلى الخريطة التي حصلت عليها من مكتب الهيرتز وقالت: "هناك بلدة تسمى ساوث كولتون على مسافة بضعة كيلومترات. سنتوقف هناك، ونسأل عن الاتجاه الصحيح".

واصلت سيرتي، وما لبثت أن برزت مجموعة صغيرة من المباني، وشاهدت لافتة مكتوباً عليها 'ساوث كولتون - بلدة صغيرة'.

كانت هناك محطة للوقود عند طرف بلدة صغيرة، فتوقفت عندها. قلت لكايث: "أذهبي واسألي عن الاتجاهات".

"جون، حرك رجليك، واذهب، واسأل عن الاتجاهات".

"حسناً، ستأتين معي".

خرجنا من السيارة، وأرخينا عضلاتنا، ودخلنا مقهى ريفياً صغيراً.

شاهدنا رجلاً كبيراً نحيل البدن يرتدي سروال جينز وقميصاً عليه رسوم يجلس إلى طاولة مكسوة بقطعة من القماش، هو يدخن سيجارة، ويشاهد برنامجاً عن صيد الأسماك على شاشة تلفاز وُضع على منضدة. بدا الاستقبال أقل من مثالي، ولذلك وجهت أذني الأرنب تجاهه وقال: "اجلس حيث أنت، فالمكان هناك جيد".

حالما أبعدت يدي عن أذني الأرنب حتى فقد روح الاستقبال مجدداً. أذكر أن إحدى وظائفني وأنا طفل صغير كانت العمل كهوائي لتلفاز العائلة، ولكنني كبرت على ذلك الآن، فقلت له: "إننا بحاجة إلى الحصول على بعض التوجيهات".

"أحتاج إلى طبق لاقط للقمر الصناعي".

"هذه ليست فكرة سيئة. يمكنك التحدث مباشرة إلى الرقاقة الأساسية. نريد التوجه إلى..."

"من أين قدمتم؟"

"من بحيرة سارناك".

"حقاً؟ نظر إلينا للمرّة الأولى، وتحقق من سيارة التوروس الواقفة في الخارج وسأل، "من أين أنت؟"

"من كوكب الأرض. انظر لقد تأخرنا..."

"هل تريد التزود بالوقود؟"

"بالتأكيد، لكن ينبغي أولاً..."

"هل تحتاج السيدة إلى الذهاب إلى دورة المياه؟"

أجابت كايت، "شكراً لك. إننا متوجهان إلى نادي كاستر هيل".

لم يجب لبضع ثوان، ثم قال: “حقاً؟”

سألته كايته، “هل تعرف أين يوجد هذا النادي؟”

“بالطبع، فأعضاؤه يتزودون بالوقود هنا، وأنا لا أقدم خدمات صيانة لسياراتهم، ولكنهم يأخذونها إلى التاجر في بوتسدام”. اللعنة، ما نسيتته من الخبرة في إصلاح السيارات يفوق ما يمكن أن يعرفه هؤلاء الأغبياء الذين يعملون عند تاجر السيارات. لكن في حال علقوا في الثلج أو الوحل، بمن تعتقد أنهم سيتصلون؟ بالتاجر؟ اللعنة لا. سوف يتصلون برودي، الذي هو أنا. لماذا، في شهر يناير/كانون الثاني فقط، أو ربما فبراير/شباط... أجل تساقطت هذه الكمية الكبيرة من الثلوج في منتصف الشهر، هل تذكر ذلك؟”

أجبت، “ربما كنت في باربادوس. انظر يا رودي...”

“لدي ماكينة للوجبات الخفيفة، وماكينة أخرى للكولا. هل تحتاج إلى قطع نقدية؟”

استسلمت وقلت: “أجل من فضلك”.

هكذا، حصلنا على قطع نقدية، واشترينا بعض الوجبات الخفيفة المتحجرة من الماكينة، إضافة إلى علتي كوكاكولا، واستخدمنا دورة المياه، وتزودنا ببضع غالونات من البنزين.

عدت إلى المكتب الصغير، وسددت ثمن الوقود مستخدماً إحدى بطاقات الماستر كارد الحكومية. فالعملاء يحملون نوعين من بطاقات الاعتماد، واحدة للطعام، والإقامة والأشياء المتنوعة الأخرى، والثانية مخصصة للوقود. كُتبت على بطاقة الاعتماد الخاصة بالوقود “كوربوريت” و”آر أند آي أسوشيتيس”، والتي لم تكن تعني شيئاً، ولكن رودي المزعج سألني، “ماذا تعني عبارة آر أند آي أسوشيتيس؟”

أجبت، “صانعو ثلاجات وثلج”.

“حقاً؟”

أردت تغيير الموضوع فسألته، “هل لديك خريطة محلية؟”

“كلا. ولكن في وسعي رسم واحدة لك”.

“مجاناً؟”

ضحك، وبدأ يفتش في كومة من البريد التافه، ووجد منشوراً يروج لمسابقة في مصارعة الأيل أو شيء من هذا القبيل، وبدأ يكتب على ظهر المنشور مستخدماً قلم رصاص. قال: “إذا، عليك أن تصل إلى طريق ستارك، ثم تتعطف يساراً علماً بأنه لا توجد لافتات، ثم تصل إلى الطريق جو إنديان...”

“عفواً؟”

“جو إنديان”. ثم أعاد ما قاله تحسباً لاحتمال أن أكون غيبياً، ثم قال: “ستصل بعد ذلك إلى طريق ليس له اسم حيث يقطعون الأشجار، واصل سيرك مسافة خمسة

عشر كيلومتراً تقريباً. وبعد ذلك، عليك أن تتوجه إلى طريق ماكوين بوند في جهة اليسار، والذي يؤدي إلى أرض نادي كاستر هيل. لا يمكنك أن تحيد عنه، إلا في حال جرى توقيفك”.

“من قبل من؟”

“الحراس. لديهم بيت هناك وبوابة”. وأضاف “يوجد سياج يحيط بكامل الأرض”.

“حسناً، أشكرك يا رودى”.

“لماذا تتوي التوجه إلى هناك؟”

“إننا نلبي طلباً لصيانة الثلجة. توجد مشكلة في جهاز صنع الثلج”.

“حقاً؟” نظر إلينا وقال: “هل يتوقعون مجيئكم؟”

“بالتأكيد. فهم لن يتمكنوا من صنع شراب الكوكتيل ما لم نحل مشكلة الثلجة”.

“ولم يزودكم بأية إرشادات للوصول إلى المكان؟”

“لقد قاموا بذلك فعلاً، ولكن كلبي أكلها. حسناً، شكراً...”

“هاي، هل تريد نصيحة؟”

“بالتأكيد”.

“ينبغي أن أحذركما، شريطة ألا تذكروا اسمي”.

“حسناً”.

“اقبض مالك سلفاً، فهم يماطلون في تسديد الفواتير. وهذا هو سبب ثرائهم. إنهم يماطلون في تسديد فواتير العمال”.

“أشكرك على التحذير”.

غادرنا المكان، وقلت لكايث: “إننا في برنامج الكاميرا الخفية. أليس كذلك؟”

“بدأت أعتقد أننا كذلك”.

ركبنا السيارة، وعدنا إلى الطريق 56، ودخلنا المنتزه، وبحثنا عن الطريق ستارك.

وصلت إلى الطريق الضيق الذي كان يمرّ بين مجموعة من الأشجار، وانعطفت نحوه. سألت كايث “هل تريدين تناول شريحة من لحم البقر؟”

“لا شكراً، وإياك أن تتسكع”.

كنت جائعاً بما يكفي لكي أكل دُبّاً، ولكنني قنعت بشريحة من لحم البقر سيئة المذاق. ألقيت بلفافات السيلوفان في المقعد الخلفي، وكان ذلك مساهمة مني في حماية البيئة.

اقتربنا من نادي كاستر هيل. واستناداً إلى ما قاله والش، من المفترض أن عمليات تفتيش جويّة وبريّة قد بدأت في محيط أرض النادي، ولكنني لم أسمع أصوات طوافات ولا طائرات ذات أجنحة ثابتة، كما لم أشاهد أية مركبات للشرطة تبحث في المكان. لم يكن ذلك مؤشراً جيداً، أو ربما كان مؤشراً مثالياً.

نظرت كايت إلى هاتفها الخليوي وقالت: "يوجد إرسال الآن، كما وصلتني رسالة".

بدأت باسترجاع الرسالة، ولكنها قالت: "فقدنا الإرسال. لا توجد رسائل، ولا مكالمات".

"ماذا لو عثروا على هاري؟"

أجبتها، "لا أريد أن أعرف أصلاً. إننا ذاهبون لرؤية باين مادوكس".

وضعت هاتفها الخليوي في جيبها، ثم رنّ المجيب الصوتي الذي تحمله كايت، وبعد ذلك بدقة، رنّ جهازها.

تبعنا إرشادات رودي، وفي غضون عشرين دقيقة، وصلنا إلى طريق ماكوين بوند الذي كان ضيقاً، ولكنه معبّد.

شاهدنا لافتة كبيرة فوق الطريق مثبتة بعمودين يبلغ ارتفاعهما ثلاثة أمتار ومزودين بأضواء كاشفة. كتب على اللافتة، أملاك خاصة - لا تتجاوز الحدود - توقف عند البوابة التي أمامك أو عدّ أدراجك.

مررنا أسفل اللافتة ووجدنا فسحة أمامنا، وبوابة حديدية، وبيتاً ريفياً خشبياً خلفها.

خرج رجلان يرتديان ثياباً مرقطه من البيت كما لو كانا يعرفان بشأن قدومنا قبل وقت طويل من وصولنا إلى البوابة. قلت لكاييت: "توجد أجهزة لاستشعار الحركة أو الصوت. وربما توجد كاميرات تلتفتة أيضاً".

أضافت كايت، "ناهيك عن هذين الشخصين اللذين يحملان مسدسين، وذاك الذي يراقبنا باستخدام منظار".

"يا إلهي، كم أكره الحراس الخصوصيين. أعطهم سلاحاً وبعض الصلاحيات، و..."

"هناك لافتة تقول حافظ على سرعة عشرة كيلومترات في الساعة".

خففت السرعة مع اقترابي من البوابة المغلقة. وعلى مسافة ثلاثة أمتار من البوابة كان يوجد مطبّ للسرعة ولافتة كتب عليها **توقف هنا، فتوقفت.**

انزلت البوابة الكهربائية مسافة متر تقريباً، ومشى أحد الأشخاص نحو السيارة. أنزلت زجاج النافذة، واقترب الرجل مني وسألني "كيف يمكنني أن أساعدك؟"

كان الرجل في العقد الثالث، يرتدي ثياباً عسكرية مرقطة، وقبعة، وينتعل حذاءً عالي الساق، ويحمل مسدساً. كما كانت تعابير وجهه توحي بأنه بارد جداً وربما خطر في حال استُفز. وكل ما كان ينقصه هو نظارات شمسية وصليب معقوف. قلت له: "أنا العميل الفيدرالي جون كوري وهذه هي العملية الفيدرالية كايت مايفيلد. لقد جننا لرؤية السيد باين مادوكس".

بدا أن كلامي حطّم وجهه الحجري. سألني، "هل يتوقع مجيئكما؟"

"لو كان يتوقع مجيئنا، لكنتَ عرفتَ بذلك، أليس كذلك؟"

"هل يمكنني أن أرى بطاقتك؟"

أردت أن أريه مسدسي الغلوك أولاً لكي يعرف بأنه ليس الشخص الوحيد الذي يحمل سلاحاً، ولكن لكي أكون لطيفاً، سلمته بطاقتي، وكذلك فعلت كايت.

تفحص البطاقتين، وشعرت بأنه وجد أنهما حقيقتان، أو أنه كان يدّعي بأنه يتقن فحص الأوراق الثبوتية.

قاطعت قراءته المتأنية وقلت له: "أريد استرجاع هاتين البطاقتين".

تردّد، ثم أعادهما لي. كررت طلبي وقلت: "جننا لرؤية السيد مادوكس في لقاء عمل رسمي".

"ما هي طبيعة عملك؟"

"هل أنت السيد مادوكس؟"

"كلا ولكن..."

"انظر يا رفيقي، لديك عشر ثوانٍ تقريباً لتقوم بعمل ذكي. اتصل بمن في الداخل إذا كنت بحاجة إلى القيام بذلك، ثم أفتح هذه البوابات اللعينة".

بدا عليه الانزعاج بعض الشيء، ولكنه حافظ على برودته وقال: "انتظر".

عاد إلى البوابة مجدداً، وانسلّ من خلال الفتحة، وتحدث إلى الشخص الآخر. ثم دخل الرجلان بيت الحراسة بعد ذلك.

سألتني كايت، "لماذا تميل دائماً إلى المواجهة؟"

"المواجهة هي عندما أشهر مسدسي، والمجادلة هي عندما أضغط على الزناد".

"العملاء الفيدراليون مدربون على التصرف بطريقة مؤدّبة".

"لقد فانتني ذلك الصف".

"ماذا لو لم يسمحوا لنا بالدخول؟ ففي وسعهم منعنا من الدخول إلى أملاك خاصة إذا لم تكن في حوزتنا مذكّرة تفتيش".

“أين ذكر ذلك؟”

“هذا منصوص عليه في الدستور.”

“أراهنك بمبلغ عشرة دولارات بأننا سندخل؟”

“أراهنك على ذلك.”

عاد الفاشي الجديد إلى سيارتنا وقال: “أريد منك أن تمرّ عبر البوابة، وتوقف سيارتك ناحية اليمين. وستقلك سيارة جيب إلى نادي الصيد.”

“لماذا لا أذهب بسيارتي إلى هناك؟”

“من أجل أمنك وسلامتك يا سيدي، ولأن سياستنا التأمينية تنصّ على ذلك.”

“حسناً، لا نريد أن نعبث مع شركة التأمين. هاي، هل توجد دبية في هذه الأرض؟”

“أجل سيدي. أرجو منك المرور عبر البوابة والبقاء داخل السيارة إلى أن تصل سيارة الجيب.”

هل اعتقد ذلك الأبله بأنني سأخرج من السيارة فيما تنتشر الدبية في المكان؟

أشار إلى الشخص الذي كان يقف بالقرب من بيت الحراسة، وما لبثت أن انفتحت البوابة الحديدية المنزقة.

قادت السيارة إلى حيث أرشدني، وانعطفت نحو بقعة مكسوة بالحصى. أغلقت البوابة خلفنا، وقلت لكأيت: “أهلاً بك في نادي كاستر هيل. أنت تدينين لي بعشرة دولارات.”

ضحكت وقالت: “أراهنك بعشرين دولاراً إذا خرجنا من هنا حيّين.”

اقتربت سيارة جيب سوداء ذات نوافذ ملونة، وتوقفت وخرج منها شخصان يحملان مسدسين، ويرتديان ثياباً مرقطة، وتقدما نحونا.

قلت: “أريد المبلغ الذي راهناً عليه.”

اقترب أحد الأشخاص من النافذة وقال: “أرجو منك أن تترجل من السيارة، وتقلها، وتتبعني.”

بدا المكان أشبه بمكان يمكن أن يضع فيه شخص جهازاً للتعقب أو للتصتت في سيارتك، ولذلك لم يكن في نيّتي الخروج من السيارة. قلت له: “لديّ فكرة أفضل. أنت تتقدم بسيارتك، وأنا أتبعك.”

تردد ثم قال: “اتبعني عن قرب والتزم بالسير على الطريق.”

عاد إلى سيارة الجيب، واستدار بالسيارة، وتبعته صعوداً نحو تلّ عبر حقل مكشوف تحيط به نتوءات صخرية كبيرة.

قالت كأيت: “افترضت أنك أردت تقادي تركيبهم خيارات غير مرغوب فيها في السيارة.”

أحببتها، “عندما ترين هذا المستوى من الأمن، عليك ألا تكوني أقل هوساً بالأمن منهم”.

“أنت تعرف دائماً كيف تتعامل مع كل وضع سيئٍ توقعنا فيه”.

“أشكرك”.

اصطفت على جانبي الطريق أعمدة إنارة، كما لاحظت سلسلة من الأعمدة الخدمية تبدأ من خط الأشجار عبر الحقل المكشوف وصولاً إلى خط الأشجار التالي. كانت الأعمدة تحمل خمسة أسلاك، وأثناء مرورنا أسفلها، لاحظت أن ثلاثة منها سميكة واعتقدت بأنها خطوط رئيسية لإمداد الطاقة.

عند منتصف الطريق على التلّ، شاهدت منزلاً ضخماً، بحجم فندق صغير. وقبالة البيت، كان يوجد وتد يرفرف عليه العلم الأميركي، وأسفل العلم كان يوجد علم أصفر مثلث الشكل.

رأيت في أعلى التلّ خلف البيت برجاً طويلاً بدا أشبه ببرج لترحيل الموجات الخليوية، وهو ما يفسر توفر الإرسال هنا، ولذلك لا بدّ وأنه توفر الإرسال لهاري في حال كان حياً وبصحة جيدة. وتساءلت إن كان هذا البرج يعود لشركة الهاتف أم أنه لباين مادوكس.

وصلنا إلى المنزل الذي كان أمامه مرآب سيارات مفروش بالحصى، حيث كانت سيارة جيب سوداء أخرى متوقفة فيه إلى جانب سيارة زرقاء من طراز فورد توروس شبيهة بالسيارة التي كنت أقودها، لكن كان يوجد عليها ملصق يحمل الحرف إي على صدامها الخلفي، والذي استنتجت بأنه يرمز إلى شركة إنتربرايز لتأجير السيارات. ولذلك، ربما لا يزال بعض ضيوف عطلة نهاية الأسبوع موجودين هنا. كما كانت هناك سيارة مقفلة زرقاء اللون؛ وعلى الأرجح أنها السيارة التي أشارت إليها بيتي.

توقفنا أسفل رواق كبير ذي أعمدة، وخرج رجلان من الأبواب المفتوحة. ترحلت وكايت من السيارة. كانت تحمل حقيبة مليئة بلوائح أسماء الركاب وعقود تأجير السيارات. حفظت أرقام لوحة سيارة شركة إنتربرايز، ثم أقفلنا أبواب سيارتنا ونظرنا حولنا.

كان المكان المحيط بالمنزل خالياً مسافة كيلومتر تقريباً من كافة جوانبه، وهو ما يوفر مطلقاً جيداً وأمناً جيداً جداً. لا بدّ وأن هاري مرّ بأوقات صعبة وهو يحاول

الاقتراب مسافة كافية من هذا المرآب لكي يلتقط صوراً فوتوغرافية للوحات السيارات ومستخدميها، حتى وإن كان قد استخدم الصخور النائثة كغطاء له.

كما أحصيت وجود أربعة حراس لغاية الآن، وساورني إحساس بوجود المزيد منهم. بدا أن المكان يخضع لحراسة مشددة، وصرت متأكداً الآن من أن هاري تورط في موقف صعب.

خاطبنا سائق سيارة الجيب قائلاً: "اتبعني من فضلكما".

قلت له: "حذاري لمس هذه السيارة. إذا اكتشفت بأن أحداً أضاف مزيّة غير مرغوب فيها إلى هذه السيارة، فسيدخل السجن. هل هذا مفهوم؟"

لم يجب، ولكنه فهم التحذير.

صعدنا بضع درجات نحو الشرفة المسقوفة حيث كان يوجد صف من كراسي أديرونذاك الثابتة والهزّازة قبالة منحدر التل. وفيما عدا الحراس المخبولين، كان المكان لطيفاً وأليفاً. وتبيّن لي أنه يوجد في العلم المثلث الأصفر رقم 7.

قال الحارس: "أرجو أن تنتظروا هنا"، ودخل المنزل.

وقفت وكأيت في الرواق، وقلت لها: "ربما كان هذا المكان معروضاً للبيع، مع جيش صغير".

لم تعلق على كلامي وقالت: "عليّ أن أتحقق من الرسائل".

"كلا".

"جون، ماذا لو..."

"كلا. هذه إحدى المرات النادرة التي لا أرغب فيها في الحصول على أية معلومات جديدة. نريد أن نجتمع بباين مادوكس".

نظرت إليّ، وأومأت برأسها تعبيراً عن تفهمها لموقفي.

فُتح الباب، وقال الحارس: "ادخلا"، فدخلنا نادي كاستر هيل.

الفصل 22

مشينا في ردهة تعلوها شرفة، وثرىا ضخمة مصنوعة من قرون الوعول. كانت الردهة مكسوة بخشب الصنوبر الأصفر ومزينة على النمط الريفي بالبُسط المتشابكة، واللوحات التي تصور صيد الحيوانات والأسماك، والقليل من قطع الأثاث المصنوعة من أغصان الأشجار. ساورني إحساس بأنه لا علاقة للسيد مادوكس، إذا كان يوجد شخص بهذا الاسم، بهذا المنزل. قلت لكاييت: "إنه مكان جميل".

أجابتي بالقول: "أنا واثقة من أنه يوجد رأس أيل في مكان ما هنا".

سمعنا وقع أقدام في الممر في الجانب الأيسر، وشاهدنا حارساً من نوع آخر، كان رجلاً في منتصف العمر يرتدي ملابس زرقاء اللون، وما لبث أن دخل الردهة. لا بدّ وأنه أحد حراس القصر. عرّف عن نفسه بأنه كارل، وسأل "هل لي أن أخذ معطفيكما؟"

قلنا له: "إننا نفضل عدم خلعهما". ثم خاطب كاييت بالقول: "هل يمكنني وضع حقبتك في غرفة الملابس؟"

أجابت، "سأحملها معي".

ردّ عليها بالقول: "أريد أن أفنش الحقيبة وذلك لأسباب أمنية".

أجابت كاييت، "انس الموضوع".

بدا أن الجواب أثار غيظه، فسألنا، "ما هي طبيعة عملكما مع السيد مادوكس؟"

قلت: "انظر يا كارل، إننا عميلان فيدراليان، ونحن لا نخضع لعمليات التفتيش، ولا نسلم أي شيء في حوزتنا، بما في ذلك مسدساتنا، ونحن لا نجيب على الأسئلة، بل نطرحها. وإما أن تصحبنا إلى السيد مادوكس الآن أو نعود مع مذكرة تفتيش، مع عشرة عملاء فيدراليين آخرين، إضافة إلى شرطة الولاية. كيف تريد أن تسيّر الأمور؟"

بدا كارل غير واثق مما يجب أن يفعله، ولذلك قال: "دعني أتحقق من الأمر"، ورحل.

همست كاييت في أذني، "أراهنك بمبلغ عشرة دولارات على أننا سنرى هذا الماكر".

"كلا، لن تحصلي على مالك بعد أن وضعته أمام خيار واحد".

أمسكت بهاتفي الخليوي، والمجيب الصوتي، وأوقفت تشغيلهما، وقلت لكاييت: "هذه الأشياء تخيف المشبوهين أحياناً، أو تقطع المحادثة في لحظة حرجة". وأضفت، "هذه من المرات التي يُسمح لنا فيها بكتّم صوت المجيب الصوتي".

"أنا لست متأكدة من صحة ذلك، ولكن... وبعد تردد، أوقفت تشغيل هاتفي الخليوي والمجيب الصوتي.

لاحظتُ وجود لوحة زيتية كبيرة معلقة على الجدار البعيد. كانت تصوّر معركة لـ'لينتل بيغ هورن'، والجنرال جورج أرمسترونغ كاستر ورجاله المحاصرين بالرجال الهنود الذين يمتطون الجياد، وبدا أن الهنود كانوا منتصرين.

قلت لكاييت: "هل سبق أن شاهدتِ لوحة لموقف كاستر الأخير في متحف الفنون الحديثة؟"

"كلا، هل شاهدتها؟"

"أجل، إنها لوحة تجريدية تذكّرني بماغريت أو دالي".

لم تجب، وأنا واثق من أنها تعجبت من معرفتي بماغريت ودالي، وما إذا كنت ذهبت إلى متحف أصلاً.

قلت: "تُظهر اللوحة هذه السمكة مع عين كبيرة وهالة، وهي تطفو في الهواء، وأسفل السمكة كافة هؤلاء الأميركيين الأصليين الذين يجانسون".

"ماذا قلت؟ ما علاقة هذا الأمر بموقف كاستر الأخير؟"

"حسناً، اللوحة تعمل العنوان سمكة المكاريل المقدسة، انظر إلى هؤلاء الهنود الملاعين".

لم تنبس ببنت شفة.

"هل فهمت اللوحة؟ السمكة، العين الكبيرة، الهالة، المكاريل المقدسة، انظري إلى..."

"هذه أسخف نكتة سمعتها في حياتي".

عاد كارل وقال: "أرجو أن تتبعاني".

سرنا خلفه في الرواق نحو ما يشبه المكتبة، ثم نزلنا بضع درجات، ودخلنا غرفة فسيحة ذات سقف كاتدرائي.

كانت توجد مدفأة حجرية في الطرف البعيد من الغرفة، وإلى جانبها قطع خشبية، ورأس أيل كبير فوق إطارها. قلت لكاييت: "هاي، هذا هو رأس الأيل الذي كنتِ تتحدثين عنه. كيف عرفتِ بأمره؟"

على أية حال، كان يوجد رجل جالس في مقعد مجنّح بالقرب من نار المدفأة. وقف واجتاز الغرفة الكبيرة. كان يرتدي بزة زرقاء اللون، وسروالاً غير رسمي بني اللون، وقميصاً منقشاً أخضر اللون.

التقينا في وسط الغرفة، ومدّ يده لكاييت التي بادلتها بالمثل. قال: "أنا باين مادوكس، رئيس هذا النادي ومالكه. لا بدّ وأنتِ السيدة مايفيلد. أهلاً بك".

أجابت كاييت، "شكراً".

ثم التقت إليّ، ومدّ يده، وقال: "وأنت السيد كوري". تصافحنا وقال: "إنّذا، كيف يمكنني مساعدتكما؟"

تذكرت صف التهذيب وقلت له: “أولاً، أودّ أن أشكرك على مقابلتنا بدون موعد مسبق”.

ابتسم بحزم، وأجاب “ماذا كانت خياراتي؟”
“محدودة جداً في الواقع”.

بدأت أقيم السيد باين مادوكس. ربما كان في العقد الخامس من عمره، طويل القائمة، يتمتع بلياقة بدنية جيدة، ووجه مقبول. كان شعره الرمادي الطويل يتدلى على جبينه، وكان له أنف بارز معقوف، وعينان رماديتان قاسيتان بالكاد كانتا ترمشان، وهو ما ذكرني بصقر أو نسر. حتى أن رأسه بدا لي كرأس طائر. كان صوته رخيماً، كما تتوقع. وفيما عدا المظاهر الخارجية، شعرت بأنه رجل رابط الجأش وواثق من نفسه.

قلت له: “نحن بحاجة إلى عشر دقائق من وقتك”. ربما كنت بحاجة إلى أكثر من ذلك، ولكنني أقول دائماً عشر دقائق. أشرت إلى الكراسي القريبة من المدفأة.

تردد ثم قال: “حسناً، لا بدّ وأنتك قطعتم مسافة طويلة. تعال واجلس”.

مشينا خلفه في الغرفة، وبقي كارل وحيداً.

كان في مقدوري رؤية الكثير من رؤوس الحيوانات الميتة على الجدران، وكذلك الطيور المحنطة، وهو الأمر الذي لا يعتبر صحيحاً من الناحية السياسية في هذه الأيام، ولكنني كنت واثقاً من أن باين مادوكس لا يأبه لذلك البتة. حتى أنني كدت أتوقع رؤية ديموقراطي محنط على الجدار.

كما لاحظت خزانة خشبية كبيرة لها نوافذ زجاجية تحتوي على بنادق يمكن أن ترى من خلالها حوالي عشر بنادق وبنادق الخردق.

اصطحبنا مادوكس إلى مقعدين مجنّحين مصنوعين من الجلد تتوسطهما طاولة صغيرة، وجلسنا جميعاً.

سألنا باين مادوكس، الذي صار يشعر الآن بأنه مجبر على التصرف كمضيف كريم، “هل يمكنني أن أطلب من كارل إحضار شيء لكما؟ قهوة؟ شاي؟” وأشار إلى كوب من سائل الكهرمان على الطاولة وسأل “أو شيء أقوى؟”

أجابت كاييت، عملاً بالإجراءات التي تقول بضرورة إبقاء المرء جالساً وقتاً أطول مما كان يريد للجلوس والتحدث، “قهوة لو سمحت”.

أردت كأساً من الشراب الاسكتلندي، وكنت أشمّ رائحته من كوب مادوكس فيما كان يشرب منه، وبذلك ربما يتضح إن كانت توجد مشكلة في ماكينة صنع الثلج فعلاً.

“وأنت يا سيد كوري؟”

“كما تعرف، أنا متعطش لشرب القهوة والحليب. هل يمكنك تقديم ذلك؟”

“آه...” ونظر إلى كارل وسأله، “أسأل من في المطبخ إن كان في مقدورهم صنع القهوة بالحليب”.

قلت: “أو كابوتشينو، وحتى الأميركانو ستقي بالعرض”.

أنا لا أشرب هذه الأشياء بالطبع، ولكننا كنا بحاجة إلى تمضية المزيد من الوقت مع السيد مادوكس.

غادر كارل الغرفة، ولاحظت الآن وجود كلب ممدد على جانبه بين الكرسي الذي يجلس فيه مادوكس والمدفأة، إما نائم وإما ميت.

قال مادوكس: “هذا القيصر ويليام”.

“يبدو كما لو كان كلباً”.

ابتسم وقال: “إنه من فصيلة الدوبرمان، ذكي جداً، ومخلص، وقوي، وسريع”.

“بالكاد أستطيع تصديق ذلك”. ما عنيته هو أن الكلب كان ممدداً هناك، يسيل لعابه على البساط، ويلهث، ويشخر.

قالت كايت: “إنه حيوان جميل”.

تساءلت عما يحلم به الكلب. زد على ذلك أن السيدة مايفيلد لا تعتقد بأنني بهذا القدر من الجمال عندما أشخر أو يسيل لعابي.

سأل السيد مادوكس، “إذاً، كيف أستطيع مساعدتكما؟”

في العادة، أتناقش مع كايت مسبقاً ما ينبغي أن نقوله في اللقاء ونوع المعلومات التي نريد الحصول عليها. لكن ما كنا نبحث عنه، أي هاري مولر، سيدل السيد مادوكس إلى أنه يخضع للمراقبة، وهو ما حصر أسئلتنا بأحوال الطقس والمسلسلات العالمية. ومن ناحية أخرى، ربما كان مادوكس يعرف أصلاً أنه تحت المراقبة.

“سيد كوري؟ السيدة مايفيلد؟”

اتخذت قراراً بالاحتذاء بالجنرال كاستر والهجوم على أمل أن أتوصل إلى نتائج أفضل. قلت لمادوكس: “لقد تحركنا بناء على معلومات مفادها أن عميلاً فيدرالياً اسمه هاري مولر قد اختفى في منطقة مجاورة لهذا النادي، ونحن نعتقد بأنه ربما تاه في أملاكك أو أصيب بجرح فيها”. نظرت إليه لكي أتلمس ردة فعله، ولكن تعابيره لم توح بشيء.

قال: “هنا؟ في هذه الأرض؟”

“ربما”.

بدا مندهشاً فعلاً، أو أنه كان ممثلاً جيداً. قال لي: “لكن... وكما رأيت، ليس من السهل الدخول إلى الأرض”.

أجبت، “كان يمشي على قدميه”.

“حقاً؟ ولكن هذه الأرض تخضع لحراسة ومحاطة بسياح أمني”.
جاء دوري للتظاهر بالتعجب فأجبته، “سياح؟ حقاً؟ حسناً، ربما اخترق السياج”.
“ما الذي يدعوهُ إلى القيام بذلك؟”
كان سؤالاً جيداً. أجبته، “إنه مهووس بمراقبة الطيور”.
“فهمت. إذاً أنت تعتقد بأنه اجتاز السياج، وأصيب بجرح في أرضي”.
“ربما”. بقيت تصرفات مادوكس مقلقة ومرتبكة.

سألني، “لكن لماذا تعتقد أنه فعل ذلك؟ فهناك الملايين من الفدادين من الأراضي البرية التي تحيط بهذه الأرض علماً بأن مساحة أرضي لا تزيد على ستة عشر فداناً فقط”.

“فقط؟ اسمع يا سيد مادوكس، إننا نعمل بناء على معلومات محددة يتعين علينا التأكد من صحتها. والسؤال الذي أطرحه عليك هو هل التقيت أو التقى أحد موظفيك بأي شخص في هذه الأرض؟”
هز رأسه وأجاب، “لو حدث ذلك، لكانوا أخبروني”. وسألني، “كم مضى على فقدان هذا الرجل؟”

“منذ يوم السبت”. وأضفت، “ولكننا لم نأبه للأمر حتى وقت قريب”.
وأماً برأسه وغرق في التفكير، واحتسى بعض الشراب الاسكتلندي، وقال:
“حسناً، استضفت حوالي ستة عشر ضيفاً في عطلة نهاية هذا الأسبوع، حيث تنزه العديد منهم في الأرض أو ذهب لصيد الطيور. زد على ذلك أن لدي فريقاً أمنياً، ولذلك من المستبعد أن يكون ذلك الشخص قد تاه في أرضي بدون أن يصلني خبر عن ذلك”.

تحدثت كايث للمرة الأولى، فقالت: “إذا قسمنا ستة عشر ألف فدان على ستة عشر شخصاً نجد أن هناك شخصاً واحداً مقابل كل ألف فدان”. وأضافت، “يمكنك إخفاء جيش هناك”.

أعاد السيد مادوكس التفكير في العملية الحسابية وأجاب، “أعتقد بأنه لو أصيب أو أصبح عاجزاً عن الحركة، فمن المحتمل ألا يتم العثور عليه”.
أجابت كايث، “إنه احتمال قوي جداً”.

أشعل مادوكس سيجارة، ونفخ حلقات الدخان في الهواء، وسألني، “ما الذي تريدني أن أقوم به؟ كيف يمكنني أن أساعدك؟”

فكرت في مادوكس، الذي يدخن، ويشرب، ويجلس على كرسيه الجلدي في بيته الكبير. بدا مرتاحاً أكثر منه شخصاً عادياً مشبوهاً. في الواقع، بدا أنه بريء. لكن ساورني إحساس بأنه حتى وإن كانت له علاقة باختفاء هاري، فسيحافظ على رباطة جأشه. فقد كان في مقدوره أن يأمر خدمه بأن يقولوا لنا بأنه غير موجود، أو مشغول، لكنه اختار بدلاً من ذلك الاجتماع بنا وجهاً لوجه.

تعلمت من دراستي لعلم النفس الجنائي، ومن السنوات التي أمضيتها في الشوارع، شيئاً عن المضطربين نفسياً والنرجسيين؛ وهم الأشخاص المغرورون على نحو لا يصدق، والمتعجرفون الذين يعتقدون بأن في مقدورهم الإفلات من العقوبة عبر التقوه بالتفاهات.

كان من المحتمل أن لدى باين مادوكس شيئاً يخفيه، وأنه اعتقد بأن في مقدوره إخفائه تحت أنفي. ولكن ذلك لن يحصل أبداً.

أعاد سؤاله، “كيف يمكنني أن أساعدك؟”

أجبت، “تودّ الحصول على إذن منك بتفتيش الأرض”.

بدا أنه مستعد لهذا السؤال فقال: “في إمكاني القيام بمهمة البحث بنفسي بعد أن عرفت بأنه ربما يوجد شخص تائه في أرضي”. وأضاف، “لديّ حوالي خمسة عشر موظفاً، إضافة إلى مركبات تصلح للسير على الأرض الوعرة وست سيارات دفع رباعي”.

قلت له: “سنحتاج إلي شهر لكي نمسح الأرض بأكملها. أنا أتحدث عن شرطة الولاية والشرطة المحلية، والعملاء الفيدراليين، وربما بعض الجنود من كامب درام”.

لم يبدو أنه أعجب بالفكرة، ولكنه كان محاصراً، ولذلك سألني، “قل لي مجدداً لماذا تعتقد بأن هذا الرجل موجود في أرضي وليس في البرية التي تحيط بها؟”

كان ذلك سؤالاً جيداً فعلاً، وكانت أملك جواباً تقليدياً يتعلق بتطبيق القانون. قلت له: “إننا نعمل بناءً على معلومات وظنون، وهذا كل ما يمكنني أن أقوله لك”. وأضافت، “واستناداً إلى المعلومات المتوفرة لدينا، يمكننا الحصول على مذكرة تفتيش، ولكن ذلك سيتطلب بعض الوقت. ولذلك، فنحن نفضّل لو تتعاون معنا بشكل طوعي”. وسألته، “هل توجد لديك مشكلة في ذلك؟”

“كلا لا توجد مشكلة، ولكنني أقترح عليك البدء ببحث جوي، وهو الذي سيؤدي الوظيفة ذاتها في وقت أسرع وفعالية مماثلة”.

قالت كايت: “تشكر، فنحن نعلم ذلك. وقد بدأنا فعلاً البحث الجوي. ونحن هنا من أجل الحصول على إذن منك بدخول هذه الأرض مع فرق التفتيش”.

أجاب مادوكس، “أنا لن أعترض عملية البحث عن شخص مفقود بكل تأكيد، ولكنني أريد تنازلاً رسمياً عن الحقوق”.

بدا على كايت الانزعاج وقالت: “سنرسل إليك واحداً عبر الفاكس في أسرع وقت ممكن”.

“أشكر. لا أريد أن أبدو مواطناً غير صالح، ولكننا لسوء الحظ نعيش في أوقات كثرت فيها المنازعات القضائية”.

لم أكن أستطيع مجادلته في ذلك، فقلت له: “هذه البلاد في طريقها إلى الجحيم. بات هناك الكثير من المحامين”.

أوماً برأسه، وعرض تقديم رأيه فقال: “المحامون يعملون على تخريب البلاد. إنهم يهدمون الثقة، ويروّعون الناس الذين يريدون أن يكونوا مواطنين صالحين، ويدافعون عن ثقافة الظلم، ويشاركون في الابتزاز المقتنّ”.

أعجبني هذا الرجل فأضفت، “في الواقع، إنهم يعصرون الناس”.

ابنسم وقال: “إنهم يعصرون الناس”.

اعتقدت أنه ينبغي عليّ إخباره بأمر فقلت، “السيدة مايفيلد تحمل شهادة في المحاماة”.

“آه، ... حسناً، أنا أعتذر إن كنت ...”

قالت: “أنا لا أمارس مهنة المحاماة”.

“هذا جيد”، ثم ضحك وقال: “أنت أجمل من أن تعمل في المحاماة”.

حدّقت به السيدة مايفيلد.

قال السيد مادوكس: “أعتقد بأنكم ستبدأون البحث في الصباح”. وأضاف، “سيحل الظلام، مما يجعل من المتعذر عليكم إرسال رجالكم في تلك الغابات”.

من الواضح أن السيد مادوكس كان يماطل من أجل كسب الوقت بكلامه الفارغ عن التنازل عن الحقوق، وما إلى ذلك. قلت له: “أعتقد بأننا لا زلنا نملك ثلاث ساعات من النهار”.

واصل حديثه فقال: “سأطلب إلى الموظفين لدي بدء البحث على الفور، فهم يعرفون طبيعة الأرض”.

نظر كل واحد منّا إلى الآخر وإلى تلك العينين الرماديتين اللتين لا ترمشان أبداً.

قال من غير أن يرفع بصره عني: “سيد كوري، أرجو منك أن تخبرني عن سبب وجود عميل فيدرالي في أرضي”.

سبق أن أجبته عن هذا السؤال فقلت: “لا علاقة للبحث بكون السيد مولر عميلاً فيدرالياً”.

“لا علاقة لكونه عميلاً فيدرالياً؟”

“أجل، لقد كان ينوي التخميم في المكان، ولم يكن في مهمة. ألم أوضح لك ذلك؟”

“ربما أسأتُ الفهم”.

قلت له: “ربما. وبما أنه عميل فيدرالي، فالحكومة الفيدرالية تساعد في البحث”.

“فهمت. إذن ينبغي عليّ ألا أعير اهتماماً لكونك والسيدة

مايفيلد من الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب؟”

“كلا، في الواقع، لا ينبغي أن تعير اهتماماً لذلك”. وأضفت، “وينبغي أن أشير أيضاً إلى أن السيد مولر زميل لي، أي أننا هنا بدافع من القلق الشخصي إضافة إلى أسباب مهنية”.

فكّر للحظة ثم قال: “لم أصادف هذا النوع من الصداقة الحميمة منذ أن استقلت من الجيش. وأنا لا يمكن أن أفكر في شخص يمكن أن يقوم بما هو أكثر من إجراء بعض المكالمات الهاتفية في حال تهت من أجل العثور عليّ”.
“ولا حتى أمك؟”

ابتسم وقال: “حسناً، ربما أستنتي أمي. وربما أستنتي أولادي في الأوقات الجيدة. كما أن مصلحة جباية الضرائب ستبحث عني بعد أن أتخلف عن سداد الدفعة الفصلية”.

لم أعلق أنا أو كايت على ذلك.

أشعل مادوكس سيجارة أخرى، ونفخ المزيد من الحلقات الدخانية، وقال: “هذا فنّ ضائع”. وسألنا، “هل تسمحان بأن أقدم لكما سجائر؟”
رفضت وكايت ذلك العرض.

نظرت في أنحاء الغرفة ولاحظت شيئاً في الزاوية المعتمة وهو ينظر إليّ بعينين قاسيتين. كان في الواقع ديباً أسود ضخماً واقفاً على قدميه الخلفيتين ورافعاً يديه الأماميتين ومخالبه في إيماة تحذيرية. أعني كنت أعرف بأنه ميت ومحنط، ولكنه خضني. قلت لمادوكس: “هل اصطدت ذلك الشيء؟”
“أجل”.

“أين؟”

“هنا في أروني”. وأضاف، “تمرّ الدببة عبر السياج أحياناً”.

“وهل تطلق النار عليها؟”

“حسناً، إذا كان الوقت خارج الموسم، نطلق عليها طلقات مهدئة ثم نخرجها من المكان. لكن لماذا تسأل؟”
“أنا أكره الدببة”.

“هل مررت بتجربة سيئة مع إحداها؟”

“كلا، ولكنني أحاول تفادي المرور بتجربة سيئة. هاي، هل تعتقد بأن مسدساً من طراز غلوك عيار 9 ملم قادر على وقف الدب؟”
“لا أعتقد ذلك، وأمل بالألّا تضطرّ إلى معرفة ذلك”.

“وأنا أيضاً. هل تنصبون أشراكاً للدببة في هذه الأرض؟”

“بالقطع لا، فأنا أستضيف الناس في هذه الأرض، وأنا لا أرغب في أن يعلق أحدهم في شرك دب”. وأضاف، “وكذلك من يجتازون الحدود بدون إذن، ففي

إمكانهم ملاحقتي قانونياً". نظر إلى ساعته وقال: "إذا، إذا...".
"بقي القليل من الأسئلة فيما نحن ننتظر القهوة مع الحليب".
امتنع مادوكس عن التعليق. بدأت بسؤاله "إذن، أنت صياد".
"أنا أستاذ".

"هل كل غنائم الصيد هذه لك؟"

"أجل، فأنا لا أشتريها كما يفعل البعض".

"إذا، أنت صياد ماهر".

"كنت جندياً متمرساً في سلاح المشاة في الجيش، ولا يزال في مقدوري قتل
غزال من مسافة مئتي متر".

"هذا مدهش فعلاً. كم كان يبعد عنك ذلك الدب؟"

"مسافة قريبة. تركت المفترس يقترب مني". نظر إليّ وقال: "هذا ما يجعل
الأمر مثيراً". وسألني، "ما علاقة ذلك باختفاء السيد مولر؟"

"لا توجد علاقة".

نظر كل منا إلى الآخر فيما كان ينتظر منّي تفسير السبب الذي يدعوني إلى
طرح هذه الأسئلة. قلت له: "أنا أحدثك فقط". وسألته "إذا، هذا نادٍ خاص؟"

"إنه كذلك".

"هل يمكنني الانضمام إليه؟ فأنا أبيض البشرة، وإيرلندي، وإنكليزي، وكاثوليكي
مثل كريستوفر كولومبوس، ولكن في مقدوري تبديل مذهبي. كما عقدت قراني في
كنيسة ميثودية".

قال السيد مادوكس: "لا يوجد مثل هذه المتطلبات أو الاستثناءات، ولكن ليس
لدينا مراكز عضوية شاغرة في الوقت الحاضر".

سألته كايته، "هل تقبلون عضوية النساء؟"

ابتسم وقال: "أنا أوافق على الصعيد الشخصي، ولكن عضوية النادي تقتصر
على الرجال".

"ما هو السبب؟"

أجاب، "لأن هذا ما أردنا أن يكون عليه النادي".

ظهر كارل حاملاً صينية قام بوضعها على الطاولة. قال لي: "هل القهوة بالحليب
طيبة المذاق؟"

"ممتازة".

لفت كارل نظر السيدة مايفيلد إلى وعاء فضي صغير للقهوة، ثم سألنا "هل
تريدان شيئاً آخر؟"

أشرنا إليه بالنفي، وما لبث أن غادر الغرفة.

ذهب السيد مادوكس إلى المنضدة ليملاً كأسه. قلت له: "سأتناول معك كأساً صغيرة".

التفت إليّ وقال: "عليك أن تشربها بدون ماء". ملأ كوبين وعاد وقال لي: "يبدو أنني أعاني من مشكلة في جهاز صنع الثلج"، وابتسم.

رودي أيها الحقير، سأحلق شعرك من رأسك حتى أخمص قدميك.

والأهم من ذلك أن مادوكس علم بأن شخصاً في طريقه إليه، ولكنه لم يحاول تجنّب اللقاء مع الزوار غير المعروفين، حتى عندما أخبره المعتوهون في بيت الحراسة بأننا عميلان فيدراليان. من الواضح أنه اتخذ قراراً بالتقصّي عنا فيما كنا نسعى إلى دخول النادي.

سلمني السيد مادوكس كوباً مصنوعاً من الكريستال، وقال: "يوم كولومبوس سعيد". لامسنا كوبينا، وجلس واضعاً رجلاً على رجل، واحتسى قليلاً من الشراب، ونظر إلى نار المدفأة.

أفاق القيصر ويليام، وجلس بالقرب من كرسي سيده، ليحظى بمداعبه لأذنيه. نظر الكلب الغبي إليّ، فنظرت إليه. أشاح بعينه أولاً، وبذلك أكون قد فزت.

شربت كايت قهوتها، ثم كسرت الصمت وقالت: "قلت إنك استضفت ستة عشر شخصاً يوم عطلة نهاية الأسبوع".

أجاب مادوكس، "هذا صحيح". ونظر إلى ساعته وقال: "أعتقد بأنه لا بدّ وأنهم حلوا جميعاً الآن".

قالت كايت: "ربما نحتاج إلى التحدث إليهم، ولذلك أريد الحصول على أسمائهم وعلى معلومات تساعدنا على الاتصال بهم".

لم يكن مادوكس يتوقع هذا الطلب، وعجز عن الكلام لفترة، وهو ما أعتقد بأنه ليس من عادته، ثم سأل "لماذا؟"

أجابت، "لكي نتأكد مما إذا كانوا قد رأوا السيد مولر أو سمعوا شيئاً يتعلّق باختقائه". وأضافت "إنها إجراءات عادية".

لا يبدو أنه رأى فيها إجراءات عادية، وقال: "لا أرى داعياً إلى هذا الأمر على الإطلاق. فما من أحد رأى أو سمع شيئاً. كما أرجو أن تفهما بأن هذا نادٍ خصوصي وأعضاؤه يرغبون في المحافظة على خصوصياتهم".

أجابت كايت، "يمكنني ضمان خصوصياتهم، والأمر يعود إلينا في تحديد إن كان أحدهم رأى أو سمع شيئاً".

شرب مقداراً كبيراً من الشراب الاسكتلندي، وقال لكايت: "أنا لست محامياً مثلك، ولكن حسب معلوماتي، ما لم تكن هناك قضية جنائية، والأمر ليس كذلك، أو قضية مدنية، والأمر ليس كذلك، فأنا لست مضطراً إلى إطلاعكما على أسماء ضيوفي أكثر من اضطراركما إلى إطلاعي على أسماء ضيوفكما".

لم يكن في مقدوري المقاومة فقلت: "استضفت عمّتي وعمّي، جو وأغنيس أوليري في عطلة نهاية الأسبوع الماضي. من هم ضيوفك؟"

نظر إليّ. لم أستطع التكهن إن كان يقدرني أم لا. لكن الغريب هو أنني أعجبت بهذا الرجل وأعتقد بأنه كان من الممكن أن نكون صديقين في ظروف أخرى. ربما سيدعوني السيد مادوكس إلى قضاء عطلة مع الأولاد هنا إذا اتضح أن الأمر كله سوء فهم، وأنه تم العثور على هاري في فندق صغير أو ما شابه، وربما لن يفعل ذلك.

قالت له كايت: "أنت محقّ في أنه لا يقع عليك واجب قانوني يحتم الكشف عن أسماء ضيوفك - في هذه المرحلة على الأقل - ولكننا نتمنى أن تتعاون معنا بشكل طوعي الآن فيما حياة شخص قد تكون في خطر".

فكر السيد مادوكس في الأمر وأجاب، "عليّ أن أتصل بالمحامي".

ذكرته كايت، "أنت لا تحبّ المحامين".

ابتسم بحزم وأجاب، "أنا لا أحبّهم، ولكنني لا أحبّ طبيب الأمعاء أيضاً. سأتصل بالرجال الذين كانوا هنا لأعرف إن كانوا يوافقون على البوح بأسمائهم".

قالت كايت: "أرجو منك القيام بذلك بسرعة فيما نحن هنا، وأنا بحاجة إلى أسماء موظفيك وأية معلومات تساعدنا على الاتصال بهم". وأضافت، "اتصل بي هذا المساء. أنا والسيد كوري مقيمان في فندق ذي بوينت".

ارتفع حاجباه وسأل، "هل تعانون من مشكلة في إنفاق ميزانية مكافحة الإرهاب".

كان ذلك سؤالاً جيداً. أنا معجب فعلاً بهذا الرجل. قلت: "إننا نتقاسم غرفة واحدة لكي نحافظ على أموال دافعي الضرائب".

رفع حاجبيه مجدداً وقال: "أنا لن أقرب من ذلك الفندق". ثم نظر إلى ساعته مجدداً وقال: "حسناً، إذا كنت سأجري بعض المكالمات...".

قاطعته فقلت: "بالمناسبة، لاحظت أن لدينا استقبلاً قوياً للإرسال الخليوي هنا، ورأيت برجاً على التل. هل هو برج للهواتف الخليوية؟"

"إنه كذلك".

"لا بدّ وأنك تتمتع ببعض النفوذ".

"ماذا تعني؟"

"أعني أن السكان في هذه المنطقة أقل عدداً على الأرجح من سكان سنترال بارك يوم الأحد، وأنا لا أعتقد بأن الكثير من هؤلاء الناس يحملون هواتف خليوية، ولكنك تملك بالرغم من ذلك برجاً ضخماً باهظ الثمن، في أرضك".

أجاب، "ستفاجأ من عدد السكان القرويين الذين لديهم هواتف خليوية". وأضاف، "في الواقع، أنا من طلب بناءه".

«لنفسك؟»

«لكل شخص لديه هاتف خليوي. وجيراني يقدرّون ذلك».

«أنا لا أرى أي جيران».

«ماذا تقصد؟»

حسناً، ما قصدته هو أنه كان لدى العميل مولر هاتف خليوي، أجرى من خلاله بعض المكالمات، واستقبل أخرى في هذه المنطقة، وهو الآن لا يجري أية مكالمات أو يتلقاها. وهذا هو سبب قلقنا من احتمال أن يكون قد تعرّض لإصابة أو إلى ما هو أسوأ».

أجاب السيد مادوكس، «بالنظر إلى المسافة التي تفصل بين أبراج الترحيل المحيطة، فإننا نفقد الإرسال أحياناً. وفي بعض الأحيان، يفقد الناس هواتفهم أو يصيبونها بأضرار. وفي بعض الأحيان، يكون إرسال شركة هاتف بعينها سيئاً في منطقة ما، وأحياناً يوجد عيب في الهاتف الخليوي نفسه، وأحياناً تفرغ البطارية من الطاقة». وأضاف، «أنا لا أستفيد كثيراً من هاتف خليوي لا يستقبل المكالمات. ولو أنني كنت أستفيد من ذلك، لكنك اعتقدت بأن أطفالنا تعرّضوا للاختطاف على يد سكان المريخ».

ابتسمت وقلت: «هذا صحيح. إننا لن نستفيد من ذلك كثيراً».

«هذا جيد». ثم وضع رجله الثانية على الأرض وانحنى إلى الأمام وقال: «هل لديكما المزيد من الأسئلة؟»

أجبت، «أجل، ما هو نوع الشراب الاسكتلندي الذي تشربه؟»

أجاب «ماركة تجارية خاصة، نوع وحيد من الملت». وسأل، «هل ترغب في الحصول على زجاجة وأنت في طريق المغادرة؟»

«هذا كرم كبير منك، ولكنني لن أقبل الهدية، بالرغم من أنه يمكنني شرب زجاجة هنا وعدم انتهاك أخلاقيات المهنة».

«هل ترغب في واحدة لتشربها وأنت في الطريق؟»

أجبت، «في مثل هذه الطرقات، أعتقد أنني سأواجه مشكلة في الوصول إلى فندق ذي بوينت وأنا صاح». وأضافت، «أرغب أنا والسيدة مايفيلد في الانضمام إلى موظفيك في البحث. وبعد ذلك، ربما يمكننا قضاء الليلة هنا. هل هذا ممكن؟»

«كلا، لأن ذلك مخالف لقوانين النادي. كما أن كافة الموظفين سيغادرون المكان لقضاء إجازة يستحقونها بعد عملهم في عطلة استمرت ثلاثة أيام».

«أنا لا أحتاج إلى الكثير من الموظفين، وسنتقاسم غرفة واحدة».

فاجأني بالقول: «أنت مضحك. أنا آسف، لا أستطيع تقديم دعوة لكما لقضاء ليلة هنا. ولكن إذا كنتمما ترغبان في المكوث في فندق صغير محلي، سأطلب إلى أحد

الموظفين إرشادكما إلى ساوث كولتون". وأضاف، "ربما مررتم في تلك المنطقة عندما كنتما في طريقكما إلى هنا".

"أجل، أعتقد ذلك". اعتقدت بأن الشراب الاسكتلندي قلل من التزامه بالرسميات، وهو ما يفسر اعتقاده بأنني مسل. ولذلك قلت له: "لا أرغب في منعك من إجراء تلك المكالمات، ولكن إذا كان أمامي دقيقة، أودّ التعبير عن فضولي بشأن هذا النادي".

لم يعلّق مادوكس بشيء.

قلت: "لا علاقة لما أقوله باختفاء مولر، ولكنه مكان بهي المنظر فعلاً. كيف بدأ العمل به؟ وماذا تفعلون هنا؟ هل تصطادون الحيوانات والأسماك؟"

أشعل مادوكس سيجارة أخرى، وأسند ظهره، وعاد إلى وضع رجل على أخرى وقال لنا: "حسناً، نبدأ بالاسم أولاً. في العام 1968، حصلت على رتبة ملازم ثانٍ في الجيش الأميركي، وجرى إلحاقني بفورت بينينغ قبل إرسالني إلى فييتنام. كان يوجد عدد من نوادي الضباط الملحقة بفورت بينينغ؛ أي بعض النوادي الصغيرة التي كانت تسمح بالتقاء صغار الضباط بعيداً عن كبار الضباط الذين يلتقون في النادي الرئيسي".

"إنها فكرة رائعة. فقد كنت شرطياً قبل انضمامي إلى الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب، ويمكنني أن أقول لك إنني لم أكن أذهب إلى الحانات التي كان يتسكع فيها كبار الضباط".

"بالضبط. حسناً، كان يوجد هذا النادي الوحيد، داخل الغابة في مكان يسمى كستر هيل، ويسمى نادي كاستر هيل للضباط. كان المبنى بسيطاً ويشبه بيوت الصيد".

"آه، فهمت كيف سارت الأمور".

"أجل. وبالتالي، كان بضع عشرات من صغار الضباط يلتقون هنا عدة ليالٍ في الأسبوع لشرب الجعة وتناول البييتزا السيئة، ومناقشة أوضاع الحياة، والحرب، والنساء؛ والسياسة بين الحين والآخر".

بدا أن السيد مادوكس غادر الغرفة، وعاد إلى ذلك الزمان والمكان. كان المكان هادئاً باستثناء صوت النار التي كانت قد بدأت تخمد.

واصل حديثه فقال: "كان وقتاً سيئاً مرّت به البلاد والجيش. فلم يعد هناك انضباط، وانقسمت الأمة على نحو خطير، وحدثت أعمال شغب وعمليات اغتيال في المدن، وكانت الأخبار السيئة ترد من الجبهة... كان الرفاق، الأشخاص الذين نعرفهم، يموتون في فييتنام، أو يعودون إلى الوطن مثخنين بالجراح... من الناحية البدنية، والذهنية، والروحية... وهذا هو الموضوع الذي كنا نتحدث عنه".

أنهى كأسه، وأشعل سيجارة أخرى، وقال: “شعرنا بأننا تعرّضنا للخيانة. شعرنا بأن تضحياتنا، ووطنيتنا، وخدمتنا، ومعتقداتنا باتت بدون أهمية وممقوتة من جانب الكثيرين في البلاد”. نظر إلينا وأضاف، “هذا ليس بالأمر الجديد في تاريخ العالم، ولكنه كان جديداً في أميركا”.

لم أعلّق أو كايت على ما قاله.

واصل باين مادوكس حديثه، فقال: “حسناً، بنتا نشعر بالمرارة، ثم أصبحنا راديكاليين، وأفترض بأنك ستقول بأننا أقسمنا بأننا إذا عشنا، فسنكرّس حياتنا لتصحيح العديد من الأخطاء”.

لم أعتقد بأن ذلك كان طبيعة القسم، بل خطر بيالي كلمة “انتقام”.

تابع مادوكس حديثه فقال: “ولذلك، سافر العديد منّا، ثم عاد البعض، وبقينا على اتصال. بقي البعض منّا، مثلي، في الجيش، ولكن غالبية الرجال سرّحوا بعد انتهاء عقودهم. وأصبح العديد منا ناجحين، وغالباً ما ساعدنا الأشخاص الذين لم ينجحوا، أو احتاجوا إلى دعم مهني، أو توصية للحصول على وظيفة. كانت شبكة كلاسيكية من الرفاق القدامى، ولكنها وُلدت في مرّج الأوقات المضطربة، واكتسبت الصلابة بالدم والحرب، واختبرت بسنين التيه في البريّة التي آلت إليها أميركا. وعندها، عندما كبرنا في السنّ، وأصبحنا أكثر نجاحاً، ومع تزايد نفوذنا، ومع بدء أميركا باستعادة قوتها وعتورها على طريقها مجدداً، رأينا أنه بات لنا وزن”.

ومرّة أخرى، سكت وبدأ ينظر من حوله، كما لو كان يفكر في كيفية وصوله إلى هذا البيت الكبير بعيداً عن نادي الضباط الصغير في غابات جورجيا. قال: “قمت بتشبيد نادي الصيد هذا ليكون مكاناً للتجمع، قبل حوالي عشرين عاماً”.

قلت: “إذاً، أصدقاؤك لا يأتون إلى هنا لمجرّد صيد الحيوانات والأسماك. أعني أنه توجد ناحية مهنية، وربما القليل من الاهتمام بالسياسة أيضاً”.

فكّر في كلامي، وقال: “كنا مشتركين في الحرب ضدّ الشيوعية، ويمكنني القول بصدق وبشيء من الفخر بأن العديد من أعضاء هذا النادي قدموا مساهمات كبيرة في تحقيق النصر النهائي على تلك الإيديولوجية المريضة، ووضع حدّ للحرب الباردة”. ونظر إلينا وقال: “والآن، حسناً، بات لدينا عدو جديد. وسيكون هناك دائماً عدو جديد”.

سألته، “والآن، هل تشارك في الحرب ضدّه؟”

هزّ كتفيه، وقال: “ليس بقدر اشتراكنا في الحرب الباردة”. وأضاف “لقد أصبحنا جميعاً كباراً في السنّ الآن، خضنا قتالاً جيداً، ومن حقنا أن نتقاعد بهدوء”. ونظر إلى كايت وإليّ وقال: “الأمر منوط بأشخاص في أعماركم لكي يخوضوا هذه المعركة”.

سألته “إذاً، جميع أعضاء هذا النادي من قدامى المحاربين في الجيش الذين كانوا في نادي كاستر هيل الأصلي؟”

أجاب “كلا، الأمر ليس كذلك في الحقيقة. فقد توفي البعض، واختفى البعض، وانسحب البعض. ولذلك أضفنا أعضاء جددًا على مرّ السنين، رجالاً يشاركوننا معتقداتنا ممن عاشوا في تلك الأوقات. وقد منحناهم العضوية الشرفية لنادي ضباط كاستر هيل الأصلي، فورت بينيغ، ولاية جورجيا، 1968.”

فكرت في ما قاله، وفي الرجال الأثرياء، وأصحاب النفوذ الذين يلتقون في يوم عطلة طويل في بيت صيد ناءٍ، واعتقدت بأنه ربما لا يكون هناك شيء آخر، وأن وزارة العدل تمرّ في واحدة من لحظات هوسها الكثيرة.

ومن ناحية أخرى، قلت له: “حسنًا، أشكرك على مصارحتنا بهذه المعلومات. إنه أمر مثير فعلاً، وربما يجدر بكم جميعاً كتابة مذكراتكم.”

ابتسم وقال: “سندخل جميعاً السجن.”

“عفوًا؟”

“يسبب بعض النشاطات التي قمنا بها إبان الحرب الباردة. لقد بالغنا في الأمر قليلاً.”

“حقاً؟”

“لكن كل شيء يكون على ما يرام عندما ينتهي علي ما يرام. ألا توافقني الرأي بأنه لكي تحارب الوحوش، يتعين عليك أن تكون وحشاً أحياناً؟”

أجبت “كلا، أنا لا أوافقك الرأي.”

أبدت كايث تأييدها لموقفي وقالت: “إننا بحاجة إلى خوض حرب شريفة بطريقة شريفة. وهذا ما يجعلنا مختلفين عنهم.”

أجاب مادوكس “حسنًا، عندما يصبّ شخص صاروخاً نووياً نحوك، يصبح ذلك مبرراً مثاليًا لكي تقضي عليه قضاء مبرماً.”

كان في مقدوري فهم وجهة نظره، ولكن مجادلات مثل هذه يمكن أن تستمرّ أياماً وليالي، وأعتقد بأنه سبق أن خاض تلك المجادلات، وتوصل إلى إجابات للكثير من الأسئلة قبل وقت طويل من الآن، فيما كان يحتسي الجعة أو يأكل البيتزا.

لطالما اعتقدت بأن الأشخاص الذين ينتمون إلى ذلك الجيل، ممن بلغوا سنّ الرشد في ستينيات القرن الماضي، كانوا مختلفين بعض الشيء، وربما خائفين، وربما كانوا لا يزالون يكتنون حقداً أو ما شابه. ولكنني لا أتقاضى أجري للتكثير في الأمور على هذا النحو، أو توفير استشارة مجانية.

وبالرغم من ذلك، قلت للسيد مادوكس: “إذًا، لديك رفاق سيأتون للبحث عنك في حال اختفيت.”

نظر إليّ لبرهة ثم قال: “هل لديّ رفاق؟ أجل. عندما كنت صغيراً وعندما كنت أرثدي البزة العسكرية... ولكنني أعتقد بأن جميعهم رحلوا الآن... باستثناء كارل الذي خدم تحت إمرتي في فييتنام.” وأضاف، “كارل وقيصر ويليام مخلصان لي.”

حسناً، لو كانت توجد مزلجة تسمى روزباد، لكنت ألقبت بها في نار المدفأة ليصبح لونها أسود. وبدلاً من ذلك وقفت وقلت: “أشكرك على الوقت الذي منحتنا إياه”.

وقفت كايت أيضاً وحملت حقيبتها.

بدا أنه تفاجأ لكونه سيتخلص منّا وللحظة، اعتقدت بأن أمله قد خاب. وقف وسألنا، “هل ستضمان إلى الموظفين لدي في البحث؟”

لم أعتقد أنني سأتمكن مع كايت من إنجاز شيء بالبحث في السنة عشر فداناً مع الموظفين الأمنيين لدى مادوكس حتى هبوط الليل.

“سيد كوري؟”

من ناحية أخرى، لم أكن لأمانع في إلقاء نظرة على الأرض. ولكن لم يكن يُفترض بي ولا بكاييت أن نكون هنا، وقد تأخرنا على الاجتماع مع الرائد شافير في مقرّ شرطة الولاية. نظرت إلى كايت، ثم قلت لمادوكس: “سنترك لموظفيك مهمة إجراء البحث. ولكننا سنعود في الصباح”.

أوماً برأسه وقال: “هذا جيد. سأطلب إلى الموظفين البدء بالبحث على الفور. كما سأؤكد في الغد من أن فريق التحقيق في مسرح الجريمة يملك خرائط للأرض وسأعرض عليه استخدام مركباتي والموظفين لدي”.

قالت كايت: “ألم تقل بأن الموظفين سيذهبون في عطلة؟”

“سيأخذ العاملون في البيت إجازة، أما الحراس فسابقون هنا”.

قالت كايت: “هل لي أن أسأل لماذا لديك هذا العدد الكبير من الحراس في هذا المكان؟”

أجاب مادوكس، “العدد ليس كبيراً إذا اعتبرت أنهم يعملون في نوبات لتغطية أيام الأسبوع السبعة، على مدى أربع وعشرين ساعة في اليوم، وعلى امتداد العام”.

“ولكن لماذا تحتاج إلى هذا النوع من الأمن؟”

نظر إلى كايت، وأجاب، “إن بيتاً مثل هذا يجذب انتباهاً غير مرغوب فيه”. وأضاف، “لقد استنفدت الشرطة المحلية قواها، وشرطة الولاية تبعد كثيراً عن المكان. ولذلك فأنا أعتمد على أمني الخاص”.

لم تعلق على كلامه، ولكن باين مادوكس قال: “سأرافقكما نحو باب المنزل”.

مشينا نحو الباب، وفيما كنا في طريقنا إلى الخروج، سألته، “هل ستكون هنا في الغد؟”

“ربما”. وأضاف “لدي خطط في الهواء”.

كذلك كانت طائرتاه النفاثتان. سألته، “أين تقيم في العادة؟”

أجاب، “في نيويورك سيتي”.

“هل توجد لديك منازل أخرى؟”

“القليل من المنازل.”

“كيف تصل إليها؟ بالسيارة؟ بالطائرة؟”

أجاب، “في العادة، ينقلني أحد الأشخاص إلى المطار الإقليمي في سارناك لايك. لماذا تسأل؟”

“أردت أن أتأكد فقط من قدرتنا على الاتصال بك يوم غد. هل تحمل هاتفاً خليوياً؟”

أنا لا أعطي رقمه لأحد، لكن إذا اتصلت بالرقم الخاص بالحرس، حيث يوجد شخص لتلقي المكالمات على مدار الساعة، فسيقومون بالاتصال بي. وفي حال اكتشافنا أي شيء، سنتصل بك في ذي بوينت. وأعطاني رقم الحرس وأضاف، “ولكنني سأراك على الأرجح يوم غد.”

“ستراني غداً.” وسألته، “هل تملك طائرة خاصة؟”

تردد ثم أجاب، “أملك طائرة خاصة. لماذا تسأل؟”

“هل يمكن الاتصال بك وأنت على الطائرة؟”

“هذا ممكن في العادة. لكن لماذا...؟”

“هل تخطط للقيام برحلات داخل البلاد أو خارجها؟”

“أنا أذهب حيث يأخذني عملي. ولكنني لا أرى أنك بحاجة إلى معرفة هذه المعلومات.”

“أريد فقط التأكد من إمكانية الاتصال بك في حال حصل سوء تفاهم أو طرأت مشكلات مع فريق الحراسة لديك الذي يبدو أنه شديد التحفظ ويصعب التعامل معه.”

أجاب، “هذا هو سبب تقاضيتهم لأجورهم، ولكنني سأؤكد من فهمهم أنك تستطيع وكايت الاتصال بي، وأن فرق التفتيش يمكنها مسح الأرض بحرية في الصباح.”

“هذا رائع. هذا كل ما نحتاج إليه.”

مررنا في غرفة المكتبة، ووصلنا إلى الردهة، وقلت: “إذاً، أنت من بنى هذا المكان.”

أجاب، “أجل، في العام 1982.” وأضاف، “لطالما أعجبت وأنا طفل بنوادي الصيد الكبيرة هنا، وبما يسمى المخيمات الكبيرة التي بناها الأثرياء عند مطلع القرن الماضي. في الواقع، فندق ذي بوينت الذي تنزل فيه كان مخيم روكيفلر الكبير.”

“أجل أنا أعرف. هل لديك ملابس سهرة رسمية يمكن أن تعيرني إياها؟”

ابتسم وقال: “أفضل أن أطلب خدمة الغرف.”

“وأنا أيضاً. إذا، لم تشتر أحد هذه الأمكنة القديمة التي على الأرجح كانت معروضة للبيع؟”

فكر للحظة، ثم أجاب، “حسناً، فكرت في القليل منها، ولكن قطعة الأرض هذه كانت متوفرة في المنتزه، واشتريتها مقابل ثلاثمائة ألف دولار، أي أقل من عشرين دولاراً للفدان الواحد. وهذا أفضل استثمار قمت به في حياتي.”

“أفضل من النفط؟”

امتنع عن الرد لبرهة، ثم قال: “أعتقد بأنك تعرف من أكون.”

“حسناً، أنت لست شخصية غير معروفة.”

“أنا أحاول عدم الظهور.” وأضاف، “ولكن ذلك ليس متيسراً دائماً. ولذلك لدي فريق حراسة هنا.”

“أجل. إنها فكرة جيدة. لا أحد يمكن أن يصل إليك هنا.”

أجاب، “لا أعتقد بأنه يوجد من يلاحقني.”

“لا يمكنك أن تعرف.” تجاهل هذه العبارة، وسألني، “هاي، ماذا سمعت عن أسعار النفط؟ هل ارتفعت أم انخفضت؟”

“تخمينك ليس أقل دقة من تخميني.”

“هذا أمر مرعب فعلاً.”

ابتسم، وأجاب، “أراهن أن سعر البرميل سيبلغ خمسين دولاراً مع اقترابنا من الحرب في العراق.” وأضاف، “أنت لم تسمع ذلك مني.”

“نلت منك.”

بدا أنه يرغب في الكلام، وهو أمر يناسبني. لفت انتباهنا إلى جدار عُلق عليه حوالي عشرين لوحة برونزية، تحمل كل منها اسماً وتاريخاً.

قال: “هؤلاء هم بعض الرجال الذين خدمت معهم وتواريخ وفاتهم. التواريخ الأولى تعود إلى الأشخاص الذين قضاوا في فييتنام، والتواريخ الأخيرة تعود إلى الذين قضاوا في هذه الحرب أو تلك بين الحين والآخر، كما أن بعضهم توفي لأسباب طبيعية.” واقترب من اللوحات وقال: “قمت بتشديد هذا المكان إحياءً لذكراهم من ناحية، وكمذكر ببدايات حياتنا في نادي كاستر هيل للضباط، وكمكان للتجمع في يوم المحاربين القدامى، ويوم الذكرى للأشخاص الذين لا يزالون على قيد الحياة.”

بعد بضع ثوانٍ من الصمت، قالت كايت: “إنه أمر في غاية الروعة.”

واصل باين مادوكس النظر إلى الأسماء، ثم التفت نحونا وقال: “عندما بنيت هذا المكان، كنا في ذروة الحرب الباردة، وربما تذكر أن وسائل الإعلام كانت تحاول إدخال البلاد في حالة من الهستيريا بسبب المزاعم بأن ريغان يقودنا نحو ملحمة نووية.”

قلت: “أجل، أنا أذكر ذلك. وقد تمكنت من التأثير في لفترة، حيث كنت أشتري التيشلي والشراب بالصناديق”.

ابتسم مادوكس وقال: “حسناً، لم أعتقد أبداً أنه سيحصل تبادل لإطلاق النار بالأسلحة النووية - ليس مع الدمار المؤكد المتبادل - ولكن الحمقى في وسائل الإعلام وفي هوليوود جعلونا موتى ودفنونا”. وأضاف، “في الأساس، توجد مجموعة من السيدات الكبار في السن”.

قلت: “هذه إهانة للسيدات الكبار في السن”.

ابتسم مجدداً وقال: “وعلى أية حال، أعتقد أنني فكرت في ذلك عندما بنيت هذا المكان. وأعرف أن زوجتي كانت تفكر فيه أيضاً”.

“هل أنت متزوج؟”

“لم أعد متزوجاً”.

“هل هي من مؤيدي الحزب الديموقراطي أو شيء من هذا القبيل؟”

أجاب، “إنها مستهلكة تحمل البطاقات الانتمانية”.

“إنها، لديك مأوى يحميك من الغبار الذري هنا؟”

“هذا صحيح. مصروف من غير طائل بالمرّة، ولكن هذا ما أرادته”.

“حسناً، الغبار الذري مادة خطيرة”.

“هناك مبالغة في تقدير تأثيرات الغبار الذري”.

لم يسبق أن سمعت وصفاً عن السقط الذري الإشعاعي بهذه الطريقة، وفكرت للحظة أنني كنت أتحدث إلى الدكتور سترانجلوف.

نظر مادوكس إلى الساعة المعلقة على الجدار وقال لنا: “كنت أودّ أن أريكما المكان، ولكنني متأكد من أن لديكم محطات أخرى”.

ذكرته بالقول: “سنعود غداً مع شعاع الضوء الأول”.

أوما برأسه، وتوجّه نحو الباب.

قلت: “إنها لوحة رائعة لمعركة لينل بيغ هورن”.

“شكراً لك. إنها قديمة جداً، قام برسمها فنّان غير معروف، ولا أعتقد بأنه تصوّر بدقة اللحظات الأخيرة في تلك المعركة”.

“من كان سيعرف؟ لقد ماتوا جميعاً”.

“لم يمت جميع الهنود”.

أردت أن أحكي له نكتتي، ولكنني شعرت بأن كاي ترمقني، ولذلك قلت: “حسناً، كانوا طائشين، ولكنهم كانوا شجعاناً”.

“أخشى أنهم كانوا طائشين أكثر منهم شجعاناً”. وأضاف، “كنت أخدم في فوج الخيالة السابع، فوج كاستر”.

قلت: “لا يبدو أنك كبير في السنّ أو...” واقتربت من اللوحة.

“في فييتنام يا سيد كوري، كانت الأفواج موجودة”.

“أجل”.

وقف بجانب الباب، وسادت لحظة من الصمت المطبق. هذه هي اللحظة التي أباغت فيها المشبوه، فأتركه يمضي ليلة سيئة. لكن في الحقيقة، لم يعد في جعبتي المزيد من الأسهم لكي أستخدم تشبيهاً مناسباً، ولم أكن متأكداً إن كان لباين مادوكس أي علاقة باختفاء هاري، ولذلك قلت له: “أشكرك على الوقت الذي منحتنا إيّاه وعلى المساعدة التي قدمتها لنا”.

أجاب، “سأرسل رجالي على الفور. وفي هذه الأثناء، إذا توصل البحث الجوّي إلى شيء، اطلب من شرطة الولاية الاتصال برقم الحرس، وسأرسل بعض الأشخاص إلى المكان الذي مسحته الطوافات”. وأضاف، “إذا كنا محظوظين، فقد نجد هذا الرجل هذا المساء”.

“أعتقد بأن بعض الصلوات ستفيد أيضاً”.

قال مادوكس: “طالما أن الحرارة فوق درجة التجمّد، يمكن للمرء أن يبقى على قيد الحياة في الغابات لأسابيع إن لم يكن قد أصيب بجروح خطيرة”.

فتح الباب، وخرجنا نحو الشرفة. لاحظت أن السيارة التابعة لشركة إنتربرايز لم تعد موجودة.

قلت لمادوكس: “أريد أن أشكرك على خدمتك لبلادنا”.

أوماً برأسه.

قالت كايت: “أجل، شكراً لك”.

قال مادوكس: “أنتما تخدمان البلاد بطريقة مختلفة، وفي حرب مختلفة. وأنا أشكركما على ذلك”. وأضاف، “ربما تكون تلك أسمى معركة خضناها. واصلاً القتال، وسننتصر”.

قالت كايت: “سنفعل”.

قال مادوكس: “سنفعل”. وأضاف، “أمل بأن أعيش فترة كافية لرؤية التحذير باللون الأخضر بشكل دائم”.

الفصل 23

ركبنا سيارة التوروس، وتبعنا سيارة الجيب السوداء، ونزلنا التل متوجهين نحو البوابة.

لم نتكلم لفترة عندما كنا داخل الأرض تحسباً لاحتمال وجود أجهزة تنصت موجهة، ولكن قام كل منا بتشغيل هاتفه الخليوي ومجيبه الصوتي. لاحظت كايث أنها تلقت رسالتين، بينما لم يصلني شيء.

أشارت الساعة التي في السيارة إلى أنها كانت 4:58 من بعد الظهر، وهذا يعني أن توم والش لا يزال في مكتبه يدافع عن الحضارة الغربية ولا تزال أمامه دقيقتان أخرتان قبل أن يغادر.

عندما وصلنا إلى بيت الحراسة، تتحت سيارة الجيب جانباً، وفتحت البوابة. كان في مقدوري رؤية حارسين ينظران من نافذة البيت فيما كنت أخرج من الأرض، وكان أحدهما يصورنا على شريط فيديو. اقتربت من نافذة كايث، ووجهت له التحية بإصبعي الوسطى.

خيم الظلام على طريق ماكوين بوند، وأضأت أنوار سيارتي الأمامية لكي أتمكن من رؤية الدببة في وقت مبكر. قلت لكايث: "ما رأيك؟"

بقيت صامتة لفترة، ثم أجابت، "إنه رجل ساحر على نحو مخيف".

أحد أكثر الأمور إثارة في الحياة هو سماع أفكار امرأة حيال رجل التقيت به معها. فالرجال الذين أجدهم بشعنين، ترى المرأة أنهم وسيمون، والرجال الذين أجدهم منفرين، تجدهم اجتماعيين، وهكذا... لكن في هذه الحالة، ملت إلى الاتفاق مع كايث.

قالت: "أعتقد بأنه أعجب بك". وأضافت، "لا تفهمني خطأً، ولكنه ذكّرني بك".

"كيف ذلك يا عزيزتي؟"

"حسناً، الثقة بالنفس، وبعبارة أدق، رجولته الملفتة".

"هذا تعبير جيد. لكن الذي يهمني أكثر هو ما إذا كان يعرف عن هاري أكثر مما قاله لنا؟"

قالت: "لست أدري... لكن سلوكه يدل على أن أعصابه هادئة".

أجبتها، "هذه علامة على شخص مضطرب نفسياً وnergسي".

"أجل، ولكنها علامة في بعض الأحيان على شخص ليس لديه ما يخفيه".

"يوجد لديه ما يخفيه، ربما تلاعب بأسعار النفط. وهذا هو السبب الذي دفع وزارة العدل إلى الاهتمام بأمره".

أجابت، "هذا صحيح، ولكن..."

“ومع ذلك، دعانا إلى الدخول بدون حضور محاميه”.

سألتني، “ما هي وجهة نظرك؟”

“يريد أن يعرف ماذا نعرف، وفي إمكانه معرفة ذلك من نوعية الأسئلة التي طرحها عليه”.

“هذه إحدى طرق النظر في المسألة”.

قلت لها: “وماذا بشأن قصة نادي كاستر هيل؟”

أومأت برأسها، وقالت: “يا لها من قصة. إنها مثيرة فعلاً إذا كنت تفكر فيها، أعني هؤلاء الضباط الصغار، والرغبة في البقاء على اتصال، وكيف أصبح بعضهم ثرياً وصاحب نفوذ، وبناء باين مادوكس لنادي الصيد ذلك”.

“أجل. المدهش أكثر هو اعترافه لنا بأن هذه المجموعة كانت مجتمعاً سرّياً يؤثر بطريقة ما على الأحداث التي كانت تدور على الساحة الدولية أثناء الحرب الباردة، بما في ذلك التورط في نشاطات غير قانونية”.

فكرت للحظة، ثم قالت: “يريد أن يبدو مهماً وقويًا... هناك أشخاص يقومون بذلك، لكن إذا كان أي شيء مما قاله صحيحاً، فإنه يلقي إضاءة مختلفة كلياً على نادي كاستر هيل”. وأضافت، “وقد أثار بعض الشكوك التي لم يكن يرغب في إثارتها”.

أجبتها، “ربما اعتقد بأننا نعرف أصلاً تاريخ هذا النادي”.

“أو” وأضافت كايث “إنه تاريخ قديم يفتخر به، بقدر ما يفتخر بخدمته في فييتنام. لست أدري... ولكنه قال حينها بأنه منخرط بعض الشيء في الحرب على الإرهاب”.

“هذا صحيح. ويبدو أن لذلك دلالة ما. وكما توقعت، يوجد لدى هذه المجموعة أكثر مما تراه العين. يوجد عنصر سياسي هنا، وفي عالمنا الحاضر، نفظ السيد مادوكس يمتزج جيداً مع السياسة”.

قالت كايث: “إنه واقع الحال دائماً”.

أردت تغيير الموضوع والعودة إلى قضيتنا الأساسية فسألتها “إذاً، هل لمادوكس أية علاقة باختفاء هاري؟”

لاذت بالصمت، ثم قالت: “الشيء الوحيد الذي أزعجني هو أنه كان يماطل... كما لو كان ينتظر من هاري أن يظهر”.

أومأت برأسي وقلت: “سيزيل ذلك الضغط عنه. يساورني شعور سيئ بأن هاري سيظهر باكراً، خارج أرض باين مادوكس”.

أومأت كايث رأسها بصمت، ثم قالت: “أريد سماع الرسائل التي وصلتني”. أنصتت إلى رسائلها الهاتفية وقالت: “توم، توم. يقول إن علينا أن نتصل به في أسرع وقت ممكن”.

تساءلت عن السبب الذي دعا والش إلى الاتصال بها من غير أن يتصل بي أيضاً.

ثم تفحصت مجيئها الصوتي وقالت: "توم، توم".

"إنه مثابر صغير قدر، أليس كذلك؟"

"إنه ليس كذلك... ما هي مشكلتك مع السلطة؟"

"مشكلتي مع الرؤساء الذين يتجاهلونني ويتوقعون إخلاصي لهم بالمقابل". وأضفت، "المعاملة بالمثل هي جوهر الإخلاص. فإذا كنت مخلصاً لي، فسأكون مخلصاً لك. وإذا تجاهلتني، فسأتجاهلك. هذا هو العقد".

قالت: "أشكرك على إطلاعي على هذا الرأي. والآن، سأتصل برئيسنا فيما تُولي انتباهك الذي لا يتجزأ للطريق". وأضافت، "قد السيارة ببطء لكي لا نصبح خارج تغطية الهاتف الخليوي".

خففت السرعة، وقلت: "أوصلي الرسالة إلى الهاتف".

أجرت الاتصال، فسمعنا صوت والش من هاتفها. قال والش: "بالله عليكم أين أنتما؟"

أجابت كايت بدون موارد، "كنا نستجوب باين مادوكس في نادي كاستر هيل".

"ماذا تقولين؟ لقد أعطيتكما تعليمات محددة، هل كانت تلك فكرة زوجك الغبي؟"

قاطعتها، وقلت: "مرحباً يا توم. الزوج الغبي يتكلم معك".

سادت فترة من الصمت تلاها، "كوري، لقد أفسدت الأمر فعلاً هذه المرة".

"هذا ما قلته لي في المرة السابقة".

لم يكن رجلاً سعيداً وكان يصرخ "لقد عصيت أوامري. لقد أصبحت جزءاً من التاريخ يا سيد".

بدت كايت مضطربة بعض الشيء، وتدخلت قائلة: "توم، حصلنا على إذن من مادوكس بتفتيش أرضه مع شعاع الضوء الأول". وأضافت، "وفي هذه الأثناء، وعدنا ببدء البحث على الفور مستخدماً فريق الحراسة لديه".

لم نسمع جواباً، واعتقدت بأن المكالمة انتهت أو أنه يعاني من نوبة صرع أو شيء من هذا القبيل.

قالت كايت: "توم؟ هل تسمعني؟"

قال: "أخشى أننا لم نعد بحاجة إلى مواصلة البحث".

لم نجب بكلمة، وأحسست بأن معدتي تقلصت. كنت أعرف ما ينوي أن يقوله، ولكنني لم أشأ سماعه.

قال توم والش: "لقد وجدت شرطة الولاية جثة رجل عرفته مؤقتاً بأنه هاري مولر وذلك اعتماداً على محتويات محفظته والصورة الفوتوغرافية التي على

بطاقته”.

وهنا أيضاً، لم ننطق بكلمة، وقال توم والش: “أنا أسف لكوني حامل الأخبار السيئة”.

توقفتُ في جانب الطريق، وأخذتُ نفساً عميقاً، وسألتُ والش، “ما هي التفاصيل؟”

أجاب، “حسناً، عند الساعة الثالثة والرابع تقريباً من بعد ظهر هذا اليوم، تلقى المقر الإقليمي لشرطة الولاية في راي بروك... حيث كان من المفترض أن تتواجد... مكالمة من مجهول قال بأنه كان يتريّض في الغابة، ورأى جسماً ممدداً على الدرب. وقال إنه اقترب منه، ووجد أن الرجل قد توفي بعد إصابته بطلق ناري، ثم هرع إلى مركبته، وتوجه إلى هاتف الطوارئ في المنتزه، واتصل بالشرطة”. وأضاف، “لم يفصح الرجل عن اسمه”.

فكرتُ في ما قاله، اعتقدتُ بأنه عرف اسم الرجل. كنتُ جندياً متمرساً في سلاح المشاة في الجيش.

تابع والش كلامه فقال: “أعطى هذا الرجل وصفاً دقيقاً للمكان، وفي غضون نصف ساعة، وجدتُ شرطة الولاية والشرطة المحلية الجثة بالاستعانة بالكلاب المدربة”. وأضاف، “وبعد مزيد من عمليات البحث، تم العثور على سيارة هاري المقطورة على مسافة خمسة كيلومترات تقريباً إلى الجنوب من مكان العثور على الجثة، وبالتالي يبدو أن هاري كان متوجهاً إلى نادي كاستر هيل، على مسافة خمسة كيلومترات تقريباً إلى الشمال من الدرب”.

قلت: “هذا لا يتطابق مع المكالمة التي أجراها هاري مع صديقه”.

“حسناً، أعدتُ سماع الرسالة مجدداً وسمعتُ هاري يقول ‘أنا الآن في مهمة بالقرب من مسكن اليمينيين المخبولين’”. قال والش: “لا يمكنك تفسير ذلك بأنه كان على مرأى أو قريباً جداً من أرض كاستر هيل”.

من الواضح أن هذا الرجل ليس تحريياً. قلتُ له: “توم، من غير المنطقي أن يوقف سيارته على مسافة عشرة كيلومترات، ثم يتصل بصديقه عند الساعة السابعة والأربعين دقيقة صباحاً، ثم يبدأ بالمشي في الغابة، لأن ذلك يتطلب منه المشي قرابة ساعتين لمجرد الوصول إلى السياج، وأنا أعتقد بأنه كان من المفترض أن يكون في كاستر هيل أو بالقرب منه مع شعاع الضوء الأول. لكن إذا كنا سنصدق هذا السيناريو، فهذا يعني أنه لن يتمكن من الوصول قبل الساعة العاشرة صباحاً تقريباً. هل أنت معي يا توم؟”

امتنع عن الكلام لبضع ثوانٍ، ثم قال: “أجل، ولكن...”

“جيد. وبما أنك لا تزال تتابع الموضوع، أحصل على التثليث الخاص بمكالمة هاري الخليوية مع صديقه، فهذا سيفيدك في تحديد المكان الذي كان فيه عندما أجرى المكالمة”.

“أشكرك، أنا أعرف ذلك. إن شركة الهاتف تعمل على هذا الأمر. لكن فيما عدا برج ترحيل الموجات الخليوية في نادي كاستر هيل، ربما لا توجد أبراج قريبة بما يكفي لإجراء عملية التثليث”.

“كيف عرفت بأن هناك برجاً خليوياً في أرض كاستر هيل؟”

مرّت عدة ثوانٍ من الصمت المطبق، ثم قال: “حصلت على هذه المعلومة للتو من شركة الهاتف”. وأضاف، “من المفترض أن نعرف المزيد في غضون ساعة تقريباً، ولكن عليّ أن أقول لك بأنه حتى وإن كان قريباً من كاستر هيل عندما اتصل بصديقتي، فهذا لا يعني أنه دخل الأرض. ربما أخافه أمر ما، مما اضطرّه إلى العودة إلى سيارته حيث قُتل”. وأضاف إلى معلوماتي شيئاً بقوله: “يوجد دائماً طريقتان أو أكثر للنظر إلى الدليل”.

“حقاً؟ عليّ أن أتذكّر ذلك. وبالمناسبة، في بعض الأحيان، يقودنا التفكير المنطقي إلى السير مسافة طويلة”.

“المدّعون الفيديويون لا يابّهون للمنطق. ولكنهم يريدون أن يتحدث الدليل عن نفسه، والدليل لا يفعل ذلك”.

“حسناً إذاً، نحن بحاجة إلى المزيد من الأدلة”. وسألته، “أخبرني عن الإصابات التي تعرض لها”.

“اخترقت الرصاصة جذعه العلوي من الخلف، وقيل لي بأنها أصابت على الأرجح عموده الفقري، وخرجت من قلبه. ولم يتم العثور على الرصاصة بعد”. وأضاف، “على الأرجح أنه توفي على الفور... لقد تحدثت إلى الرائد شافير، وأكد لي أنه لا يوجد ما يشير إلى بقاء هاري حياً فترة طويلة بعد تعرّضه للإصابة... من الواضح أنه مات حيث سقط”. وأضاف، “وُجد في محفظته بعض النقود، وساعة يد، ومسدس، وأوراقه الثبوتية، وكاميرا فيديو، وكاميرا رقمية، إضافة إلى بعض الأشياء الأخرى. ولذلك، استناداً إلى شرطة الولاية، يبدو أنه حادث صيد”.

“لا يزال في مقدوري قتل غزال من مسافة مئتي متر”. أجبته، “هذا ما أريد لنا التوصل إليه”.

لم يجب والش على تعليقي.

قلت له: “من الواضح أنه ينبغي علينا معرفة ما يوجد في الكاميرات”.

أجاب والش، “لقد قاموا بذلك بالفعل. وتبين أنه لا يوجد شيء في شريط الفيديو ولا في القرص الرقمي”.

قلت: “أحضر الشريط والأقراص إلى مختبرنا وانظر إن تم محو شيء منها”.

قال والش: “قمنا بذلك بالفعل”.

سألته كايته، “متى يمكننا الحصول على تقرير فحص الجثة؟”

أجاب والش، “يجري حالياً نقل الجثة إلى مشرحة المقاطعة في بوتسدام من أجل التأكد من الهوية باستخدام الصور الفوتوغرافية وبصمات الأصابع الموجودة في الملف الخاص بمقرّ مكتب التحقيقات الفيدرالي. أمرت بعدم إجراء فحص للجثة هناك، لأنه من المهم جداً ترك الأمر لطبيب محلي. سأطلب إحضار الجثة بالطائرة إلى هنا في بيليفير هذا المساء أو في الغد”.

“هذه خطوة جيدة. أرسل بالفاكس نسخة عن تقرير التشريح ونتائج فحص السموم”.

“ربما يستغرق فحص السموم ما بين أربعة وستة أيام”.

“سيستغرق يومين أو ثلاثة مع الإسراع في العمل. كما عليك أن تطلب إلى بيليفير البحث عن إشارات تدل على تعرّضه لأعمال شنيعة مثل التخدير، والإصابة بالرضوض، والإشارات التي تدل على ربطه بحبل، أو علامات أصفاد على جلده، وأية رضوض عدا تلك الناجمة عن إصابته بالرصاص. كما أن تحديد زمن الوفاة في غاية الأهمية”.

“ربما تجد من الصعب التصديق بأن الفاحص الطبّي في نيويورك سيتي وشرطة الولاية، ومكتب التحقيقات الفيدرالي يجرون هذه الفحوصات على الأحياء”.

تجاهلتُ هذا التعليق، وقلت: “كما عليك أن تطلب من المحقق من شرطة الولاية الحضور إلى المشرحة في أسرع وقت ممكن لمراقبة عملية نزع الثياب والأدوات الشخصية. عليه أن يبحث عن علامات تشير إلى حدوث تلاعب بالثياب أو إضافة أدوات شخصية بطريقة ما”.

“هناك شخص من مكتب التحقيقات الفيدرالي في طريقه إلى المشرحة. كما أرسلنا عميلين من ألباني أيضاً”. وأضاف، “سننوّلي نحن عملية التحقيق لأنه كان عميلاً فيدرالياً قُتل أثناء تأدية مهامه”.

“هذا جيد، واحرص أيضاً على أن تجري شرطة الولاية ومكتب التحقيقات الفيدرالي مسحاً شاملاً لمسرح الجريمة وتبحث عن شهود”. وأضافت، “عليك أن تفترض حدوث جريمة”.

“أنا أفهم ذلك، لكن يمكن أن يكون الحادث أيضاً كما يبدو في الظاهر؛ أي حادثة، فهذا يحصل دائماً في ذلك المكان. وفي هذه الأثناء، لو كنتَ حيث يُفترض أن تكون، لكنتَ حيث تريد أن تكون لتقديم خبراتك في كيفية إجراء تشريح الجثة والتحقيق”.

“توم، عليك اللعنة”.

أجابني، “أعرف أنك مستاء، ولذلك سأتجاهل تلك العبارة؛ لمرّة واحدة”.

“عليك اللعنة”.

تجاهل العبارة للمرة الثانية، وسألني “أين أنت الآن؟”

أجابت كايت، “لقد غادرنا للتو نادي كاستر هيل”.

قال والش: "حسناً، أنت لم تضيع وقتك هناك وحسب، بل ونبّهت باين مادوكس إلى أنه يخضع للمراقبة".

دافعت كايت عما قمنا به فقالت: "أدار جون التحقيق بطريقة ممتازة. وإذا كان مادوكس لا يعرف بأنه تحت المراقبة، فهو لا يزال جاهلاً بالموضوع. وإذا كان يعرف بأمرها أصلاً، فالمسألة فيها نظر".

أجاب والش، "النقطة الهامة هي أنه لم يكن من المفترض بكما التواجد هناك تحت أي ظرف من الظروف". وسأل، "ما هي الفائدة التي حصلتما عليها من ذهابكما إلى هناك؟ جون؟"

أجبت، "كنت في مهمة رحمة يا توم. حصلتُ على ما أردت؛ إذن بإجراء عملية تفتيش. حسناً، إننا لم نعد بحاجة إلى عملية التفتيش، بالرغم من أنني على استعداد للقيام بها لمجرد العبث مع باين مادوكس".

"هذا ما لا يمكن أن يحصل. الآن وبعد أن قمنا بزيارته، بتنا مجبرين بحكم القانون على إبلاغه بأن الشخص المعني وُجد خارج أرضه".

"لا تتسرّع في استنتاج تلك المعلومة".

"جون، أن لا أعبت في هذه المسائل. فهذا الشخص ليس مواطناً عادياً. وسيتّم إبلاغه على آخر التفاصيل عبر مكالمة هاتفية من شرطة الولاية أو من الضابط المحلي المسؤول عن تطبيق القانون في غضون ساعة من الآن".

"دعني أناقش تلك المسألة مع الرائد شافير أولاً".

"لماذا؟"

"لقد أمضيتُ للتو أربعين دقيقة مع مادوكس، ولاحظت بعض الأمور الغريبة فيه. أعتقد بأن ابن الحقيبة أحضر هاري إلى منزله، واستجوبه، ثم قتله".

"هذه مجرد ظنون... فكّر في ما تقوله".

"أنت من عليه أن يفكر في ما أقول".

قال والش: "كايت؟"

أخذتُ نفساً عميقاً وقالت: "هذا ممكن، أعني هذا محتمل".

سأل والش، "ما هو دافع مادوكس؟"

أجبت، "لست أدري، ولكننا سنكتشف ذلك".

بقي صامتاً لبضع ثوان ثم قال: "حسناً، سنتابع عملنا بالتأكيد كما لو كانت الحادثة جريمة قتل. وفي هذه الأثناء، سأتصل بلوري، صديقة هاري، كما أن واشنطن على الخط الآخر، ولذلك...".

"أرسل شخصاً - شرطياً من الوحدة التكتيكية - للاجتماع شخصياً بلوري، واطلب إحضار كاهن من الشرطة. كما أن لهاري زوجة سابقة وأطفالاً، وأنت

بحاجة إلى إرسال شخص تعرفه العائلة لإبلاغها بالخبر، مثل قائد فرقته القديمة أو شريكه السابق. تحدث إلى باريزي، وهو يعرف كيفية الاهتمام بالموضوع.”

“يمكنني تفهم ذلك. وفي هذه الأثناء، اذهب إلى المطار، وانتظر وصول طوافة لكي تنقلك إلى المقر”. وأضاف، “سيلتقي بك مسؤول من شرطة الولاية ليسلمك الكاميرات التي كانت في حوزة هاري، وستقوم بإحضارها إلى المبنى الفيدرالي...26”

قلت له: “توقف للحظة. إننا لن نغادر المنطقة حتى ينتهي التحقيق”.

“بل ستعود إلى مانهاتن هذه الليلة. وسأكون هناك...”

“توم، اعذرني، أنت بحاجة إلى وجود أشخاص في مسرح الحادثة”.

“أشكرك. أنا أعرف ذلك. في الواقع، سيتم إرسال اثنين من هذا المكتب على متن تلك الطوافة. وأنت أيها التحري كوري لم تعد مسؤولاً عن القضية، وكذلك كاييت”. وأضاف، “عودا على الفور. وفي هذه الأثناء، سيتوقف العمل في المقر، إنني لا أملك الوقت ولا الصبر لكي...”

“ولا أنا. دعني أتكلم معك بصراحة يا توم. أولاً، هاري مولر كان صديقي. ثانياً، كنت تريد تكليفي بتلك المهمة، وربما كنت أنا الممدد في تلك المشرحة بدلاً منه. ثالثاً، أعتقد بأنه راح ضحية جريمة قتل. ورابعاً، إذا أبعدتني عن هذه القضية، فسأطلق رائحة كريهة يشمها من في وزارة العدل”.

“هل تهددني بشيء معين؟”

“أجل. وخامساً، أنت من أرسلت ذلك الرجل إلى مخيم محصن من غير أن تزوده بمعلومات حول ما يجري هناك؛ يا للقدارة، لقد غادرت هذا المكان للتو. لا يمكن حتى لفريق دلتا أن يخترقه؛ وإما أنك كنت تعرف ذلك أو كان ينبغي عليك أن تعرف ذلك. سادساً، ذهب هاري مولر إلى هناك حاملاً أوراقه الثبوتية، وبدون قصة تغطية قابلة للتصديق. منذ متى وأنت تقوم بذلك لكي تكسب رزقك؟”

كان محتدأً جداً، وصاح “دعني أقول لك شيئاً...”

“كلا، دعني أنا أقول لك شيئاً يا أينشتاين. لقد خدعت. هل تعرف؟ سأناقش الأمر معك بالتفصيل عندما تنتهي المسألة. لماذا؟ لأنني أحبك؟ كلا، لأنك ستطلب مني الآن البقاء هنا ومتابعة الإشراف على القضية. وإذا لم تفعل، فإن محطتي التالية بعد المبنى الفيدرالي 26 ستكون واشنطن. هل تفهم؟”

احتاج إلى أربع ثوانٍ تقريباً لكي يفهم، قال والش، “لقد قدّمت مرافعة مفحمة لكي تواصل العمل على القضية”. وأضاف، “لكن ليساعدني الله يا كوري إذا...”

“كنت تقول كلاماً جيداً قبل دعائك الأخير. انسحب فيما لا تزال النتيجة تعادلاً”.

“سأخذ بثأري”.

“ستكون محظوظاً إذا لم يتم إرسالك إلى ويشيتا”. وأضافت، “سأترك لك ولكاييت الكلمة الأخيرة”.

كانت كايت ترتجف، وأخذت نفساً عميقاً، وقالت لوالش “عليّ أن أعبر عن موافقتي على رأي جون بأنه لم يسبق مهمة هاري إعداد مناسب، كما لم يجز التعامل معها بشكل جيد”. وأضافت، “كان من المحتمل أن زوجي هو الموجود في المشرحة”.

لم يجب والش وإنما قال: “أحتاج إلى التحدث إلى المقر العام. هل تريدان شيئاً آخر؟”

قالت كايت: “كلا”.

قلت: “أذهب إلى شرطة الولاية في راي بروك، واتصل بي من هناك”.

أغلق هاتفه، وجلسنا بصمت لفترة على جانب الطريق. كان في مقدوري سماع الطيور في الغابة، وصوت هدير المحرك.

وأخيراً، قالت كايت: “كنت أخشى سماع هذه الأخبار”.

لم أرد، لأنني كنت غارقاً في أفكار هاري بشأن مولر الذي ظل يجلس أمامي طوال ثلاث سنوات تقريباً، شرطيان سابقان، يعملان كشخصين غريبين في أرض غريبة تسمى الفيدرال بلازا 26. أعيدت الجثة إلى نيويورك سيتي من أجل تشريحها، وسيستمر المآتم من الثلاثاء وحتى الجمعة، وسيقام القداس ومراسم الدفن يوم السبت.

أمسكت كايت بيدي وقالت: “أنا لا أصدّق ذلك...”

بقيت على مدى عدة شهور بعد 11 من سبتمبر/أيلول أحضر جلسات السهر بجوار الموتى، وأحضر الجنائز، والقداديس، ومناسبات إحياء ذكرى الموتى، ليلاً ونهاراً، ثلاث مرات في اليوم في بعض الأحيان. كل شخص أعرفه مرّ بهذه المرحلة الجنونية، برنامج تخدير الأرواح. ومع مرور الأسابيع، كنت ألتقي بنفس الأشخاص في أماكن العزاء، والكنائس، والمقابر، وكنا نكتفي بالنظر إلى بعضنا بعيون تتجاوز التعبير. كانت الصدمة والرّضة حديثتي العهد، ولكن الجنائز صارت تطغى على بعضها، والاختلاف الوحيد كان في العائلات التي عمّها الحزن والتي لم تعد تشبه آخر عائلة ضربها الحزن، وكان الأرمال والأطفال يحضرون جنازة شرطي آخر لتقديم التعازي، وأصبحوا جزءاً من جمهور المنتحبين. كان زماً باعثاً على الأسى ويتجاوز حدود الطبيعة: توابيت سوداء، وأكفان سوداء، وعصابات حداد سوداء على الشارات اللامعة، وصباح أسود بعد ليلة من الإسراف في الشرب.

لا أزال أتذكّر معزوفات الفرق على مزامير القرب، والتحية الأخيرة، والتابوت... الذي غالباً ما كان يحتوي على أشلاء من جثة ما، فيما يجري إنزاله في القبر.

قالت كايت: “جون، دعني أقود السيارة”.

لقد حضرت مع هاري بعضاً من هذه الجنازات، وأذكر أنه في قدّاس دوم فانيلي الجنائزي، على أدراج الكنيسة، قال لي: “عندما يفكر الشرطي باحتمال مقتله أثناء

تأديته لمهامه، فهو يفكر في كيس نفايات صادف يوماً سعيداً. من كان يتخيّل حدوث مثل هذا الأمر هنا؟”

قالت كايت: “جون؟ هل أنت على ما يرام؟”

أذكر أيضاً أن ماريون فانيلي، والدة دوم، تصرفت بعزّة نفس، تجاهلها كل من كان في الحشد لأنهم كانوا يركزون على زوجة دوم وأطفاله، وقال هاري: “دعنا نذهب ونتحدث إليها. إنها وحيدة”.

ذكّرني هذا بأن والدة هاري لا تزال على قيد الحياة، وعزمت على إضافتها إلى لائحة الأشخاص الذين ينبغي إبلاغهم رسمياً بحضور الكاهن.

خرجت كايت من السيارة، وفتحت بابي، وأمسكت بذراعي، وقالت: “دعني أقود السيارة”.

خرجت من السيارة، وتبادلنا المقاعد.

انطلقت كايت بالسيارة، وواصلنا سيرنا بصمت.

كانت السماء فوقنا لا تزال مضيئة، ولكن الطريق كانت معتمة، والغابة على جانبي الطريق سوداء. كان في مقدوري بين الحين والآخر رؤية عيون زجاجية تشع في الغابة المظلمة، أو حيوان صغير يهرول قاطعاً الطريق. وعند أحد المنعطفات، توقف غزال أمام أضواء السيارة الأمامية نصف متحجّر ونصف مرتجف خوفاً قبل أن يندفع نحو الغابة.

قالت كايت: “ينبغي أن نصل إلى مقرّ شرطة الولاية في غضون ساعة تقريباً”.

وبعد عشر دقائق، قلت: “هناك شيء غير مفهوم في مهمة هاري”.

“جون، إيّاك أن تفكر في هذا الأمر”.

“كان في مقدوره رؤية السيارات وتصويرها على هذا الطريق. مرّة عند ذهابها، ومرّة عند إيابها. لم يكن مضطراً إلى دخول الأرض”.

“أرجوك، لا تفكّر في هذا الأمر”. وأضافت، “لا يمكنك القيام بشيء الآن”.

“ولهذا السبب ينبغي عليّ أن أفكّر في الأمر”.

نظرت إليّ، وسألنتي “هل تعتقد فعلاً بأن باين مادوكس هو الفاعل؟”

أجبتها “الدليل الظرفي وغرائزي يقولان أجل، ولكنني بحاجة إلى ما هو أكثر من ذلك لكي أقتله”.

الفصل 24

وصلنا إلى الطريق 56 الذي يتجه جنوباً نحو سارناك لايك ومقرّ شرطة الولاية في راي بروك، أو شمالاً نحو بوتسدام والمشرحة حيث ينبغي أن تكون قد وصلت جثة هاري بحلول هذا وقت.

أرادت كايت الانعطاف والتوجه نحو راي بروك، ولكنني قلت: “انعطفي نحو اليمين. دعينا نذهب لرؤية هاري”.

ذكّرتني بالقول: “طلب إلينا توم الذهاب إلى...”

“لا يمكنك أن تمعني في الخطأ إذا فعلت عكس ما يقوله توم”.

ترددت، ثم انعطفت نحو بوتسدام. وفي غضون عشر دقائق، مررنا بلافتة صفراء تقول إننا نغادر منتزه أديرونوك.

بعد السير بضعة كيلومترات، وصلنا إلى ساوث كولتون حيث شاهدنا رودي وهو يتحدث إلى شخص يقوم بنفسه بتعبئة سيارته بالوقود. قلت لكايت: “توقفي هنا”.

توقفت داخل محطة الوقود. انحنيت نحو النافذة وقلت: “هاي رودي”.

تقدم من السيارة وقال لي: “هاي، كيف كان يومك هناك؟”

أجبته، “أصلحت جهاز صنع الثلج، وقلت للسيد مادوكس ما قلته لي عن ضرورة الحصول على المال مقدماً، وتسديد الفاتورة نقداً”.

“أوه، لم يكن من المفترض أن...”

“إنه غاضب منك كثيراً يا رودي”.

“يا إلهي، لم يكن من المفترض أن...”

“يريد أن يراك... هذه الليلة”.

“أوه، يا إلهي”.

“أريد الذهاب إلى مستشفى المقاطعة في بوتسدام”.

“حقاً؟ أجل... حسناً، تابع سيرك على الطريق 56 شمالاً”. وأعطاني إرشادات للوصول إلى المستشفى. قلت له: “عندما ترى مادوكس، قل له بأن جون كوري رام ماهر بالمسدس أيضاً”.

“كما تريد”.

عادت كايت إلى الطريق، وواصلنا سيرنا نحو بوتسدام. قالت: “يبدو ذلك أنه تهديد”.

“بالنسبة إلى رجل مذنب، إنه تهديد. لكنه بالنسبة إلى رجل بريء عبارة غريبة”.

لم تعلق على كلامي.

زادت رقعة المشهد، وصار في مقدوري رؤية المنازل والمزارع الصغيرة الآن. كانت الشمس في هذا الوقت المتأخر من بعد الظهر ترخي بظلال طويلة على التلال المتجاورة.

لم نتكلم أنا أو كايت كثيراً، فهناك أمر يتعلق برؤية إنسان ميت حال دون تبادل الكلمات.

بقيت أفكر في هاري مولر، وصعب عليّ التصديق أنه مات. أعدت استحضار محادثتي الأخيرة معه، وتساءلت إن كان قد ساورني إحساس سيئ تجاه المهمة، أم أنّ ما حدث منذ تولّيه المهمة جعلني أفكر بهذه الطريقة. لا يمكنك أن تعرف أبداً. ولكن ما أعرفه هو أنه سواء أكان يساورني هذا الإحساس المنذر بالشرّ يوم الجمعة أم لا، يتعيّن عليّ معرفة حقيقة ما جرى.

وفي غضون عشرين دقيقة، وصلنا إلى بلدة بوتسدام الجميلة حيث وجدنا مستشفى مقاطعة كانتون - بوتسدام في الطرف الشمالي من البلدة.

أوقفنا السيارة في المرآب، ودخلنا المستشفى الصغيرة المبنية من الطوب الأحمر من الأبواب الأمامية.

كان هناك مكتب للاستعلامات في الردهة. عرّفت عن نفسي، وسألت الموظفة عن مكان المشرحة. أرشدتنا إلى الوحدة الجراحية التي قالت إنها تُستخدم كمشرحة. لم يكن ذلك ليروق للجراحين، ولو كنت في مزاج أفضل لقلت نكتة عن ذلك.

سرنا في بعض الممرات، ووجدنا قسم الممرضات في الوحدة الجراحية.

كان يوجد اثنان من عناصر شرطة الولاية في زيّهما الرسمي وهما يتحدثان إلى الممرضات. أبرزتُ وكايت أوراقنا الثبوتية، وقلت: "إننا هنا من أجل التعرّف على جثة هاري مولر. هل ترافقان الجثة؟"

أجاب أحد الرجلين، "أجل سيدي. لقد قمنا بمواكبة سيارة الإسعاف."

"هل يوجد شخص آخر هنا؟"

"كلا سيدي. أنت أول الواصلين."

"من هم الأشخاص الذين تتوقع وصولهم غيري؟"

"حسناً، بعض العملاء من مكتب التحقيقات الفيدرالي القادمين من ألباني، وبعض الأشخاص من مكتب التحقيق التابع للولاية."

لن نمضي الكثير من الوقت لوحدنا بجانب الجثة قبل أن تحضر رقعة. سألت، "هل الطبيبة الفاحصة موجودة هنا؟"

"أجل سيدي. لقد أجرت فحصاً أولياً على الجثة، وقامت بفرز الأدوات الشخصية. وهي تنتظر وصول شرطة الولاية والعملاء من مكتب التحقيقات

الفيدرالي”.

“حسناً، نودّ إلقاء نظرة على الجثة”.

“عليكما أن توقعا هنا”.

لم أكن أرغب في التوقيع، ولذلك قلت: “نحن لم نأتِ إلى هنا بصفة رسمية” وأضفت “الرجل المتوفى كان زميلاً وصديقاً لي. إننا نودّ إلقاء التحية”.

“آه، أنا آسف.. بالتأكيد”.

قادنا نحو باب فولاذي ضخم كُتب عليه ‘غرفة العمليات’.

تعتبر جثة ضحية جريمة القتل ساحة جريمة ينبغي تأمينها، وينبغي المحافظة على تسلسل الأدلة. وبالتالي، استتجت من تواجد اثنين من عناصر شرطة الولاية، والمسؤول عن أخذ التوقيعات أن هناك شخصاً غيرنا يعتقد بأن القضية لم تكن حادثة صيد.

فتح الشرطي الباب، وقال: “ادخل أنت أولاً”.

أجبت: “ترغب في البقاء لوحدنا لكي نقدم التحية”.

تردد الشرطي ثم قال: “أنا آسف، لا يمكنني السماح بذلك. أنا بحاجة إلى...”

“فهمت. هل يمكنك أن تسدي إليّ خدمة، وتطلب إلى الطبيبة الفاحصة المجيء إلى هنا؟ وسنبقى حيث نحن”.

“بالتأكيد”.

توارى الشرطي عن الأنظار، ففتحت الباب، ودخلنا المشرحة المؤقتة.

كانت غرفة العمليات مضاءة وفي وسطها طاولة فولاذية، وُضعت عليها جثة يغطيها غطاء أزرق.

كانت توجد نقالتان مدولبتان على جانبي الطاولة، إحداهما تحمل ثياب هاري كما كان يلبسها: الحذاء العالي الساق، الجاربان، الملابس الداخلية الحرارية، السروال، القميص، السترة، والقبعة.

وعلى النقالة الأخرى كانت توجد أدوات هاري الشخصية، وكان في مقدوري رؤية الكاميرات، والمنظار، والخراط، والهاتف الخليوي، والمحفظة، وساعة اليد، وقطاعة الأسلاك، وغيرها. وشاهدت في سلسلة المفاتيح مفتاح تشغيل مركبته الحكومية، بونتياك غراند أم، ومفتاح مركبته الخاصة من طراز تويوتا. لكنني لم ألاحظ وجود مفتاح السيارة المقطورة التي كان يقودها. افترضت بأنه موجود في عهدة شرطة الولاية أو فريق التحقيق في مسرح الجريمة لكي يتمكن من نقلها. وكان مسدسه وأوراقه الثبوتية مع الشرطيين في الخارج.

كانت رائحة المادّة المطهرة، الفورمالهايد، وروائح كريهة أخرى تفوح من الغرفة، ولذلك توجهت نحو الخزانة حيث وجدت أنبوب فيكس الذي يعتبر أداة

قياسية في مكان تشرّح فيه الجثث. عصرت بعض الهلام الممزوج بالمنتول على إصبع كاييت، وقلت: “ضعي هذه تحت أنفك”.

وضعتُ الهلام فوق شفتها العليا وأخذت نفساً عميقاً. أنا لا أستخدم هذه الأشياء في العادة، لكن لم تكن قد مضت فترة طويلة على وجودي بالقرب من جثة محنطة، ولذلك وضعت بعضاً منها تحت أنفي.

وجدت علبة من قفازات اللاتكس، فأخذ كل منا زوجاً منها، وقلت لكاييت: “سنلقي نظرة”.

أومأت برأسها.

توجّهت نحو الطاولة ورفعت الغطاء الأزرق عن الوجه.

هاري مولر.

قلت في نفسي، أنا آسف يا صديقي.

كان وجهه متسخاً لأنه سقط على الدرب على وجهه أولاً، وكانت شفتاه متباعدتين بعض الشيء، ولكنني لم ألاحظ أي تشوّه أو إشارة إلى أنه تعذب، وهو ما يعني أن الوفاة كانت سريعة. ينبغي أن نتمتع بهذا الحظ عندما لا يحالفنا الحظ.

كانت عيناه مفتوحتين، فأغلقت جفني عينيه.

رفعت الغطاء حتى خصره ورأيت قطعة كبيرة من الشاش فوق قلبه. كان يوجد أثر ضئيل للدم على جسده، أي أن الرصاصة أوقفت عمل القلب على الفور تقريباً.

لاحظت تلون جلده باللون الأزرق؛ مما يعني تجمع الدماء في الجهة الأمامية من جسمه، وهو ما يؤكد سقوط وجهه أولاً ووفاته وهو في ذلك الوضع.

رفعت ذراعه اليسرى. عادة ما تتيبّس الأعضاء بعد مرور ثماني إلى اثنتي عشرة ساعة على الوفاة. لم ألاحظ أي انتشاء في عضلاته، ولكن ذراعه لم تكن متيبّسة بالكامل. كما أنه من مظهر الجلد، والحالة العامة للجثة، افترضت بأن الوفاة حدثت قبل ما بين اثنتي عشرة ساعة وثمان وأربعين ساعة. وللتوصل إلى نتائج أكثر دقة، وبافتراض أن الحادثة جريمة قتل متعمدة، فعلى الأرجح أنه جرى تنفيذها ليلاً لتقليل فرص اكتشاف الجثة أثناء ارتكاب الجريمة. ولذلك، افترضت بأن الجريمة وقعت ليلاً على الأرجح.

بافتراض أن مادوكس هو الجاني، فعلى الأرجح أنه انتظر شخصاً لكي يعثر على الجثة ويبلغ الشرطة. وعندما لم يحصل ذلك في فترة ما بعد ظهر هذا اليوم، قام هو أو شريك له في الجريمة بالاتصال هاتفياً بالشرطة من هاتف في المنتزه، لكي يريح نفسه من الضغوط قبل أن تبدأ عمليات البحث في أرضه.

في الواقع، ربما كان مادوكس يتساءل عندما كنا جالسين معه عن سبب عدم العثور على الجثة بعد المكالمات الهاتفية، وهو ما جعله متوتر الأعصاب.

نظرت إلى معصم هاري وإبهامه، فلم أجد أثراً لقيود، بالرغم من أننا في الغالب لا نجد أثراً لها.

ثم وضعت يد هاري في يدي، وفحصت راحة يده، وأظافر أصابعه وبراجمها. يمكن لليد أحياناً أن تخبرك عن معلومات لا يلاحظها المحققون في أسباب الوفيات، الذين يهتمون في العادة أكثر في الأعضاء والرضوض، ولكنني لم ألاحظ شيئاً غير اعتيادي، باستثناء الأوساخ.

نظرت إلى كايت التي بدت رابطة الجأش، ثم درت حول الطاولة، وأمسكت بيد هاري اليمنى ونظرت إليها.

سمعت صوتاً أنثوياً يقول: “هل يمكنني إعارتك مشرطي؟”

التفتُ وكايت فرأينا امرأة عند الباب ترتدي ثياب الجراحين الفضفاضة. كانت في العقد الثالث من عمرها، هيفاء، وذات شعر قصير أحمر. ومع اقترابها منا، لاحظت النمش في وجهها وعينيها الزرقاوين. في الواقع، إذا استثنينا الثياب الزرقاء الفضفاضة، كانت امرأة ظريفة. قالت: “أنا باتي غليسون، المحققة في أسباب الوفيات في المقاطعة. أعتقد أنكما العميلان من مكتب التحقيقات الفيدرالي.”

نزعت قفاز اللاتكس، ومددت يدي، وقلت: “التحرّي جون كوري من الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب.”

تصافحنا، وعرفّتها بالعميلة الخاصة من مكتب التحقيقات الفيدرالي، كايت مايفيلد، من غير أن أنسى إضافة، “كايت هي السيدة كوري أيضاً.”

أضافت كايت، “أنا المشرفة على التحريّ كوري أيضاً.”

قالت الدكتورة غليسون: “ربما يمكنك أن تخبريه بأنه ينبغي عدم المساس بالجنّة بدون حضور فاحص طبيّ. أو ربما الامتناع عن المساس بها أصلاً.”

قدمتُ اعتذاري، وأضفت، “أنا أقوم بذلك منذ عشرين سنة في نيويورك سيتي.”

“أنت لست في نيويورك سيتي.”

أخذنا على حين غرّة، ولكن كايت قالت: “كان هاري صديقنا.”

ألانت الدكتورة غليسون كلامها، وقالت: “أنا أسفة.” وسألت كايت، “ما علاقة هذه القضية بالإرهاب؟”

أجابت كايت، “لا توجد علاقة. لكن هاري كان زميلاً لنا في الوحدة التكتيكية، وكان يتريّض هنا، وقد جننا من أجل التعرّف على الجنّة.”

“فهمت. وهل تعرّفتما على الجنّة؟”

أجابت كايت، “أجل.” وسألت، “ما هي النتائج الأولية التي توصلت إليها؟”

أجابت الدكتورة غليسون “حسناً، بناء على ما يمكنني استنتاجه من الجروح الخارجية، اخترقت رصاصة عموده الفقري، ثم اخترقت قلبه، مما أدى إلى مصرعه على الفور تقريباً. وعلى الأرجح أنه لم يشعر بشيء، وحتى لو شعر بالألم،

فقد استمرّ ذلك لثانية واحدة أو اثنتين فقط. لقد فارق الحياة قبل أن يسقط على الأرض.”

أومأت برأسي، وقلت: “طوال سنوات عملي كشرطي، لم يسبق أن شاهدت إصابة مثالية أصابت العمود الفقري والقلب وكانت حادثة عرضية”.

امتنعت الدكتورة غليسون عن التعليق لبضع ثوانٍ ثم قالت: “بوصفي طبيبة جراحة ومحقة في أسباب الوفيات، رأيت حوالى مئة إصابة من جراء حوادث وقعت أثناء الصيد، ولكن لم يسبق أن رأيت إصابة مثل هذه”. وأضافت، “لكن ذلك أمر ممكن الحدوث”. وسألت، “هل تعتقد أنها جريمة قتل؟”

أجبتها، “إننا لا نستبعد هذا الاحتمال”.

أومأت برأسها، وأجابت “هذا ما أسمعه”.

يجد بعض الفاحصين الطبيين رغبة في لعب دور التحري، كما في التلفزيون، ولكنهم يلتزمون تماماً بالحقائق. وبما أنني لا أعرف باتي غليسون سألتها، “هل وجدت أي شيء يشير إلى أنها جريمة قتل؟”

أجابت، “سأعرض عليك النتائج التي توصلت إليها، وفي إمكانك أخذها من هناك”.

توجهت إلى خزانة المؤن، وأمسكت بقفازين، ثم أعطتني قفازاً جديداً، وقالت: “أرى أنك وجدت الفيكس”.

اقتربت من النقالتين، وقالت: “لقد أزلت وصنفت كل شيء لكي يضعه عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي في أكياس الأدلة. هل ترغبان في الذهاب إلى المخزن والتوقيع على استلامها؟”

أجابت كايت، “هناك عملاء آخرون في طريقهم إلى هنا، وهم بحاجة إلى سرد كل شيء في ما نسميه الورقة الخضراء”.

قلت للدكتورة غليسون: “دعينا نلقي نظرة على الجثة”.

وقفت بجانب الجثة، وأزلت الشاشة عن صدر هاري، مما أزال بعض الشعر وكشف عن ثقب كبير غائر. قالت: “كما ترى، هذا هو الجرح الذي أحدثته الرصاصة عند خروجها. وقد استخدمت مكبراً بقوة سبعة أضعاف ولاحظت أجزاء صغيرة من العظام، وأنسجة ليثة، ودماً، وجميعها بكميات ضئيلة ومتسقة على امتداد الثقب الذي أحدثته رصاصة عالية السرعة، من العيار الكبير أو المتوسط، عبر الفقرات، والقلب، وعظم الصدر”.

تابعت حديثها شارحة من منظور سريري كيف تتوقف حياة الإنسان. وختمت حديثها بالقول: “كما تعرف، أنا لا أقوم بتشريح الجثة، ولكنني أشك في أن يظهر التشريح الكثير حول ما يتعلق بسبب الوفاة”.

قلت لها: “إننا أكثر اهتماماً بالأحداث التي قادت إلى لحظة الوفاة”. وسألتها، “هل لاحظت أي شيء غير اعتيادي؟”

“في الحقيقة، لاحظت بعض الأمور”. وضعت إصبعها على صدر هاري، على مسافة ثلاثة سنتيمترات من حافة المكان الذي خرجت منه الرصاصة وقالت: “لاحظتُ هنا... هل يمكنك أن ترى ذلك؟”

“كلا”.

“حسناً، يوجد ثقب ناتج عن جرح صغير، ومن الواضح أنه أصيب به قبل وفاته. قمت بفحصه، ووجدته أنه عميق بحيث وصل إلى الأنسجة العضلية. كما تفحصت قميصه وملابسه الحرارية، فوجدت أن فيها ثقوباً مماثلة، وما بدا أنه بقعة دم صغيرة. أي أن هذه الأداة - ربما كانت إبرة تحت الجلد - غرزت بقوة في الثياب حتى وصلت إلى عضلته الصدرية. لم أستطع التأكد من أنه حُقن بمادة ما، ولكن ينبغي أن يكون فحص السموم قادراً على إخبارنا بذلك”.

واصلت الدكتورة غليسون حديثها، وقالت: “كما يوجد جرحان آخران في ساعده الأيمن. لكنني لم أجد دماً أو ثقوباً مناظرة في ثيابه”. وقالت: “لم أجد في حوزته إبرة تغرز تحت الجلد، وافترض بأنه لم يكن يداوي نفسه عبر قميصه”.

سألتها، “ماذا تستنتجين من هذه الجروح الصغيرة؟”

أجابته، “أنت التحري”.

“أجل”. افترضت بأن الجرح الصغير الأول كان الجرح الذي في الصدر الذي وجدت آثاره على ثيابه، وهو ما يعني أنه حُقن بمادة مسكنة على الأرجح فيما كان يصارع، أو أنه أصيب بمسدس يطلق طلقات مهدئة للحيوانات. إذا كان الوقت خارج الموسم، نطلق عليها طلقات مهدئة ثم نخرجها من المكان. والجرحان الآخران اللذان أصابا الجلد، كانا تحت الجلد، وكان الغرض منهما إبقاءه هادئاً، كما افترضت بأن المادة هي بنتاثول الصوديوم، وهو مصل، ولكنني احتفظت بأفكاري لنفسى، وقلت “سأفكر في الأمر”.

واصلت حديثها، وقالت: “أريد أن أريك شيئاً آخرين قاداني إلى الاعتقاد بأنه وقعت أحداث أو حوادث غير عادية قبل الوصول إلى زمن الوفاة”.

راقبنا الدكتورة غليسون وهي تدور حول الطاولة في اتجاه رأس هاري. وضعت باتي غليسون يديها أسفل كتفي هاري عند جذعه الضخم، ودفعته إلى الأمام إلى أن أصبح في وضعية جلوس، مما تسبب في خروج بعض الريح، فأخذت كايته نفساً سريعاً. لاحظت أن المحققين في أسباب الوفاة لا يتعاملون برفق مع المتوفين، ولا يوجد سبب يدعوهم إلى أن يكونوا بخلاف ذلك، بالرغم من أنني أفاجأ دائماً من طريقة تعاملهم مع الجثة.

صار في مقدوري رؤية الثقب الذي أحدثته الرصاصة عند دخولها، في الوسط تماماً حيث اخترقت عموده الفقري، وسارت بشكل خط مستقيم باتجاه قلبه. حاولت أن أتخيل كيفية حدوث ذلك. على الأرجح أن هاري كان لا يزال تحت تأثير المخدر حيث وُضع على الدرب في حالة وقوف أو جاثياً على ركبتيه، من قبل شخص أو أشخاص، فيما وقف الرامي على مسافة قريبة بما يكفي لكي يحقق إصابة مثالية، ولكن ليس قريباً بما يسمح لانفجار فوهة البندقية أن يخلف حروقاً أو

أثراً للبارود. ومن المحتمل أن هاري كان ممدداً في مكان آخر، حيث أصيب بطلق ناري، ونُقل إلى الدرب. ولكن ذلك تصرف لا يقوم به سوى الهواة، وكان فريق التحقيق في مسرح الجريمة سيكتشف ذلك.

على أية حال، أصيب بطلقة في الظهر، وكل ما كنت أمل به هو أنه لم يكن يعرف ماذا سيحدث له.

أرادت الدكتورة غليسون لفت انتباهنا إلى شيء آخر فقالت: “انظرا هنا”. وضعت إصبعها على لوح كتف هاري الأيمن وقالت: “يوجد تغيير في لون الجلد من الصعب رؤيته. إنه ليس ناجماً عن كدمة، أو حرق تسببت به مادة كيميائية، بل هو حرق ناتج عن الحرارة. ربما يكون حرقاً كهربائياً”.

اقتربت وكايت من البقعة التي تغير لونها. كانت بحجم وشكل قطعة نقدية من فئة نصف دولار. لم تكن ناتجة عن مسدس صاعق، ولكن سبق أن رأيت بقعاً مثلها ناتجة عن استخدام قضيب معدني كهربائي.

كانت الدكتورة غليسون تنظر إليّ فيما كنت أتمعن في العلامة البارزة على كتف هاري. قلت: “لا أدري ما حقيقة هذه البقعة”.

مشت نحو جانب الطاولة، وجذبت بطريقة فظة الغطاء الأزرق حتى طرف الطاولة، فظهر جسم هاري العاري.

بدأت تقول شيئاً، ولكنني قاطعتها، وقلت: “هل تمنعين في إعادة الجثة إلى وضعها الأول؟”

“أنا آسفة”. دفعت جذع هاري المتيبس نحو الطاولة فيما كنت أمسك برجليه. ما أعنيه هو أنني معتاد على رؤية الجثث، ولكن ينبغي أن تكون الجثة في وضع ممدد، لا في وضعية جلوس. وكان في مقدوري ملاحظة أنه بالكاد كانت كايت تحافظ على رباطة جأشها.

مشت الدكتورة غليسون بمحاذاة الطاولة وقالت: “ذكر أبيض البشرة، حسن التغذية، قوي العضلات، وفي منتصف العمر، جلد طبيعي، باستثناء ما أشرت إليه، كما لاحظت أنه لم يستحم أو يطق ذقنه منذ عدة أيام، وهو ما يتطابق مع قضائه وقتاً في الهواء الطلق ومع ثيابه المتسخة بالتراب. ولم أرَ أي شيء يثير الاهتمام إلى أن وصلت إلى قدميه وكاحليه”.

وقفنا نحن الثلاثة عند قدمي هاري العاريتين، وقالت الدكتورة غليسون: “كان باطننا القدمين متسخين بالتراب، كما لو كان يمشي حافي القدمين، ولكن ذلك لم يكن تراباً من البرية أو أرض زراعية”.

أومات برأسي.

قالت: “وجدتُ القليل من الألياف التي تشبه ألياف البُسُط والسجاد، كما يمكنك أن ترى ما يشبه الغبار الناعم أو الأوساخ التي تجدها على أرضية غرفة”. وأضافت، “أنا أفهم بأنه كان يملك سيارة مقطورة، وينبغي أن تتأكد إن كان يوجد فيها بساط وتأخذ عينات من أليافها والأوساخ التي فيها”.

أومات برأسي. عرفت مكاناً آخر ينبغي عليّ أخذ عينات من الألياف والأوساخ منه، ولكن فرص الحصول على مذكرة تفتيش لنادي الصيد كاستر هيل لم تكن جيدة في تلك المرحلة.

اقتربت أكثر من هاري، وقلت: “توجد آثار كدمات على كِلا الكاحلين”.

“أجل، توجد كدمات إضافة إلى آثار برّي. وهي واضحة جداً كما ترى، والأمر الوحيد الذي يمكنني التفكير فيه هو أنه كان مكبل الرجلين بأصفاذ فولاذية، لا بشريط أو حبل أو أي شيء مرن، وأنه حاول نزعها، أو حاول الركض مع وجودها. وهذا هو السبب الذي يفسر وضوحها وكثرتها”. وأضافت، “الجلد ممزق في موضعين”. وأضافت، “وأعتقد بأنه لبس جاريبه وحذاءه بعد نزع الأصفاذ عن كاحليه... أعتقد بأنه كان حافي القدمين عندما كان مكبلاً. انظر إلى موضع البرّي والكدمات على الجلد”.

بغض النظر عما حدث لهاري في الساعات التي سبقت وفاته، فلا بدّ وأنها لم تكن أحداثاً سارّة. وبما أنني كنت أعرف ذلك، فقد كنت متأكداً من أنه لم يكن سجيناً نموذجياً، وهو ما يفسر استخدام القضيب الكهربائي المعدني، والحقن المخدرة، والقيود في الرجلين. لقد قمت بعمل جيد يا صديقي.

قالت الدكتورة غليسون: “وبعد أن لاحظت وجود بعض من هذه الألياف في قدميه، فحصت سائر جسده ووجدت بعض الألياف في شعره وعلى وجهه”. وأضافت، “يمكن أن يكون مصدر هذه الألياف الكابينة التي في مقطورته، ولكنّ لونها أزرق داكن، في حين أن هذه الألياف متعددة الألوان”.

لم أعلق على ما قالته، ولكن بدا واضحاً أن هاري كان ممدداً على بساط أو بطانية.

أضافت الدكتورة غليسون، “كما توجد ألياف على سرواله وقميصه، وعلى ملابسه الداخلية الحرارية، وهي أيضاً تبدو غير منسجمة مع ما كان يرتديه عندما جاء إلى هنا”. وأضافت، “كما وجدت أربع شعرات سوداء، جميعها بطول خمسة سنتيمترات: واحدة على قميصه، وواحدة على سرواله، واثنان على ملابسه الداخلية الحرارية. وقد ألصقتها بالألياف حيث وجدتتها”.

أومات برأسي من غير أن أعلق بشيء. فكلما كان حديثي أقل، كلما شعرت الدكتورة غليسون بالحاجة إلى شرح المزيد لنا. وأضافت، “وهذه الشعرات لا تعود إلى المتوفى. في الواقع، بعد أن وضعت الشعرات تحت المكبر، تبين لي أنها لا تعود لإنسان”.

سألته كاي، “هل هي شعرات كلب؟”

“ربما”.

قيصر ويليام.

أنهت الدكتورة غليسون حديثها، بالقول: “هذا كل ما وجدته على الجثة مما يمكن أن يكون غير مألوف”.

سألته كايته، “هل يمكنك تقدير وقت حدوث الوفاة؟”

أجابته الدكتوراة غليسون، “بناء على ما أراه، وأشمه، وأشعر به أعتقد بأن الوفاة حصلت قبل أربع وعشرين ساعة تقريباً، وربما قبل وقت أقل من ذلك”. وأضافته، “ربما وجد فريق التحقيق في مسرح الجريمة شيئاً يمكن أن يجعل تحديد الوقت أكثر دقة، وكذلك الفاحص الطبي الذي يقوم بالتشريح”.

سألته، “هل نزع ثيابه وأدواته الشخصية؟”

“لقد قمت بذلك مع أحد المساعدين”.

“وفيما عدا شعرات الحيوان والألياف الغريبة، هل لاحظت شيئاً آخر غير اعتيادي؟”

“شيء مثل ماذا؟”

“حسناً، شيء غير عادي”.

“كلا... لكن إذا شممت ثيابه - وخصوصاً قميصه - ربما لا يزال في مقدورك اكتشاف أثر رائحة الدخان”.

“أي نوع من الدخان؟”

“الرائحة تشبه دخان السجائر”. وأضافته، “لكنني لم أجد أية مواد خاصة بالتدخين ضمن حاجياته الشخصية”.

“هذا فنّ ضائع”.

إنه أحد مبادئ الإيمان لدى التحريين الجنائيين، والأطباء الشرعيين، والفاحصين الطبيين، أن الجثة تبوح بأسرارها: الألياف، الشعرات، والسائل المنوي، واللعب، وعلامات العضم، والحروق الناجمة عن الحبال، والحرق بأعقاب السجائر، والرماد، والحمض النووي، والبصمات، وغيرها كثير. فهناك دائماً مواد تنتقل من الجاني إلى الضحية، ومن الضحية إلى الجاني. وكل ما عليك القيام به هو العثور عليها، وتحليلها، ومطابقتها مع مشتبه به. والمفتاح هو في العثور على شخص مشتبه به.

سألته، “هل يوجد شيء آخر؟”

“كلا، ولكنني لم أقم سوى بفحص ظاهري للثياب والحاجيات الشخصية”. وأضافته، “كان معي مساعد طوال الوقت، وقمت بتصوير الجثة والحاجيات الشخصية على شريط فيديو. وفي مقدورك الحصول عليه بعد نسخه”.

“شكراً لك”. من الواضح أنها أدركت بأنها قضية ساخنة.

سألته، “ما القصة؟”

“هل تريدون معرفتها حقيقة؟”

فكرت للحظة، ثم أجابت “كلا”.

قلت: "هذا جواب جيد. حسناً، لقد قدمت لنا مساعدة كبيرة، ونحن نشكرك على الوقت الذي منحتنا إيّاه".

سألنا، "هل ستبقين مع الجنة؟"

"أجل".

"أرجو منكما ألا تلمساها". ونظرت إلى هاري مولر، وقالت: "إذا كان ضحية جريمة قتل، أمل بأن تجدوا الفاعل".

"سنجد الفاعل".

وبعد ذلك، ودّعنا الدكتورة غليسون، ورحلت.

قالت كايت: "لماذا ترغب امرأة شابة مثل هذه في العمل في مشرحة؟"

"ربما كانت تبحث عن السيد 'مثالي'. دعينا نبدأ عملنا".

مشيت أنا وكايت نحو النقالة التي علّقت عليها أدوات هاري الشخصية فيما كنا نرتدي القفازات، وبدأنا نفحص كل شيء - محفظته، ساعة اليد، المِجيب الصوتي، المنظار، والكاميرا الفيديوية، والكاميرا الرقمية، والبوصلة، وقطاعة الأسلاك، ودليل مراقبة الطيور، وخريطة ظهرت عليها أرض نادي كاستر هيل معلمة بالقلم الأحمر، إضافة إلى موقع نادي الصيد، والقليل من المباني الأخرى التي أضيفت إلى الخريطة. وحتى مع استخدامنا لقفازات اللاتكس، تعاملنا بحذر شديد مع تلك الحاجيات لكي لا نتلف أثر أية بصمة.

تفحصت محتويات محفظة هاري، ولاحظت أنه يوجد مفتاح احتياطي في جيبه الصغير، إضافة إلى مفتاح سيارة التويوتا، ومفتاح الغراند أم الخاص بسيارته الحكومية، ولكنني لم أجد أي مفتاح احتياطي لسيارته المقطورة. إذا كان يوجد مثل هذا المفتاح، فلا بدّ وأن شخصاً ما أخذه عدا شرطة الولاية التي حصلت على مفتاح المقطورة من سلسلة المفاتيح. ولذلك، ربما عمد طرف آخر إلى إخراج المفتاح من محفظته لكي يتسنى له إبعاد السيارة المقطورة عن أرض نادي كاستر هيل. لكن من يكون هذا الطرف؟

قالت كايت: "لا يوجد شيء غير اعتيادي هنا، أو شيء جرى نقله من مكانه الأصلي أو التلاعب به، لكنني أراهن بأنه تم مسح شيء كان يوجد في الكاميرتين".

أجبتها، "على الأرجح أنه تم التخلص من القرص، والشريط، والذاكرة واستُبدلت بالأقراص الاحتياطية التي كانت في حوزة هاري".

أومأت كايت برأسها، وقالت: "إذاً، لن يتمكن المختبر من استخراج أية صور ممسوحة".

"أعتقد بأنه لن يستطيع ذلك".

أمسكت بهاتف هاري الخليوي وقمت بتشغيله، ثم استعرضت آخر ما وصله من مكالمات.

كانت هناك مكالمة من صديقتة لوري باهنيك عند الساعة 9:16 من صباح يوم السبت ردًا على اتصال هاري بها عند الساعة 7:48 صباحاً، وتليها عشر مكالمات أخرى من لوري تبدأ من فترة ما بعد ظهر يوم السبت بعد أن وصلت رسالته النصية عند الساعة 4:02 من بعد الظهر، ثم طوال يوم الأحد، وحتى اليوم، الاثنين.

ثم كان اتصال الضابط المناوب، كين رايلي، بهاري عند الساعة 10:17 من مساء يوم الأحد استجابة لاتصال لوري بمكتب الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب.

المكالمة التالية، وصلت إلى هاتف هاري عند الساعة 10:28 من مساء يوم الأحد من رقم في نيوجرسي. قلت لكاييت: "أليس هذا الرقم الهاتفي لمنزل والش؟" "أجل".

"ولكنه قال بأنه لم يتصل بهاري إلا بعد أن جاء إلى المكتب صباح هذا اليوم".
قالت كاييت: "من الواضح أنه كذب علينا".

"هذا صحيح... هذه هي مكالمة والش لهاري هذا الصباح، وقبلها كانت مكالمة كين رايلي الذي كان يتصل طوال الليل من المبنى الفيدرالي 26".

بقيت صامتة لفترة، ثم قالت: "يبدو أن القلق كان أكبر مما حاول توم والش الإيحاء لنا به".

"هذه عبارة تهوينية. إن حقيقة كذب والش علينا تحملني على الاعتقاد بأن هذه المهمة لم تكن مراقبة روتينية".

"أعتقد بأننا نعرف ذلك أصلاً".

نظرتُ إلى هاتف هاري الخليوي مجدداً، ورأيت مكالمتي التي أجريتها بعد ظهر يوم الأحد عندما اقترحت عليه إعداد يخنة الصياد، ثم مكالمتي الأخيرة له عند الساعة 9:45 هذا الصباح. وبعد ذلك، كان هناك القليل من المكالمات من لوري.

بدأت كاييت استعراض هاتفها الخليوي، وقالت: "هذا أمر مؤسف جداً..."

أومأت برأسي. لم أكن أعرف كلمة المرور التي يستخدمها هاري وبالتالي تعذر عليّ الاستماع إلى أي من رسائله، ولكنني عرفت بأنه في مقدور فريق التحقيق في مسرح الجريمة القيام بذلك.

استعرضت المكالمات الأخيرة التي أجراها هاري، ورأيت مكالمة أجراها مع لوري باهنيك عند الساعة 7:48 من صباح يوم الأحد، ثم رسالة نصية بعد ظهر يوم الأحد عند الساعة 4:02، ثم لم تعد هناك أية مكالمات.

كنت على وشك إطفاء الهاتف عندما سمعت رنينه، وهو ما أصابنا بالذهول.

نظرت إلى بطاقة المتصل ووجدت أن المتصلة هي لوري باهنيك. نظرت إلى كاييت فرأيت عليها إمارات الحزن.

فكرت في الردّ على المكالمة، ولكنني لم أكن متهيئاً للإبلاغ عن الخبر عبر الهاتف فيما لا يبعد هاري سوى مترين عني. أطفأت الهاتف، وأعدته إلى النقالة.

نظرت إلى ساعتني. سيمرّ وقت طويل قبل أن تصل شرطة الولاية وعملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي من ألباني. كما أنه لا بدّ وأن الرجلين اللذين ينتميان إلى الوحدة التكتيكية وصلا إلى مطار سارناك لايك بحلول هذا الوقت. وتساءلت من يكون هذان الرجلان اللذان أرسلهما والش للحلول محلنا.

على الأرجح أنهما من هؤلاء الأشخاص الذين يتبعون الأوامر.

قلت لكاييت: “دعينا نلقي نظرة على ثيابه قبل وصول رجال الشرطة”.

ذهبتُ إلى المغسلة، وأزلت الهلام الممزوج بالمنتول عن شفتها، في حين انتهزتُ الفرصة لاختلاس خريطة الأرض. يُعتبر أخذ دليل من مسرح الجريمة جريمة، ولكنني اعتقدت بأنني قد أحتاج إلى الخريطة، وبررت ذلك بأن والش كذب عليّ، وحقيقة أنني، وليس هاري، من كان سيُمدد على هذه البلاطة.

وقفت كاييت بجانب النقالة الثانية، فشمت قميص هاري، وقالت: “لست متأكدة... يمكن أن تكون هذه رائحة دخان التبغ”.

لم أستطع شمّ أية رائحة، باستثناء رائحة المنتول الموجود أسفل أنفي، ولكنني قلت: “من هو الشخص الذي تعرفين بأنه يدخن؟”

أومات برأسها.

تفحصنا الملابس قطعة بعد قطعة، ولاحظنا شريط السيلوفان الذي استخدمته الدكتورة غليسون لتثبيت الشعرات الأربع التي تعود إلى حيوان. لم نكن نقوم بأمر لا يُسمح لنا بالقيام به، ولكن من ناحية أخرى، لم يكن من المفترض أن نكون في هذا المكان أصلاً، وإنما في مقرّ شرطة الولاية في راي بروك. كما أن هناك مسألة تسلسل الأدلة، وكل من يتعامل مع الأدلة ينبغي أن يسجّل اسمه أولاً، وهو الأمر الذي لم نقم به. ثم إن هناك عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي والمحققين من شرطة الولاية الذين قد لا يكونون سعيدين لرؤيتنا عند وصولهم. وبعبارة أخرى، كنّا في منطقة رمادية، حيث أمضي جل وقتي. والأهم من ذلك أننا أحرزنا تقدماً في القضية، ولكن الأوان كان قد حان لكي نغادر المكان.

قلت لكاييت: “لنذهب”.

قالت: “انظر إلى هذا”. كانت تمسك بسرّوال هاري المرقط، بعد أن أخرجت جيبه اليمنى. قالت: “هل ترى هذا الشيء؟”

نظرت إلى بطانة الجيب البيضاء ورأيت علامات زرقاء بدا أنها كتبت بواسطة قلم.

قالت لكاييت: “يمكن أن تكون أحرفاً”.

بالطبع، يمكن أن تكون كذلك. إما أن هاري هو الشخص الذي كتب على القماش الأبيض ويده في جيبه، أو ربما وضع قلمه، في حال كان مهملاً مثلي، بدون غطاء في جيبه.

وضعتُ كاييت السروال على النقالة المدولية، وانحنى كل منا ليلقي نظرة عن قرب، محاولاً فكّ شيفرة العلامات الزرقاء التي كتبت بالحبر بلا شك، حيث بدا أنها ليست علامات عشوائية.
قلت لكاييت: “دوركِ أولاً”.

“حسناً، توجد ثلاث مجموعات من الحروف... أوضح تلك الحروف كان ‘أم’ و‘أي’ و‘بي’، والمجموعة التالية تشبه حرف ‘أن’ ويليه حرف ‘يو’ أو ‘ي’، ثم نجمة... كلا يليها حرف ‘كاي’. والمجموعة الأخيرة تشبه الحروف ‘اي’ و‘أل’ و‘أف’. نظرتُ إليّ، وقالت: “إلف؟”

نظرتُ إلى العلامات المكتوبة بالحبر، وقلت: “ماب يمكن أن تكون ماد. أعني أنه كان يكتب ويده في جيبه لا يراها. أليس ذلك صحيحاً؟”
“ربما”.

“والآن كلمة نيوك... وهنا علامة تكاد تكون مختفية وراء الدرزة. ربما كانت نيوك”.

نظر كل واحد منّا إلى الآخر، ثم قالت كاييت: “نيوك؟ هل أراد كتابة نوي؟”
“أمل بخلاف ذلك”. وأضفتُ، “تبدو الحروف الأخيرة واضحة إلف”.
أجل.. ما الذي كان يحاول أن يقوله لنا؟ مادوكس؟ نوي؟ إلف؟ ما معنى إلف؟ ربما كان يريد أن يقول ساعدوني”.

“كلا. الحروف في غاية الوضوح. إي أل أف”.
نظرتُ إلى الساعة مجدداً، ثم إلى الباب، وقلتُ: “علينا الذهاب”. أعدت الجيب إلى مكانه داخل السروال، وقلت: “دعيهم يعملون على حل هذا اللغز”.

نزعنا قفازات اللاتكس ووضعناها في علبة نفايات مغطاة. ثم عدنا إلى حيث توجد جثة هاري ونظرنا إليه. وقفت كاييت بجانبه، وأمسكت بذراعي. سوف أرى هاري في وقت قريب مجدداً عندما تقام جنازته، مرتدياً بزته القديمة. قلتُ له: “أشكرك على إرشادنا إلى مفتاح حل القضية يا صديقي. إننا نعمل على حل القضية”. ثم غطيته بالغطاء الأزرق، وتوجهت نحو الباب.

غادرنا غرفة العمليات، ومشينا مسرعين نحو الردهة التي تؤدي إلى محطة الممرضات. قلت لشرطة الولاية: “هل لديكم مسدس المتوفى وأوراقه الثبوتية؟”
“أجل سيدي”.

“أريد شارة شرطة ولاية نيويورك لكي أعيدها إلى عائلته”.

تردد الشخص المسؤول ثم قال: "أخشى أنني لا أستطيع إعطائك إياها. أنت تعرف... إنها..."

قلت له: "لم يتم إدراجها في قائمة الموجودات بعد. فمن سيعرف؟"

قال الشرطي الآخر لرئيسه: "لا أرى في ذلك بأساً".

فتح الشرطي المسؤول كيس أدلة كان موضوعاً على المنضدة، وأخرج الشارة من الكيس ومررها إليّ.

قلت له: "أشكرك"، ووضعت الشارة في جيبتي.

سألني الشرطي الآخر، "هل تعتقد بأنها جريمة قتل؟"

"ماذا تعتقد؟"

أجاب، "حسناً، شاهدت الجثة على الدرب قبل وضعها في سيارة الإسعاف، والطريقة الوحيدة التي يمكن فيها إطلاق النار على هذا الشخص - صديقك - في منتصف ظهره مع وجود تلك الأشجار الكثيفة هي أن يكون مطلق النار واقفاً خلفه مباشرة على الدرب. هل تفهمني؟"

"أجل".

"إذاً، تلك لم تكن حادثة؛ ما لم تكن قد وقعت ليلاً، بعد أن اعتقد مطلق النار بأنه شاهد غزيراً يسير على الدرب... عليّ أن أخبرك بأنه كان يجدر بصديقك أن يرتدي ثياباً عليها خطوط عاكسة أو برتقالية اللون، كما تعرف".

"أجل. حسناً، لكن هذا ليس موسم صيد".

"هذا صحيح، لكن هناك بعض السكان المحليين الذين لا ينتظرون افتتاح الموسم".

"فهمت ما تريد أن تقوله".

"أجل. حسناً، أنا آسف".

"شكراً لك".

قدم الشرطي الآخر تعازيه، كما فعلت الممرضتان اللتان كانتا تقفان خلف المنضدة. وأعتقد بأنهم شعروا بالحزن بسبب حادثة الصيد التي وقعت خارج الموسم، أو ما هو أسوأ بسبب احتمال مقتل سائح في منطقتهم الجميلة في هذا العالم.

مشيت وكايت في الردهة، فيما دخل رجلان يرتديان بزتين رسميتين من الباب. افترضت بأنهما من إحدى وكالات تنفيذ القانون. توجه الرجلان مباشرة إلى طاولة الاستعلامات، وأبرزتا بطاقتيهما.

لاحظت الموظفة في مكتب الاستعلامات أنني وكايت نهمّ بالمغادرة فيما كان الرجلان يتحدثان إليها. بدا أنها تريد لفت انتباههما إلى زميليهما المغادرين، ولكننا وصلنا إلى الباب قبل أن تتمكن من تعريفنا ببعضنا.

مشينا بسرعة نحو السيارة، وجلست في مقعد القيادة، وغادرنا المكان على جناح
السرعة.

الفصل 25

عدنا أدرجنا إلى وسط البلدة، ثم تبعنا العلامات وصولاً إلى الطريق 56 المتجه جنوباً.

قالت كايت: "لم يسبق أن عملتُ معك في قضية، إلاّ وشعرت أنني أتقدم خطوة على القانون بدلاً من أن أكون ممثلة للقانون".

أجبتها بطريقة فلسفية، "في بعض الأحيان، يحول القانون دون معرفة الحقيقة وتطبيق العدالة".

"هل تقوم بتدريس ذلك في صفك في جون جاي؟"

"أريد أن أضيف إلى معلوماتك حقيقة أنه هناك الكثير من الأشخاص العاملين في وكالات تطبيق القانون تبوّأوا بعد هجمات 11 من سبتمبر/أيلول طريقة كوري التي تقول إن الغاية تبرّر الوسيلة".

أجابت كايت، "قمنا جميعاً بعد 11 سبتمبر/أيلول بالقليل مما تقول، ولكن ليس لهذه القضية علاقة بالإرهاب الإسلامي".

"كيف عرفت ذلك؟"

"دعك من ذلك يا جون، أنا لا أرى أي رابط".

"حسناً، فكّري في ما سأقوله؛ لدى مادوكس تاريخ عريق في محاربة أعداء أميركا بوصفها مشروعاً خاصاً، أليس كذلك؟"

"أجل، ولكن..."

"لقد زالت الشيوعية، والآن جاء الإسلام. وهو قال لنا بأنه غير مشارك بفاعلية في الحرب على الإرهاب، وهو ما يعني أنه مشارك فيها، أليس كذلك؟"

بقيت صامتة لفترة، ثم أجابت "بلى".

"حسناً، وبالطبع هناك تجارة النفط التي هي على اتصال بكل ما تقدم".

"ما هو وجه الاتصال؟"

"لا زلت غير متأكد". ولكن الصورة بدأت تتشكل في ذهني، وينبغي أن تكون على علاقة بباين مادوكس، والأسلحة النووية، والإرهاب؛ وهي ليست تركيبة جيدة. لكن كايت لم تكن على استعداد للتأمل في تلك المعلومات، ولذلك قلت لها: "حسناً، اعتقد هاري بأن شخصاً ما سيفهم، ولذلك عندما نفكر في الأمر فسوف نعرف حقيقته".

أومأت برأسها، ثم غيرت الموضوع وقالت: "هناك أمر واحد أنا متأكدة منه الآن وهو أن مادوكس قتل هاري، أو أمر بقتله".

"لقد قام بذلك بنفسه، وربما بمساعدة كارل".

“ربما لن يكون من السهل إثبات ذلك في المحكمة”.

إن قتل رجال الشرطة لا يصلون إلى المحاكم دائماً، ولكنني لم أقل ذلك.

لكن كايت قرأت ما كان يجول بخاطري وقالت: “أرجو ألا تقدم على عمل أحمق. فالغاية لا تبرر الوسيلة”.

لم أعلق على ذلك.

غادرنا بوتسدام وتوجهنا جنوباً سالكين الطريق 56. عند الساعة 6:01 من بعد الظهر، بدأ الظلام يخيم على الطريق. كانت نوافذ البيوت المتفرقة مضاءة، وكان في مقدوري رؤية الدخان المتصاعد من المدافئ. لقد انتهت عطلة يوم كولومبوس، والعشاء صار داخل الفرن، والغد يوم عمل، ويوم دراسة الأشخاص العاديين يتجمعون حول شاشة التلفاز، أو حول المدفأة، أو في أي مكان يتجمع فيه الأشخاص العاديين.

بدا أن كايت قرأت أفكارني، وقالت: “يمكننا شراء منزل صيفي يمكن أن يصبح في النهاية منزلنا بعد تقاعدنا”.

“معظم الناس لا يقضون حياتهم بعد التقاعد حيث يوجد الثلج والجليد”.

“يمكننا تعلم كيفية التزلج على الثلج والتزحلق على الجليد”. وأضافت، “يمكنك تعلم كيفية الصيد وقص الدببة”.

ابتسمت، وأمسك كل منا بيد الآخر.

رّن هاتفها الخليوي، ونظرت إلى شاشته. “خاص، ربما كان ذلك والش”.

“استقبلي المكالمة”.

أجابت، وأصغت، ثم قالت: “إننا في طريقنا إلى هناك يا توم”. أصغت مجدداً، ثم قالت: “ذهبنا إلى المستشفى، وتأكدنا من أنها جثة هاري”.

بغض النظر عما قاله والش، لن يكون كلامه لطيفاً، فقد أبعدت كايت الهاتف عن أذنها في إيماءة تمثيلية. وكان في مقدوري سماع كلام والش اللاذع.

لا يعجبني صراخ شخص في وجه زوجتي، ولذلك أخذت الهاتف من كايت، وسمعت والش ينهي كلامه بالقول “أنتِ المشرفة عليه، ولذلك أنتِ المسؤولة عن عصيانه لأوامري. لقد أبقيتكِ مسؤولة عن هذه القضية مخالفاً لقناعاتي، وطلبتِ إليك التوجه فوراً إلى مقرّ شرطة الولاية، وكنت أعني ما أقول. هل أنتِ عميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي أم زوجة لطيفة ومطبعة؟”

أجبت، “مرحباً يا توم. زوج كايت يتكلم”.

“أوه... وهل تتلقى مكالمات زوجتك أيضاً؟ أنا أتكلم مع كايت”.

“كلا أنت تتكلم معي. وإذا رفعت صوتك في وجه زوجتي ثانية، فسأقطعك إلى نصفين. هل تفهم؟”

امتنع عن الردّ لبضع ثوانٍ، ثم قال: “لقد سقطت يا صديقي”.

“إذا، ستسقط معي”.

“أنا لا أعتقد ذلك”.

“أما أنا فبلى. وبالمناسبة، لقد تفحصت هاتف هاري الخليوي، ووجدت أنك نسيت أن تخبرنا بأنك اتصلت به يوم السبت مساءً، وأن الضابط المناوب ظلّ يتصل طوال الليل”.

أبقته تلك الكلمات هادئاً لفترة، ثم قال: “وما الضير في ذلك؟”

شعرت بأن علاقتنا المهنية آخذة في التدهور وأنه يفكر في أفضل طريقة لإشراكي في مناسبة مهنية تطوعية، أعني أنه يكرهني ويريد طردي. قلت له: “رغم كل جهودك، سأتوصل إلى حل القضية”.

فاجأني بقوله: “إذا نجحت في ذلك، أعلمني بما توصلت إليه”.

أعتقد بأن واشنطن لم تكن صريحة تماماً معه، وهو أمر قد يكون صحيحاً وقد لا يكون. وعلى أية حال، كان والش ينفذ الأوامر، وأنا لم أكن أنفذها، وهو ما كان يسبب للعميل الخاص المسؤول توم والش بعض المشكلات. قلت له: “في النهاية، ستشكرني على مبادرتي غير العادية”.

“يبدو أن مبادرتك اللعينة تشبه العصيان إلى حد بعيد والفشل في تنفيذ الأوامر. كما أنك تنفق الكثير من الوقت والطاقة في التحقيق في أعمال المكتب بدلاً من القيام بوظيفتك”.

“ما هي وظيفتي؟”

“كانت وظيفتك أن تعثر على هاري. أما وقد تم العثور عليه، ففي مقدورك العودة إلى هنا”.

“كلا، أريد الآن أن أعثر على قاتله”.

أقول بأنك بحاجة إلى العثور على قاتله؟ أنت؟ لماذا أنت دائماً؟”

“لأنني لا أثق بك، ولا بالأشخاص الذين يعملون لديك”.

“إذن قدّم استقالتك”.

“سأقول لك أمراً؛ إذا عدتْ خالي الوفاض من هذه القضية، ستجد كتاب استقالتي على طاولتك”.

“متى؟”

“في غضون أسبوع”.

“اتفقنا. وفرّ عليّ مشقة القيام بالعمل المكتبي اللازم لطرديك”.

“ولا أريد أن أسمع مزيداً من الهراء حول إبعادنا عن القضية”.

“أسبوع واحد”.

أعدت الهاتف إلى كايت التي قالت: "توم، أرجو أن تتصل بالرائد شافير، وتخبره بأننا العميلان المكلفان بالتحقيق في هذه القضية، وأن تمنحنا كافة التوصيات المطلوبة وما إلى ذلك".

قال والش شيئاً لكاييت، وأجابت، "كلا، لم نتوصل إلى أية معلومات أو خيوط جديدة. لكن في حال توصلنا إلى شيء، فسنطلعك عليه".

أعتقد بأنها نسيت أن تخبره بأمر الكتابة التي وجدناها في جيب هاري، ومحادثتنا مع الفاحصة الطيبة. إن الذاكرة الانتقائية جزء من طريقة كوري في التعامل مع الرؤساء.

أنصت لفترة ثم قالت: "فهمت".

بدأت كايت تقول شيئاً، ثم أدركت أن الخط انقطع، فأطفت الهاتف.

سألته، "ماذا عنيت بكلمة فهمت؟"

"فهمت بأن لدينا سبعة أيام للقيام بمعجزة، وأنا في حال لم نفعّل، فسنصبح شيئاً من الماضي".

"لا أجد مشكلة في ذلك".

"ومن الأفضل أن تكون معجزة كبيرة، لا معجزة صغيرة مثل العثور على صياد أبله اعترف بأنه قتل هاري عن طريق الخطأ".

"حسناً، هذا مطلب منطقي".

"وإذا كنا سنسعى وراء السيد باين مادوكس لارتكابه جريمة قتل، ونفشل في الإمساك به، سيعتبر والش أن الأمر سينتهي بنا إلى العمل كحارسين لدى أحد المتاجر".

"تفوح من هذه القضية رائحة التحدي".

"أجل. حسناً، أنت الذي فتحت فمك الكبير".

"أشكرك على تذكيري بذلك. وماذا قال غير ذلك؟"

"حسناً، قال إن تحقيقنا محصور بجريمة قتل محتملة، لا بأي شيء آخر يخص مادوكس. فهذا متروك لوزارة العدل لكي تعالجه".

"بالطبع، أنا أفهم ذلك".

نظرت كايت إليّ لتعرف إن كنت أتهم. كان في مقدورها أن توفر على نفسها هذا التحليل. قالت: "كنت قاسياً معه بعض الشيء مرة أخرى".

"لقد أثار غضبي".

"لا تأخذ الأمر على محمل شخصي، ولا تخض حروبي، ففي إمكاني القيام بذلك بنفسني في الزمان والمكان الذي أختاره".

"أجل سيدتي".

أمسكت بيدي مجدداً، وقالت: “ولكنني أشكرك. فقد نسيت أن تقول له عليك اللعنة”.

“ما قلته له كان يتضمن ذلك”.

قالت: “جون، أعتقد بأنه مذعور”.

فكرت في تلك الكلمة ثم قلت: “أعتقد أنكِ على حق”. وأضفت، “وأنتِ نسيتِ أن تخبريه بما توصلنا إليه في المشرحة”.

قالت: “هممت بأن أخبره، ولكنه أقفل الهاتف في وجهي”. وأضافت، “عليه اللعنة”.

قدنا بصمت لفترة متوجهين جنوباً على طريق 56.

بقيت أسترجع صورة هاري القتل الممدد والعمارة في المشرحة، وشعرت بألم في معدتي. أزهدت روح طيبة، بكل بساطة، لأن صاحبها رأى أو سمع شيئاً لم يكن من المفترض أن يراه أو يسمعه.

بلغت مرحلة تفوق مرحلة الغضب، كنت مشحوناً بدافع جرمي ضدّ الشخص الذي فعل ذلك بهاري كائناً من كان. ولكن كان عليّ أن أحافظ على رباطة جأشي والعمل على القضية إلى أن أتأكد من أن لديّ قاتلاً. وعندها أقوم بتصفية الحساب.

مررنا في كولتون، ثم ساوث كولتون. كانت محطة الوقود التي يملكها رودي مقفلة، وأملت بأنه في طريقه إلى منزل سيده الفخم، وأنه بال في سرواله وهو في الطريق.

رأيت لافتة ترحب بنا في منتزه أديرونك، وسرعان ما أصبحت الأشجار أكبر حجماً وأغلظ عوداً، وزاد الظلام الدامس الذي يكتنف الطريق.

بعد بضع دقائق، قلت لكاييت: “ما نراه هو جريمة. لكن هناك أمر آخر يجري بدون أن نراه”.

امتنعت عن الردّ لفترة، ثم سألتني، “أمر مثل ماذا؟”

شرحت لها مرادي فقلت: “إن الشيء الوحيد الذي أنجزه مادوكس بتلفيق حادثة الصيد بعيداً عن أرضه هو كسب الوقت”.

“الوقت اللازم لإخفاء الأدلة؟”

“كلا. ففي النهاية جميع الدلائل تشير إلى مادوكس على أية حال. فإذا كان كسب الوقت هو مراده، فهذا كل ما كان يريد”.

“حسناً، ولكن ما هو السبب؟”

قلت: “باين مادوكس لا يتورط في أعمال غبية أو متهورة. والشيء الوحيد الذي يجعل من المنطقي من وجه نظره قتل عميل فيدرالي يعرف مكتب التحقيقات الفيدرالي بأنه في أرضه أو قريب منها هو عندما لا تكون الجريمة والتحقيقات التي ستليها مصدر قلق له. والتفسير الوحيد المنطقي هو أن هناك عملاً آخر على

وشك الحدوث قريباً أهم بكثير بالنسبة إلى باين مادوكس من كونه مشتبهاً في ارتكابه جريمة قتل". ونظرت إليها وسألتها، "إذاً، ما هو هذا العمل؟"
"حسناً، عرفت الجواب".

"عرفت أنك ستفعلين. قللي لي ما هو الجواب".

"تقجير نووي".

"أجل. أعتقد أنه في حوزة هذا الرجل سلاحاً نووياً. هذا ما كان هاري يريد أن يقوله. وهذا ما أعتقده".

"لكن لماذا؟ ماذا تقول؟"

"لست أدري، ربما ينوي ضرب بغداد، أو دمشق، أو طهران بالأسلحة النووية".
أجابت كايث، "أعتقد بأنك تبالغ يا جون. إننا بحاجة إلى المزيد من المعلومات، والمزيد من الأدلة".

"أجل، وقد نحصل عليها في وقت أقرب مما نعتقد".

أصغت من غير أن تردّ.

الفصل 26

كان الظلام دامساً عندما وصلنا إلى قرية راي بروك القريبة من المطار حيث حطت بنا الطائرة في ذلك الصباح.

بقدر ما كانت قريبة، فقد احتجنا إلى السير طويلاً لكي نصل إليها، واكتشفنا أموراً في رحلتنا لم نكن نتخيلها عند الساعة 9 من قبل الظهر عندما دخلنا مبنى بلازا 26 الفيدرالي.

كانت تلك الطريقة التي تسير وفقها الأمور في بعض الأيام. كانت معظم الأيام تمرّ بدون أحداث، وفي بعض الأيام، مثل 11 سبتمبر/أيلول 2001، كانت الأحداث تعصف فجأة.

في هذا اليوم، يوم كولومبوس، خسرتُ صديقاً، ودخلت في مشاحنة عنيفة مع رئيسي، والتقيت بشخص صعب المراس، ربما يتبين أنه يخطط لإحداث مفاجأة نووية.

في يوم كولومبوس القادم، إذا كان سيأتي ذلك اليوم، سألعب مباراة فاصلة.

وجدنا مقر شرطة الولاية الإقليمي وتكنات رجال الشرطة في طرف البلدة، ودخلت المرآب. سألتُ كايث، “هل نملك صفة رسمية، أم أننا زائران، أو معاقان أخلاقياً؟”

“ابحث عن مكان مناسب”.

لم أتمكن من العثور على مكان مناسب، ولذلك أوقفت السيارة في الموقف الخاص بالموظفين. خرجنا من السيارة ومشينا نحو مبنى حديث ضخم مصنوع من الطوب وخشب الأرز. وشاهدت لافتة فوق الأبواب الأمامية تقول ‘قسم الشرطة باء، شرطة ولاية نيويورك’.

دخلنا الردهة وعرفنا الرقيب المناوب بأنفسنا وبدا أنه كان يتوقع مجيئنا. في الواقع على الأرجح أنه كان ينتظر مجيئنا طوال اليوم.

اتصل بالرائد شافير عبر الهاتف الداخلي، وطلب منا الانتظار.

كان هناك القليل من عناصر الشرطة الذين يدخلون ويخرجون، مرتدين ثياباً رمادية، وسترات شبيهة بالسترات العسكرية، مع حزام عند الخصر وقراب مسدس، وكانوا يعتمرون قبعات. يبدو أنه لم يطرأ تعديل على هذه البزات منذ أن كان تيودور روزفلت حاكماً لولاية نيويورك.

كما لاحظت أن جميع العناصر، بما في ذلك السيدات، كانوا طويلي القامة، فسألتُ كايث “هل تعتقدون بأنهم يولدونهم؟”

كان المكان نظيفاً ومصقولاً كما لو كان منظمة برلمانية، والشيء الوحيد المشترك مع مبنى شرطة ولاية نيويورك كان لافتة ‘التدخين ممنوع’.

كانت هناك رزمة من المناشير الدعائية على طاولة جانبية، فأخذت كايت - التي لا يمكنها مقاومة المنشورات الإعلامية - واحداً وقرأت بصوت عالٍ لتسمعي، "قسم الشرطة 'باء' هو المكلف بالمناطق الواقعة في أقصى الشمال، وهو يسيّر دوريات في أكبر منطقة جغرافية تعمل فيها الشرطة، والتي تبلغ مساحتها 20 ألف كيلومتر مربع، كما أنها أقل المقاطعات من حيث الكثافة السكانية في البلاد، وتتميز بمسافاتها الشاسعة وفصول شتائها الطويلة".

"وهل يتباهون بذلك أم يشتكون منه؟"

تابعت القراءة، وقالت: "إن تسيير الدوريات في شمال البلاد يغذي سمة خاصة من الاعتماد على النفس، وقسم الشرطة باء معروف بقدرته على التعامل مع أي وضع مع أدنى قدر من المساعدة".

"هل تعني عبارة 'أدنى قدر من المساعدة' أنه غير مرحّب بنا؟"

"ربما، في حال كنت تتوي تصحيح أخطائهم النحوية". وتابعت القراءة، وقالت: "وبالإضافة إلى المهام التقليدية مثل التحقيق في الحوادث والجرائم، وتسيير دوريات داخل الولاية والاهتمام بالتفاصيل المتعلقة بالحدود الكندية، غالباً ما يُطلب إليهم البحث عن متريّضين تائهين في الأرياف، وإخلاء المصابين من المخيمات، وإنقاذ المسافرين المحتجزين بسبب العواصف، والتحقيق في الانتهاكات المتعلقة بقانون صيد الأسماك والبريّة، والتجاوب مع المناقشات المحلية والشكاوى الجرمية في الأماكن النائية".

سألته، "هل يمكنهم المشي في ساوث برونكس؟"

قبل أن تفكر في ردّ ذكي، دخل الردهة رجل طويل يبدو شديد البأس في بزة مدنية رمادية اللون وعرف عن نفسه قائلاً: "هأنك شافير". تصافحنا، ثم قال: "أنا آسف بشأن التحري هاري مولر. عرفت أنكم كنتم أصدقاء".

أجبت، "أجل، كنا أصدقاء".

"حسناً، أنا آسف جداً".

لم يظهر أن لديه الكثير ليقوله عدا ذلك، ولاحظت أن شافير لم يستقبلنا في مكتبه. غالباً ما تحدث مشكلات تتعلق بالتعدي على مناطق النفوذ، والصلاحيات، والتدرّج في السلطة، وما إلى ذلك، ولكن كايت تعاملت بشكل جيد مع الموضوع بالقول: "لدينا تعليمات بأن نساعدك بكافة الطرق الممكنة. هل يوجد أي شيء يمكننا القيام به؟"

قال شافير: "يبدو أن رئيسكم والش في نيويورك يعتقد بأنه لا دخل لكم في القضية".

أجبت، "أعاد المسؤول في مكتب التحقيقات الفيدرالي والش التفكير في الأمر. ينبغي أن يكون قد اتصل بك". مشكلة تتعلق بالنفوذ. "إذن، يمكنك الاتصال به، أو يمكنك تصديقنا".

أجاب، “حسناً، اعملا على حل القضية. يمكنني نقلكما بالسيارة إلى المشرحة إذا شئتما ذلك”.

لا يبدو أنه كان يعرف المكان الذي كنا فيه. قلت له: “انظر أيها الرائد، أنا أتفهم بأنك الرجل المسؤول، وأنت لست سعيداً بوجود عميل فيدرالي قتل في عهدتك، وأنت على الأرجح تلقيت اتصالات من نيويورك، والبناني، وربما واشنطن، أكثر مما كنت ترغب. ونحن لم نأت إلى هنا لكي نزيد من صعوبات حياتك. إننا هنا من أجل المساعدة. ومن أجل تبادل المعلومات، أريد أن أقول لك بأن لدي صديقاً متوفى وممدداً في المشرحة”.

فكر شافير في كلامي وقال: “يبدو أن في استطاعتك شرب فنجان من القهوة. اتبعني”.

مشينا خلفه عبر ممر طويل ودخلنا كافيتيريا كبيرة. كان يوجد حوالي عشرة أشخاص من الرجال والنساء الأنيقات في الزي الرسمي والمدني موزعين فيها، ووجد شافير طاولة شاغرة في إحدى الزوايا.

جلسنا، وبدأ الحديث بالقول: “هذا اجتماع غير رسمي، وأمام الناس في مقهى، لتبادل المجاملات، وتقديم التعازي، بدون وجود أوراق على الطاولة”.

“فهمت”. بدا أن شافير رجل صريح يمكنه الإكثار من المجاملات بدون سبب عدا رؤية ما يمكنه الحصول عليه بالمقابل.

دخلت إلى صلب الموضوع مباشرة وقلت: “الشكل أشبه بحادثة عرضية، والرائحة أشبه بجريمة قتل”.

أوما برأسه إيماءة خفيفة وسألني، “من يرغب في قتل هذا الرجل؟”

أجبت، “أعتقد أنه باين مادوكس. لا بدّ وأنت تعرفه”.

بدا مصدوماً، وسألني “أجل، ولكن لماذا؟”

“أنت تعرف بأن هاري مولر كان في مهمة في نادي كاستر هيل”.

“أجل. لقد عرفت ذلك بعد أن بلغنا أمر اختفائه وبعد أن طلب الفيدراليون المساعدة في البحث عنه”. ونصحنا بالقول: “سيكون عملاً لطيفاً منكما لو أحطتماني علماً بما تتوصلان إليه في وقت مبكر. فكما تعرف، الأمر أشبه باللياقة، كما أن هذه منطقة صلاحياتي”.

أجبت، “لن أجادلك في ذلك”.

قال شافير: “انظر، أنتما لستما الشخصين اللذين أحتاج إلى تقديم شكوى بهما، ولكن ما من مرّة تعاملت فيها مع مكتب التحقيقات الفيدرالي...” نظر إلى كايت وأضاف، “إلا وشعرت وكأني غارق في الثلج”.

“هذا صحيح، وأنا أيضاً. أنت تعرف أنه خلف أوراق التوثيق الفيدرالية، أنا شرطي قلباً وقالياً”.

أجاب، “أجل، ولكن دعني أقول لك بأن حالي لم يكن أفضل عندما تعاملت مع شرطة ولاية نيويورك أيضاً”.

ابتسمت زوجتي الوفية، وقالت: “أنا وجون متزوجان، ولذلك فأنا أو أفكك الرأي”. بالكاد ارتسمت ابتسامة على وجه شافير، ثم سألت، “إذاً، قل لي ماذا كان يُفترض بهاري أن يقوم به في أرض كاستر هيل”.

أجبتة، “عملية مراقبة كان يوجد تجمّع هناك في عطلة نهاية هذا الأسبوع، وكان من المفترض أن يقوم بتصوير الضيوف القادمين ولوحات سياراتهم”.
“لماذا؟”

“لست أدري. ولكن يمكنني أن أقول لك بأن وزارة العدل مهتمة بالسيد مادوكس ورفاقه”. وسألته، “هل أطلعك أحد على أية معلومات عن هذا الموضوع؟”
“لم أُخبر بالكثير. سمعت كلاماً فارغاً يتعلق بالأمن القومي”.

كلام فارغ؟ هل يبدو ذلك كلاماً فارغاً؟ ربما لم يدل هذا الرجل بالقسم. ولكنني تذكرت بأنه ينبغي عليّ الحذر في اختيار كلماتي، وقلت له: “الفيدريون مليون بالكلام الفارغ، وهم جيّدون في الوظائف الثلجية، لكن سأقول لك أمراً عليك أن تبقيه بيننا، ربما يكون للأمن القومي دخل في هذه القضية”.
“حقاً؟ وكيف ذلك؟”

“لست أدري. ولكي أكون صادقاً معك، هذا ما نسمّيه بالموادّ الحساسة، وما لم تكن بحاجة إلى معرفتها، فلا يمكنني إطلاعك عليها”.

لم أكن متأكداً إن كان سيقدر الصراحة أم لا، ولكنني نفخت بعض الثلج عليه، وقلت: “أنا أفهم تماماً أن رجالك مكلفون بتسيير دوريات في منطقة شاسعة، مساحتها حوالي 20 ألف كيلومتر مربع، وأنت تعتمد على إمكاناتك الذاتية وأنت بحاجة إلى... أدنى قدر من المساعدة من الخارج”.

ركلتي كاييت من تحت الطاولة فيما كنت أتابع إبطاره بالثلج، وقلت: “إننا هنا من أجل المساعدة في حال احتجت إلى مساعدة، وأنا لا أعتقد بأنك كذلك. ولكننا بحاجة إلى مساعدتك، وخبرتك، ومواردك”.

كنت سأتقوه بالمزيد من الكلام الفارغ لو احتجت إلى ذلك، ولكن بدا أن الرائد شافير تنبّه إلى أنني أمطره بالثلج. وبالرغم من ذلك قال: “حسناً، أتريد فنجاناً من القهوة؟”

“يبدو عرضك جيداً”.

أشار إلينا أن نبقي جالسين وذهب إلى منضدة القهوة.

قالت كاييت: “أنت مليء بالقذارة”.

“هذا ليس صحيحاً. أنا أتكلم من صميم قلبي”.

“أنت تتكلم بناء على منشور العلاقات العامة الذي قرأته عليك للتو، والذي كنت تسخر من محتواه”.

“أوه... هل هذا هو مصدر معلوماتي؟”

أشاحت بناظريها، ثم قالت: “لا يبدو أنه يعرف الكثير، وفي حال كان يعرف شيئاً، فهو لا يريد مشاركتنا به”.

“إنه مغتاط قليلاً لأن مكتب التحقيقات الفيدرالي يمطره بالثلج. وبالمناسبة، إنه لا يقسم، ولذلك عليك أن تنتبهي للغة التي تخاطبني بها”.

“لغتي أنا؟”

“ربما لا يقسم أمام السيدات. لدي فكرة ربما سيكون أكثر انفتاحاً لو لم تكن توجد عميلة من مكتب التحقيقات الفيدرالي. لماذا لا تغادرين المكان؟”

“لماذا لا تغادر أنت المكان؟”

“هيا...”

عاد شافير إلى طاولة حاملاً صينية من فناجين القهوة وجلس.

وقفت كايث مرغمة، وقالت: “أريد إجراء بعض المكالمات الهاتفية، وسأعود بعد عشر دقائق”. وغادرت بعد ذلك.

صبّ شافير القهوة من إبريق معدني في كوبين مصنوعين من البورسلان، وقال لي: “حسناً، قل لماذا تعتقد أن باين مادوكس، المواطن المليء الذي يملك مليار دولار في المصرف، وربما أحد أعضاء الحزب الجمهوري، يقدم على قتل عميل فيدرالي؟”

شعرت بأن الرائد شافير لا يشاركني شكوكي، ولذلك قلت: “إنه مجرد حدس”.

“هل يمكنك أن تكون أكثر دقة؟”

لم يكن في مقدوري ذلك في الحقيقة، ولكنني قلت له: “أنا أستند في شكوكي إلى حقيقة أن مادوكس كان آخر شخص رأى هاري حياً”.

قال لي: “كنت آخر شخص رأى حماتي حية قبل أن تنزلق على الجليد وتكسر جمجمتها”.

أردت أن أسأله المزيد عن تلك الحادثة، ولكنني قلت: “كنت أعمل محققاً جنائياً، وأنت تطوّر حساً بهذه الأشياء”. وأضفت، “ذهبت وكايث إلى نادي كاستر هيل، وتحدثنا إلى هذا الشخص الذي يسمى مادوكس”.

“أجل؟ وماذا حصل بعد ذلك؟”

“إنه شخص ماكر. هل التقيت به؟”

“بضع مرّات. في الواقع، ذهبت في رحلة صيد معه”.

“لا بدّ وأنت تمزح”.

“إنه يريد المحافظة على علاقة جيدة مع شرطة الولاية ومع الشرطة المحلية، علي غرار الكثير من الأشخاص الأثرياء هنا. فهذا يجعل حياتهم أسهل وأكثر أمناً”.

“هذا صحيح. ولكن هذا الشخص يملك جيشاً خاصاً به”.

“أجل. وهو لا يوظف أحداً يعمل في وظيفتين ولا شرطياً متقاعداً، وهو الأمر الذي يفعله معظم الأثرياء. كما أن رجاله ليسوا من السكان المحليين، ولا علاقة لهم بتنفيذ القانون، وهو أمر غير عادي بعض الشيء بالنسبة إلى شخص يريد أن يبقى على علاقة وطيدة بالشرطة”.

أومات برأسي وقلت: “يبدو المكان بأكمله غير عادي”.

“أجل... ولكنهم لا يسببون لنا أية مشكلات بل يبقونها لأنفسهم. والشرطة المحلية تتلقى القليل من الاتصالات كل عام لكي تستلم شخصاً تجاوز حدود الأرض أو صياداً قطع السياج وألقي القبض عليه”. وأضاف، “لكن لم يسبق أن رفع مادوكس أية دعاوى قضائية”.

“إنه شخص لطيف”. وفي ما يتعلق بهاري قلت: “ربما يعمد إلى قتل الناس الذين يرون شيئاً لا يُفترض بهم رؤيته. هل جرى الإبلاغ عن أشخاص مفقودين؟ هل وقعت حوادث مريبة؟”

“هل هذا سؤال جدي؟”

“أجل”.

فكّر في الجواب وقال: “حسناً، هناك دائماً أشخاص مفقودون، وحوادث صيد يمكن أن تكون شيئاً آخر... ولكنني لا أعرف قضية على علاقة بمادوكس أو نادية”. وأضاف، “سأطلب إلى أحدهم التحقق من الأمر”.

“هذا جيد”. وسألته، “هل حصلت على مذكرة تفتيش لأرض نادي كاستر هيل؟”

“أجل”.

“دعنا إذن ننفذ المذكرة”.

“هذا غير ممكن. المذكرة كانت للبحث عن شخص مفقود. ولكننا عثرنا على ذلك الشخص خارج تلك الأرض”.

“هل علم مادوكس بذلك؟”

“من أين له أن يعرف حتى أنه تم الحصول على مذكرة تفتيش؟ أو أن شخصاً ما ربما يكون مفقوداً في أرضه؟” وأضاف، “كنت على وشك الاتصال به لأطلب إليه التعاون معنا بشكل طوعي، ولكن وردتنا مكالمة من مجهول قادتنا إلى العثور على الجثة”. وسألني، “هل أخبرته بشأن الشخص المفقود؟”

“أجل. ولذلك دعنا ننفذ مذكرة التفتيش”.

ذكرني الرائد شافير بقوله: “لقد تم العثور على ذلك الشخص”.

اعتقدت بأنه ربما يؤمن بفلسفتي فقلت: "في بعض الأحيان، يحول القانون دون معرفة الحقيقة وتطبيق العدالة".

"ليس تحت إمرتي أيها التحري". وأضاف، "أما وقد أخبرته بشأن الشخص المفقود، فسأطلب إلى أحد رجال الشرطة إبلاغه بأنه تم العثور عليه".

كنت متأكدًا من أن هذا الشخص خدم مرّة في كشافة النسور، ولم أشأ إبراز أوجه الاختلاف بين شرطي من مدينة نيويورك وشرطي من أفراد شرطة الولاية، ولذلك قلت: "حسنًا، علينا أن نفكر في شيء لإقناع القاضي بإصدار مذكرة تفتيش جديدة".

أجابني، "إننا بحاجة إلى إيجاد صلة سببية بين الجثة التي عثرنا عليها في منتزه الولاية ونادي كاستر هيل. وبدون توفر تلك الصلة، لن يمكنني الطلب إلى المدعي العام أن يسأل القاضي إصدار مذكرة تفتيش". وسألني، "هل يوجد لديك دليل عن أن التحري مولر كان في الأرض فعلاً؟"

"لدي دليل غير قاطع".

"حسنًا، إذا لا توجد صلة".

"حسنًا، لدينا المكالمات الهاتفية التي أجراها شخص مجهول والتي أرشدتنا إلى مكان الجثة. والمجهول شخص مشبوه. كما أنه يوجد دليل ظرفي قوي يؤكد أن هاري كان في تلك الأرض".

"ما هو هذا الدليل؟"

"المهمة التي كان مكلفاً بها". وشرحت له المكالمات الهاتفية التي جرت عند الساعة 7:48 من بعد ظهر يوم السبت، وقرب مكان هاري من الأرض، والمسافة البعيدة المرية التي تفصل بين مكان سيارته المقطورة وأرض النادي، وظروفًا أخرى زدت من أهميتها قليلاً.

أصغى إليّ شافير، ثم هزّ كتفيه استهزاءً، وقال: "هذا ليس كافياً لوضع باين مادوكس في دائرة المشبوهين وليس كافياً لكي أطلب إصدار مذكرة تفتيش".

"فكر في الأمر". لم يكن يساورني شك في أن مكتب التحقيقات الفيدرالي سيطلب إلى أحد القضاة إصدار مذكرة، ولكن ذلك قد يحدث في وقت متأخر جداً. وبدا أنني سأحتاج إلى إصدار مذكرة ليلية بنفسني، أعني الخلع والدخول. لم أقم بهذا الأمر منذ مدة، ويمكن أن يكون مسلياً، لولا وجود الجيش الخاص بمادوكس، والأمن الإلكتروني، وكلاب الحراسة.

سألني شافير، "ماذا تظن أنك ستجد في تلك الأرض؟"

"لست أدري".

"القضاة لا يحبّون بعثات صيد الأسماك. فكّر في شيء تريد البحث عنه. هل شاهدت أي شيء في أرضه أو في بيته يمكن إبلاغ المدعي العام به؟"

أجبتة، “رأيت في أرضه حراساً أكثر من الحراس الموجودين في مزرعة الرئيس”.

“هذا ليس أمراً مخالفاً للقانون”.

“أجل. حسناً، أعتقد بأننا بحاجة إلى العمل على القضية”. وسألته، “لِمَ لا تُخضع تلك الأرض لمراقبة سرّية؟”

“ما هو الشيء الذي أبحث عنه؟”

“مراقبة الداخلين والخارجين، بما في ذلك مادوكس”. وذكرته بالقول “أنت لست بحاجة إلى إذن لكي تجري عملية مراقبة؛ بل تحتاج إلى الشك فقط”.

“أشكرك على هذه النصيحة. أجل، حسناً، الشك الوحيد الذي يساورني هو في ما تخبرني به”. فكر للحظة ثم سألني، “هل ترغب في إخافة هذا الرجل؟ أعني هل تريد تنفيذ عملية مراقبة مكشوفة أم سرّية؟”

أجبتة، “سرّية، مثل قاطعي الأشجار الذين يراقبون الطريق ومحيط المكان”.

“حسناً، ولكن عليّ إبلاغ شرطة المقاطعة والتنسيق معها، وعليّ أن أقول لك إنني أعتقد بأن لدى مادوكس أصدقاء في مكتب الشريف”.

فكرت في الأمر. بدا كما لو أن السيد باين مادوكس سيد القرية وأن مجسّاته تمتد لمسافات طويلة، وهو ما يدل عليه اتصال رودى بنادي كاستر هيل. سألته، “وهل لدى مادوكس أصدقاء في هذا المكتب أيضاً؟”

أجاب بدون تردد، “ليس تحت إمرتي”.

“أجل”. لكن كيف لي أن أعرف؟

قلت لشافير: “إذا كنت تعتقد بأنه يوجد شخص وثيق الصلة بمادوكس في مكتب الشريف، يبدو لي أنك تستطيع تنفيذ عملية المراقبة بضمير مرتاح بدون إبلاغ الشريف”.

“كلا. عليّ أن أحل المشكلة مع الشريف، لا إيجاد مشكلة أخرى”.

“أنت على حق”. لم تكن حتى على كوكب واحد. فالرائد شافير يقود سفينة نظيفة بإحكام، وهو أمر جميل، ولكنه ليس مناسباً في هذه المرحلة. قلت له: “إننا بحاجة فعلاً إلى تنفيذ تلك المراقبة”.

“سأدرس ما يمكنني القيام به”.

“هذا رائع”. وفي هذا الوقت المتأخر قلت له: “لقد ذهبت وكايت إلى المشرحة قبل وصولنا إلى هنا”.

بدا متفاجئاً، ولكنه سأل، “هل اكتشفتما أي شيء جديد؟”

“تحدثت إلى الفاحصة الطبيّة؛ الدكتورة غليسون. وأعتقد بأنه يجدر بك أن تتحدث إليها”.

“سأقوم بذلك. وفي هذه الأثناء، قل لي ما هي النتائج التي توصلت إليها؟”
“حسناً، يبدو أن التحري مولر تعرّض لبعض الإساءات البدنية قبل وفاته.”
فكر في ما قلت، ثم سألني، “ما هو نوع تلك الإساءات البدنية؟”
“أنا لست فاحصاً طبياً”. وأضفت من غير أن أصدقه القول: “ذهبت إلى هناك
لمجرد التأكد من هوية صاحب الجثة ووداع صاحبي.”
أوما برأسه، وقال لي: “سأتكلم معها هذه الليلة.”

قلت له: “وجدت ما يبدو أنه ألياف من بساط وشعرات كلب”. وشرحت له ما
اكتشفته الدكتورة غليسون، ثم قلت: “إذا كانت لا تتطابق مع البساط الموجود في
السيارة المقطورة، فقد تتطابق مع بساط في نادي كاستر هيل”. وأضفت، “كما أن
هاري لا يمتلك كلباً.”

أوما برأسه، وقال: “حسناً، إذا حصلنا على مذكرة تفتيش، فسنتحقق من ذلك.”
كان لدى الرائد شافير خطط بعيدة المدى لما كان يعتقد بأنه تحقيق وجيز، ولذلك
قلت له “سينتهي بك الأمر إلى مشاركة عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي، وهم لا
يحبون مشاركة أحد، كما أنهم لا يجيدون اللعب مع الآخرين.”
ذكرني قائلاً: “إن جريمة القتل، وإن كان ضحيتها عميل فيدرالي، جريمة وقعت
ضمن ولاية، ولذلك فهي ليست جريمة فيدرالية.”

“أنا أعرف ذلك يا حضرة الرائد. ولكن في النهاية، ربما يتم إجراء محاكمة على
صعيد الولاية للقائل، ولكن مكتب التحقيقات الفيدرالي سيحقق في تعرّض عميل
فيدرالي للاعتداء، وهو ما يعتبر جريمة فيدرالية”. وأضفت، “والمحصلة النهائية
هي نفسها سيأتون إلى هذا المكان، وسيولون هذه القضية عما قريب.”
أجاب الرائد شافير، “القضية لا تزال قضيتي.”

“هذا صحيح”. كان ذلك أشبه ببارون محلي يقول لجيش غاز بأنه تجاوز أرضه.
قلت: “وبما أن الدكتورة غليسون لن تقوم بتشريح الجثة، فسيصار إلى نقلها إلى
نيويورك سيتي.”

“لا يمكنهم القيام بذلك.”

“أيها الرائد، في مقدورهم فعل ما يريدون. ولديهم كلمتان سحريتان؛ الأمن
القومي. وعندما يستخدمون هاتين الكلمتين السحريتين، تتحول شرطة الولاية
والشرطة المحلية إلى...” كنت أنوي أن أقول: “إلى كلاب صغيرة”، ولكن كان
ذلك سيثير غضبه، ولذلك قلت: “إلى حجر.”

نظر إليّ ثم قال: “سننظر في ذلك.”

“أجل. أتمنى لك حظاً موفقاً.”

سألني، “ما هو وضعك الحقيقي في هذه القضية؟”

أجبته، “أمامي سبعة أيام لكي أحلّ القضية.”

سألني، “وكيف حصلت على سبعة أيام كاملة؟”

“قمت بمراهنة توم والش.”

“ماذا كان الرهان؟”

“راهننت على وظيفتي.”

“وزوجتك؟”

“كلا، لم أراهن عليها.”

“أعني هل راهننت على وظيفتها؟”

“كلا، إنها عميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي. عليها أن تطلق النار على أحد المسؤولين لكي تصبح وظيفتها في خطر.”

أجبرته على الابتسام. قال شافير: “أنا لا أعتقد بأنك ستتمكن من حل القضية في غضون سبعة أيام، ما لم يتقدم أحد ببلاغ ما إلى الشرطة.”

“ربما لا. هل لديك وظائف شاغرة؟”

ابتسم مجدداً وقال: “أعتقد بأنك تجاوزت سنّ التوظيف في شرطة الولاية. ولكن الشرطة المحلية تبحث دائماً على أشخاص من ذوي الخبرة من أبناء المدينة.” وأضاف، “ستحبّ الحياة هنا.”

“أجل، أعرف أنني سأحبها. فأنا أشعر وكأنني رجل جديد منذ الآن.” وبغرض تغيير الموضوع سألته، “أين ذهبت إلى الصيد مع مادوكس؟”

“في أرضه.”

“هل رأيت أي شيء؟”

“أجل. رأيت الأشجار.” وأضاف، “التقينا في منزله. إنه مكان كبير. ثم انطلقنا لصيد الغزلان. كنا ستة أشخاص، أنا ومادوكس، وأحد الرقباء لدي، وثلاثة من أصدقائه من أبناء المدينة.” وأضاف، “تناولنا طعام الغداء في الغابة، وتناولنا المشروبات لدى عودتنا إلى نادي الصيد.”

“هل لاحظت أي شيء غير اعتيادي؟”

“كلا. هل لاحظت شيئاً من ذلك القبيل؟”

أجبت، “كلا، باستثناء الإجراءات الأمنية.” وسألته، “هل رأيت السياج الذي يحيط بالأرض؟”

“لمحته فقط. إنه محاط بالأضواء الكاشفة، كما لو كان معسكر اعتقال، باستثناء أن هذه الأضواء تحركها أجهزة الاستشعار.” وأضاف، “لدى مادوكس أيضاً برج خاص به لترحيل الموجات الخلفية.”

“لماذا؟”

“إنه ثري”.

“أجل. متى جرت عملية الصيد؟”

“قبل موسمين”.

“أتعني موسمي صيد؟”

“أجل. لدينا موسم للصيد، وموسم للتزلج، والوحد، والفيضانات، وموسم للذباب، ثم موسم لصيد السمك”.

عندما غادرت المدينة، كان موسم حفلات الأوبرا والباليه. قلت له: “يمكن أن يبقى المرء مشغولاً هنا”.

“أجل، إذا كنت تحب قضاء الوقت خارج المنزل”.

“أحب الأجواء الخارجية. وبالمناسبة، رأيت خريطة لأرض نادي كاستر هيل، ورأيت بعض المباني الخارجية البعيدة عن نادي الصيد. ما هي طبيعة تلك المباني؟”

فكر للحظة ثم قال: “حسناً، أنا أعرف بأن أحد هذه المباني عبارة عن مهجع للحراس. كما يوجد مبنى يشبه مخزن الغلال لمركباته. وهناك مبنى لمولدات الكهرباء”.

“مولد كهربائي؟”

“أجل. لديه ثلاثة مولدات كهربائية تعمل على الديزل”.

“وما حاجته إليها؟”

أجاب شافير، “يمكن أن يحدث انقطاع في التيار الكهربائي عندما تهب العواصف الثلجية. ولدى غالبية الناس شكل من أشكال المولدات الاحتياطية”.

“أجل. وهل شاهدت هذه المولدات؟”

“كلا. إنها في مبنى حجري”. وأضاف “إن الرجل المقيم في بوتسدام والذي يؤدي خدمات الصيانة لمولد الطوارئ هنا يقوم بصيانة مولدات نادي كاستر هيل”.

تذكرت أنني رأيت ثلاثة كابلات غليظة على الأعمدة الخدمية في أرض مادوكس ولذلك سألت، “لماذا يحتاج هذا المنزل إلى هذا المقدار الكبير من الطاقة؟”

فكر للحظة ثم أجاب، “لست متأكداً من مقدار الطاقة التي يمكن لكل مولد إنتاجها، وأعتقد بأنه يستخدم مولداً أو اثنين كاحتياطي في حال تعطل أحد هذه المولدات. ولكنك أثرت نقطة هامة. وسأحاول معرفة مقدار الطاقة التي تنتجها هذه المولدات”.

“حسناً”.

“ما الذي تفكر فيه؟”

“بصراحة، لست أدري”. ولكن هذه المولدات قادتني إلى السؤال، “ما هي الأحاديث التي يتبادلها الناس حول نادي كاستر هيل؟”

نظر إليّ وسألني، “هل تحقق في جريمة قتل أم في الأماكن التي توقف فيها صديقك؟”

“أنا محقق جنائي، ولكنني فضولي. وأحب الشائعات”.

أجابني، “حسناً، هناك الشائعة المعتادة. جميع الناس من المعربدين والسكراري، إلى الأثرياء غربيي الأطوار، يراقبون أظفاره وهي تنمو”.

“أجل”. وسألته، “هل يزور مادوكس البلدة؟”

“لا يكاد يزورها. ولكن يمكن أن تراه بين الحين والآخر في سارناك لايك أو لايك بلاسيد”.

“هل سبق أن شاهد أحد السيدة مادوكس؟”

“لا أعرف، فهي بعيدة عن الأضواء منذ زمن بعيد”.

“هل له خليقة؟”

“لا أعرف أن لديه صديقة”.

“أخلاء؟”

قال الرائد شافير: “أثار إعجابي بوصفه رجلاً مهذباً، ولكنه رجل يتباهى برجولته. ما هو رأيك؟”

“الرأي نفسه. أعتقد بأنه في فريقنا”. ثم سألته، “هل تعرف عدد مرات زيارته للنادي؟”

“ليست لدي أدنى فكرة. في العادة، يتم إبلاغ الشرطة المحليّة أو شرطة الولاية عندما يرحل المقيمون في بيت صيد ضخم، أو في مخيم كبير، لكي تقوم الشرطة بمراقبة المكان، ولكن لدى مادوكس حراس يعملون بدوام كامل، وعلى مدار الساعة وطوال أيام الأسبوع”. وأضاف “وعلى حد علمي، لم يسبق أن ترك ذلك المكان بدون حراسة”.

كنت قد تكهنت بذلك بناء على ما قاله لي مادوكس، والآن تأكد ظني. سألت الرائد شافير “هل أشار أحد إلى أن نادي كاستر هيل يعني شيئاً عدا كونه نادياً خصوصياً لصيد الحيوانات والأسماك؟”

احتسى القهوة فيما كان يمعن في التفكير، ثم أجاب، “حسناً، عندما كان يجري بناء المنزل، قبل عشرين سنة تقريباً - أي قبل عشر سنوات من قدومي إلى هنا - سمعت بأنه لم يجر التعاقد مع أي من المقاولين المحليين. وتحدثت الشائعات عن أن المقاولين الذين كانوا يبنون المكان شيدوا ملجأ يحمي من الغبار الذري، وسيجاً بطول خمسة وعشرين كيلومتراً، وهو ما تبين أنه خبر صحيح، وهوائيات لاسلكية، وأجهزة أمنية في محيط الأرض، وهو ما تبين بأنه صحيح أيضاً. وأعتقد

بأنه جرى تركيب مولدات الديزل حينها أيضاً. وتحدثت الشائعات عن أن أشخاصاً غرباء يأتون ويذهبون، وعن شاحنات نقل كانت تصل في منتصف الليل، وما إلى ذلك". وأضاف، "وكما تعرف، يتوفر لدى السكان القرويين الكثير من الوقت والمخيلة الواسعة. ولكن بعض الأخبار التي يتناقلونها كانت صحيحة".

"أجل. إذاً، ماذا يقول الناس بشأن النشاطات التي تحدث هناك؟"

"حسناً، حصلت على تلك المعلومات بطريقة غير مباشرة... ولكن ذلك حدث أثناء الحرب الباردة، ولذلك اعتقد كثير من الناس بأن النادي كان عبارة عن منشأة حكومية سرّية". وأضاف، "وأعتقد بأن هذا افتراض منطقي بالنظر إلى حجم المشروع، وما كان يدور في أذهان الناس حينها".

"لكن ألم يفكر أحد في السؤال عن ذلك؟"

أجاب، "وفقاً لفهمي للموضوع، لم يكن هناك أحد لكي يسأل كانت النشاطات تجري هناك سرّاً. ولم يكن أحد لياؤه كثيراً لو أنكر أحد العاملين في المشروع حينها أن يكون المنشأ تابعاً للحكومة". وأضاف، "يميل السكان المحليون إلى التحلي بالوطنية، وبما أنهم كانوا يعتقدون بأن المكان عبارة عن منشأة حكومية سرّية، فقد تغلبوا على شعورهم بالفضول وبقوا بعيدين عن المكان".

أومأت برأسي، فتلك كانت ملاحظة مثيرة. أعتقد بأنك إذا كنت ثرياً تبحث عن الأمن والخصوصية، فقد ترغب في الترويج لفكرة مفادها أن تلك منشأة حكومية سرّية تعمل تحت غطاء نادٍ خصوصي. وكانت تلك فكرة جيدة بقدر ما كانت فكرة بناء سيجاج بطول خمسة وعشرين كيلومتراً. قلت لشافير: "ولكنني أفترض الآن بأن الجميع يفهم بأنه نادٍ خصوصي لصيد الحيوانات والأسماك".

أجاب، "لا يزال هناك القليل من الناس الذين يعتقدون بأنه منشأة حكومية سرّية".

يمكنني أن أرى مزية لمادوكس في المحافظة على حياة سرّية.

تابع الرائد شافير حديثه وقال: "انظر، إن إحاطتك لأرضك بسيجاج وأجهزة أمنية، أو توظيف حرّاس خصوصيين، أو حتى ممارسة العريضة الرومانية السريّة ليست عملاً مخالفاً للقانون. والأشخاص الأثرياء يقومون بأعمال أكثر غرابة من ذلك. إن الهوس والغرابة ليسا أمرين مخالفين للقانون".

قلت للرائد شافير: "اللعبة لا تقتصر على الهوس والغرابة".

"أوافقك الرأي، ولكن إذا كان باين مادوكس متورطاً في أحد أشكال النشاطات الإجرامية، فأنا لا أعرف شيئاً عنه". ونظر إليّ وقال: "إذا كنت تعرف معلومات أكثر مما تطلعني عليه، فهذا هو الوقت المناسب لكي تطلعني على كل ما لديك".

أجبت، "كل ما قيل لي هو أن له علاقة بعمليات التلاعب بأسعار النفط".

فكّر للحظة. كان في مقدوري ملاحظة أنه يعاني من المشكلات نفسها التي عانيت منها عندما سمعت هذا الكلام الفارغ من والش. قال لي: "إذاً، أنت تعتقد بأن باين مادوكس، أحد الأثرياء في صناعة النفط، قتل عميلاً فيدرالياً كان يقوم بمراقبة روتينية للضيوف القادمين إلى النادي والذين يمكن أن يكونوا متورطين في مؤامرة

للتلاعب بأسعار النفط؟” وأضاف، “يبدو لي أن هذه نظرة متطرفة، ألا تعتقد ذلك؟”

“أجل، حسناً، إذا شرحتّها في هذا السياق...”

“وما هو السياق الآخر لشرح تلك النظرة؟ وما علاقة ذلك بالأمن القومي؟”

كنت سعيداً لأنه كان يصغي إليّ بانتباه، ولكنني لم أكن سعيداً لسماعي ذلك السؤال. كان الرجل جائعاً وكان بحاجة إلى شيء ليمضغه، ولكنني لم أكن لأخبره عن المعلومات البسيطة التي لها علاقة بمسألة نووية، ولذلك قلت متصنّعا: “انظر يا حضرة الزائد، النفط أكثر أهمية من النشاطات السوداء الخطرة. أعني أن باين مادوكس لا يعمل في صناعة العباءات. وعندما يكون للنفط علاقة بالموضوع، يصبح كل شيء ممكناً، بما في ذلك ارتكاب جريمة قتل.”

لم يعلق على كلامي، ولكنه استمرّ في النظر إليّ.

قلت له: “دعنا نركّز على التحقيق الجنائي. إذا كان في مقدورنا توريث مادوكس، فقد يقودنا ذلك إلى أشياء أخرى.”

“حسناً، هل يوجد شيء آخر؟ أنا بحاجة إلى العمل على هذه القضية.”

نظرتُ إلى ساعتِي، وقلت: “أودّ الذهاب إلى مسرح الجريمة الآن.”

أجابني، “الظلام شديد. سأخذك إلى هناك في الصباح.”

“هل يمكننا إنارة المكان هذه الليلة؟”

“لقد أمرت بتأمين المكان، ولا يوجد أحد من أعضاء فريق التحقيق في مسرح الجريمة هناك، كما أن التوقعات لا تشير إلى احتمال انهمار المطر أو تساقط الثلج. اتصل بي عند الساعة السابعة صباحاً، وسنقوم بزيارة المكان.”

“ربما لو ألقيتُ نظرة سريعة...”

“إنك تسير بسرعة عالية أيها التحريّ. تناول العشاء مع زوجتك في مطعم ما. هل يوجد لديك مكان تقيم فيه؟”

“أجل، ذي بوينت.”

“أنت تنزل في ذي بوينت؟”

“حسناً، ... أجل.”

“هل لديكم مشكلة في كيفية صرف الأموال الفيدرالية؟ كل ما حصلت عليه من واشنطن كان بعض أجهزة اللاسلكي الحديثة، وكلباً لشمّ رائحة القنابل ولكنه يعاني من الحساسية.”

ابتسمت وأجبت، “حسناً، أنا لا أعتقد بأن الإرهاب قضية كبيرة هنا.”

“ربما ليس الإرهاب العربي، ولكن يوجد لدينا مجانيين محليّون هنا.”

لم أعلق على كلامه.

“هل هذا ما تقوم به زوجتك هنا؟ التحقق من نشاطات غرباء الأطوار المنتمين إلى الجناح اليميني؟”

“لا يمكنني التعليق على ذلك”.

اعتبر شافير ردّي بمثابة إقرار بما قال، وقال لي: “عندما عُيِّنت هنا قبل عشر سنين، تقريباً، قدم بعض عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي للسؤال عن باين مادوكس”.

كان ذلك خبراً مثيراً للاهتمام. سألتها، “ما هو الشيء الذي كانوا يريدون معرفته؟”

“قالوا إنهم يجرون تحقيقاً عن ماضيه لأنه كان مرشحاً لمنصب حكومي”.

إنه الكلام الفارغ التقليدي عندما تستقصي معلومات عن شخص بسبب قيامه بنشاطات إجرامية، ولكن يمكن أن يكون صحيحاً أيضاً. في حالة باين مادوكس، يمكنني التصديق أنه كان مرشحاً لنيل منصب حكومي، بقدر ما يمكنني التصديق بأنه يجري التحقيق بأمره لأسباب تتعلق بنشاطات إجرامية. في هذه الأيام، ليس ضرورياً أن يحول أحد التحقيقين دون إجراء التحقيق الآخر. سألت شافير “هل حصل على ذلك المنصب؟”

“لم يحصل عليه بحسب علمي” وأضاف، “أعتقد بأنه كان يوجد شيء آخر يجول في عقولهم” سألني، “إذاً، ماذا كانت حقيقة نوايا هذا الشخص؟”

“أعتقد بأنه يبحث عن تعيين رئاسي في لجنة تابعة للأمم المتحدة تُعنى بظاهرة الاحتباس الحراري”.

“هل هو معها أم ضدها؟”

ابتسمت بأدب، وقلت: “كل شيء جيد بالنسبة إلى باين مادوكس سيكون جيداً بالنسبة إلى الكوكب”.

وقف شافير وقال: “لنذهب للبحث عن زوجتك”.

وقفت، وغادرنا الكافتيريا، وتوجهنا نحو الردهة. خطرت ببالي فكرة ولذلك سألتها، “في ما يتعلق بالشائعات القديمة، هل ذكر أحد على وجه التحديد ما هو نوع المنشأة الحكومية السرية التي كان يجري تشييدها هناك؟”

“أتريد العودة إلى الحديث عن نادي كاستر هيل؟”

“عودة وجيزة وحسب”.

“و هل سيساعد ذلك التحقيق الجنائي؟”

“ربما، ومن يدري”.

قال: “حسناً، كان هناك الكثير من التخمينات حول ما كانت الحكومة تقوم ببنائه”.

“هل لك أن تذكر مثلاً على تلك التخمينات؟”

“حسناً، دعني أفكر؛ معسكر التدريب على البقاء، منزل آمن، برج لإطلاق الصواريخ، كلية للبحرية، محطة إذاعية”. وأضاف، “والسبب يرجع إلى تلك الأجهزة الإلكترونية والهوائيات”.

“هل تعاني المنطقة من الكثير من التشويش الإلكتروني؟”

“لا يوجد تشويش على الإطلاق. وأنا أعتقد بأن هذه المعدات الإلكترونية لا تعمل أو أنها خارج نطاق الخدمة، أو أنها تعمل بتردد لا يمكننا التقاطه”.

تساءلت إن كانت وكالة الأمن القومي قد أجرت مسحاً إلكترونياً لنادي كاستر هيل. ولا بد أنها قامت بذلك في حال كانت وزارة العدل تشك في أمر ما.

كانت كايت جالسة في الردهة، وكانت تتحدث عبر هاتفها الخليوي. وقبل أن نصل إلى المكان الذي كانت فيه قال شافير: “تذكرتُ الآن أن أحد قدامى المحاربين في البحرية عاش في هذه المنطقة، وكان يقول للجميع بأنه يعرف ما كان يجري في نادي كاستر هيل، ولكن لم يكن مسموحاً له الحديث عن ذلك”.

بدا ذلك أشبه بكلام فارغ، ولكنني سألته، “هل تذكر اسم ذلك الشخص؟”

“كلا، ولكن سأحاول معرفة اسمه، فلا بد وأن شخصاً ما لا يزال يذكره”.

“أخبرني بما تتوصل إليه”.

قال: “أجل... أعتقد بأن اسمه كان فريد. أجل، فريد. وكان يقول بأن نشاطات النادي على علاقة بالغواصات”.

“غواصات؟ ما هو عمق هذه البحيرات بالضبط؟”

“أنا أقول لك المعلومات التي أتذكرها. يبدو أنه أشبه بكلب بحر قديم يريد أن يطفو على سطح الماء”.

أنهت كايت مكالمتها الهاتفية، ونهضت، وقالت: “أنا آسفة. كنت أنتظر تلك المكالمة”.

كان يوجد أشخاص آخرون في الردهة، بمن فيهم الرقيب المناوب، ولذلك قال شافير كلاماً بغرض الاستهلاك العام: “أعبر عن أسفي مجدداً لمقتل التحري مولر. أرجو أن تظمننا إلى أننا نبذل كل ما في وسعنا للكشف عن أسباب هذه المأساة”.

قلت له: “إننا نقدر ذلك. أشكرك على القهوة”.

“هل تحتاج إلى الإرشادات للوصول إلى ذي بوينت؟”

“ستكون الإرشادات مفيدة”.

أعطانا الإرشادات، وسألنا: “ما هي المدة التي تتويان المكوث فيها هناك؟”

أجبت، “إلى أن نُفصل من عملنا”.

قال: “لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً إذا كنتم تدفعان ألفي دولار لليلة الواحدة. إذا كان يوجد أي شيء يمكنني مساعدتكما فيه، أخبراني”.

قلت له: “في الواقع... هل تعاون من أية مشكلات هنا بسبب الدببة؟”
أشاحت كايت بناظرها.

قال لي الرائد شافير: “تعتبر منطقة أديرونك موطناً لأكثر عدد من الدببة السوداء في الشرق. ومن المحتمل جداً أن تصادف دُباً في الغابة.”
“حقاً؟ وماذا سيحصل عندئذ؟”

أجاب، “الدببة السوداء لا تعتبر شديدة العدوانية. ولكنها فضولية، وذكية، وربما تقترب منك”. وأضاف، “والمشكلة هي أن الدببة تساوي بين الناس والطعام”.
“أنا متأكد من أنها تفعل ذلك، عندما تبدأ بالتهامك”.

“أعني أن الناس - الذين يقيمون المعسكرات ويترىضون في الجبال - يحملون طعامهم معهم والدببة تعرف ذلك”. وأضاف، “إنها تفضل تناول طعام غدائك على التهامك. وإياك أن تقترب من صغارها، فالإناث تتميز بأنها تدافع بقوة شديدة عن صغارها”.

“ومن أين لي أن أعرف بأني قريب من صغار الدببة؟”
“ستعرف. كما أن الدببة تصبح كثيرة النشاط بعد الساعة الخامسة من بعد الظهر”.

“كيف يعرفون كيفية تحديد الوقت؟”
“لست أدري. المهم أن تتخذ تدابير احتياطية إضافية بعد الساعة الخامسة من بعد الظهر، فهذا هو وقت بحثها عن الطعام”.

“أجل، لكن سؤالي هو هل يمكن لمسدسي الغلوك من عيار 9 ملم أن يوقف دُباً؟”
“لا تطلق النار على الدببة أيها التحري. لقد دخلت إلى أراضيها، ولذلك كن لطيفاً معها. استمتع برؤية الدببة”.

قالت كايت: “تصيحة ممتازة”.
لا أعتقد ذلك.

أنهى شافير حديثه عن الدببة وقال: “لم أحتج إلى التعامل مع هجوم قاتل من دب منذ سنين”. وأضاف، “كانت مجرد هجمات بسيطة”.
“هذا أمر مطمئن”.

قال لنا شافير: “يوجد كتيّب يحكي عن الدببة يمكن أن تجده هناك، وأنا أنصحك بقراءته”.

إذا كانت الدببة اللعينة بهذا القدر من الذكاء والفضول، ينبغي على كايت قراءته أيضاً.

وجدت كايت الكتيّب، ثم قدّمت للرائد شافير بطاقتها وقالت: “هذا هو رقم هاتفي الخليوي”.

تصافحنا، ثم غادرت وكايت المبنى ومشينا في المرآب المزود بالأنوار الكاشفة.
قالت كايت: "لا أريد سماع المزيد عن الدببة".

"اقرئي لي هذا الكتيّب وحسب".

"اقرأه بنفسك". دسّت كايت الكتيّب في جيب سترتي وسألتني، "هل ذكر شافير شيئاً مثيراً للاهتمام؟"

"أجل... نادي كاستر هيل منشأة بحرية سرّية للغواصات".

"غواصات؟ هل هذا ما قاله لك شافير؟"

"كلا. هذا ما قاله فريد".

"ومن يكون فريد؟"

"لست أدري، ولكن فريد يعرف أكثر مما نعرف نحن".

الفصل 27

ركبنا السيارة، جلستُ في مقعد السائق، وأدرت المحرك، وبدأت السير على الطريق.

وفيما كنت أسير في راي بروك، سألتني كايث، "حسناً، أخبرني عما قاله الرائد شافير؟"

"سأفعل. ولكنني الآن أفكر."

"بماذا تفكر؟"

"بشيء قاله شافير."

"ما هو؟"

"هذا ما أحاول أن أتذكره... كان شيئاً جعلني أفكر في شيء آخر."

"ماذا تقول؟"

"لا يمكنني أن أتذكر. هذا تقاطع."

"جعة، انعطف شمالاً. هل تريدني أن أقود فيما تمعن في التفكير؟"

"كلا. كُفّي عن إزعاجي. كان ينبغي أن أقول شيئاً. أنتِ تفعلين ذلك دائماً."

"كلا، أنا لا أفعل ذلك. إذا كنت تريد إخباري بكل ما قاله لك شافير، فالأمر عائد إليك."

"حسناً". انعطفتُ نحو الطريق 86 الذي كان معتماً وخالياً. وفيما كنت أقود السيارة، سردت لها ما دار من حديث بيني وبين شافير. كايث مستمعة جيدة، وأنا قاصٌ جيد للوقائع عندما أريد أن أكون كذلك. ولكن الوقائع والمنطق ليسا شيئاً واحداً، ولم أستطع تذكر كلمة يمكن أن تساعدني على التوصل إلى شيء.

عندما أنهيت كلامي، سألتني كايث، "هل تذكرت كلمة ما؟"

"كلا. دعينا نغيّر الموضوع."

"حسناً. ربما سيساعدنا ذلك". وسألتني، "هل تعتقد بأن نادي كاستر هيل منشأة حكومية أو كان كذلك في يوم من الأيام؟"

"كلا. إنه عمل قام به مادوكس من بدايته إلى نهايته. فكّري أيتها الدكتورة نو."

"حسناً يا سيد بوند. أنت تعتقد بأن النادي يعني ما هو أكثر من نادٍ للصيد، بل وأكثر من مكان يلتقي فيه متأمرون."

"أجل، يبدو أن هناك مستوى تكنولوجياً هناك لا ينسجم مع الغاية المصرّح عنها للمكان، ما لم تكن حقيقة الأمر مطابقة لما قاله لنا مادوكس من أن زوجته أرادت أن يكون ملجأً في حال اندلعت حرب نووية."

أجابت كايث، "أعتقد بأن ذلك جزء من قصصه التضليلية؛ أي تفسير منطقي لما كان يعرف بأننا سنسمعه في النهاية عن بناء ذلك المكان قبل عشرين عاماً". وأضافت "إنه في غاية الذكاء".

"وأنتِ تبدين ذكية ولامعة بشكل خاص هذه الليلة".

"أشكرك يا جون. وأنت تبدو بليداً وكئيباً على نحو غير عادي".

"هذا الهواء الجبلي يعكّر صفو دماغي".

"هذا واضح. كان ينبغي أن تضغط على الرائد شافير أكثر عند حديثه عند بعض من هذه النقاط".

أجبتها بنبرة فيها شيء من الحدة، "كنت أبذل أقصى ما يمكنني بذله للحصول على تعاون طوعي منه". وأضفت، "ليس من السهل على شرطي استجواب شرطي آخر".

"حسناً، عندما أخرجتني من الغرفة، افترضت بأنكما ستتألفان ويفصح كل منكما بما لديه للآخر".

خطرت ببالي الكلمتان "عليك اللعنة"، ولكن التقوه بهما هو طريقة للبدء بالمشاجرات. قلت "سأقوم معك بالضغط عليه أكثر غداً يا عزيزتي".

"ربما كان يجدر بك أن تخبره بما عثرنا عليه في جيب هاري".

"لماذا؟"

"حسناً، أولاً إنه العمل الصائب الذي ينبغي القيام به. وثانياً، ربما كان يعرف ما تعني عبارة 'إلف'".

"أنا أشك في ذلك".

"متى سنصارحه بهذه المعلومات".

"لسنا بحاجة إلى ذلك. فأصدقاؤك في مكتب التحقيقات الفيدرالي يتميزون بذكاء حاد، وسيكتشفون تلك الحروف بأنفسهم. وفي حال لم يفعلوا، فستفعل ذلك شرطة الولاية. وفي حال لم تفعل، عندها سنسأل باين مادوكس عما تعنيه العبارات ماد، ونيوك، وإلف".

"ربما ينبغي عليك أن تقوم بذلك، فهو يعرف معانيها".

"بالطبع إنه يعرف معناها... انتظري، لقد وجدتها".

التفتت إليّ، وقالت: "ماذا تقول؟ عرفت ما تعنيه تلك العبارات؟"

"أجل، أجل عرفت معناها. العبارتان ماد ونيوك اختصاران لمادوكس ونووي. ولكن إلف كلمة أوائلية (مؤلفة من الأحرف الأولى لعدة كلمات)".

"لأية كلمات؟"

"لرأي هاري مولر في باين مادوكس: لعين حقير شرير".

عادت إلى مقعدها، وقالت: “أحرق”.

واصلنا سيرنا بصمت، وغرق كل منا في أفكاره.

وأخيراً، قالت كايت: “هناك مجموعة تسمى جبهة تحرير الأرض، إلف”.

“حقاً؟”

“إن قسمنا المحلي يتعاطى معها”.

“حقاً؟”

“إن جبهة تحرير الأرض هي المسؤولة عما نسميه الإرهاب البيئي. فقد أحرقت مشاريع بناء من أجل إنقاذ الأرض، ووضعت مسامير فولاذية كبيرة في جذوع الأشجار من أجل إعطاب المناشير الآلية، حتى أنها زرعت قنابل في ناقلات النفط”.

“حسناً. إذا أنتِ تعتقدين بأن مادوكس ينوي زرع قنبلة نووية في اجتماعه التالي”.

“لست أدري... لكن ربما تكون هناك صلة بين إلف، والنفط، ومادوكس”.

“لقد نسيت عبارة نيوك”.

“أعرف ذلك... أنا أحاول فقط إيجاد صلة ما يا جون. ساعدني في هذا الأمر”.

أجبتها، “أنا لا أعتقد بأن السيد باين مادوكس، الذي يدّعي بأنه ساعد على إلحاق الهزيمة بالإمبراطورية السوفياتية، آل به الأمر إلى مصارعة حفنة من قاطعي الأشجار والسيدات ذوات الأرجل الكثيرة الشعر”.

امتنعت عن الردّ لبضع ثوانٍ، ثم قالت: “حسناً، إن تعليلي أفضل من لعين حقير شرير”.

“ليس بدرجة كبيرة”.

كانت الغيوم تندفع تحت هلال برتقالي ساطع، وكانت الأوراق تتطاير داخل حزمتي أضواء السيارة الأمامية.

كنا لا نزال داخل حدود محمية المنتزه، ولكن تلك المنطقة بدت وكأنها خليط من الأراضي العامة والخاصة، وكانت توجد منازل متفرقة على امتداد الطريق العام، ولاحظت وجود الكثير من المنتجات الموسمية في المروج الأمامية؛ أكواز الذرة، اليقطين، وما إلى ذلك. كما كان هناك بعض الإعلانات الخاصة بمناسبة الهالووني: مشعوذات، هياكل عظمية، مصاصو دماء، وما إلى ذلك من السخافات التي تبعث على القشعريرة. كان الخريف جميلاً على نحو ملفت وغامضاً على نحو مثير.

سألت كايت، “هل تحبين فصل الخريف؟”

“كلا. فالخريف يعني الظلمة والموت. أنا أحب الربيع”.

“لكنني أحب فصل الخريف. فهل أنا بحاجة إلى مساعدة؟”

“أجل، وأنت تعرف ذلك”.

“أجل. لقد تعلمت قصيدة عندما كنت في الثانوية العامة. هل ترغبين في سماعها؟”

“بالتأكيد”.

“حسناً”. ابتلعت ريقى، واستحضرت ذاكرتي، وقلت: “الآن حلّ فصل الخريف، والفاكهة المتساقطة، والرحلة الطويلة نحو عالم النسيان. هل بنيت سفينة الموت؟ حقاً، هل قمت بذلك؟”

بقيت هادئة لفترة ثم قالت: “هذا مرض”.

“أنا أحبه”.

“استشر طبيباً عندما نعود”.

واصلنا سيرنا بصمت، ثم قامت كايت بتشغيل المذياع الذي كان مبرمجاً عند تردد محطة محلية تبث أغاني الغرب. كانت راعية بقر تغني على أنغام آلة وترية كيف لي أن أفتقدك إذا كنت لا تبارح مكانك؟

قلت: “هل تمانعين إذا أطفأته؟ أنا أحاول التفكير”.

لم تردّ كايت على كلامي.

“كايت؟ عزيزتي؟ مرحباً”.

“جون... اتصالات لاسلكية”.

“ماذا تقولين؟”

“يوجد تردد فائق العلو ’يو أنتش أف‘ وتردد منخفض جداً ’إي أل أف‘، إلخ... ألا يوجد تردد بالغ الانخفاض ’إي أل أف‘؟”

نظرت إليها، وقلت: “هذا ما كنت أحاول أن أتذكره. إنها الهوائيات اللاسلكية في كاستر هيل”.

سألنتي، “هل تعتقد بأن مادوكس يتواصل مع شخص على تردد بالغ الانخفاض؟”

“أجل. أعتقد بأن هاري كان يقول، اضبطوا ترددكم عند التردد بالغ الانخفاض”.

“ولكن لماذا يستخدم هذا التردد؟ ومن هم الذين يستخدمون نطاق التردد بالغ الانخفاض؟ الجيش؟ الطيران؟”

“أنا لا أعرف، لكن بصرف النظر عمّن يستخدمه، يمكن إخضاعه للمراقبة”.

قالت: "أنا متأكدة بأنه إذا كان مادوكس يرسل إشارات أو يستقبلها، فهو يفعل ذلك علانية. أعني أنه يجري تشويش رسائله أو تشفيرها".

"أجل. لكن ينبغي أن تكون وكالة الأمن القومي قادرة على فك أي نوع من الشيفرة".

سألتني كايث، "مع من يتصل ولماذا؟"

"لست أدري. ونحن بحاجة في هذه الأثناء إلى معرفة المزيد عن الموجات اللاسلكية ذات التردد بالغ الانخفاض. انظري، ربما كان هذا هو السبب الذي يجعل كل شخص هنا غريب الأطوار إلى حد بعيد. إنها موجات التردد بالغ الانخفاض. هناك أصوات تعلق في رأسي. هناك شخص ما يقول لي أن أقتل توم والش".

"هذا ليس أمراً مضحكاً يا جون".

واصلنا سيرنا في عتمة الليل، ثم قلت: "باين مادوكس، نووي، تردد بالغ الانخفاض. أعتقد بأن كل ما نحتاج إلى معرفته موجود في هذه الكلمات".

"أمل أن يكون ذلك صحيحاً، فنحن لا نعرف الكثير عدا ذلك".

قلت لها: "لماذا لا نذهب إلى نادي كاستر هيل ونحصل على المعلومات من مادوكس بالقوة؟"

"أنا لست متأكدة من أن مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي سيوافق على ذلك".

"أنا جاد في كلامي. ماذا لو كان هذا الحقيير يخطط لمناسبة نووية؟ ألا يعد ذلك مبرراً لكي أعذبه إلى أن يتكلم؟"

قالت: "إن ما يزعجني هو 'ماذا لو'. وحتى وإن كنا متأكدين بنسبة تسعة وتسعين في المئة... فنحن لا نقوم بعملنا على هذا الوجه. إننا لا نفعل ذلك".

أجبتها، "بل سنفعل. عندما نهاجم في المرة القادمة - وخصوصاً إذا كان الهجوم نووياً - سنبدأ بضرب المشتبه فيهم".

"يا إلهي، أرجو ألا نفعل". لزممت الصمت فترة من الوقت ثم قالت: "إننا بحاجة إلى التبليغ عن كل ما سمعناه، وعرفناه، وتكهننا به. دع مكتب التحقيقات الفيدرالي يتولى الأمر انطلاقاً من ذلك".

"حسناً، ولكننا نحتاج إلى بعض الوقت لكي نجمع معلومات أكثر دقة".

"حسناً، لنقل إننا سنقوم بذلك في مثل هذا الوقت غداً مساءً، سنذهب إلى توم والش بكل ما نتمكن من جمعه. هل توافق؟"

لم أعد أثق بوالش بعد الآن، ولذلك ربما أتجاوز القواعد، وأتوجه مباشرة إلى النقيب باريزي رئيسي في الوحدة التكتيكية في قسم شرطة ولاية نيويورك.

"جون؟"

ذكرتها بالقول: "لدينا أسبوع".

“لسنا ندري إذا كان لدى الكوكب أسبوع”.
نقطة مثيرة للاهتمام. قلت: “لننظر ماذا سيحدث في الغد”.

الفصل 28

كانت تفصلنا عن فندق ذي بوينت مسافة تقبل عن ثلاثين كيلومتراً، ولكن المكان كان شديد العزلة لدرجة أنه بالرغم من إرشادات شافير، وخريطة ماكس، كان على كايت أن تتصل بالمنتجع لكي يزودنا بتوجيهات تساعدنا على الوصول إلى الطريق الذي لا يظهر على الخريطة.

استخدمتُ الأضواء القوية، وتقدمت ببطء على طريق ضيقة تغطيها الأشجار بدت أشبه بدرب هندي طراً عليه بعد التطوير.

قالت كايت: “إنه طريق جميل جداً”.

كل ما كان في إمكاني رؤيته هو نفق من الأشجار على ضوء المصابيح الأمامية للسيارة، ولكن لكي أسعد نفسي - لا سيما وأني حجزت في الفندق - قلت: “أشعر أنني قريب من الطبيعة”. ولكي أكون دقيقاً، كان جانبا الطريق يبعدان عن السيارة مسافة متر تقريباً من كل جانب.

وصلنا إلى بوابة ريفية يعلوها عقد مصنوع من أغصان الأشجار على شكل أحرف ذي بوينت.

أغلقت البوابة، ولكن كان يوجد مجهر بجانبها. وبعد أن أنزلت زجاج النافذة، ضغطت على الزرّ، وسمعت صوتاً مشوشاً من المجهر يقول: “هل يمكنني أن أساعدك؟”

“أريد تشيز برغر دبل وبطاطا مقلية مقطعة إلى شرائح طويلة، وعلبة كوكا كولا خالية من السكر”.

“سيدي؟”

“السيد والسيدة كوري، ضيفان مسجلان عندكم”.

“أجل سيدي. أهلاً بك في ذي بوينت”.

بدأت البوابة التي تعمل بالكهرباء تتحرك، وقال الصوت: “أرجو أن تواصل سيرك إلى أن تصل إلى المبنى الأول في جهة اليسار”.

سرت عبر البوابات، وقالت كايت: “يبدو هذا المكان أكثر ألفة من نادي كاستر هيل”.

“من الأفضل له أن يكون كذلك بالنظر إلى مبلغ الألف ومئتي دولار لليلة الواحدة”.

“هذه لم تكن فكرتي”.

“أجل”. ظهر أمامي منشأ ضخم مصنوع من الخشب، فتوقفت بجانب الطريق. خرجنا من السيارة ومشينا في الممر، فتح الباب، وأشار إلينا شاب وقال: “أهلاً”.

بكما. هل قضيتما رحلة جيدة؟”

أجابت كايت: “أجل، شكراً لك”.

صعدنا الدرجات التي تؤدي إلى المبنى الريفي، وقال الشاب الذي كان يرتدي ثياباً عادية “اسمي جيم”. تصافحنا استعداداً للإقامة في المكان الذي اعتقدت بأنه أليف، ومريح، وربما سخيف. قال جيم: “اتبعاني”.

دخلنا المبنى، الذي كان يضم مكتب المنتجع، ومحلاً لبيع مصنوعات أديرونداك اليدوية، وبعض الملابس الجميلة باهظة الثمن والتي لفتت انتباه كايت.

لاحظتُ أن النساء يلتهين بسهولة عندما يرين متاجر بيع الملابس، وكنت متأكداً من أن السيدات في سفينة التايتانك توقفن عند متجر بيع الملابس في السفينة بمناسبة تنزيلات الغرق التي بلغت خمسين في المئة وهن في طريقهن إلى قوارب النجاة.

على أية حال، تجاوزنا متجر الثياب، وجلسنا على كراسي مريحة بالقرب من طاولة. فتح جيم ملفنا وقال: “هذه رسالة لكما”. وقام بتسليمي بطاقة كتب عليها بالحبر “اتصل”. كانت من “السيد والش”، الزمن: 7:17 صباحاً.

وبما أنني لا أذكر أننا أخبرنا توم والش بمكان مبيتنا، فلا بد وأن والش علم بالأمر منذ مدة وجيزة عن طريق الرائد شافير. لا توجد مشكلة، لكن كان عليّ أن أذكر نفسي بأن والش وشافير على اتصال مستمر.

أعطيت البطاقة لكمايت التي نظرت إلى هاتفي الخليوي ورأت أنه لا يوجد إرسال. سألت جيم، “هل يقع الفندق خارج نطاق الخدمة الخليوية؟”

أجاب، “تتوفر الخدمة بين الحين والآخر. ويمكنكما الحصول على أفضل إرسال عندما تقفان في وسط ملعب الكريكت”. اعتقد أن كلامه مضحك فبدأ بالضحك. وأضاف، “يمكن الحصول على الخدمة أحياناً في ذي بوينت”.

لم يكن في استطاعتي المقاومة فسألته “ما الفائدة، يا جيم؟”

أزال الالتباس بالقول: “ويتني بوينت أون أبر سارناك لايك. وهو المبنى الذي نحن فيه”. وزاد جيم من معلوماتنا بقوله: “في الواقع، إننا لا نفضل استخدام الهواتف الخليوية هنا”.

“ما هو السبب يا جيم؟”

“إنها تحطّ من قيمة المكان”.

“ألا توجد هواتف في الغرف؟”

“هذا صحيح، ولكنك لا تستطيع الحصول على خط خارجي.”

“وما هو سبب وجودها يا جيم؟”

“لتبادل الاتصالات داخل المكان.”

“هل أنا معزول عن العالم؟”

“كلا سيدي. يوجد هاتف خارجي في هذا المكتب، وآخر في مطبخ نادي الصيد الرئيسي، والذي يمكنك استخدامه. وفي حال اتصل شخص بالفندق، كما فعل السيد والش، فسنوصل الرسالة إليكما.”

“كيف؟ عبر الإشارات الدخانية؟”

“عبر ترك ملاحظة، أو الاتصال بهاتف الغرفة لديك.”

“حسناً”. بدا أن للإقامة في هذا المكان ناحية إيجابية، ولكن كانت هناك ناحية سلبية أيضاً بالنظر إلى عدد المكالمات التي احتجنا إلى إجرائها في اليومين التاليين.

واصل جيم تدوين المعلومات الخاصة بالحجز وقال: “ليلتان، أليس كذلك؟”

أجبتة “أجل. أين يوجد المشرب؟”

“سننكلم عن كافة هذه المواضيع بعد لحظات”. واصل جيم النقر على لوحة المفاتيح، ودفع المعلومات المطبوعة إلينا، إلى جانب كتاب صور تذكارية لفندق ذي بوينت، وخريطة للأرض التابعة له، وما إلى ذلك.

سألني جيم، “بطاقة الاعتماد”. خاطبتني كاي، “جون، لم لا تستخدم بطاقتك الشخصية بدلاً من البطاقة الحكومية؟”

قلت لها: “لقد سُرقت بطاقتي الائتمانية.”

“متى؟”

“منذ أربع سنوات تقريباً.”

“لم تستبدلها؟”

“لأن ما ينفقه السارق من مال أقل مما كانت تنفقه زوجتي السابقة.”

لم يبدو كلامي مضحكاً لأحدٍ سواي. أعطيت جيم بطاقتي الحكومية فقام بأخذ بياناتها.

وضع على خريطةتنا علامات بواسطة قلم تأشير وقال: “إذا سرتما في هذا الطريق، وتجاوزتما كوخ التدفئة وملعب الكريكت، فستصلان إلى نادي الصيد الرئيسي. وسيكون تشارلز في انتظاركما هناك.”

“أين يوجد المشرب؟”

“قبالة نادي الصيد الرئيسي مباشرة، في عش النسر”. ووضع علامة على الموقع وقال: “استمتعا بإقامتكما لدينا”.
“وأنت أيضاً”.

غادرنا المكتب وسألتني كايث، “لماذا تتصرف بفظاظة؟”
“أنا آسف”.

“كلا أنت لست كذلك. هل سنتصل بوالش؟”
“بالتأكيد. أين يوجد ملعب الكريكت؟”

ركبنا السيارة وسرنا على الطريق، وتجاوزنا كوخ التدفئة، بصرف النظر عما يكون، ثم توجهنا نحو ملعب الكريكت، وعندها سألت، “هل تريدني مني أن أركض هنا، وأتصل بوالش؟”
“كلا، إن تشارلز في انتظارنا”.

كان يوجد عند نهاية الطريق مبنى ضخم مصنوع من جذوع الأشجار مع شرفة أمامية - نادي الصيد الرئيسي - وهناك، رأينا شاباً يرتدي سترة وربطة عنق وهو يلوح بيده لنا. أوقفت السيارة وخرجنا منها.

نزل الشاب بضع درجات، ورحب بنا، وعرف عن نفسه بأنه تشارلز وقال:
“أعتقد أنني تحدثت إلى السيد كوري في وقت سابق”.
أجبت: “هذا صحيح”.

أراد أن يمازحنا فقال: “لدينا فيدراليون ودببة”.
“هذا رائع. هل يمكنك إطعامنا؟”

أعتقد بأن تشارلز أراد أن يجعلني طعاماً للدببة، ولكنني قلت: “في الواقع، يجري تقديم العشاء الآن، وقد حجزنا مكانين لك”. نظر إليّ وقال: “ينبغي ارتداء سترة وربطة عنق عند تناول طعام العشاء”.
“لا أملك أيّاً منهما يا تشارلز”.

“يا إلهي. يمكننا أن نغيرك سترة وربطة عنق”.

المضحك هو أنهم يرضون عن سروال الجينز الأسود الذي ترتديه كايث، ولكنني بحاجة إلى سترة وربطة عنق. قلت لتشارلز: “لن يكون ذلك ضرورياً. أين يوجد المشرب؟”

أشار أيضاً إلى مبنى ريفي آخر يبعد مسافة ثلاثين متراً، وقال: “المشرب هناك يا سيدي. يوجد عدد من مشارب الخدمة الذاتية هنا، وجميع الموظفين يقدمون المشروبات، لكن إذا لم تجد أحداً من الموظفين في أي من هذه المشارب، أرجو أن تخدم نفسك”.

“ربما سأعجب بهذا المكان”.

قال: “اتبعاني من فضلكما”.

صعدنا خلفه عدة درجات تؤدي إلى الشرفة، ودخلنا غرفة مستديرة الشكل بُنيت على الطراز السائد في أديرونداك الذي بدأ يثير أعصابي.

قال تشارلز: “هذا هو مدخل البهو المؤدي إلى نادي الصيد الرئيسي والذي كان منزل ويليام أفيري روكفيلر”.

مرّ جزء من الثانية قبل أن أتمكن من قول نكتة جيدة. قالت كايت: “إنها غرفة جميلة”.

ابتسم تشارلز وقال: “جميع القطع التي فيها أصلية”.

من الواضح أن تشارلز يستمتع بالأشياء الجميلة في الحياة. كان يوجد في وسط الغرفة طاولة وُضع عليها وعاء فيه باقة من الأزهار، وزجاجة شراب في دلو فضي للتلج، وثلاثة أكواب مزخرفة. فتح تشارلز الزجاجات، وملاً الأكواب، وسلم كل واحد منا كوبه، ثم رفع كوبه وقال: “أهلاً بكما”.

أنا لا أحب شرب هذه الأشياء، ولكن لكي أكون مؤدباً، وبما أنني كنت بحاجة إلى...، رفعت كوبي وشربنا جميعاً.

أشار تشارلز إلى غرفة صغيرة بعيداً عن الغرفة المستديرة وقال: “هذا مشرب مكمل يعمل بالخدمة الذاتية ويفتح نهاراً ومساءً من أجل راحتكما”.

كان الجو مريحاً حينها، ولكن تشارلز واصل حديثه، وقال: “وهنا”، وأشار إلى فتحة يعلوها عقد في الغرفة المستديرة وقال: “هذه هي القاعة الكبيرة”.

نظرت إلى القاعة الكبيرة التي ذكرتها بالقاعة الكبيرة حيث جلست مع باين مادوكس. غير أنه كان يوجد في الطرف البعيد من هذه القاعة طاولتا عشاء كبيرتان ومستديرتان أمام مدفأة كبيرة متوهجة. وكان يجلس إلى كل من الطاولتين حوالي عشرة من الرجال والسيدات، وكانوا يأكلون ويشربون، وبالرغم من أنه لم يكن في مقدوري سماعهم، فقد كنت متأكداً من أنهم يشاركون في محادثات فكاهية لا طرفة فيها.

قال تشارلز: “يمكنك الوصول إلى غرفتك، الموهوك - وبالمناسبة كانت غرفة النوم الرئيسية لويليام أفيري روكفيلر - عبر القاعة الكبيرة. ولكن بما أنه يجري تقديم العشاء، فقد ترغب في الذهاب إلى مدخلك الخارجي والذي سأريك إياه بعد لحظات”.

قلت له: “أعتقد بأننا بحاجة إلى أن نشرب شيئاً أولاً”.

أوماً برأسه وقال: “بالتأكيد. إذا تركت مفاتيح سيارتك معي، فسنعنتي بها وننقل أمتعتك إلى غرفتك”.

أجابت كايت، “لا توجد لدينا أمتعة” من الواضح أن ذلك أثار قلق تشارلز الذي اعتقد أننا التقينا عند محطة للشاحنات في مكان ما. وأضافت، “كانت رحلة

مفاجئة، وستصل أمتعتنا غداً. وفي هذه الأثناء، هل يمكنك أن تحضر لنا أشياء متنوّعة: فرشاة أسنان، وماكينة للحلاقة، وما إلى ذلك؟”

“بالطبع. سأطلب إرسال بعض من هذه الأشياء إلى غرفتكما”.

النساء عمليات للغاية، ناهيك عن قلقهنّ مما يفكر به الغرباء عنهن من أبناء المنطقة، ولذلك، لكي أكون زوجاً جيداً ومخلصاً، قلت لتشارلز: “إننا نحتمل بذكرى زواجنا، وكنا نشعر بإثارة كبيرة، فلذلك وضعنا أمتعتنا في سيارة بنتلي، ثم ركبنا في سيارة الفوردي عن طريق الخطأ”.

استوعب تشارلز كلامي، ثم عرض علينا زجاجة شراب أخرى، ولكننا رفضنا معاً العرض، وقلت: “سنكون في المشرب. هل يمكنك إحضار بعض الطعام إلى هناك؟”

“بكل تأكيد. إذا احتجتما إلى أي شيء آخر، ما عليكم سوى الطلب إلى أي من الموظفين”.

“ماذا عن مفتاح الغرفة؟”

“ليس هناك مفاتيح”.

“وكيف ندخل الغرفة؟”

“لا توجد أقفال”.

“وكيف أبقى الدببة خارجها؟”

“الأبواب مزودة بمسامير داخلية”.

“هل يمكن للدب أن...؟”

“جون، دعنا نتناول الشراب”.

قلت لتشارلز: “أجل، يوجد مفتاح لسيارتي. وهذا هو. أنا بحاجة إلى مكالمة توظيفني عند الساعة السادسة صباحاً”.

“أجل سيدي. هل ترغب في تناول طعام الفطور في غرفتك، أم في القاعة الكبيرة؟”

أجابت كايت، “ترغب في تناول وجبة الفطور في الغرفة”.

لطالما دار بيننا هذا الخلاف حول خدمة الغرف، فأنا لا أحب أن أكل حيث أنام، ولكن السيدات، كما لاحظت، يرغبن في خدمة الغرف.

سألنا تشارلز، “هل ترغب في تحديد وقت لجلسة تدليك في الغرفة؟”

سألته، “أثناء تناول وجبة الفطور؟”

قالت كايت: “سننظر كيف سيكون جدول أعمالنا ليوم غد”.

“هل يوجد أي شيء آخر يمكن أن أساعدكما فيه؟”

أجابت كايت، “لا يوجد شيء في الوقت الحاضر. أشكرك يا تشارلز، فقد كنت مصدر عون كبير لنا”.

سألتها، “هل تقدّمون السجق الملفوف بالعجين المخبوز؟”

“سيدي؟”

“في المشرب”.

“سأسأل رئيس الطهاة”.

“مع الخردل. أحب أن يكون العجين محمصاً بعض الشيء”.

“أجل سأعلمه بذلك”.

“وداعاً”.

غادرنا الغرفة المستديرة التابعة للقاعة الرئيسية، وقلت لكاييت: “لم يكن ذلك رائعاً؟”

“لم يكن رائعاً تماماً”.

فتحت السيارة، وأخذت حقيبتها، ومشينا مسافة ثلاثين متراً نحو المبنى الذي يسمى عش النسر، والذي كان يضم المكان الذي يسمى مشرب.

كان المشرب أيضاً غرفة ريفية جميلة أخرى. كانت دافئة ومريحة، توجد فيها مدفأة مشتعلة، وغرفة للألعاب، وطاولة بلياردو، ورفوف للكتب، ونظام ستيريو. ولاحظت أنه لم يكن يوجد جهاز تلفاز. كانت يوجد في المشرب منضدة طويلة، تنتصب خلفها رفوف مليئة بالزجاجات الجميلة، ولكن لم يكن يوجد شخص لتقديم الشراب. في الواقع، كان المكان خالياً لأن الضيوف كانوا يتناولون طعام العشاء. كان ذلك أشبه بالموت والذهاب إلى الفردوس.

وقفت بجانب المنضدة، وقلت لكاييت: “مساء الخير يا سيدتي. هل لي أن أقدم لك شراب كوكتيل؟”

سايرتني في سخافتي، وأجابت، “أعتقد أنني سأشرب كأساً صغيرة من الشيري. كلا ليكن شراب ستولي مزدوجاً مع عصير الليمون. كوبان من فضلك”.

“ممتاز يا سيدتي”.

أحضرت كوبين صغيرين، ووجدت الثلج، والفاكهة، والشراب الاسكتلندي، والستولي، وحملت زجاجة في كل يد، وملأت الكوبين حتى حافتيهما.

لامسنا الكوبين، وقالت كايت: “تخب هاري”.

أضفتُ “ارقد بسلام يا رفيقي”.

لم يقل أي منّا شيئاً فيما كنا نريح أنفسنا من عناء يوم طويل حافل بالأحداث كثير الأحران.

وأخيراً، قالت كايت: “ألا ينبغي علينا أن نتصل بتوم؟”

تحققت من هاتفي الخليوي مجدداً، ووجدت أن الإرسال متوفر، ولكنني قلت: “إن استخدام الهواتف الخليوية غير محبذ في فندق ذي بوينت، يا سيدتي”.

“ماذا لو كانت المكالمات هامة؟”

“عندها سيتصل مجدداً”.

أعدت ملء كوبينا، وقلت: “إذا كان الشراب يُقدّم بالمجان، كيف تتوقعين أن يجنوا أموالاً منا لقاء ألف ومئتي دولار لليلة الواحدة؟”

ابتسمت، وأجابت، “ربما يأملون بأن نأوي إلى الفراش باكراً. وبالمناسبة، ينبغي عليك ألا تستخدم بطاقتك الائتمانية الحكومية”.

أجبتها، “انظري إلى المسألة من هذه الزاوية؛ إذا كان العالم سيصل إلى نهايته، ما هو الفرق الذي سينتج بسبب ذلك؟”

فكرت في ما قلته، ولكنها لم تجب.

واصلت كلامي، وقلت: “وفي حال تمكنا من إنقاذ العالم، هل تعتقدين بأن الحكومة ستطلب منا ردّ الأموال التي صرفناها في هذا المكان؟”

“أجل”.

“حقاً؟”

“حقاً”.

“إذاً، ما الذي يحفزني لإنقاذ الكوكب؟”

“إنها وظيفتك لهذا الأسبوع”. احتست شرابها، ونظرت إلى المدفأة، وقالت: “حسناً، إذا كان العالم سينتهي، فهذا مكان جيد لكي ننهي حياتنا فيه”.

“أجل، وكذلك نادي كاستر هيل”.

أومأت برأسها تعبيراً عن الموافقة.

سألته، “هل تلعبين البلياردو؟”

“كنت ألعب البلياردو، ولكنني لست لاعبة ماهرة”.

“يبدو أننا في عجلة”. استدرت حول المنضدة، ومشيت نحو طاولة البلياردو حيث كانت الكرات في المثلث البلاستيكي. وضعت كوبي، وخلعت سترتي الجلدية، وسحبت قميصي لكي أخفي مسدسي، ثم اخترت عصا، وقلت: “هيا لنلعب”.

قامت كايث عن مقعدها، وخلعت سترتها المصنوعة من الجلد الشاموا، وغطت مسدسها، ورفعت كمّي قميصها، واختارت عصا.

رفعت المثلث عن الكرات، وقلت لكايث: "ابدئي بضرب الكرات". في الواقع، أنا لم أقل تلك العبارة بالضبط، وإنما قلت: "ابدئي اللعب يا سيدتي".

وضعتُ شيئاً من المسحوق على يديها، وانحنت فوق الطاولة، وضربت الكرة. كانت ضربة جيدة، ولكن لم تسقط أي من الكرات.

أسقطتُ ثلاث كرات، ثم أخطأت كرة سهلة. اعتقدت بأن الشراب الاسكتلندي بدأ يؤثر في قدرتي على التنسيق بين يديّ وعينيّ، أو ربما كنت بحاجة إلى كأس أخرى.

أسقطت كايث ثلاث كرات، واستنتجت بأنها كانت تلعب البلياردو من قبل.

أخطأت كرة سهلة أخرى، فقالت: "هل أنت ثمل، أم أنها العجلة؟"

"اليوم ليس يومي في اللعب".

أسقطتُ أربع كرات أخرى، ولذلك استسلمتُ، وأعدت ترتيب الكرات، وقلت: "لنلعب مقابل خمسة دولارات لكل كرة".

"سبق أن قمنا بذلك".

ابتسمت وسألته، "أين تعلمت هذه اللعبة؟"

ارتسمت على وجهها ابتسامة خبيثة، وأجابت، "أعتقد بأنك لا تريد أن تعرف الجواب".

كانت نتيجة المباراة الثانية متقاربة أكثر لأن الشراب بدأ يؤثر فيها.

كنت أقضي في الواقع وقتاً مسلياً، وألعب البلياردو مع زوجتي، وأنصت إلى حسيس النار، في غرفة جميلة ودافئة داخل الغابات مع مشروب مجاني.

دخلت إحدى الفتيات إلى المشرب وهي تحمل صينية من

المقبلات، وقمت بمساعدتها على إعداد المنضدة. قالت

الفتاة: "مرحباً، اسمي أمي. أهلاً بك في ذي بوينت".

وسألته، "هل يمكنني أن أقدم لك شراباً؟"

أجبتها "كلا، ولكن اشربي أنت".

رفضت أمي دعوتي، وقالت: "هذه هي قائمة وجبة الفطور. وما عليك سوى اختيار ما تريد، والوقت الذي نريدنا أن نرسله إلى غرفتك، والاتصال بالمطبخ".

نظرت إلى صينية المقبلات، وسألته أمي، "أين السجق الملفوف بالعجين المخبوز؟"

بدا عليها الإحراج، وأجابت، "يقول رئيس الطهاة، وهو فرنسي، بأنه لم يسبق أن سمع بهذا الاسم". وأضافت، "أنا لا أعتقد بأنه يتوفر لدينا أي نوع من السجق".

“أمي، هذه أميركا. قولي لبيار...”

قاطعتني كايت، وسألت، “أمي، اطلبي من رئيس الطهاة استخدام سجق الفطور”. وشرحت مرادها فقالت: “مع خردل رجاء”.

وعدت أمي بأن تعود وغادرت المشرب.

قلت لكايت: “هذه البلاد في طريقها إلى الجحيم”.

“جون، استرح قليلاً. جرّب بعضاً من هذه”. وسلّمتني قطعة من السلمون المدخن والتي رفضت أن أتأولها.

قلت: “كنت أتوقع أن أتأول طعاماً حقيقياً هنا. أعني، إننا في الغابة. وكما تعرفين، أحب أن أتأول شرائح من لحم الجاموس، يخنة الصياد...” تذكرتُ رسالتي الهاتفية إلى هاري، وملأت لِنفسي كأساً أخرى من الشراب الاسكتلندي.

قالت كايت: “أنا أدرك بأنه كان يوماً صعباً جداً عليك يا جون. ولذلك فرّج عن كركبك، واشرب، وافعل كل شيء يمكن أن يشعرك بمزاج أفضل”.

لم أجب، ولكنني أوّمت برأسي.

حملنا كأسينا إلى غرفة الألعاب. جلست إلى طاولة الورق، وجلست كايت أمامي. فتحت مجموعة جديدة من ورق اللعب وسألتها، “هل تلعبين...؟”

“سبق أن لعبتها، ولكنني لست ماهرة فيها”.

ابتسمتُ، وقلت: “الفيشة الحمراء تساوي دولاراً واحداً، والفيشة الزرقاء تساوي خمسة دولارات، وأنتِ المصرف”.

بدأت أخط الأوراق فيما أخذت هي وأعطتني فيشات بقيمة منتي دولار.

وضعت الورق أمامها، وقلت: “اقطعي”. قطعت المجموعة، وقمت بتوزيع خمس أوراق.

لعبنا قليلاً، وكان أدائي في الورق أفضل من أدائي في البلياردو. ربما خسرت القدرة على التنسيق بين يديّ وعينيّ، ولكن كان في مقدوري لعب الورق وأنا نائم.

نظرت كايت إلى هاتفها الخليوي، وقالت: “أعتقد بأنه ينبغي علينا الاتصال بتوم”.

“من يخسر هذه اللعبة يتصل بتوم”.

خسرتُ اللعبة، وخسرتُ اثنين وعشرين دولاراً، ولكنها فازت بحق الاتصال بتوم والش.

طلبت الرقم الهاتفي لوالش، وقالت: “إننا نردّ على مكالمتك”. وقامت بتشغيل المجهار، ثم وضعت الهاتف على الطاولة، وبدأت تجمع الأوراق.

سمعتة يسألها، “أين أنتما؟”

أجابت كايت، “في فندق ذي بوينت. وأين أنت؟”

أجاب، “في المكتب”. وهو ما اعتقدت أنه مثير وغير مألوف في هذه الساعة.
سأل كايت “هل يمكنكِ التحدث إليّ؟”

ضحكت، وقالت: “لا يمكنني التحدث بطريقة جيدة، فقد احتسيت أربع كؤوس من
الستولي”.

خلطت الأوراق بالقرب من الهاتف، وقال والش: “هناك تشويش”.

قالت كايت: “أنا أخلط ورق اللعب”.

بدا عديم الصبر معها وسألها، “أين جون؟”
“إنه هنا”.

قلت: “أراهن”.

“ماذا تقولين...؟”

ألقت بفيشة بقيمة دولار، وقالت لي: “اقطع”.

سأل والش، “ماذا تفعلين؟”

أجابت كايت، “أنا ألعب...”

“أتلعبين لوحدي؟”

وزعت خمس أوراق، وأجابت، “كلا أن ألعب السوليتير”.

قال وهو يتصنّع الصبر: “أعني هل يوجد أحد عدا جون؟”

“كلا. ألا زلتَ تعمل؟”

ألقيت فيشة زرقاء، وقلت: “أبدأ بخمسة”.

ألقت فيشتين زرقاوين، وقالت: “أزيد عليكِ بخمسة”.

سأل والش، “هل تتكلمين معي عبر المجهار؟”

“أجل. كم ورقة تريد؟”

“ورقتين”.

تغلبت عليّ بورقتين، وقالت: “من الأفضل أن يكون لديك ما هو أفضل من ثلاث
أوراق من نوع واحد يا سيد”.

“إنكِ تغشين”.

قال والش: “اعذريني، هل يمكنكِ التوقف عن اللعب لدقيقة؟”

قلبت كايت يدها على الطاولة وهمست “جاء دورك”.

“أنت رفعت رهاني الافتتاحي. إنه دورك.”
“هل أنت متأكد؟”

قال والش: “الدور دورك يا كايت. لكن قبل أن تضعي رهانك، ربما يمكن لجون أن يقول لي كيف سارت الأمور بينه وبين الرائد شافير.”

قلبتُ يدي على الطاولة، وتناولت مشروبي، وقلت: “بما أنك تعرف بأننا في فندق ذي بوينت، فأنا أعتقد بأنك تكلمت معه؛ إذاً ماذا قال لك؟”

“قال بأن كايت لم تحضر اللقاء؟”

“هذا صحيح. أجريت معه محادثة بين شرطيين.”

“هذا ما كنت أخشاه. وماذا بعد؟”

سألته، “ماذا قال لك؟”

“قال لي بأنك أخبرته عن رهاننا. أعتقد بأنك في مزاج جيد للمراهات اليوم.”

كان ذلك أقصى ما لدى والش من فطنة، ولذلك أردت تشجيعه على المتابعة في ذلك الاتجاه فضحكت.

سألني، “هل كنت تشرب؟”

“كلا سيدي. لا زلنا نشرب.”

“فهمت، حسناً..”

قلت لو والش: “ألم يكن من المفترض أن تتصل بشافير قبل ذهابنا إلى هناك لكي تقول له إنني وكايت المحققان اللذان جرى تكليفهما بهذه القضية؟”

“من الواضح أنك لا تتسى زلاتي حتى عندما تكون ثملاً.”

“توم، حتى ولو كنت ميتاً، لن أنسى أنك تلاعبت بي.”

نصحتني السيد والش قائلاً: “أنت بحاجة إلى تعلّم كيفية السيطرة على غضبك.”

“لماذا؟ إنه الشيء الوحيد الذي يحفزني للذهاب إلى العمل.”

تجاهل والش عبارتي، وسألني، “هل كان شافير متعاوناً؟ هل حصلت منه على أية معلومات؟”

“توم، بصرف النظر عما أخبرني به، فسيطلعك على التفاصيل. إنه يحب مكتب التحقيقات الفيدرالي.”

قال والش: “أعتقد بأنه ينبغي أن نواصل مناقشتنا بعد أن ترتاح قليلاً.”

“أنا بخير.”

قال والش: "حسناً، لمعلوماتك فقط، تجري إعادة جثة هاري بواسطة الطائرة إلى نيويورك من أجل تشريحها". وأضاف، "علمت بأن هناك آثاراً تدل على إساءة بدنية على الجثة".

لم أعلق على كلامه.

قال والش: "من الواضح أنه لم يكن حادث صيد، ولذلك فإن مكتب التحقيقات الفيدرالي يتعامل مع القضية على أنها جريمة قتل".

سألته، "ما هو مفتاحك الأول لحل القضية؟ أرسل إليّ بواسطة الفاكس تقريراً شاملاً عن التشريح واحذر من شافير".

تجاهل نصيحتي وقال: "لقد وصل فريق من العملاء من نيويورك وواشنطن، وهم يرغبون في التحدث إليكما غداً".

أجبت، "طالما أنهم ليسوا هنا من أجل إلقاء القبض علينا، فسنتحدث معهم".

"لا تكون مهوساً، إنهم يرغبون فقط في الحصول على معلومات كاملة منك".

"حسناً. وفي هذه الأثناء، أنت بحاجة إلى قاضٍ فيدرالي من أجل إصدار مذكرة تفتيش لأرض نادي كاستر هيل ونادي الصيد في أسرع وقت ممكن".

"تعمل على دراسة الموضوع".

تدخلت كايت، وقالت: "توم، أعتقد أنا وجون بأن باين مادوكس يتآمر من أجل القيام بأمر يتجاوز التلاعب بأسعار النفط".

ساد الصمت لبعض الوقت، وقطعه والش بالسؤال، "ما هو نوع هذه المؤامرة؟"

"لا زلنا نجهل أي شيء عنها". ونظرت إليّ، وحرّكت لسانها بالكلمات "ماد، ونيوك، وإلف"، ولكنني أشرت إليها بالأخبار عنها.

أجبت، "لا نعرف لغاية الآن".

"إذاً لماذا تعتقدان بأن هناك مؤامرة؟"

"إننا..."

قلت: "سنناقش المسألة معك عندما تكون صاحبياً يا توم".

"اتصل بي غداً صباحاً. أنا أعرف بأنه لا يوجد في المكان هواتف في الغرف وأن الإرسال الخليوي ضعيف، ولكن إيّاك أن تعبت معي". وأضاف، "وإيّاك أن تفكر في تقديم فاتورة إقامتك في ذلك المكان"، وقطع المكالمة.

قلت لكاييت: "إنه دوري".

أضافت ثلاث فيشات زرقاء إلى مجموع المبالغ التي رهنّا عليها، وقالت: "إيّاك أن ترفع الرهان".

"هذه خمسة عشر دولاراً، مع خمسة عشر دولاراً أخرى".

ألفت ثلاث فيشات زرقاء أخرى، وقالت: “سأنتسمح معك”. وكشفت عن فلوش من الكوبة، وسحبت المبالغ التي راهنًا عليها نحوها. وسألتني، “ما هي أوراقك؟”
“هذا ليس من شأنك”.

جمعت الأوراق، وخلطتها، وقالت لي: “أنت خاسر سيئ”.

“الخاسرون الجيدون خاسرون أيضاً”.

“أيها المغالي في رجولته”.

“أنت تحبّين رجولتي”.

لعبنا بضع مرات، وتقدمت عليها قليلاً في لعب الورق، بالرغم من أنني بقيت الخاسر في البلياردو. قلت لها: “لنلعب لعبة السهام. دولار واحد مقابل كل نقطة”.

ضحكت، وقالت: “لا يمكنك حتى أن تضع الكوب على فمك. وأنا لن أقف في الغرفة نفسها التي تقف فيها فيما تحمل سهماً في يدك”.

“هيا بنا”. وقفت مختلّ التوازن قليلاً، وقلت: “يبدو ذلك أشبه بلعبة ثلاثية داخل صالون: ورق، وبلياردو، والسهام”.

وجدت السهام، وتراجعت إلى الوراء ثلاثة أمتار بعيداً عن اللوحة الخشبية، وبدأت بإطلاقها. أصاب أحدها اللوحة، في حين تاهت السهام الأخيرة بكل أسف وأدى سهم إلى إلصاق ستارة النافذة بالجدار.

وجدت كاييت الأمر مسلياً، وقلت: “دعينا نرى أداؤك”.

قالت لي: “أنا لا ألعب بالسهام. ولكن في وسعك تكرار المحاولة”، وضحكت.

عادت أمي حاملة صينية مغطاة بقطعة من القماش، ووضعها على المنضدة، وقالت: “ها قد حضر الطعام. سحقت لحم الحبش مع التفاح المدخن”.

قبل أن أقول لها ما يمكن لبيار أن يفعله بالسجق الذي أعدّه، قالت كاييت: “شكراً لك”.

نظرت أمي إلى السهام العالقة في الجدار، ولكنها لم تعلق، باستثناء سؤالنا. “هل اخترتما الطعام الذي تريده في وجبة الفطور؟”

سبق أن استعرضنا قائمة الطعام، وطلبنا طعام الفطور الذي لم يمكن لطاه فرنسي حتى أن يفهم معناه.

أردت مشاهدة نشرة الأخبار المسائية، فسألت أمي، “أين يوجد جهاز التلفاز؟”

أجابت، “لا توجد أجهزة تلفاز في فندق ذي بوينت”.

“ماذا لو وصل العالم إلى نهايته؟ ألن نتمكن من مشاهدة الحدث على التلفاز”.

ابتسمت على طريقة الأشخاص الذين يعرفون بأنهم يتعاملون مع شخص ثمل. خاطبت كاييت، اعتقاداً منها ربما بأنها صاحبة، وقالت: “أجل، عانينا من هذه

المشكلة يوم 11 سبتمبر/أيلول. ولهذا السبب، وضعوا جهاز تلفاز هنا في المشرب لكي يتسنى للجميع مشاهدته". وأضافت، "كان حدثاً فظيماً".

لم أعلق أنا ولا كايت، وتمنّت لنا آمي قضاء أمسية هادئة، واختلست نظرة أخرى على السهام، ورحلت.

رفعت الغطاء عن الصينية، وتفحصت السجق المصنوع من لحم الحبش الملفوف بعجينة من نوع ما. "ما هذا الطعام؟"

قالت كايت: "سغادر المكان غداً".

"يعجبني المكان".

"إن توفّق عن التزمّر، وتناول هذا السجق اللعين".

"أين الخردل؟ لا يوجد خردل".

"آن أوان الذهاب إلى الفراش يا جون". سلّمتي سترتي الجلدية، وارتدت معطفها، وجمعت حاجياتها، وحملت حقيبتها، ثم قادتني إلى خارج الغرفة.

وضعت مسدسي الغلوك على خاصرتي تحسباً لاحتمال مواجهة دبّ، واقترحت على كايت أن تفعل الأمر نفسه، ولكنها تجاهلت نصيحتي القيّمة.

كان الهواء بارداً، وكان في مقدوري رؤية أثر أنفاسي، وكانت السماء مزينة بآلاف من النجوم المنتشرة على غطاء أسود. كان في مقدوري أن أشم رائحة الصنوبر، ودخان الخشب المتصاعد من مدافئ نادي الصيد الرئيسي، كان كل شيء هادئاً.

أحبّ صخب المدينة، والخرسنة أسفل قدمي، وأنا لا أفوّت على نفسي رؤية النجوم في الليل لأن أضواء مانهاتن تولّد عالمها الخاص، كما أن ثمانية ملايين شخص أكثر إثارة من ثمانية ملايين شجرة.

لكن ما من شك في أن المكان كان جميلاً، وكنت سأسترخي في المكان، لو أن الظروف كانت مختلفة، وأستسلم للبريّة، وأتصالح مع نفسي فيما أتناول طعاماً مع عشرين شخصاً لا أعرفهم ممن جنوا مالهم على الأرجح من سرقة جيوب أفراد الشعب الأميركي.

قالت كايت: "المكان وديع جداً. ألسنت تشعر بأن التوتر والإجهاد قد خرجا من جسدك؟"

"أنا معتاد على هذا الأمر".

"عليك أن تتسّى نفسك، وتسمح للطبيعة بأن تستحوذ عليك".

"أجل. في الواقع، بدأت أتواصل مع ذاتي البدائية".

"جون، ربما يشكّل الأمر مفاجأة لك، ولكنني على اتصال وثيق بذاتي البدائية. في الواقع، لم تسنح لي بعد فرصة الالتقاء بالجانب الآخر من ذاتك".

لم أكن أعرف إن كان ذلك إطراءً أم انتقاداً، ولذلك امتنعت عن الردّ.

سرنا حول نادي الصيد الرئيسي، وتوجهنا نحو مصطبة مكسوة بالحصى. كان في مقدورنا رؤية القاعة الكبيرة من خلال النوافذ الكبيرة، وكنت أراقب الضيوف الجالسين إلى المائدتين، وهم يمارسون بجدّ لعبة السلوك المتحضر عند تناول طعام العشاء. لم يكن أي منهم من أبناء المنطقة بالطبع. وبغض النظر عن الأمكنة التي جاءوا منها، فقد وصلوا إلى المكان.

تخيّلت باين مادوكس وهو جالس في قاعته الكبيرة: المدفأة، الكلب، تذكارات الصيد، الشراب الاسكتلندي المعتق، الخادم، وربما عشيقّة أو عشيقتان. بالنسبة إلى تسعة وتسعين في المئة من البشر، هذا يعتبر أكثر من كافٍ. ولكنّ السيد باين مادوكس، بالرغم من أنه يجدر به أن يكون في غاية الرضى عن الإنجازات التي حققتها والثروة التي جمعها، كان يخضع لتوجيهات صوت داخلي ما في مكان معتم.

ما أردت قوله هو أنه مع استحضار ما دار في ذلك اللقاء، كان في مقدوري رؤية شيء في عينيه وفي سلوكه مما حملني على الاعتقاد بأنه يحمل رسالة، رجل مصير، في مكان أبعد ما يكون عن البشر.

أنا على ثقة بأن لديه أسباباً لما ينوي فعله، أسباباً يعتقد بأنها وجيهة وسبق أن ألمح إليها في الواقع عندما كنا نشرب الشراب الاسكتلندي والقهوة. ولكنني لا أبالي بأسبابه، ولا بشياطينه الداخلية، ولا بأصواته الملهمّة، ولا بجنون العظمة الواضح الذي ابتلي به. كل ما كنت أهتم لأمره هو مشاركته الواضحة في مشروع إجرامي، وأنه على الأرجح قتل صديقاً لي في أثناء سعيه لتحقيق هدفه الكبير الذي يتجاوز في حدّ ذاته حدود الإجرام بدون شك.

سألنتي كاييت، “بماذا تفكّر؟”

“أفكر في مادوكس، وهاري، والشيء النووي، والإشارات اللاسلكية، وأشياء من هذا القبيل.”

“أنا على ثقة من أننا سنكتشف الحقيقة.”

“حسناً يا كاييت، الأمر المثير في هذا اللغز هو أنه حتى وإن لم نكتشف الحقيقة، فسنعرف عما قريب الحقيقة التي لم نتمكن من اكتشافها.”

“أعتقد بأنه من الأفضل أن نكتشفها قبل أن يحصل أمر ما.”

وصلنا إلى الجهة الخلفية لنادي الصيد الرئيسي من غير أن نصادف حيواناً برياً متوحشاً واحداً، ورأيت باباً عليه لافتة خشبية كتب عليها موهوك.

دخلنا الباب غير المقفل، وقمت بإحكام مساميره الداخلية، ولكنني لم أكن متأكداً من أنه سيبقي الدببة خارجاً. ربما يجدر بي نقل الخزانة ووضعها خلف الباب مباشرة.

قالت كاييت: “أوه، هذا رائع.”

“ما هو الشيء الرائع؟”

“الغرفة. انظر إلى هذا المكان.”

“حسناً”. نظرت. كانت غرفة كبيرة ذات سقف كاتدرائي، وجدران مصنوعة من ألواح خشب الصنوبر. كان يوجد سرير ضخم بدا أنه مريح، ولكنه كان مرتفعاً جداً عن الأرضية، وأنت لا ترغب في السقوط عنه. وعلى السرير كان هناك سلّة مصنوعة من الخيزران مليئة بأدوات الزينة.

كان هناك الكثير من قطع الأثاث في الغرفة، والكثير من الوسادات والبطانيات، والتي أعرف بأن السيدات يحببنها.

وفيما كانت كايت تتحسس الأقمشة وتشمّ الأزهار، تحققت من الحمام، فأنا أهوى الحمامات، وتبين لي بأن الحمام كان جيداً. وأنا أحبّ وعاء المرحاض الجيد. غسلت وجهي في المغسلة ثم عدت إلى الغرفة الرئيسية.

كان يوجد في الجدار البعيد مدفأة كبيرة مصنوعة من الحجر، وكان يوجد في داخلها قطع خشبية وحطب للوقود قامت كايت بإشعاله بعود ثقاب. اشتعلت النار، ووقفت كايت، وقالت: “هذا منظر رومانسي للغاية”.

كان يوجد فوق المدفأة قرون أيل ضخمة ذكّرتني بأنني شبق، فقلت، “أنا شبق”.

“ألا يمكننا الاكتفاء بالاستمتاع بالغرفة؟”

“أنتِ قلتِ بأن الجو رومانسي. إذن؟”

“الرومانسية والجنس ليسا شيئاً واحداً”.

عرفت بأنني إذا جادلت في تلك النقطة، فلن أحصل على أي منهما، ولذلك قلت: “أنا متأثر جداً بذلك. اسمحي لي بالاستماع إلى الموسيقى”. كان يوجد جهاز لتشغيل الأقراص المدمجة على الطاولة وإلى جانبه مجموعة من الأقراص.

تمكنت بسرعة من العثور على قرص مدمج لإيتا جايمس، والذي عرفت بأنها تحبّه، وقمت بتشغيله. بدأ إيتا يغني بصوت خافت، “وأخيراً”.

وجدت كايت زجاجة شراب فرنسي أحمر على طاولة المائدة، ففتحتها وصبّت كأسين، وأعطتني واحدة وقالت: “لنشرب نخبنا”.

أنا لست مغزماً بالشراب الفرنسي، ولكنني اكتشفت أن الشراب الفرنسي يساوي الرومانسية، والرومانسية تؤدي إلى... كل ما قد يخطر ببالك.

أطأأت كايت الأنوار، وخلعنا أحذيتنا، وجلسنا على كرسيين منجّدين مريحين يواجهان بعضهما أمام النار المتوهجة.

قالت كايت: “الفكرة كانت جيدة باستثناء أنها باهظة الكلفة”.

“هاي، حصلتُ على نصيحة حول أسعار النفط من باين. سنشتري كميات جاهزة للتسليم من النفط حالما تفتح الأسواق. ثم أقوم بالاتصال بوكيل المراهنات في اليوم الأول لبدء الحرب”. وسألته، “هل تعتقدين بأن لهذه الحرب أية علاقة بما يخطط مادوكس للقيام به؟”

“هذا محتمل”.

“أجل... ربما ينوي مادوكس قصف بغداد بالأسلحة النووية وإغنائنا عن الحاجة إلى دخول الحرب. هل يمكن أن تكون تلك لعبته؟”

“لست أدري. ولماذا تتكهن؟”

“هذا يسمى تحليلاً. وهذا ما نتقاضى رواتبنا من أجله.”

“أنا الآن خارج وقت الدوام.”

“هل سيؤدي ضرب بغداد بالأسلحة النووية إلى رفع أسعار النفط أم إلى خفضها؟ وكيف يمكنني المراهنة عادةً شئ الحرب إذا جرى استباق الحرب بانفجار نووي؟ ما هو رأيك؟”

“أنا أفكر في أنه ينبغي عليك التوقف عن التفكير في ذلك هذه الليلة.”

نظرت من حولي في الغرفة المعتمة، التي باتت مضيئة الآن بفعل النار. كانت أسنة النار تتعكس على اللوحات الزيتية اللامعة المعلقة على الجدران. زادت سرعة الرياح، وكان في مقدوري سماع صفيرها في المدخنة ورأيت مجموعة من الأوراق وهي تصطدم بالنافذة. قلت: “هذا رومانسي فعلاً. أنا أرى الفرق الآن.”

ابتسمت، وقالت: “أنت تسير على المسار الصحيح.”

“هذا جيد. هاي، هل تعلمين بأن ويليام أفيري روكيفلر كان يجانس في هذه الغرفة بالذات؟”

“هل هذا هو الشيء الذي تفكر فيه؟ أعني، ها نحن في أحد معسكرات أديرونذاك التاريخية الرائعة، وكل ما يمكنك التفكير فيه هو كيف كان روكيفلر يجانس في هذه الغرفة؟”

“هذا ليس صحيحاً. كنت أنوي التعليق على الحركة الريفية لدى الأثرياء في الجزء الأول من القرن الماضي والتي أدت إلى بناء هذه المنازل الريفية لتكون ملاذاً بسيطاً لهم من تعقيدات الحياة المدنية بكل ما فيها من ضجيج، وتلوث، واكتظاظ في السكان.”

“هذا مثير للاهتمام.”

“كما أن روكيفلر كان شبقاً. انظري إلى ما حدث لنيلسون روكيفلر المسكين. ثم انظري إلى أويسترز روكيفلر، محار، هل تفهمين؟ وبالتالي فإن إشارتي إلى أن ويليام أفيري...”

“جون، أنت تخسر النقاط.”

“أنت محقة.” وهكذا، أصغينا إلى إيتا جايمس، وراقبنا النار، وشربنا الشراب الفرنسي. وكانت حرارة النار تشعرني بالنعاس، وتدفعني إلى التثاؤب.

وقفت كاييت، وذهبت إلى السرير، ورفعت البطانية الصوفية والوسادة بعد أن كانت قد وضعتها أمام المدفأة. ثم اندست في شيء أكثر راحة.

كان هذا اليوم سيئاً للغاية، وغداً، في حال كنا سنراه، لن يكون أفضل بكثير.
ولكن في الوقت الحالي، كنا نقضي أمتع الأوقات.

القسم 10

يوم الثلاثاء

شمال ولاية نيويورك

لقد غيّرت القوة مطلقة العنان للذرة كل شيء، وغيّرت مزاجنا في التفكير، ودفعتنا بالتالي نحو كارثة لم يسبق لها مثيل.

- ألبرت أينشتاين

الفصل 29

جاءت مكالمة إيقاظنا من النوم عند الساعة السادسة صباحاً مما جعلني أفكر في الأسباب التي دعنتني إلى طلب إجرائها. بدا وكأن رجالاً اسكتلانديين يلقون الحجارة على رأسي.

استيقظت كايث، وتمت بوضع كلمات، ثم دفنت رأسها أسفل الوسادة.

وجدتُ غرفة الحمام في العتمة، واستخدمت أدوات الزينة المتوفرة في الغرفة، ثم اغتسلت بالدوش؛ والذي بدا أنه يساوي مليون دولار، أو ألفاً ومئتي دولار على الأقل.

عدت إلى غرفة النوم، وارتديت ثيابي في العتمة، وتركت الجمال النائم ليسترخ. في الواقع، أمضى كلانا ليلة أرق بعد يوم مجهد للغاية. وللمرة الأولى منذ زمن طويل، حلمت بأنني أقف أسفل أبراج تحترق فيما الناس يقفزون من النوافذ. كما حلمت بهاري وحضوري لجنزته.

فتحت الباب الذي يؤدي إلى غرفتنا، ورأيت أنه يؤدي إلى ممر قصير مفتوح على القاعة الكبيرة.

دخلت القاعة، حيث كانت الطاولتان المستديرتان قد جُهزتا بطعام الفطور، وكانت النار تتوهج من المدفأتين في جانبي الغرفة. ولو لم أكن شرطياً، لكنت واحداً من أبناء روكيفلر.

فُتح باب المطبخ، وكان في مقدوري سماع أصوات الأشخاص الذين يحدثون ضجيجاً في المكان، وهم يعدون طعام الفطور.

**اعتقدت أنني سمعت صوتاً يقول بلكنة فرنسية سجع
بالعجين المخبوز؟ ثم سمعت ضحكة بعدها. ولكن
ربما كنت أتخيل.**

كان يوجد على طاولة جانبية قهوة وفطائر مستديرة. ملأت كوباً من القهوة بدون لبن، ومشيت عبر الأبواب الزجاجية وصولاً إلى المصطبة، وأخذت نفساً عميقاً من الهواء الجلي.

كان المكان لا يزال مظلماً، ولكن كان في مقدوري رؤية أن السماء صافية، وأنه يوم جميل آخر في هذه الجنان.

هناك اعتقاد لدى العاملين في مجال تطبيق القانون، تعززه الخبرة والإحصائيات، وهو أن الساعات الثماني والأربعين الأولى من التحقيق الجنائي هي الأكثر أهمية. ومن ناحية أخرى، يتحرك العمل الاستخباري وعمليات مكافحة الإرهاب بخطى أبطأ. وهناك أسباب وجيهة لذلك، ولكن غريزتي وخبرتي كشرطي قالت لي إن كل ما أحتاج إلى معرفته، وكل شيء سأكتشفه، سيستغرق يومين، وربما ثلاثة أيام.

لكنّ ما تفعله بتلك المعلومات خلال تلك المدة هو الذي يمثل وجه الاختلاف بين قضية أغلقت بنجاح، وبين تخبط الرؤساء المتطفلين، والمدّعين العامّين أصحاب العقول المغلقة، والمشبوهين غير المدانين، وقضاة الاستدعاء شبه الأذكياء. وإذا منحت كافة هؤلاء الأشخاص الوقت الكافي للتفكير، فسيفسدون الأمور.

فيما كنت غارقاً في أفكاري الصباحية الملهمة، جاءت كايت إلى المصطبة مرتدية روب الحمام والخف المنزلي وفي يدها فنجان من القهوة. تتأبّت، وابتسمت، وقالت: "صباح الخير".

"صباح الخير يا سيدة روكيفلر". سواء أكنت متزوجاً أم لا، البروتوكول الصباحي بعد المجانسة هو إعطاء قبلة، وتقديم مجاملة، والإشارة إلى أنكما قضيتما أمسية رومانسية من غير أن يبدو الكلام خالياً من العواطف، وأن يكون واضحاً من غير أن يكون منفراً.

تمكنت بصعوبة من تطبيق كل ما تقدم، ووقفنا على المصطبة، يد أحدها في يد الآخر، فيما كنا نشرب القهوة، وننظر إلى أشجار الصنوبر وأوراق الخريف.

بدأت الشمس تشرق، وكان الندي يفرش الأرض المنحدرة إلى أسفل نحو بحيرة سارناك العليا التي بدت هادئة جداً. كان الجو هادئاً، والهواء مشبعاً برائحة رطوبة الأرض ودخان الحطب. عرفت لماذا أحبّ هاري هذه المنطقة، وتخيّلته وهو يستيقظ صباح يوم السبت في سيارته المقطورة ليترقّب مشهداً شديد الشبه بهذا المشهد قبل أن يتابع طريقه نحو نادي كاستر هيل.

قالت كايت: "ربما عندما نفرغ من هذه القضية، سنأخذ إجازة لمدة أسبوع ونستأجر كوخاً جبلياً بالقرب من البحيرة. أأن يكون ذلك رائعاً؟"

فكرت في أنه إذا انتهت هذه القضية على غير ما نتمناه، فلن نكون بحاجة إلى أخذ إجازة لمدة أسبوع، وسيوفر لنا حينها الكثير من الوقت الحرّ.

أضافت كايت، "أعتقد بأن تلك كانت ميزة تناسب هاري".

أجبتها، "سيكون ذلك في منتهى الروعة".

شعرت كايت بالبرد، ولذلك عدنا إلى القاعة الكبيرة، وهناك، وجدنا زوجين على أريكة بالقرب من المدفأة. ملأنا كوبينا من جديد، وجلسنا على أريكة قبالة أريكة الزوجين. أشارت لغة جسدي بوضوح إلى أنه لا نية لديّ في الدخول في حوار معهما. وأعطى الرجل، الذي كان ملتحياً وفي منتصف العمر، إشارات مماثلة. لكن زوجته أو عشيقته ابتسمت وقالت: "هاي، اسمي سيندي، وهذا خطيبي سوني".

لم يكن وجه سوني مشرقاً بل بدا في الواقع متجهماً. ربما وصلته الفاتورة للتوّ. ومن ناحية أخرى، كانت سيندي مرحة ولطيفة، وعلى الأرجح أنها تتكلم مع سمكة من نوع غولد فيش في وعاء.

بدأت كايت وسيندي تتحدثان عن فندق ذي بوينت، وأبناء أديرونداك، وما إلى ذلك. بقيت عابساً وصامتاً. كانت

الحرارة المنبعثة من النار لطيفة.

كانت سيندي والعباس قادمين من لونغ أيلاند، وكان يعمل، على حدّ زعم سيندي، “في صناعة الكتب”. وكانت سيندي تعمل في ميدان العلاقات العامة وهذا هو سبب تعرّفهما على بعضهما. كنت متأكداً من أن أحدهما لا بدّ وأنه ثمل.

قالت كايت إنها كانت محامية، وهو أمر صحيح بشكل جزئي، وقالت إنها عاملة مؤهلة في ميدان الشؤون الاجتماعية، تعمل بين أوساط الجالية المسلمة، وهي قصة بدت مضحكة، ولكن العباس أصدر صوت شخير تعبيراً عن عدم موافقته.

بطريقة ما، انتقل موضوع الحديث إلى التسوّق، وقالت سيندي لكاييت بأنه توجد متاجر جيدة في قرية لايك بلاسيد. تجمّدت عينايا واعتقدت بأنه حصل الشيء نفسه لعيني العباس، ولكنني لاحظت بأنه كان ينظر إلى كايت التي انفرج ثوبها من الأعلى قليلاً. بدا واضحاً أن هذا الرجل حيوان.

وحول ذلك الموضوع، لم يكن في إمكاني سوى ملاحظة أن سيندي كانت جميلة جداً، بشعرها الأشقر الطويل، وعينيها العسليتين، وسماتها الإسكندنافية، وحضورها الرائع فعلاً، إلى غير ذلك من الصفات. بدت أصغر سناً من المدعو خطيبها بحوالي عشرين عاماً، ولم أكن أستطيع أن أتخيل الشيء الذي وجدته جذاباً فيه، باستثناء النتوء في سرواله، أقصد محفظة نقوده.

خرج العباس عن صمته وقال لي: “لديّ فكرة جيدة عن الهجرة. بصرف النظر عن المكان الذي وُلدت فيه، احرص على البقاء هناك”. ثم وقف، وألقى نظرة أخيرة على الشق الذي في ثوب كايت من زاوية أفضل، وقال لها وليس لي: “سُررتُ بلقائك”.

وقفت سيندي أيضاً، وقالت: “سئلني على مائدة العشاء. سيعدّ لنا الطاهي دجاجة الأرض هذه الليلة”.

دجاجة الأرض؟ وقفتُ، وقلت: “سمعت أن دجاجته مكنتزة ورطبة”.

ابتسمت سيندي من غير أن تباعد ما بين شفثيها.

قالت كايت: “جون”، ثم قالت لصديقينا الجديدين: “أتمنى لكما يوماً طيباً”.

أجاب العباس، “لديّ خطط أخرى”. ثم غادرا المكان.

قالت كايت: “ثنائي لا يناسب أحدهما الآخر على الإطلاق”.

“هل تتحدثين عنهما أم عنّا؟”

ترك العباس صحيفة النيويورك تايمز على الأريكة، فنظرت إلى صفحتها الأولى. تصدر الصفحة العنوان التالي: الشرخ الأميركي الفرنسي يزداد عمقاً. قلت لكاييت: “أترين؟ لو أن هؤلاء الأشخاص تناولوا طعاماً حقيقياً مثل الأيرلنديين والإنكليز، لكان لديهم بعض الشجاعة. من يأكل الحلزونات؟ إليك قصة أخرى: مهرجان للألعاب النارية في ديزني خارج باريس يتسبب في إلقاء الحامية الفرنسية القريبة من المكان أسلحتها واستسلامها إلى حافلة مليئة بالسياح السويديين”.

“جون، لا يزال الوقت مبكراً جداً للحديث عن ذلك”.

“دجاجة الأرض”. قرأت العنوان الرئيسي الذي كان: بوش يربط بين تفجير المهلى الليلي في بالي وبين شبكة القاعدة. تصفحت تفاصيل ما جاء في الخبر ورأيت أن: بعض المسلحين الإسلاميين يروجون لنظرية تقول إن الولايات المتحدة هي العقل المدبر وراء الهجوم الذي وقع يوم السبت كوسيلة من أجل التلاعب بالحكومة الإندونيسية ودعم حجتها لشنّ حرب على الإسلام.

سبق أن قال المسلحون الإسلاميون الكلام نفسه عقب هجمات 11 من سبتمبر/أيلول. كانت نظرية مشوّقة، تتميز بسمة مقنعة بما يكفي لكي تدفع ببعض الناس إلى التساؤل. أعني، أنا لا أؤمن بنظرية المؤامرة، ولكنني لا أستطيع أن أتخيل وجود أشخاص في هذا البلد، من داخل الحكومة ومن خارجها، أرادوا ذريعة لتوسيع رقعة الحرب على الإرهاب بحيث تتضمن بلداناً إسلامية معينة، كالعراق مثلاً. وفكرت في شيء قاله أحد الأشخاص الذين يثيرون الفزع في وكالة الاستخبارات المركزية أمام **الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب**: ما نحتاج إليه هو هجوم جيد واحد آخر.

أعتقد بأن في إمكاني العمل بدون ذلك، ولكنني فهمت مراد ذلك الشخص.

قالت لي كايت: “أنا ذاهبة لكي أستحمّ. ماذا ستفعل؟”

نظرت إلى هاتفي الخليوي ووجدت أنه لا يوجد إرسال. قلت: “أريد الاتصال بشافير لتحديد موعد لرؤية مسرح الجريمة، ولذلك فسأستخدم الهاتف الموجود في المطبخ. سأراك في الغرفة”.

“كن لطيفاً مع بيار”.

“أجل، أجل”.

ذهبت كايت لتستحمّ، وذهبت إلى المطبخ. كان المكان يعجّ بالحركة بحيث لم يلحظ أحد أو يأبه لوجودي فيه، ولذلك وجدت الهاتف الذي كان مثبتاً بالجدار، واتصلت بمقرّ شرطة الولاية. أجاب الرقيب المناوب، وطلب مني الانتظار. كانت رائحة منتجات اللحوم تفوح في المطبخ، وكانت عصافير معدتي تترقق.

نظرت إلى ورقة النعي في صحيفة التايمز، ولكنني لم أجد اسم هاري مولر. ربما لا يزال الوقت مبكراً لنعيه، أو ربما لم يُنشر الخبر في التايمز. تفحصت قسم الأخبار المحلية لأرى إن كان يوجد خبر عن وفاة هاري، ولكنني لم أر شيئاً.

والسبب هو أن حادثة صيد تقع في شمال الولاية لا تعتبر خبراً يستحق الذكر، بخلاف مقتل عميل فيدرالي. ولذلك، سيصدر مكتب التحقيقات الفيدرالي والشرطة المحلية بياناً مشتركاً يشير إلى أن الوفاة ناجمة في الظاهر عن حادثة عرضية، ولكن التحقيق لا يزال مستمرًا. وسيطلب إلى كل وكالة إخبارية تريد الحصول على مزيد من المعلومات أن تمتنع عن الإشارة إلى القصة لكي لا تسيء إلى عائلة القتيل، و/أو تبوح باسم أحد المشتبه فيهم. وعادة ما يتيح لك ذلك الحصول على مهلة تمتد لعدة أيام.

ناديت نادلة كانت تسير بالقرب مني، وقلت: "هل يمكنك أن تسدي لي خدمة، وتتحقي من وجبة الفطور المعدة لكوري، غرفة الموهوك. يمكنني تناول شطيرة من اللحم المملح مع نبات الجاودار".

"أتريد طعامك الآن؟"

"أجل رجاءً، إضافة إلى القهوة".

أسرعتُ بالخروج، وسمعتُ صوت شافير يقول: "صباح الخير".

بالكاد كنت أستطيع سماعه بسبب الضجيج في المطبخ. قلت بصوت مرتفع "صباح الخير. ما هو الوقت الأنسب للذهاب إلى مسرح الجريمة؟"

"كن هنا عند الساعة الثامنة. وسألتقي بك في الردهة".

"شكرًا. هل من أخبار جديدة؟"

"لقد تحدثت إلى الدكتورة غليسون ليلة أمس".

"إنها امرأة لطيفة".

"قالت إنك تجاوزت مهمة التحقق من هوية صاحب الجثة، وقمت بالوداع الأخير".

"قلت لك بأنه ظهرت على الجثة علامات تدلّ على إساءة بدنية".

"حقاً؟ وهل تفحصت أياً من أدواته الشخصية؟"

"كلا على الإطلاق". لقد تفحصتها كلها.

سألني، "هل وجدت أي شيء أيها التحري؟"

"كلا". مجرد كتابة في جيب هاري والمكالمات التي تلقّاها هاتفه الخليوي.

"هل أزلت شيئاً؟"

"كلا". باستثناء خريطة أرض نادي كاستر هيل.

"يقول عناصر الشرطة لديّ بأنك لم توقع أنت أو زوجتك قبل دخولكما المشرحة وبعد خروجكما منها".

"دعني أختصر المسألة يا حضرة الرائد، لمّ لا أذهب أنا وأنت إلى المشرحة بعد أن ننتهي من زيارة مسرح الجريمة؟"

“لم يعد ذلك ممكناً. لقد أخذ عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي الجثة ليلة أمس.”
“قلت لك، بأنه يتعين عليك التحرك بسرعة.”
“شكراً لك.”

وضعت النادلة صينية على المنضدة، وقالت: “سيتم تقديم طعام الفطور عند الساعة السابعة.”

“شكراً لك. أضيفي بعضاً من هذا البسكويت حالما يتم إخراجها من الفرن.”

سألني شافير، “كيف وجدت فندق ذي بوينت؟”

“رائع. كافة المشروبات مجانية. أين وصلنا على صعيد مذكرة التفتيش وتنفيذ عملية المراقبة؟” تناولت قزمة كبيرة من الشطيرة التي طلبتها. “هذه فردوس.”

“انسَ أمر مذكرة التفتيش في الوقت الحالي، ولكنني بدأت عملية المراقبة ليلة أمس.”

“هل وجدت شيئاً؟”

“أجل. عند الساعة 8:03 مساءً، غادرت مركبتان النادي، إحداهما مقفلة من طراز فورد ومسجلة باسم نادي كاستر هيل، والأخرى من طراز فورد توروس ومسجلة باسم شركة إنتربرايز رنت أكار.”

تخلصت من أثار اللحم بشرية من فنان القهوة، وسألته “إلى أين توجّهتا؟”

“توجّهتا إلى مطار أديرونداك الإقليمي. كانت المحطة التجارية مقفلة في تلك الساعة. وقد ترك السائقان سيارة التوروس في مرآب الإنتربرايز وسلّما مفاتيح السيارة، ثم انطلقا في المركبة المقفلة وعادا إلى نادي كاستر هيل.”

“ماذا تستنتج من ذلك؟”

أجاب، “يبدو أنهما أعادا سيارة مستأجرة. ما رأيك في ذلك؟”

يملك الرائد شافير روحاً فكاهية مقرّزة. قلت له: “تحقق من صندوق السيارة بحثاً عن أثار لها علاقة بالجثة. ما هو رقم لوحة سيارة التوروس؟”

“أنا لا أراها أمامي.” كانت تلك طريفته المؤدبة البديلة عن قول: “ماذا صنعت لي مؤخراً؟”

قلت: “شاهدت سيارة توروس زرقاء تعود لشركة إنتربرايز في نادي كاستر هيل عندما ذهبت إلى هناك.” أعطيته رقم لوحة السيارة بعد أن استحضرتة من ذاكرتي وسألته، “هل هذا هو رقمها؟”

“يبدو أنه كذلك.” وأضاف، “سأتصل بشركة إنتربرايز لكي أعرف من الذي استأجر تلك السيارة.”

أعتقد أنني ربما حصلت على تلك المعلومة من لاري، صديق كايت، الذي يعمل لدى إنتربرايز، ولكنني قلت: "هذا جيد. هل هناك معلومات أخرى كشفتها المراقبة؟"

"لا توجد معلومات أخرى. ولكن ما الذي نبحت عنه؟"

"لا يمكنك أن تعرف، ولكنني أودّ أن أعرف إن كان مادوكس لا يزال في النادي."
"حسناً؟"

"انتظر يبدو أن هناك طفلاً برداء طاهٍ بليد يحاول أن يلفت انتباهي". سألته "ماذا تريد؟"

"أريد أن أستعمل الهاتف. عليّ أن أطلب طلبية".

"ما هو الشيء الذي تريد أن تطلبه؟ دجاجة أرض؟ أنا من يتحكم بسوق دجاج الأرض. أعطني رقم هاتفك. كم دجاجة تريد؟"
"أريد استعمال الهاتف يا سيد".

"هاي، أنا أحاول إنقاذ العالم هنا يا رفيقي. انتظر لحظة". قلت لشافير: "أنا أستخدم هاتف المطبخ. سأراك عند الساعة الثامنة".

أقفلت الخط، وسلّمت الهاتف إلى الطاهي، وقلت: "إذا انتهى العالم، سيكون الذنب ذنبك".

اقترب منّي رجل وسيم يلبس رداء أبيض، والذي كنت أعرف بأنه رئيس الطهاة الفرنسي، ومدّ يده. قال الرجل بلكنة معينة: "صباح الخير". تصافحنا، وقال: "أنت بالطبع السيد كوري".

"وي".

"أوه، أنت تتكلم الفرنسية".

"وي".

"حسناً. أنا أدعى هنري، رئيس الطهاة. يتوجب عليّ التعبير عن أسفي الشديد على السجق الملفوف بالعجين المخبوز".

لفظ اسم الطبق بطريقة صحيحة، وإن لم يصف مكوناته. قلت: "هاي، أنس الأمر يا هنري".

"لم أنس الأمر، ولذلك طلبت، تطيبياً لخاطرك، مكوناتها، وسنقدم الطبق في ساعة الكوكتيل".

"هذا رائع. أحب أن يكون لون القشرة قريباً من البني".

"أجل بالطبع". وانحنى نحوي، وهمس قائلاً: "وأنا أيضاً أحب هذه الأشياء الصغيرة".

تأكدت الآن من أنه يشدّ لجامي، فقلت: “لن أخبر أحداً. حسناً، لا تتسّ أن تضيف الخردل. سأراك في وقت لاحق”.

“هل تسمح لي بأن أريك المطبخ؟”

نظرت حولي، وقلت: “يبدو جيداً”.

“يمكنك طلب أي طبق خاص لأية وجبة”.

“هذا رائع. كنت أفكر في دجاجة الأرض مؤخراً”.

“هذا مدهش. فهذه الليلة، سنقدم طبق دجاجة الأرض”.

“لا بدّ وأنك تمزح؟ حسناً، يجدر بي المشاركة في سحب اليانصيب اليوم”.

“حقاً؟ أوه، أنا أفهم”.

نظرت إلى ساعتني، وقلت: “حسناً، ينبغي عليّ...؟”

“انتظر لحظة” سحب ورقة من جيبه وقال: “هذه هي قائمة الطعام لهذه الأمسية” وقرأ “تبدأ بيخنة الفطر الجبلي، ثم يقطع الفيليه الهشة من سمك الشارب القطبي الشمالي، والتي نقدمها مع الفلفل. أعتقد بأنه يمكن أن نضيف الشراب الفرنسي الأبيض صنع كاليفورنيا. ثم نقدم دجاجة الأرض مع تشكيلة من الخضار المحلية، وشراب البورت البرتغالي. كيف وجدت القائمة؟ سيد كوري؟”

“أوّه، يبدو أنها سترضي الحشود”.

“هذا جيد. ثم ننهي وجبتنا باستكشاف أنواع الشوكولاته”.

“خاتمة ممتازة”.

“مع شراب ذهبي اللون بالطبع. هل ستتضمّن إلينا مع زوجتك في تناول الغداء؟”

“كلا، سنحضر سباق السناجيب المقلمة. أشكرك على...”

“حسناً، يتوجب عليّ إذاً أن أوضب لك غداء للنزهة. متى ستغادر الفندق؟”

“بعد عشرين دقيقة. أرجوك ألاّ تزعج نفسك...”

“أنا أصرّ على القيام بذلك. ستجد سلّة تحتوي على طعام الغداء في سيارتك” ومدّ يده وتصافحنا، وقال: “ربما تكون بيننا خلافات، ولكننا نظلّ أصدقاء، أليس كذلك؟”

بلى. كان قد بدأ يساورني إحساس بالندم على موقفي المعادي للفرنسيين، ولذلك قلت: “سوية، يمكننا تأديب بعض العراقيين. أليس كذلك؟”

لم يكن هنري واثقاً من ذلك، ولكنه ابتسم، وقال: “ربما”.

“يمكننا ذلك. سأراك في وقت لاحق”.

وفيما كنت أغادر المطبخ، سمعت هنري وهو يصيح مصدرراً أوامره بإعداد غداء لنزهتي. على رسلك يا هنري.

عدت إلى الغرفة، وقلت لكاييت التي كانت تتزيّن أمام المرأة، “علينا أن ننطلق بسرعة. علينا أن نكون في مقر شرطة الولاية عند الساعة الثامنة”.

“طعام الفطور موجود على الطاولة. ماذا قال لك الرائد شافير؟”

“سأخبرك ونحن في طريقنا إليه. أين توجد حقيبتك؟”

“إنها أسفل السرير”.

مددت يدي أسفل السرير، وسحبت الحقيبة، وبدأت أقلب رزمة عقود تأجير السيارات التي حصلنا عليها من شركة إنتربرايز فيما كنت واقفاً بجانب الطاولة، وكشفت الغطاء عن السلة التي كانت تحتوي على البسكويت الحارّ.

“ما الذي تبحث عنه؟”

“الزبدة”.

“جون..”

“آه. ها قد وجدتها”.

“ماذا وجدت؟”

“وجدت عقد تأجير السيارات الذي يحتوي على رقم لوحة السيارة التي شاهدناها في نادي كاستر هيل”. وضعت العقد على الطاولة وأضفت الزبدة إلى قطعة من البسكويت.

“من الذي استأجر تلك السيارة؟”

“ربما يكون من استأجرها مثيراً للاهتمام”.

“من يكون؟”

“هذا هو اسمه. إنه روسي، ميخائيل بوتيوف”.

فكرت في الأمر ثم قالت: “لا يبدو لي أنه عضو في النادي”.

“ولا يبدو لي ذلك أيضاً. ربما يحب مادوكس أن يدعو الأعداء القدامى في الحرب الباردة من أجل استعادة ذكريات الماضي”. وفيما كنت لا أزال واقفاً، تناولت شيئاً من العجة، وقلت لكاييت: “هل تريدين تناول طعام الفطور، أم ترغبين في مواصلة أعمال الدهان؟”

لم أسمع جواباً.

قلت: “ينبغي علينا أن نذهب الآن”.

لم أسمع جواباً.

سألته، “يا عزيزتي، هل يمكنني إحضار عصيرك وقهوتك وقطعة من الخبز المحمص؟”

“أجل من فضلك”.

لم أكن قد تدرّبت جيداً على ذلك بعد، ولكنني كنت أتعلم. أحضرت عصيرها، ودهنت البسكويت بالزبدة، وأحضرت القهوة إلى طاولة الزينة وسألتها، “هل يتوفر إرسال خليوي؟”

“كلا”.

“إذاً، أنا بحاجة إلى إجراء مكالمة أخرى من المطبخ”.

“بمن ستتصل؟”

“بشخص يمكنه الاستقصاء عن هذا الرجل الروسي”.

“اتصل بمكتبنا”.

“أفضّل عدم القيام بذلك”.

قالت لي: “إننا في مشكلة أصلاً يا جون، وأنت تفهم ذلك. أليس كذلك؟”

“إليك كيفية عمل هذا العالم. المعلومات قوة. وإذا أفصحتِ عن معلوماتك، فأنت تفقدين بذلك عن قدرتكِ على التفاوض بشأن المشكلة التي أنتِ فيها”.

أجابت، “إليك طريقة عمل عالمي. ابقِ بعيداً عن المشكلات”.

“أعتقد بأننا تأخرنا كثيراً على القيام بذلك يا عزيزتي”.

الفصل 30

عدت إلى القاعة الكبيرة التي كان يوجد فيها حوالي عشرة أشخاص، بمن فيهم سيندي وسوني، موزعين على الطاولتين، ويتناولون طعام الفطور. ابتسمت سيندي، ولوّحت بيدها، فيما كان سوني يبحث عن كاييت.

عدت إلى المطبخ، لأجد الطفل نفسه، يستخدم الهاتف أيضاً، وهو يوصي بطلبية أخرى. قلت له: "هنري يريد رؤيتك. الآن."

"ماذا قلت؟"

"أريد استعمال الهاتف. الآن."

عبس في وجهي، ولكنه أقفل الخط، ثم ابتعد، وهو يدب على الأرض. ينبغي على الصغار أن يتعلموا الصبر وكيفية احترام الآخرين.

حصلت على رقم الهاتف من دليل الهاتف، وطلبت الرقم.

سمعت صوتاً مألوفاً يقول: "خدمة كيرنز للتحريات."

قلت: "أظن أن كلبتي جاسوس عراقي. هل يمكنك استقصاء معلومات عنه؟"

"من المتكلم؟ كوري؟"

ضحك وقال: "أطلق النار على الكلب. كيف حالك؟"

"رائع، وأنت؟"

"ممتاز. من أين تتصل؟"

"من ذي بوينت"

"ما هو ذي بوينت؟"

"أية نقطة؟ أه، إنه المكان الذي أقيم فيه. سارناك لايك."

"هل أنت في إجازة؟"

"كلا أنا في مهمة. كيف حال الوالدة؟"

"مجنونة كما كانت دائماً. كيف حال كاييت؟"

"إنها بخير. إننا نعمل معاً."

تبادلنا حديثاً مؤدياً لمدة دقيقة. ديك كيرنز هو تحرّ جنائي سابق في شرطة ولاية نيويورك، وأحد عناصر شبكتي الزرقاء التي لاحظت أنها تتناقص كل عام مع تقاعد أعضائها أو انتقالهم، أو وفاتهم نتيجة لأسباب طبيعية؛ أو كما حدث مع دوم فانيلي، وستة أشخاص آخرين أعرفهم، ممن توفوا أثناء تأديتهم الخدمة يوم 11 سبتمبر/أيلول.

كما عُيِّنَ ديك لفترة قصيرة في الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب حيث حصل على تصريح عالي السريّة، وتعلّم كيفية عمل العملاء الفيدراليين، ولذلك عندما تقاعد، صار يجري تحقيقات عن خلفيات أشخاص لصالح مكتب التحقيقات الفيدرالي بشكل مستقل. وهو يعمل في صناعة متنامية منذ 11 سبتمبر/أيلول، ويجني من المال أكثر مما كان يجنيه أثناء عمله كشرطي مع إجهاد أقلّ. هذا من حسن حظ ديك.

قلت له: “ديك، أنا بحاجة إلى بعض المعلومات المتعلقة بشخص معين”.
“حسناً، ولكنني غارق في العمل. سأبذل كل ما في وسعي. متى تريد هذه المعلومات؟”

“في وقت الظهيرة”.

ضحك، وقال: “أمامي عشرة استقصاءات أقوم بها لصالح مكتب التحقيقات الفيدرالي، وقد تأخرت في تسليمها”.

“أعطهم كافة التصاريح الأمنية وأرسل الفاتورة. انظر، أريد في الوقت الحالي بعض المعلومات الموجودة في السجلات العامة وربما متابعة بعض المكالمات الهاتفية”.

“في وقت الظهيرة؟”

لاحظت أن بعض الأشخاص بدوا مهتمين بمحادثتي، ولذلك خفّضت صوتي، وقلت لديك: “ربما تكون مسألة تتعلق بالأمن القومي”.

“وأنت تتصل بي بالرغم من ذلك؟ لماذا لا تطلب من مكتبك القيام بذلك؟”

“سألتهم، ولكنهم أرشدوني إليك. أنت الأفضل”.

“جون، عدت لتحشر أنفك في ما لا يعنيك”.

من الواضح أن ديك تذكر أنه ساعدني في السابق بطريقة غير رسمية في قضية تي دبليو أي 800، وهو يظن الآن أنني عدت إلى الأعيبي القديمة مجدداً. هذا صحيح، ولكن ما سبب انزعاجه من ذلك؟ قلت له: “سأدين لك بخدمة كبيرة”.

“أنت مدين لي في القضية السابقة. انظر، ماذا حصل في قضية التي دبليو أي 800؟”

“لم يحصل شيء. هل أنت جاهز لسماعي؟”

“جون، أنا أقوم بذلك لكسب لقمة عيشي. إذا ساعدتك، فقد أصاب بالإفلاس، أو أطرده من عملي، أو يُلقى القبض عليّ.”

“الاسم الأول هو ميخائيل”، وقمت بتهجئة حروفه.

تتهّد، وأعاد تهجئة الاسم، وسأل “هل هو روسي؟”

“ربما. الاسم الأخير هو بوتيوف”. قمت بتهجئة حروفه، وتأكد من صحة سماعه للحروف، وقال: “أمل بأنه يتوفر لديك هو أكثر من ذلك.”

“سأقوم بتسهيل الأمر عليك. حصلت على عقد لاستئجار سيارة. وما لم يكن اسم هذا الشخص مزوراً، فإن المعلومات التي أعطيتك إياها هي كل ما ستحتاج إليه.”

“هذا جيد. قل لي ما لديك.”

أعطيته كافة المعلومات ذات الصلة الواردة في اتفاقية تأجير السيارة، بما في ذلك عنوان بوتيوف، الذي كان كامبريدج، ولاية ماساشوستس. قال ديك: “حسناً، ينبغي أن تكون العملية سهلة. ماذا ينوي هذا الشخص أن يفعل؟ وما هي الناحية التي تهتم فيها؟”

“لست أدري ما يريد هذا الرجل أن يفعله، ولكنني بحاجة إلى معرفة الوظيفة التي يعمل فيها.”

“سأزودك بهذه المعلومة مع الرزمة الأساسية. أين تريدني أن أرسل الفاتورة؟”

“إلى زوجتي السابقة”. لم يكن ديك بحاجة إلى سبب آخر لأداء هذه الخدمة عدا مساعدة رفيق له في الشرطة، ولكن لكي أتأكد من أنه متحفظ بما يتجاوز زاوية الأمن القومي قلت له: “هل تذكر شخصاً كنت أعمل معه في مبنى بلازا 26 الفيدرالي، هاري مولر؟”

“أجل. إنه شخص متقاعد من وظيفته، سبق أن حدثتني عنه.”

“أجل. حسناً، لقد قُتل. قُتل في هذه المنطقة، بالقرب من سارناك لايك. ربما تجد نعيّاً أو ما شابه في التقارير، وربما يذكر الخبر أنه قتل إثر تعرّضه لحادث صيد. ولكنه راح ضحية جريمة قتل.”

“يا إلهي، هاري مولر؟ ما الذي حصل؟”

“هذا ما أنا بصدد الكشف عنه.”

“وهل هذا الشخص الروسي متورّط في الأمر؟”

“إنه متورّط مع شخص أعتقد أنه القاتل.”

“حسناً، إذاً عند وقت الظهيرة. هل يناسبك ذلك؟ كيف يمكنني الاتصال بك؟”

“إن استقبال المكالمات الخليوية سيئ هنا، ولذلك سأقوم أنا بالاتصال بك. كن في مكان يمكنني من الوصول إليك.”

“بالتأكيد.”

“أشكرك. ابعث بتحياتي إلى الوالدة”.

“ابعث بتحياتي إلى كايت”.

وضعت السماعة، وغادرت المطبخ. وجدت أنني بحاجة إلى مكان أفضل لكي أدير هذه العملية.

عدت أدراجي إلى القاعة الكبيرة، ومشيت في الغرفة المستديرة، ثم خرجت من الباب حيث شاهدت كايت جالسة في مقعد القيادة في السيارة.

ركبت في المقعد الجانبي، وقلت: “حسناً، سنحصل على بعض المعلومات المتعلقة بميخائيل بوتيوف عند الظهيرة”.

أدارت محرك التوروس وغادرنا المكان.

نظرتُ إلى ساعة السيارة، وقلت: “هل تعتقدان بأن في إمكاننا الوصول إلى المقرِّ في غضون ثلاثين دقيقة؟”

“هذا هو سبب قيادتي للسيارة يا جون”.

“هل يتوجب عليّ أن أذكرك بخوفك الشديد من زحمة السير في مانهاتن؟”

“أنا لا أشعر بالخوف... أنا أتدرب على أساليب المراوغة”.

“وهذا ما يفعله كل من في حولك”.

“هذا أمر مسلٍّ للغاية. هاي، ما الذي يوجد في المقعد الخلفي؟”

نظرت من وراء كتفي وقلت “أوه، فكّرت سلفاً، وطلبت من رئيس الطهاة أن يعدّ لنا غداء لناأكله في النزهة”.

“هذا تفكير جيد. هل التقيت به؟”

“أجل. اسمه هنري”.

“هل كنت فظاً؟”

“بالطبع لا. إنه يقوم بإعداد السجق الملفوف بالعجين أثناء حفلات الكوكتيل. إنه يعدّها لي فقط”.

لا أعتقد بأنها صدقتني.

مررنا عبر البوابات، وسرنا في درب ضيق تحفه الأشجار، وانعطفنا نحو الطريق. ضاعفتُ كايت السرعة، وانطلقنا قاصدين مقرّ شرطة الولاية ما لم يرونا أولاً ويوقفوننا بسبب قيادتنا المتهورّة.

سألنتي كايت، “هل من شيء جديد لدى الرائد شافير؟”

“أجل. لقد عمل بنصيحتي وبدأ عملية مراقبة لأرض نادي كاستر هيل”.

“وماذا أيضاً؟”

“لقد أعيدت السيارة المستأجرة من شركة إنتربرايز التي رأيناها هناك، والتي استأجرها بوتيوف، إلى المطار”.

“إذاً، هل رحل بوتيوف؟”

“إذا كان هو من قاد السيارة، فهو لم يغادر من المطار ليلة البارحة، لأنه أو أي شخص آخر كان يقود السيارة، عاد إلى نادي كاستر هيل في مركبة مقفلة”. وسردت لها تفاصيل مكالمتي فيما كانت تقود السيارة، ثم أخرجت عقد تأجير السيارة من جيبتي وتفحصته. قلت: “استأجر بوتيوف السيارة صباح يوم الأحد، وهذا يعني أنه قدم بالطائرة في ذلك اليوم على متن الرحلة القادمة من بوسطن أو ألباني”.

قالت: “لقد قدم من بوسطن، لأنني تحققت من جداول أسماء الركاب. وصل ميخائيل بوتيوف إلى مطار أديرونديك الإقليمي، سارناك لايك يوم الأحد عند الساعة 9:25 صباحاً”.

“هذا جيد. إنه يقيم في كامبريدج”. نظرتُ إلى عقد الإيجار، وقلت: “استأجر بوتيوف السيارة ليومين، أي أنه من المفترض أن يعيدها اليوم. وبدلاً من ذلك، أعيدت إلى مرآب المطار ليلة البارحة”. سألتها، “هل تحققت من الحجوزات في الرحلات التي حصلنا عليها من بيتي؟”

“أجل. من المقرر أن يغادر بوتيوف اليوم عند الساعة 12:45 من بعد الظهر إلى بوسطن”.

“حسناً، سنتحقق من ذلك”. فكرت للحظة، ثم قلت: “أتساءل لماذا قدم بوتيوف إلى هذا التجمع متأخراً عن الباقيين، ولماذا لا يزال هناك بعد أن غادر الجميع”.

“هذا يتوقف على السبب الذي جاء إلى المكان من أجله. ربما كان يتعامل مع مادوكس في تجارة النفط”.

أجبتها، “السيد مادوكس رجل مشغول، ويؤدي مهمات متعددة. فهو يمضي عطلة نهاية الأسبوع مع أصدقاء قدامى ونافذين، ثم يقتل عميلاً فيدرالياً، ثم يختم عطلته مع روسي قادم من كامبريدج، بولاية ماساشوستس”. وأضفت، “لا أعرف كيف تمكن من إدراج كل ذلك في جدول أعماله”.

علقت كايت قائلةً: “أنا لا أعتقد بأن هاري كان جزءاً من خطته ليوم عطلة الأسبوع”.

ولكن ربما كان كذلك.

توجهنا شرقاً على الطريق 86، وبدأ أن كايت تجد متعة في السير في المسرب المعاكس مع اقتراب شاحنة منا بسرعة. قلت لها: “خففي السرعة”.

“لا أستطيع. إن دواسة الوقود عالقة، والمكابح لا تعمل. ولذلك، أغلق عينيك، ونم قليلاً”.

لدى كايت، التي نشأت في منطقة ريفية، الكثير من هذه النكات السخيفة التي تقولها على الطرقات، والتي لم أجد أياً منها يثير الضحك.

أبقيت عينيّ مفتوحتين، ونظرت من زجاج السيارة.

قالت لي كايت: "أريد الاتصال بجون ناسيف. هل تعرفه؟"

"كلا، ولكن لديه اسم أول جميل".

"إنه من استخبارات البحرية المضادة، وقد أُلقِىَ بالوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب".

"ماذا تقولين؟"

"إنه يعمل في قسم الاتصالات".

"أسأليه عن هاتفي الخليوي".

تجاهلت كلامي، وقالت: "كنت أفكر في فريد، أحد المحاربين القدامى في البحرية. وبالتالي، إذا كان لتردد الموجات علاقة ما، ينبغي أن نسأل شخصاً يعمل في الاتصالات في سلاح البحرية عن 'إف' لنعرف إن كنا قد توصلنا إلى شيء".

لم أكن متأكداً من أنني أفهم هذا التحليل، ولكن ربما كانت كايت تفكر في أمر ما. ومن ناحية أخرى، لم أشأ الاتصال بمبنى البلازا 26 الفيدرالي لطرح أسئلة مثل هذه، ولذلك قلت: "أنا أفضل عدم الاتصال بمكتبنا".

"ولمَ لا؟ فهذا هو المكان الذي نعمل فيه".

"هذا صحيح، ولكنك تعرفين كيف يتناقل الجميع الشائعات هناك".

"إنهم لا يتناقلون الشائعات، وإنما يتبادلون المعلومات ويقدمونها. المعلومات قوة، أليس كذلك؟"

"فقط عندما تحتفظي بها لنفسك. دعينا نستخدم الإنترنت لنعرف ما تعنيه عبارة 'إف'".

"يمكنك استخدام الإنترنت، أما أنا فسأتصل بخبير".

"حسناً، ولتكن لعبة منزلية، مثل 'مرحباً يا جون، لدينا رهان يتعلق بالموجات اللاسلكية بالغة الانخفاض. تقول شقيقتي بأنها بالكاد تسلق بيضة، ويقول زوجي بأنها تقلي دماغي".

"هل تريده أن يعتقد بأننا أغبياء؟"

"بالضبط".

"أنا لست ماهرة مثلك في ادعاء الغباء".

"إذاً، دعيني أتصل به".

“كلانا سيتصل به”.

وصلنا إلى هامليت أف راي بروك، وبدأت كايث تخفف سرعة السيارة. وبعد فترة وجيزة، أوقفت السيارة في مرآب مقر الشرطة الولاية. كانت الساعة 8:05 صباحاً.

حملت كايث حقيبتها، وخرجنا من السيارة، وبدأنا نمشي نحو واجهة المبنى، ولكن سيارة أخرى خرجت من المرآب فجأة، توقفت أمامنا مباشرة.

لم يتبين لي سبب ذلك، ولكنني كنت متأهياً.

انخفض زجاج المقعد الجانبي الأمامي، وأطلّ الرائد هانك شافير برأسه وقال: “اركبا”.

ركبنا سيارته، كراون فيكتوريا بدون علامات مميزة، أنا في المقعد الأمامي وكايث في المقعد الخلفي. تساءلت لماذا كان ينتظرنا في المرآب بدلاً من انتظارنا في الردهة، ولكنه أوضح السبب بقوله “أتى رفاق لكم إلى عندي هذا الصباح”.

لم أحتج إلى الاستفسار عنهم.

انعطف نحو الطريق العام، وقال: “وصل ستة منهم. ثلاثة من المكتب الميداني في نيويورك، واثنان من واشنطن، وواحد من مكتبك”.

قلت: “إنهم مبعوثون من قبل الحكومة، وقد جاءوا لمساعدتك”.

“لقد جاءوا لأخذ ملفاتي”.

قالت كايث، التي كانت تجلس في المقعد الخلفي: “اعذرنني، أنا من مكتب التحقيقات الفيدرالي”.

قلت لها: “إننا لا نوجه انتقاداً إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي يا عزيزتي”.

لم تردّ كايث على كلامي.

سألت شافير، “من هو الشخص الذي قدم من الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب؟”

“إنه شخص يدعى ليام غريفيث. هل تعرفه؟”

“بالطبع. إنه من مكتب المسؤولية المهنية”.

“ما معنى هذا الاسم؟”

“إنها التسمية الفيدرالية البديلة عن تسمية ‘الشؤون الداخلية’”.

“حقاً؟ حسناً، إنه يبحث عنكما”.

نظرتُ إلى كايث التي بدا أنها مستاءة بعض الشيء.

بعض الناس يطلقون على ليام غريفيث اسم منفذ القانون، ولكن الرفاق الأصغر سنًا يسمونه العميل الأسود، وأنا أسميه المهماز.

أذكر أنه كان من المفترض أن يحضر غريفيث الاجتماع في مبنى التجارة العالمي، ولكن يبدو أنه وصل متأخراً جداً، أو أنه لم يتلق دعوة في الأساس. وعلى أية حال، نجا من مصير كل من كان هناك في ذلك الصباح.

كما أن بعض المشاجرات حصلت بيني وبين السيد غريفيث أثناء التحقيق في قضية تي دبليو أي 800، وكانت كلماتي الأخيرة له في مشرب إيكو، “اغرب عن وجهي”.

عمل باقتراحي، بالرغم من أنه لم يعمل به بشكل جيد. وها هو قد عاد الآن.

وجهت كايت لشافير السؤال التالي، “ماذا قلت له؟”

“قلت له بأنه على الأرجح أنكما ستأتيا إلى المقرّ اليوم. وقال إنه يرغب في رؤيتكما عندما تصلان”. وأضاف، “اعتقدت بأنكما ترغبان في تأجيل ذلك اللقاء”.

قلت لشافير: “شكراً لك”.

لم يُظهر امتنانه لشكري ولكنه قال: “اتصل بي رئيسك توم والش بعد رحيلك. وسألني عن القضايا التي تناقشنا فيها، فطلبت منه أن يسألك”.

أجبت، “هذا جيد. وأنا طلبت منه أن يسألك”. وقلت: “هل قلت له إننا ننزل في فندق ذي بوينت؟”

“كلا. لماذا؟”

نظرتُ إلى كايت، ثم قلت لشافير: “حسناً، لقد ترك لنا رسالة هناك”.

أعاد شافير القول: “لم أت على ذكر المكان الذي تنزلان فيه”.

اعتقدت بأنه ربما قابل عملاء من مكتب التحقيقات في المدينة، أو ليام غريفيث نفسه، صديقي ماكس في الهيرنز. سألت شافير، “هل ذكر لك والش أننا مكلفان بهذه القضية؟”

أجاب شافير، “كلا. ولكنه لم يقل أيضاً بأن غريفيث موجود هنا من أجل إبعادكم عنها”. وأضاف، “ولكنني أعتقد بأنه جاء إلى هنا من أجل ذلك”.

إذا كان في مقدوري وكايت أن نتحدث بحرية الآن، فعلى الأرجح أننا سنتفق على أن توم والش خذلنا. في الواقع، لم أقدر على كتم ذلك في نفسي، وقلت لكايت: “لقد نكث توم بالاتفاق”.

أجابت، “كيف لنا أن نعرف ذلك؟” وأضافت، “ربما يريد ليام غريفيث منا... أن نفهم طبيعة مهمتنا هنا”.

أجبتها، “أنا لا أعتقد بأن هذا هو سبب اتصال والش بمكتب المسؤولية المهنية، أو أن هذا هو سبب مجيء غريفيث إلى هنا”.

لم تردّ على كلامي، ولكن شافير قال: "آخر عبارة سمعتها كانت بأن لديكما سبعة أيام لحل القضية، وإلى أن يصلني خلاف ذلك، أنتما المكلفان بالتحقيق".
"هذا صحيح".

في هذه الأثناء، صرت بحاجة إلى أن أتقدّم على ليام غريفيث دائماً بخطوة.

الفصل 31

بعد مرور أقل من ساعة على مغادرتنا راي بروك، خرجنا من الطريق 56 عند ستارك رود.

كان هاتفان الخليويان ومجيبانا الصوتيين هادئين على غير العادة طوال الصباح وهو ما كنت سأعتبره نعمة عظيمة لو لم يكن الأمر نذير شؤم.

في الواقع، لم يعد رفيقنا المعتاد على الهاتف، توم والش، يتصل بنا بعد أن بعث منفذ القانون لكي يستقصي عنّا. بحلول هذا الوقت، لا بد وأن والش وغريفيث تحدثا عبر الهاتف بضع مرات، وهما يحاولان التكهن بما يقوم به التحريّ كوري والعملية الخاصة مايفيلد اللذان يُعرفان بالعميلين المرتدّين.

كنت متأكداً من أن غريفيث طمأن والش إلى أن الوغدين سيرحلان عما قريب، وأنهما سيكونان في عهده قبل أن يصلا إلى وسط الردهة في مقرّ شرطة الولاية، وفي طريقهما إلى المطار حيث تنتظرهما طوافة تابعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي لتقلّهما إلى مانهاتن.

حسناً، هذا ما لن يحدث أبداً.

أطفأت هاتفي الخليوي ومجيبتي الصوتي، وطلبت من كايت أن تفعل الشيء نفسه.

سلك شافير الطريق نفسه الذي أرشدنا إليه رودي، وفي غضون خمس عشرة دقيقة، وصلنا إلى نقطة تقاطع حيث يتجه الطريق ماكوين بوند شمالاً نحو بيت الحراسة في نادي كاستر هيل.

مع اقترابنا من نقطة التقاطع، شاهدت شاحنة صغيرة برتقالية اللون متوقفة بجانب الطريق ويوجد على بابها شعار الولاية. كان بالقرب منها رجلان ينظفان الطريق.

خفف شافير من سرعة السيارة وقال لهما: "شرطة الولاية".

أوقف السيارة، وتعرّف الرجلان على الرئيس واقتربا من السيارة. بدا أنهما يريدان إلقاء التحية، ولكنهما كانا يعملان متتكرّين، ولذلك أوما كل منهما برأسه وقال: "صباح الخير يا حضرة الرائد".

سأل شافير، "هل لاحظتما أي نشاط؟"

أجاب أحد الرجلين، "كلا سيدي. لم يخرج أو يدخل أحد. المكان هادئ".

مازحهما قائلاً: "لا تُجهدا نفسيكما بالعمل، فهذا سيفضح غطاء الخدمة المدنية".

ضحك الشرطيان، فيما واصلنا سيرنا.

قال شافير: "إذا شاهدنا مركبة قادمة من كاستر هيل وتنعطف في اتجاه الطريق 56، فسيصلان عبر اللاسلكي بمركبة لا تحمل علامة الولاية لتتولى أمر

ملاحقتها على الطريق، كما فعلت في الليلة الماضية عندما لاحقت المركبة المقفلة التابعة لنادي كاستر هيل والسيارة التابعة لشركة إنتربرايز”. وأضاف، “وفي حال سلكت المركبة المعنوية هذا الطريق نحو الغابة، فستلحقها الشاحنة”.

أضاف شافير، “استخدمنا مساء البارحة شاحنة تابعة لشركة الكهرباء. وبعد يوم أو يومين، لن تكون لدينا أعذار تبرر وجودنا عند تقاطع الطريق وسط الغابة”. سألته، “هل تعتقد بأن أياً من الموجودين في أرض كاستر هيل على دراية بأمر المركبتين؟”

“بالتأكيد. قال الشرطيان بأن الحرس التابع للنادي يجوب هذا الطريق مرتين على الأقل يومياً مستخدماً سيارة جيب، حيث يتجولون في أرجاء المكان، ثم يعودون إلى النادي”. وأضاف، “إنه شكل من أشكال الاستطلاع”.

قلت: “كان باين مادوكس ضابطاً في سلاح المشاة”.

“أنا أعرف ذلك. وهو يعرف بأن عليه استطلاع المنطقة التي تحيط بأرضه”.

كان مادوكس مهوساً أيضاً، وهو الأمر الذي يفيد الأشخاص الذين يلاحقونه.

واصلنا سيرنا على طريق قطع الأخشاب، وقالت كايت: “جون، فهمت ما كنت ترمي إليه بشأن مهمة المراقبة التي كان يقوم بها هاري. كان في مقدوره تنفيذها بعيداً عن تلك الأرض، في المكان الذي توجد فيه مركبة الرائد شافير”.

أجبتها، “هذا صحيح. طريق واحدٌ للدخول، وطريق واحد للخروج”. وفي ما يختص بالضيوف الوافدين في المركبة المقفلة من المطار، ينبغي أن يوجد من يراقب سراً داخل المطار لمعرفة من قدم على متن الطائرات القادمة من بوسطن وألباري، ومن يستقل المركبة المقفلة.

بدلاً من ذلك، قام والش بإرسال هاري، لوحده، إلى أرض النادي. وإما أن يقال بأنها كانت مراقبة أسوء التخطيط لها ونفذت بأقل كلفة، أو أنها كانت شيئاً آخر، كأن يكون هناك شخص أراد الإيقاع بهاري. حسناً، ليس هاري على وجه التحديد، وإنما أي شرطي في الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب يجري تكليفه بهذه مهمة مراقبة ما يسمى بالإرهاب المحلي، مثلي أنا على سبيل المثال.

بقدر ما يبدو هذا التحليل مثيراً، فهو يفتقد إلى الكثير من المنطق. ينبغي أن أصنف القضية ضمن الفئات المعتادة للتخطيط السيئ، أو الغباء المكتبي، أو عاداتي السيئة في التوجيه الإداري صباح يوم الاثنين.

قطع عليّ شافير حبل أفكاري وقال: “لن أحلم بانتقاد كيفية إدارة هؤلاء الأشخاص لمهماتكم، ولكن لم يكن يتوفر لدى صديقكم أي أمل في إنجاز مهمة المراقبة لتلك الأرض”.

لم أجب أنا ولا كايت، وواصل شافير حديثه وقال: “لو أنكما اتصلتما بي، لكنك أعطيتكما خريطة للمكان، وقدمت لكما بعض الرجال والنصائح”.

أجبت، “في بعض الأحيان، يمكن أن يكون الفيدراليون متعجرفين وكتومين بعض الشيء”.

“أجل، في بعض الأحيان”.

ولكي أغيّر الموضوع فيما نتحدث عن نصائح شافير المتعلقة بالاستعانة بخدماته، سألته، “هل تمكنت من تحديد مكان فريد؟”

“من؟ آه، الجندي السابق في سلاح البحرية. لم أفعل ذلك بعد. ولكنني سأتحري عن الأمر”.

من الواضح أن الرائد شافير لم يمض الكثير من الوقت في محاولة تحديد مكان فريد. وأنا واثق من أنه لم يعتقد بأن ذلك في منتهى الأهمية. وأنا نفسي لم أكن أعتقد ذلك إلى أن اقترحت كايت الاتصال بفريد الذي يعمل في قسم الاتصالات في الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب لسؤاله عن ‘إف’. وأنت لا تعرف ما يخبئه لك ذلك، أو ما إذا كان سيوصل بين نقطتين لم تكونا حتى على الصفحة ذاتها.

انعطفنا نحو درب موحل بالكاد كان يسمح بمرور السيارة. قال شافير: “هذا هو الدرب الذي وجدنا الجثة فيه على مسافة كيلومترين تقريباً من هنا، ثم وجدنا السيارة المقطورة على مسافة خمسة كيلومترات تقريباً”. وأضاف، “هناك ستة كيلومترات تقريباً تفصل بين السيارة المقطورة والسياح الذي يحيط بأرض نادي كاستر هيل. وهي مسافة يمكن اجتيازها في غضون ساعة سيراً على الأقدام بسرعة متوسطة”.

لم أعلق على ما قاله وكذلك كايت.

واصل الرائد شافير حديثه فقال: “إذاً، أنتما تعتقدان بأن هاري مولر أوقف سيارته المقطورة في الأصل في مكان أقرب بكثير، وأنه دخل الأرض عند الساعة الثامنة صباحاً تقريباً من صباح يوم السبت، حيث وقع في أيدي حراس النادي، وبطريقة ما، جرى استجوابه بالقوة، وربما تم تخديره بعد ذلك، ونقله وسيارته

المقطورة إلى هذا الدرب حيث قتل، وأن مقطورته نُقلت مسافة بضعة كيلومترات إضافية بعيداً عن الدرب. هل هذا ما تفكران فيه؟”

أجبت، “هذا ما نفكر فيه”.

أوماً شافير برأسه، وقال: “ربما وقعت الجريمة بهذه الطريقة”. ولكنه سألني أو سأل نفسه “لكن لماذا يقدمون على قتل عميل فيدرالي؟”

أجبت، “هذا ما أنا بصدد معرفته”.

سألته كايته، “هل سبق أن تعرض شخص آخر لحادث صيد على هذا الدرب أو قريباً منه، أو بالقرب من أرض نادي كاستر هيل؟”

أبقى شافير عينيه على الدرب الضيق، وأجاب “لا أزال أفكر في هذا السؤال منذ أن طرحه كوري عليّ البارحة، ولذلك قمت بالاستقصاء عن الأمر، ووجدت أن الجواب هو نعم، وذلك قبل عشرين عاماً تقريباً عندما كانت أرض كاستر هيل قيد التطوير”. وأضاف، “حدث ذلك على مسافة ثمانية كيلومترات تقريباً شمال أرض النادي. وهذه حادثة لا يزال يتذكرها أحد رفاقي القدامى”.

سألته كايته، “وماذا كانت النتيجة؟”

“حادثة صيد، ولم يتم تحديد هوية من أطلق النار”.

“ومن كان الضحية؟”

“لم يتم التعرف على هويته”. وأضاف، “رجل، في العقد الرابع تقريباً، حليق الذقن، قوي البنية، ... إلخ. أصيب بطلقة واحدة في رأسه. حدث ذلك في فصل الصيف، كان الضحية يرتدي سروالاً قصيراً، وكنزة خفيفة، وينتعل حذاءً خاصاً برياضة التريض في الجبال. لم يكن يحمل هوية، وبقيت الجثة ملقاة على الأرض لمدة أسبوعين على الأقل قبل أن يتم اكتشافها، وبعد أن نالت بعض الحيوانات منها. تم أخذ صور فوتوغرافية للوجه، ولكنها لم تُعرض على الجمهور العام لأسباب واضحة. تم الحصول على بصمات الأصابع، ولكنها لم تكن جيدة، ولم تتطابق مع أي من البصمات الموجودة في قواعد البيانات التي كانت متوفرة حينها”.

سألته كايته، “أليس ذلك مريباً بعض الشيء؟ أعني إصابة الضحية بطلقة واحدة في الرأس، وعدم العثور على هوية، وعدم الإبلاغ عن شخص مفقود، وعدم العثور كما أظن على أية مركبة في المكان؟”

“حسناً، الأمر مثير للريبة، ولكن بالاستناد إلى ما قاله صديقي الذي يذكر الحادثة، لم يكن يوجد مفتاح ولا دليل على وجود تلاعب. ولذلك لكي يبسطا المسألة، حكم الشريف والمحقق في أسباب الوفيات بأنها حادثة صيد، في انتظار ورود أية معلومات تشير إلى العكس”. وأضاف، “لا نزال ننتظر تلك المعلومات. وحتى الآن، لن أسعى إلى ربط هذه الجريمة المحتملة بتلك الوفاة وبنادي كاستر هيل الذي لم يكن مشغولاً في ذلك الوقت”.

قلت له: “أعد فحص بصمات الأصابع مجدداً”.

واصلنا سيرنا بصمت. فكّرت في أنه يمكن أن يكون هناك رابط بالتأكيد. يمكن أن يكون الضحية، في حال راح ضحية جريمة قتل، متنزهاً شاهد شيئاً لم يكن من المفترض أن يشاهده في موقع بناء كاستر هيل، أو ربما كان عاملاً في مشروع كاستر هيل، شاهد أو علم الكثير عن أمر معين، مثل 'إلف'، أو أي شيء آخر.

لم أشأ أن أجعل من باين مادوكس ذلك العبقرى الشرير المسؤول عن كل خطأ حدث في العالم خلال السنوات العشرين الماضية: مثل الفيضانات، والمجاعات، والحروب، والطاعون، والهزات الأرضية، ووزنى الزائد، وطلاقي. ولكن هذا الرجل يناسب بالتأكيد متلاعباً عالمياً من نوع ما. أعني أن القاعدة تقول إنه إذا كان الشيء يشبه بطة، ويمشي مثل البطة، ويصيح مثل البطة، إذاً هو بطة.

وبالتالى سأقتل هذه البطة.

الفصل 32

خرج الرائد شافير من الدرب نحو رقعة أرض تم مسحها مؤخراً، وشرح حقيقة الأمر فقال: "احتجنا إلى توسيع الدرب هنا لكي نتمكن من الالتفاف بالسيارات".

نزلنا من السيارة، وسرنا خلفه مسافة عشرين متراً تقريباً إلى أن وصلنا إلى مكان تحيط به الأشربة الصفراء. وعلى الدرب نفسه، استخدموا اللون البرتقالي لرسم الخط الكفافي لحنة هاري. وفي وسط الرسم، كانت يوجد طائر أزرق ينقر الأرض.

أصبحت الشمس مرتفعة الآن، واخترقت أشعتها الأشجار، وأنارت الدرب الشجري الجميل. كانت العصافير تغرد، والسناجب تجري بسرعة على أغصان الأشجار، وهي ترمي قشر حبات البلوط. هبت نسمة خفيفة أثارت أوراق الأشجار المتساقطة، وجعلتها تدور في دوامة مستمرة. الآن جاء فصل الخريف، والثمار الساقطة...

لم يكن ذلك مكاناً جيداً لكي يموت المرء فيه، ولكنني أفترض بأنك إذا لم تمت في سربرك، فهذا مكان لا يختلف عن غيره على أية حال.

شاهدت في الجانب الآخر من المنطقة المحاطة بالأشربة مركبة تابعة لشرطة الولاية على الدرب.

قال شافير: "هؤلاء الأشخاص قدموا من الاتجاه الآخر. وهم لا يزالون يبحثون عن إطار الطلقة. ولكن الشخص الذي فعل ذلك لم يخلف أي أثر وراءه". وأضاف، "كما أننا لم نعثر بعد على الطلقة التي اخترقت جسم الضحية".

أومأت برأسي. بافتراض أن سلاح الجريمة كان بندقية عالية السرعة، فإن فرص العثور على الطلقة في الغابة ليست جيدة. في الواقع، كان يوجد الكثير من الطلقات في الغابة، وما من طريقة يمكن أن تساعد في تحديد الطلقة التي قتلت الضحية. وحتى تطابق الطلقة مع إحدى البنادق التي يملكها مادوكس لن يثبت شيئاً باستثناء أن مادوكس، أو أحد ضيوفه، مارس الصيد مرة في الغابة. والخلاصة هي أن الغابة مكان جيد لارتكاب جريمة.

واصل شافير حديثه فقال: "كنا قد أحطنا المكان بالأشربة ضمن دائرة شعاعها خمسة عشر متراً، ولكنني سأجعل النطاق أضيق اليوم. وبحلول يوم غد، لن يعود هناك سبب يدعو إلى إبقاء مسرح الجريمة في حالته الأصلية. يتوقع هطول المطر غداً، وأنا على اعتقاد بأن فريق التحقيق في مسرح الجريمة بذل كل ما في وسعه. لا يوجد شيء هنا".

أومأت برأسي مجدداً، وبقيت أنظر إلى الخط الكفافي البرتقالي. لقد انضم إلى الطائر الأزرق طائر آخر.

قال شافير: "إذا نظرت إلى الدرب، ستجد أنه مستقيم تماماً، وبالتالي من الصعب تخيل اشتباه صياد يسير على هذا الدرب برجل على أنه غزال. وإذا كان الصياد

داخل الغابة، فالأمر يتطلب معجزة لكي تمر الرصاصة من بين كافة هذه الأشجار من غير أن تصطدم بواحدة منها”.

قلت: “هذا صحيح. يبدو الحادثُ جريمة قتل”.

واصل شافير حديثه فقال: “ولسوء الحظ، فيما عدا استحالة أن يكون الحادث عرضياً، لا نملك أي دليل على أنه جريمة قتل”. وذكرني قائلاً: “لم تحدث سرقة، ولم يكن لدى الضحية أية روابط محلية يمكن أن تشير إلى القتل بدافع الحقد، وهو الأمر الذي يحدث هنا أحياناً”.

لم أعلق على كلام الرائد. من الواضح أنه يشتبه في أن للمهمة التي كُلف بها هاري علاقة بوفاته، وأن القاتل هو باين مادوكس، ولكنه لن يخطو تلك الخطوة إلى أن يملك دليلاً قوياً يثبت ذلك.

سألنا شافير، “هل ترغبان في رؤية الصور الفوتوغرافية؟”

لم أكن أريد رؤيتها، ولكنني أجبت “أجل، من فضلك”.

أخرج مجموعة من الصور الفوتوغرافية الملونة من جيب معطفه وسلمها إلي. بدأت أقلب الصور وكايت بجانبني.

لقد سقط هاري على وجهه مباشرة، كما كنت أعرف، وكانت ذراعه بعيدتين عن جانبيه بسبب صدمة الرصاصة، كما يوضح الخط الكفافي لجنته.

بالكاد كنت أستطيع رؤية المكان الذي دخلت منه الرصاصة في منتصف ظهره، ولكن الصور التي التقطت عن قرب أظهرت بقعة دم في وسط سترته المموهة.

نظرت إلى صورة التُّقطت عن قرب تظهر الجانب الأيسر من وجه هاري وعينيهِ المفتوحتين. كان في مقدوري رؤية الشريط الجلدي الذي يلتف حول عنقه والذي كان موصولاً بمنظاره الذي سقط على جسمه قريباً من كتفه اليسرى بالقرب من وجهه.

سألت الرائد شافير، “هل هذا هو وضع الرؤية عندما وجدتم الجثة؟”

“أجل. تم التقاط هذه الصور قبل أن نلمس أو نحرك أي شيء”. وأضاف، “ربما كان يمسك بالمنظار أو ينظر فيه عندما أصيب، وهو الذي يفسر ربما سبب وقوعه بعيداً عن الجسم وليس أسفل الصدر. أو أن صدمة الرصاصة التي أصابت الجسم جعلت المنظار يتأرجح بعيداً عن الجسم قبل وقوعه على الأرض”.

سواء أكان تحليلي محتملاً أم لم يكن، فأنا أرى أولاً بأن هاري لم يكن ينظر في المنظار قبل أن يطلق عليه النار الأشخاص الذين أحضروه إلى هنا. ثانياً، بموجب قوانين الفيزياء، كان ينبغي أن يتأرجح المنظار إلى موضعه الأصلي وصولاً إلى صدر هاري قبل أن يسقط جسمه على الأرض، ولكن الظاهر في مسرح الجريمة لا يؤكد ذلك.

واصل الرائد شافير حديثه فقال: “أنت رأيت أدواته الشخصية معروضة في المشرحة، والكاميرا الفيديوية وُجدت في الجيب الداخلي لسترته، والكاميرا في

يساره. وفي الجيب الأيمن من سرواله وُجد دليل الطيور وفي الجيب الأيسر وُجدت قطعة الأسلاك”.

كان الرائد شافير يعدد الموجودات مستعيناً بدفتر ملاحظاته: سلسلة المفاتيح، المحفظة، مسدس من طراز غلوك، أوراقه الثبوتية، وما إلى ذلك، وأمكنة العثور عليها بالقرب من الجثة.

وأثناء حديث شافير، حاولت أن أتخيل كيفية قيام مادوكس بذلك، واستنتجت بأنه احتاج إلى شريك واحد على الأقل؛ ربما كارل أو شخص آخر، بالرغم من أنني أشك في أن مادوكس كان يرغب في وجود اثنين يشاهدان الحادثة.

جرى تخدير هاري فيما كانت رجلاه مكبلتين. وقاموا بوضعه في مقصورة النوم في سيارته المقطورة واقتادوه إلى هنا. ومن المحتمل أنه كانت توجد مركبة ثانية للهرب.

إذاً، على افتراض أن مادوكس لم يرد وجود أكثر من شريك واحد، وبافتراض أنه جرى تخدير هاري بحيث دخل في شبه غيبوبة، فلقد واجهت مادوكس مشكلة تتمثل في كيفية إبقاء هاري واقفاً على قدميه لكي يتمكن من إطلاق النار على ظهره ليبدو كما لو كان يمشي.

لا يمكن لشخص واحد أن يحمل رجلاً مخدراً بحيث يقف على قدميه فيما يطلق الآخر النار، وبالتالي فالحل هو في وضع هاري على ركبتيه، فيما يتشد كارل - أو مادوكس - شريط المنظار من الخلف حول عنق هاري لإبقائه في وضعية ركوع. وبعد ذلك، جثا القاتل على ركبتيه، وأطلق رصاصة اخترقت العمود الفقري لهاري وقلبه.

أفلت الشريك في الجريمة المنظار أثناء سقوط هاري إلى الأمام بحيث سقط في الوضع الذي رأيناه في الصور الفوتوغرافية. وبعد ذلك، قام أحد الرجلين أو كلاهما بنزع الأصفاد عن رجلي هاري، ثم وضعاً يديه ورجليه لمحاكاة وضعية جسم أصيب برصاصة عالية السرعة وسقط إلى الأمام من وضعية وقوف. وربما قاما بعد ذلك بنشر أغصان الصنوبر على الدرب. والشيء الوحيد الذي غفلا عنه هو أنه كان من المفترض أن يكون المنظار أسفل الجسم على الأرجح وأنه ربما كان سيتضرر من جرّاء الرصاصة التي أصابت الجسم وخرجت من الصدر. وفيما عدا ذلك، قام الرجلان بالمهمة على أكمل وجه، إذا كان يجوز لي استخدام هذه العبارة في وصف جريمة ارتكبت بدم بارد.

سألنا شافير، “هل تودّان رؤية سيارته المقطورة؟”

أومأت برأسي، وأعدت إليه الصور الفوتوغرافية.

قادنا مستديراً حول الشريط الأصفر وعبر الغابة، لنعود إلى الدرب مجدداً بالقرب من السيارة حيث عملت الشرطة على توسيع الدرب لتسهيل الحركة الالتفافية لها.

أمر شافير أحد رجال الشرطة بأن يقود بنا السيارة مسافة خمسة كيلومترات على الدرب إلى المكان الذي كانت تتوقف فيه السيارة المقطورة في فسحة ضيقة.

نزلنا من السيارة، ونظرتُ إلى سيارة هاري التي لم يسبق لي أن رأيتها من قبل. كانت سيارة قديمة من نوع شيفروليه، مجهزة بعربة نوم. وبالرغم من أنها كانت قديمة، فقد بدت نظيفة للغاية وفي حالة جيدة.

قال شافير: "قمنا برشّ مسحوق التعفير لكي نرفع البصمات، وأجرينا بعض التنظيف بواسطة مكنسة كهربائية، وحصلنا على بعض العينات لأثار العجلات. وسنقوم بعد الظهر بإخراجها من هنا إلى الطريق العام، ووضعها على ظهر شاحنة، وإرسالها إلى مرآب التحقيق الجنائي في ألباني لإجراء فحص شامل عليها". وأضاف، "من الواضح أننا نبحت عن دليل يشير إلى وجود أشخاص آخرين في المركبة".

قلت له: "يبدو لي أنك تعتقد بأنها جريمة قتل متعمّدة".

أجاب، "دعنا نفترض بأنها كذلك".

تخيّلت كيف أن هاري جرى تخديره ووضعه في مقصورة النوم الخلفية، فيما قاد شخص ما، ربما كارل، السيارة. كان مادوكس يتقدم السيارة المقطورة في إحدى مركباته: سيارة جيب، أو مركبة مقلّة، أو مركبة رباعية الدفع.

سألتُ شافير عن الأثار التي خلّفها العجلات على الدرب، فأجاب، "كما ترى، إنها أرض قاسية، إضافة إلى أن المطر لم يهطل منذ أسبوعين. ولا تتسّ هذه الأوراق وأغصان الصنوبر المنتشرة على الدرب. ولذلك لم نتمكن من الحصول على أية آثار واضحة للعجلات".

سألته كايث، "هل تبين من رشّ مسحوق التعفير أنه جرى تنظيف بعض السطوح؟"

أجاب شافير، "كلا. عندما تكون جريمة القتل متعمّدة، فهذا يعني أن القاتل استخدم قفازات. ربما نعثر على بعض الأنسجة من الثياب، ولكن في هذه الحالة أيضاً، مع وجود نية القتل المسبقة والتحلّي بالذكاء، يعتمد مرتكبو الجريمة إلى إحراق الثياب التي كانوا يلبسونها". وأضاف، "يوجد مستوعب مفتوح لعلب الكوكاكولا في حامل المرطبات، وسنجري فحص الحمض النووي عليها، ولكنني لا أعتقد بأن المجرمين الذين نبحت عنهم كانوا يشربون الكوكاكولا. وفي حال وجدنا الحمض النووي، فعلى الأرجح أن يكون عائداً لهاري".

نظر شافير إلى الفسحة التي جوله، ثم إلى الدرب وقال: "حسناً، هنا كانت السيارة المقطورة. والشيء الذي أفكر فيه هو أن هناك اثنين اشتركا في ارتكاب الجريمة، ومركبتين - السيارة المقطورة ومركبة الهرب - بالرغم من أنه لا توجد أية آثار مميزة للعجلات كما سبق أن أشرت". وأضاف "توقف المجرمون هنا، وأطلقوا النار على الضحية، ثم عادوا إلى المركبتين، وواصلوا سيرهم، وجعلوا بعض المسافة بينهما وبين مسرح الجريمة".

أومأت وكايث برأسينا، وأضاف شافير: "إذا كانوا من أبناء المنطقة، فلا بدّ وأنهم يعرفون موضع الفسحة حيث يوقف الكثير من أصحاب السيارات المقطورة ومحبي رياضة التريض في الجبال سياراتهم فيها. وفي حال سرت مسافة كيلومتر

على الدرب، ستصل إلى طريق معبّد. إذاً، هناك شخص واحد أوقف السيارة المقطورة هنا في المكان الذي تراها فيه، ثم ركب في مركبة الهروب، وفي غضون بضع دقائق، غادروا المكان، ووصلوا إلى الطريق المعبّد.”

قام الرائد شافير بعمل مدهش في إعادة تمثيل الجريمة، ويعود ذلك من ناحية إلى أنه سبق أن أمضى بعض الوقت في مسرح الجريمة مع فريق التحقيق، وإلى معرفته السابقة بالمكان من ناحية أخرى.

قلت للرائد شافير: “أعتقد بأن في حوزتك مفتاح هذه المقطورة والذي لم نعثر عليه في سلسلة مفاتيح هاري في المشرحة”.

“هذا صحيح”. وذكرني بالقول: “قلت لي بأنك لم تتفحص الأدلة في المشرحة”.

“هل قلت ذلك؟ وأنا أفترض أيضاً بأنك أكّدت لي بأن مفتاح سيارة الشيفروليه الذي وجدته في السلسلة كان لسيارته المقطورة”.

نظر إليّ وأجاب، “إننا لسنا بمثل ذكاء أبناء المدن، أيها التحري، ولكننا لسنا أغبياء”.

بناء على تجاربي السابقة مع رجال الشرطة في المناطق الريفية والضواحي، رأيت أن هذه العبارة جاءت متأخرة. قلت: “أنا أتفحص فقط”.

سألته، “ما هو تصوّر لكيفية نقل مرتكبي الجريمة هذه السيارة المقطورة مسافة خمسة كيلومترات بعيداً عن مكان الجثة والعثور على مفتاح التشغيل؟”

أجاب شافير، “ربما قاموا بسحب المركبة عبر ربطها بإحدى مركباتهم، أو ربما صنعوا نسخة عن المفتاح قبل ارتكاب الجريمة”. وأضاف، “والجواب الأرجح احتمالاً هو أنه كان في حوزة الضحية أو في المركبة مفتاح احتياطي”.

“هذا صحيح”. أخبرته عن المفتاح الاحتياطي لسيارة الشيفروليه المفقود من محفظة هاري، وسألته، “هل لاحظت ذلك؟”

لم يجب بطريقة مباشرة، ولكنه قال: “إن فقدان مفتاح من بين عدة مفاتيح ليس دليلاً على أنه كان يوجد مفتاح”.

“هذا صحيح. ولكنني أتكهن وحسب”.

في الواقع، هذه لعبة يراد منها إغاضة المحققين، ونحن نلعبها جميعاً من أجل إبقاء الجميع في حالة يقظة، وهو ما يعتبر جيداً في التحقيق، ناهيك عن اعتداد المحققين بأنفسهم.

بدا أن كايت شعرت بذلك فقالت: “على أية حال، أريد من ذلك الإيحاء بأن هاري ترك سيارته المقطورة هنا، وبدأ يمشي في اتجاه الشمال نحو نادي كاستر هيل، حيث تعرّض لحادث على مسافة خمسة كيلومترات من سيارته المقطورة، وعلى مسافة خمسة كيلومترات تقريباً من أرض النادي”. وأضاف، “الخلاصة هي أنه لم يكن من المنطقي أن يوقف سيارته على مسافة عشرة كيلومترات من المكان الذي يريد مراقبته. يضاف إلى ذلك أن مكالمته الهاتفية مع صديقه عند الساعة

7:48 صباحاً تشير إلى أنه كان قريباً من الأرض المعنية، ولكن جثته لم يُعثر عليها هناك. وبالتالي، لدينا تساؤلات تتعلق بالوقت، والمسافة، والمنطق، والحادث الظاهري، وهو ما يقودنا إلى الاستنتاج بأن ما نراه هنا ليس ما قام به هاري حقيقة صباح يوم السبت، وإنما قام به شخص آخر بعد يوم من ذلك تقريباً.

أوجز هذا التعليق كل ما حصل تقريباً، بحيث لم يكن لديّ أو الرائد شافير أي شيء نضيفه.

وهكذا، قمنا بكل ما نستطيع في مسرح الجريمة، وهو لم يكن بالشيء الكثير، لكن كان علينا البدء من مسرح الجريمة، ثم الرجوع بتسلسل الأحداث إلى الوراء انطلاقاً من هناك.

يكن السرّ في عدم التركيز على العملية وإن في تذكر الهدف، وهو معرفة القاتل. الخبر الجيد هو أن لديّ مشتبهاً به، باين مادوكس. كما يوجد شريك محتمل، كارل. ولكن أياً من هذين الاسمين لن يظهر في التقرير الجنائي لشرطة ولاية نيويورك.

سألت شافير، "هل من المقرر أن يأتي عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي الموجودون في مكتبك إلى هنا؟"

أجاب، "طرحت عليهم هذا السؤال، وأجابوا بأن فريقاً آخر سيقوم بذلك... فريق استرجاع الأدلة". وأضاف، "لا يبدو أن لدى هؤلاء الأشخاص الموجودين في مكنتي اهتماماً خاصاً بمسرح الجريمة".

كلا، على حسب ظنيّ، لأنهم أكثر اهتماماً بباين مادوكس منهم بهاري مولر. كما أن وليام غريفيث مهتم فقط بجون كوري وكايت مايفيلد.

لكن كان مهماً بالنسبة لي معرفة المكان الذي قُتل فيه هاري، والتفكير في كيفية وفاته: سجين عاجز، وتحت تأثير المخدر، ضابط شرطة، يقوم بتأدية مهامه، يُقتل على يد شخص أو أشخاص لا يابهن حياة هاري مولر بقدر ما يابهن لمصالحهم الذاتية، بصرف النظر عن حقيقتها.

تساءلت إن كان باين مادوكس، إذا كان هو القاتل فعلاً، حاول التفكير في حل آخر للمشكلة التي أوجدها له هاري. لا بدّ وأنه كانت هناك لحظة لم يكن القتل فيها يمثل الحل الأنسب، وتوفر فيها مسار أكثر ذكاءً لأعمال كانت ستحل المشكلة التي برزت أمام باين مادوكس، بغض النظر عن حقيقتها، نتيجة لظهور هاري مولر في نادي كاستر هيل.

معظم المجرمين - بدءاً من أكثرهم غباء إلى الأكثر ذكاءً - لا يفهمون القوى التي يطلقونها عندما يقررون ارتكاب جريمة من أجل حل مشكلة. والمجرمون الذين يفهمون حقيقة هذه القوى يسعون في الغالب إلى جعل الجريمة تبدو كما لو كانت حادثاً، أو جريمة انتحار، أو وفاة طبيعية. وبقيامهم بذلك، عادة ما يخلفون وراءهم أدلة أكثر من تلك التي كانوا سيخلفونها لو أنهم حاولوا إظهار الجريمة على أنها من جملة الجرائم اليومية أو جريمة بقصد السرقة.

خير وسيلة للتغطية على الجريمة هي في الإخفاء الكامل للجثة التي تحمل في طياتها، إضافة إلى مسرح الجريمة، الكثير من الأدلة. ولكن كانت تواجه باين مادوكس مشكلة فريدة؛ كان بحاجة إلى إخراج عميل فيدرالي دنا أجله من أرضه إلى أرض شخص آخر - في هذه الحالة، أرض تابعة للولاية - حيث يمكن العثور على الجثة قبل أن تأتي شرطة الولاية أو الشرطة المحلية والعملاء الفيدراليون للبحث عن الشخص المفقود في أرض مادوكس. وهذا يعني أن لدى مادوكس شيئاً ما في أرضه - عدا هاري مولر - لم يشأ أن يراه أي شخص آخر.

هذا ما رأينا أنه الحل الذي توصل إليه مادوكس، وهو لم يكن حلاً سريعاً سيئاً. ولكنه لن يصمد أمام تحقيق جنائي شامل.

لكن في حال كانت نظريتي صحيحة، فإن الوقت هو كل ما يريده مادوكس قبل أن يصبح رجلاً مشتبهاً فيه. لقد أشعل هذا الوغد فتيلاً، وكانت سرعة احتراقه تفوق سرعتنا في البحث عن القنبلة.

الفصل 33

عدنا إلى سيارة شافير، واستدرنا نحو الدرب. لم يكن لدى أي منا الكثير ليقوله. اقتربنا من نقطة التقاطع حيث كان لا يزال الشرطيان المتخفيان يكنسان الأرض. توقف شافير وسألهما، "هل يوجد شيء جديد؟"

أجاب أحد الشرطيين، "قامت سيارة الحبيب السوداء بجولة استطلاعية قبل عشر دقائق، واستنقر سائقها عن العمل الذي نقوم به".
"وبماذا أجبته؟"

"قلت له إننا نكنس الأرض، ونزيل أوراق الأشجار التي يمكن أن تكون وقوداً محتملاً للنيران التي يشعلها السائقون المستهترون الذين يلقون أعقاب سجائرهم من النافذة".

"وهل صدق ذلك؟"

"بدا عليه الشك، وقال إنه لم يسبق أن فعل ذلك أحد من قبل. ولكنني أجبته بأن خطر اندلاع حرائق في الغابات محتمل جداً هذا العام".

"حسناً، سأقول لك أمراً؛ اتصل بالنقيب ستونر وقل له إنك تريد طاقمين يعملان في صيانة الطرقات لكي يملأوا الحفر التي في الطريق. أريد عمال طرق حقيقيين، ويعمل إلى جانبهم شرطيان في زي عمال الطرقات ويستخدمان الأدوات التي يستخدمها هؤلاء العمال".

ابتسم الشرطي وقال: "أجل سيدي".

"والآن، يمكنكما الرحيل".

"أجل سيدي".

واصل شافير سيره متجهاً نحو الطريق 56 وقال لنا: "أعتقد بأن مادوكس بات على علم بمراقبتنا له الآن".

أجبتة، "إنه على علم بأنه يخضع للمراقبة منذ الإمساك بهاري مولر في أرضه صباح يوم السبت".

قال شافير: "لسنا متأكدين من أنه تم الإمساك بهاري وهو في أرضه". وسألني، "لماذا أرسل صديقك إلى هنا لجمع المعلومات عن ضيوف مادوكس؟"

أجبتة، "لست أدري، ولا هو كان يدري". وعللت ذلك قائلاً: "كنت قد تحدثت إليه قبل مجيئه إلى هنا".

على الأرجح أن شافير اعتقد بأنه سيحصل على بعض المعلومات منّا في مقابل اصطحابنا إلى مسرح الجريمة وإغنائنا عن الحاجة إلى لقاء ليام غريفيث. ولذلك، لكي أعطيه شيئاً ينبغي أن يحصل عليه على أية حال، قلت: "كان من المفترض أيضاً بهاري مراقبة حركة المطار، والإطلاع على جداول أسماء المسافرين

وعقود استئجار السيارات. وسيقوم بذلك عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي أو أنهم قاموا بذلك فعلاً. وأنت يا شافير، عليك أن تقوم بالعمل نفسه قبل أن تختفي تلك المعلومات”.

لم يعلق على كلامي، ولذلك أضفت المعلومة التالية فقلت: “صدف أنني وكايت نعرف بعض الشخصيات الهامة جداً التي وصلت إلى المطار قادمة من واشنطن، وربما ذهبت إلى نادي كاستر هيل”.

اكتفى شافير بالنظر إليّ.

عندما تعتقد بأنك ربما تُستبعد من قضية لأنك تجاوزت حدودك، عليك أن تمرر المعلومات إلى شخص يمكنه استغلالها إلى أقصى حد أو الاحتفاظ بها على أقل تقدير إلى حين يقرروا ماذا سيفعلون بها. ولذلك، أعطيت شافير نصيحة أخرى، “عليك أن تحتفظ بالمعلومات المتعلقة بمراقبتك لنادي كاستر هيل لنفسك مدة من الوقت”.

هنا أيضاً لم يرد عليّ بشيء. أعتقد بأنه كان سيفصح عما في نفسه لو لم تكن توجد عميلة من مكتب التحقيقات الفيدرالي في المقعد الخلفي، ولكنني كنت سأقول حينها ما قلته الآن، ولكن كافاتة على صنيعة. ولكن ما كان مكتوباً في جيب هاري لم يكن من جملة المعلومات التي يحتاج شافير إلى معرفتها.

الآن، جاء دوري، فسألت شافير، “هل تعرف ذلك الشخص الذي يسمى كارل؟ يبدو أنه ذراع مادوكس اليمنى، وربما كان حارسه الشخصي”.

هزّ شافير رأسه، وأجاب، “لا أعرف أسماء من يعملون في نادي الصيد ذاك. فكما سبق وقلت لك عناصر الأمن لديه ليسوا من أبناء المنطقة. ولديه ثكنة يقيمهم فيها، وربما كانوا يعملون مدة أسبوع، ثم يرحلون إلى منازلهم، ثم يعودون ليعملوا مدة أسبوع آخر. وفي ما يتعلق بالموظفين الذين يعملون في المنزل، لديّ انطباع بأنهم ليسوا من هذه المنطقة أيضاً”.

كان ذلك مثيراً للاهتمام.

أضاف شافير، “هناك المزيد من السكان شمال هذه المنطقة، خارج منتزه الولاية، بدءاً من بوتسدام وحتى ماسينا. في الواقع، تبعد الحدود الكندية مسافة تقل عن ثمانين كيلومتراً عن الطريق التي نسير عليها الآن، وأنا أعرف الكثير من الكنديين الذين يأتون للعمل هنا في صناعة السياحة. وبالتالي، لو كنت مادوكس، ورغبت في توظيف أشخاص من خارج المنطقة، كنت سأبذل جهدي وأحصل عليهم من خارج البلاد بحيث يُستبعد أن تنتقل أقاويلهم من كندا إلى هنا”.

لم ألتق بأحد من موظفي المنزل، كما لا يمكنني التمييز بين لكنة أبناء شمال الولاية واللكنة الكندية على أية حال. وفي ما يتعلق بالحرّاس، فإنه بغض النظر عن اللكنة التي يتحدثون بها، فقد تدربوا على استبدالها بطريقة عسكرية مرخّمة ومتكلفة.

قال لنا شافير: “أجريت اتصالاً هذا الصباح، وتحققت من رقم السيارة التابعة لشركة إنتربرايز، وقيل لي بأن الشخص الذي استأجرها يدعى ميخائيل بوتيوف”.

لم أعلق على كلامه، ولذلك قال شافير: "يبدو أنه روسي". وأضاف، "وربما لا يزال يقيم في نادي الصيد، لأن أحداً لم يغادر المنزل منذ الليلة السابقة".

"هذا صحيح. ألسنت سعيداً بكونك أمرت بإخضاع المكان للمراقبة؟"

تجاهل الرائد شافير كلامي وأضاف، "لكن الشخص الذي تحدثت إليه في الإنترنت ايزال قال لي بأن عميلين من مكتب التحقيقات الفيدرالي، رجلاً وامرأة، قدما البارحة وحصلا على نسخ عن كافة اتفاقيات التأجير. هل تعرف أي شيء عن هذا الموضوع؟"

سألته على سبيل المراوغة، "كيف كان وصفه لهما؟"

أجاب شافير، "قال إن الشخص يستقضي معلومات عن مادوكس، وعن السيدة في شركة الهيرتز، وهي امرأة في غاية الجمال".

تساءلت بصوت عالٍ، "من يكون هذان العميلان؟" علماً بأنني شعرت بالقلق من المقعد الخلفي أكثر من قلقي من ليام غريفيث. أشكرك أيها الرائد.

رفعت كاييت صوتها، وقالت: "أعتقد بأنه كان يتحدث عنا".

سألت شافير، "ألم أخبرك بذلك عندما التقينا؟"

"كلا".

"حسناً، فعلت ذلك عن عمد".

نظرتُ إلى الساعة التي في السيارة ووجدت أنها 10:15 قبل الظهر. قلت للرائد شافير "بالمناسبة، حجز بوتيوف هذا على متن الطائرة التي ستقلع عند الساعة 12:45 من بعد الظهر متوجهة إلى بوسطن. وإذا كان سيصل إلى المطار قبل ساعة من موعد الإقلاع، كما يُشترط على المسافرين، فلا بدّ وأنه سيغادر نادي كاستر هيل في وقت وجيز؛ إذا افترضنا أنه لا يزال في النادي".

سألني شافير، "كيف عرفت أن بوتيوف حجز على متن رحلة الساعة 12:45؟"

أجبته، "ألم أخبرك بأنني قمت مع كاييت بما كان يُفترض بهاري أن يفعله في المطار؟ الإطلاع على جداول أسماء الركاب وعقود تأجير السيارات؟"

قال وهو يمدّ يده إلى جهاز اللاسلكي: "كلا أنت لم تخبرني".

قلت: "من المؤكد أن العناصر الأمنية التابعة لمادوكس تراقب التردد الذي تستخدمه الشرطة. استخدم هاتفك الخليوي".

نظر إليّ. لم أعرف إن كان معجباً بعبقريتي أو قلقاً من هوسي. وعلى أية حال، استخدم هاتفه الخليوي، واتصل بفريق المراقبة وسألهم، "هل يوجد شيء جديد تريدون التبليغ عنه؟"

أجاب الشرطي "كلا سيدي".

قال شافير: "حسناً، ربما ستغادر مركبة أرض النادي متوجهة إلى المطار. أخبرنا مركبة المراقبة التي على الطريق 56".

“أجل سيدي”.

أقفل شافير الخط ونظر إلى الساعة، ثم قام بما كنت سأقوم به منذ البداية وهو الاتصال بشركة الطيران كونتيننتال في المطار. كان على الطرف الآخر من الخط صديقتنا بيتي. قال “بيتي، أنا هانك شافير...”

“حسناً، كيف حالك؟”

“أنا بخير. وأنت؟”

استمرّا في تبادل مثل هذه الكلمات. أعني أن تبادل المجاملات أمر لطيف، ومن المزايا الجميلة التي يتحلّى بها سكان المناطق الريفية أن الواحد منهم يعرف الجميع، وأنه تجمع بينهم أواصر الدم، أو الزواج أو الاثنان معاً، ولكن دعونا نتكلم عن العمل يا رفاق.

أخيراً، سألتها الرائد شافير، “هل يمكنكِ إسداء خدمة إليّ والتحقق من حجز شخص يدعى بوتيوف؟” وقام بتهجئة الاسم “على متن رحلتكم التي ستقلع عند الساعة 12:45 إلى بوسطن؟”

أجابت بيتي، “حسناً، يمكنني أن أجيبك بدون أن أتأكد بأنه فعل ذلك. ولكنني حصلت بعد ذلك على جدول مصحّح بأسماء المسافرين من الحاسوب الخاص بالحجوزات في الشرطة، وتبين لي أنه ألغى الحجز”.

“هل أعاد الحجز من جديد؟”

“كلا”. ثم جاء دور بيتي فسألته، “هل توجد مشكلة؟”

“كلا، إنه مجرد سؤال روتيني. اتصلني بي في المكتب إذا جدد بوتيوف الحجز أو قدم إلى المطار”. أضاف “واصنعي نسخاً لي عن كافة جداول المسافرين وجدول الحجز على متن رحلتكم في الأيام الستة الأخيرة. وسأتي لاستلامها في وقت لاحق”.

“حسناً. هاي، هل ترغب في سماع هذا الخبر؟ زارنا شخص وامرأة من مكتب التحقيقات الفيدرالي البارحة، وطلبوا الحصول على نسخ عن كافة جداول الركاب وأوراق الحجز. وقد وصلا إلى هنا على متن طوافة تابعة لمكتب التحقيقات، ولذلك عرفت بأنهما جادان، وكانا يحملان شارات المكتب. ولذلك، أعطيتهما الأوراق التي طلبها”.

واصلت بيتي حديثها لفترة من الوقت، وأضافت بطريقة منمّقة “عمد ذلك الشخص إلى المراوغة، ولكنني عرفت كيف أراوغه”.

لا أذكر أنني تعاملت معها بطريقة يمكن أن توصف بشيء سوى أنها مؤدبة، ولكن حتى لو اتبعت أسلوب المراوغة معها، فهي لم تستطع المراوغة معي. يا لها من كاذبة.

نظر شافير إليّ، وقال لبيتي: “حسناً، شكراً جزيلاً...”

قاطعته بيتي وسألته، "ماذا يحصل؟ قال هذا الرجل بأن للأمر علاقة بالألعاب الأولمبية الشتوية". وضحكت، وقالت: "قلت له بأنها جرت في العام 1980". وأضافت، "بدأت السيدة لطيفة، وفي مقدورك رؤية أنها غريبة الأطوار. إذاً، ما هي حقيقة الأمر؟"

أجاب شافير، "لا يمكنني الإفصاح عن شيء في الوقت الحالي، ولكنني أريدك أن تحتفظي بهذا الأمر لنفسك".

"وهذا ما قالاه لي. كنت سأتصل بك، ولكنني لم آبه للأمر حينها. أما الآن، فأنا أفكر..."

"لا يوجد شيء يستدعي القلق بشأنه. اتصلي بي في حال ظهر هذا الشخص الذي يدعى بوتيوف أو جدد الحجز. سأراك لاحقاً؟"

"حسناً. أتمنى لك يوماً سعيداً".

"وأنا أيضاً". أقفل الخط، ونظر إليّ وقال: "حسناً، لقد سمعت ما دار بيننا من حديث".

أجبت، "كنت في غاية اللطف معها. يا كايت؟ ألم أكن لطيفاً مع بيتي؟"

بقيت كايت صامتة.

قال شافير: "كنت أعني إلغاء بوتيوف حجزه".

"أجل. من المحتمل إذاً أنه لا يزال في النادي".

"أجل. فهو لم يجدد الحجز". وقال لنا: "هناك طائرات سياحية صغيرة، وعادة ما تكون كافة مقاعدها محجوزة. وبالتالي لا يمكنك توقع الذهاب إلى المطار والعثور على مقعد شاغر".

بات شافير يتحمل الآن الكثير من المسؤوليات، وعقله مشغول بالكثير من الأفكار، ولكن لم تكن لديه فكرة عما كان يجري عدا التحقيق الجنائي. ولكنه عرف بأن شيئاً ما يحدث في نادي كاستر هيل أثار اهتمام العملاء الفيدراليين، ولم يكن مقصوداً أن يثير اهتمامه.

كنا نقرب من الطريق 56، وقلت للرائد شافير، "أسدنا خدمة، وتوجه إلى بوتسدام".

"لماذا؟"

"نحن بحاجة إلى... في الواقع نحن نحاول أن نتجنب ليام غريفيث".

"لا بدّ وأنتك تمزح؟ وما دخلي أنا؟"

"حسناً إذاً، أوصلنا إلى الطريق 56، وسنوقف سيارة تقلنا إلى بوتسدام".

"ربما تجد دَبّاً قبل أن تجد سيارة".

"حقاً؟ حسناً، أنا مسلح".

“لا تطلق النار على الدببة. وأنا سأخذك إلى هناك”.

“شكراً لك”. التفتُ لكي أتحدث إلى كايت، ولكنها بدت جامدة بعض الشيء. قلت لها “سنتناول طعام الغداء في بوتسدام”.

لاذت كايت بالصمت.

عندها قال شافير صاحب الفم الكبير: “ماكس رجل جذاب، ومرح أيضاً”.

“من؟ آه، الشخص الذي يعمل في مكتب الهيرتز”. ردّ لطيف من الرائد الطيب.

وصلنا إلى التقاطع عند الطريق 56، فأوقف شافير السيارة وسألني، “أتريد الذهاب إلى بوتسدام؟”

ساورني إحساس عندما وصلنا إلى نقطة التقاطع هذه يوم أمس، واتخذت قراراً برؤية هاري في مشرحة بوتسدام بدلاً من الذهاب إلى مقرّ شرطة الولاية كما نصت التعليمات.

والآن، كان علينا أن نقرر إن كنا سنستمع إلى الانتقاد اللاذع من غريفيث قبل أن نغرق في المشكلات أكثر، أو نذهب إلى بوتسدام ونختبئ هناك.

أعاد شافير السؤال، “إلى أين تريد الذهاب؟”

سألت، “كايت؟ بوتسدام أو ليام؟”

أجابت، “بوتسدام”.

انعطف شافير نحو اليمين، وتوجه شمالاً نحو بوتسدام.

أنت تواجه مهمة صعبة أصلاً عندما تجري تحقيقاً جنائياً في منطقة خارجة عن نطاق صلاحياتك. لكن الأصعب من ذلك أن تتلقّى الضربات من الأشخاص الذين تعمل لديهم، وعندما يكون شريكك ساخطاً عليك، وعندما يكون المشتبه الرئيسي في نظرك شخصاً لديه أصدقاء يعملون مع الرئيس.

كيف أوقعت نفسي في هذه الورطة؟

الفصل 34

تحدثنا لبعض الوقت عن القضية أثناء سيرنا في منتزه الولاية. وعندما وصلنا إلى ساوث كولتون، سألت شافير، "هل تعرف رودي الذي يملك محطة الوقود تلك؟"

"أجل، أنا أذكره منذ أن كنت أقوم بدوريات في هذه المنطقة. لماذا تسأل؟"

"إنه الجاسوس المحلي لمادوكس". وشرحت له ما دار بيني وبين رودي.

وأما شافير برأسه وقال: "لدى هذا الشخص الذي يسمى مادوكس نشاطات في هذه المنطقة أكثر مما كنت أتصور. ولكن كما قلت سابقاً، لم يسبق أن تسبب لنا بأية مشكلات، ولا أعتقد أنه يمكث في المنطقة مدة طويلة". وأضاف، "لكن من الآن فصاعداً، سأراقبه مراقبة دقيقة".

اعتقدت بأنه لن يحدث الكثير بعد الآن، "من الآن فصاعداً"، ولكنني لم أجب بشيء.

توصل شافير إلى الفكرة ذاتها وقال: "الآن، أعتقد بأنه مشتبه في ارتكابه الجريمة".

"حسناً، أعتقد بأنه كذلك".

"هل يوافقك زملاؤك في مكتبك الرأي؟"

"أفصحت عن شكوكي إلى توم والش في نيويورك".

"وماذا تريدان أن تفعلوا في بوتسدام؟"

"أجبتة، "تود العثور على متنفس".

"حقاً؟ لماذا لا تعودان إلى فندق ذي بوينت؟"

"حسناً، أعتقد بأن السيد غريفيث موجود الآن في غرفتنا، ويستعمل أدوات الزينة التي تستعملها كايت فيما ينتظر عودتنا".

"إذاً، أنت هارب من زملائك".

"لا يمكنني وصف الأمر بهذه الطريقة".

"حقاً؟ كيف يمكنك وصفه إذاً؟"

"دعني أفكر في الأمر. وفي هذه الأثناء، هل يمكننا الاطمئنان إلى أنك لن تخبر أحداً بذلك؟"

"دعني أفكر في الأمر".

"والسبب هو أنه إذا كنا لا نستطيع الاعتماد على كتمانك للأمر، فقد تحتاج إلى إعادتنا إلى رأي بروك".

“وما دخلي أنا بذلك؟”

“ستكون حينها قد قمت بالعمل الصائب”.

“ومتى يمكنني التأكد من ذلك؟”

“في غضون يومين تقريباً”.

“حقاً؟ إذاً، أنت تريد منّي الالتزام بالإخلال بمسؤولياتي وعدم الإشارة إلى غريفيث أنني اصطحبتكما إلى مسرح الجريمة، ثم إلى بوتسدام؟”

“سأقول لك أمراً يا حضرة الرائد. استفسر منه ومن الرفاق الآخرين في مكتب التحقيقات الفيدرالي عن حقيقة الموضوع. وفي حال أعطوك جواباً مباشراً، لا بأس بأن ترسلهم إلى بوتسدام لكي يعثروا علينا. هل اتفقنا؟”

“أعتقد بأنك ستحصل على أفضل ما في هذا الاتفاق. ولكن لا بأس. لقد اتفقنا”.

“سأقوم بتسليم مفاتيح السيارة لشركة الهيرتز. وربما سترغب في إخراجها من مرآب السيارات لديك تحسباً لاحتمال بعيد وهو أن يعمد عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي إلى اتباع الإجراءات الجيدة التي تتبعها الشرطة ويبحثوا في المرآب عن سيارتنا المستأجرة”. سلمته المفاتيح وقلت: “ستجد فيها غداء للنزهة من فندق ذي بوينت في المقعد الخلفي. إنه لك”.

“أرى أن اتفاقنا بدأ يتحسن. ماذا يوجد في السلة لطعام الغداء؟”

“ربما ستجد حلزونات. كما أنك إذا كنت تريد التستر علينا أكثر عند تعاملك مع عملاء مكتب التحقيقات، ينبغي أن تتصل بالفندق وتساءل عنا”.

قال الرائد شافير: “أنت بمثابة هارب ماهر”.

في الواقع، هذا ما كان ينطبق علينا في هذه اللحظة، لكن لم يكن هناك داعٍ لتذكيرنا بذلك.

أصبحنا في ضواحي بوتسدام الآن، وسأل شافير، “إلى أين تريد الذهاب؟”

“دعنا ننزل عند محطة لقطار الأنفاق”.

لم أكن متأكداً من أن الرائد شافير قدرّ روعي الفكاهية أو فهم النكتة التي قلتها، ولكنه قال: “أعتقد بأنك بحاجة إلى سيارة”.

“إنها فكرة جيدة. هل يوجد مكتب لتأجير السيارات هنا؟”

“هناك مكتب الإنترنت برايز”.

انتظرت سماع باقي اللائحة، ولكن بدا أنه المكتب الوحيد.

مررنا في وسط البلدة، ثم واصلنا سيرنا على الطريق 56، وتجاوزنا المستشفى التي ألقينا فيها النظرة على هاري، ووصلنا بعد بضع دقائق إلى مكتب لشركة إنتربرايز رنت أكار.

أوقف الرائد شافير سيارته بالقرب من مكتب تأجير السيارات وقال لنا: "لست أدري السبب الذي يدعوكما إلى تجنب غريفيث ولا نوع المشكلة التي أنتما فيها. لكن إذا لم يكن سبب ذلك أنكما فقدتما صديقاً وشريكاً هنا، وفي حال أنهكني زملاؤكما بأسئلتهم، فلن أخاطر برأسي من أجلكما".

أجبت، "إننا نقدر ذلك. أنت تتمتع بحدس قوي".

"حقاً؟ حسناً، عليكم أن تثبتا لي أنكما تقيمان هنا".

"سنبقيك على اطلاع بما يجري معنا".

"سيكون ذلك نوعاً من الترفيه عن نفسيكما". وقال لنا: "حسناً، سأخبر غريفيث بأنني التقيت بك في مسرح الجريمة وأنني بلغتك الرسالة التي بعث بها إليك".

ذكرته، "تخلص من السيارة التي استأجرناها".

قال: "اترك لي أمر معالجة ذلك أيها التحري".

قالت كايت لشافير: "اطمئن يا حضرة الرائد إلى أن جون وأنا سنتحمل المسؤولية عن أية مشكلات ربما تسببها لك".

أجاب، "المشكلة الوحيدة التي أعاني منها الآن هي استضافة ستة عملاء فيديرالين على وشك أن يسحبوا هذه القضية مني".

أخبرته، "هناك المزيد منهم في طريقهم إليك. سأشرح لك تصوّر لكيفية مقتل هاري مولر". قصصت عليه رؤيتي لكيفية تنفيذ الجريمة كما ترّجّح لديّ. وختمت حديثي بالقول: "ابحث عن علامات تشير إلى أن هاري كان صاحبياً بما يكفي لكي يركل جوانب سيارته المقطورة أو سقفها".

بقي الرائد شافير صامتاً للحظة ثم قال: "من المحتمل أن الجريمة حدثت كما ذكرت، ولكن ذلك لا يقربني من العثور على القاتل أو القتلة".

في الواقع، لا يزال المشتبه به الرئيسي في نظره باين مادوكس سواء أحب تصديق ذلك أم لا. قلت له: "حسناً، عندما تعثر على مشتبه به، يمكنك إخافته بالسر الذي قدمته لك لكيفية ارتكاب الجريمة". وأضفت، "كما أنه جيد من أجل تقريرك".

وأما برأسه وقال: "شكراً لك"، ولكنه لم يعرض عليّ وظيفة.

تصافحنا، ثم نزلت وكايت من السيارة، ودخلنا مكتب الإنتربرايز. قلت للسيدة التي خلف المنضدة، "أرغب في استئجار سيارة".

"لقد وصلت إلى المكان المناسب".

“أعتقد ذلك. هل تتوفر سيارة رياضية؟”

“كلا. لدينا سيارة هيونداي أكسنت متوفرة للإيجار.”

“ما هو نوع لهجتها؟”

“ماذا قلت؟”

“سأخذها.”

استخدمت بطاقتي الائتمانية لأنه سبق أن دفع مكتبي تكاليف سيارتي المستأجرة الأولى. ناهيك عن أنني كنت هارباً منهم، وتعقب بطاقتي يتطلب وقتاً أطول من تعقب بطاقتهم.

في غضون خمس عشرة دقيقة، كنت خلف مقود سيارة جميلة.

عدت أدراجي إلى وسط البلدة. قالت كايت: “لا يحتاج المرء إلى وقت طويل لكي يستأجر سيارة، أليس كذلك؟”

كنت أعتقد بأن هذا ما سيحدث، ولذلك قلت: “كلا. وخصوصاً إذا لم أكن أطلب نسخاً عن كافة اتفاقيات التأجير التي أبرمت في الأيام الأربعة الأخيرة.”

“ناهيك عن الوقت الذي يمكنك توفيره بعدم مغازلتك السيدة المسؤولة عن تأجير السيارات.”

يا إلهي. ها قد وقعنا في مشكلة، وهناك شخص مصاب بجنون العظمة على وشك أن يشعل حرباً عالمية ثالثة أو شيئاً من هذا القبيل، فيما هي تتقّب بالونات التي أطلقتها على سبيل المداعبة عند منضدة شركة الهيرتز قبل وقت طويل. حسناً، أعني البارحة. رفضت المشاركة في هذه اللعبة، وبقيت صامتاً.

قالت كايت: “أنت لم تعد رجلاً أعزب، كما تعرف.”

وقالت أشياء أخرى من هذا القبيل.

وصلنا إلى وسط البلدة، وأوقفت السيارة في مرآب بالقرب من مقهى. قلت لكاييت: “أنا بحاجة لكوب من القهوة.”

سألتني، “جون، هل أنت متأكد من أنك تعرف ماذا تفعل؟”

“أجل. أريد شرب القهوة. ماذا تريدين؟”

“أجب عن سؤالي.”

“أنا أعرف ماذا أفعل.”

“وماذا تفعل؟”

“لست أدري.”

“إلى متى سنبقى على هذه الحال؟”

“إلى أن نحل القضية أو إلى أن يمسك بنا زملاؤنا، أيهما يتحقق أولاً.”

“حسناً، يمكنني أن أقول لك أيهما سيتحقق أولاً”.

“كيف تريدين القهوة؟”

“بدون حليب”.

نزلت من السيارة، ودخلت المقهى، وكان عبارة عن مكان محلي وليس ستار باك حيث يتوجب علي الذهاب إلى الصراف الآلي أولاً.

طلبت كوبين من القهوة بدون حليب من الشابة شاردة الذهن التي كانت خلف المنضدة. وفيما كانت تتصارع ذهنياً مع طلبي، لاحظت وجود رف من التذكارات والهدايا المجانية بالقرب من الباب. أمسكت بمجموعة منها ودستها في جيوبي.

كانت السيدة كثيرة النسيان خلف المنضدة تحاول معرفة حجم الغطاء الذي عليها استخدامه. قلت لها: “أريد إجراء مكالمة محلية. هل يمكنني استعمال هاتفك الخليوي؟”

“أجل”.

كان ثمن القهوة دولاراً ونصف الدولار، ولكنني أعطيتها خمسة دولارات وقلت لها: “احتفظي بالباقي لقاء المكالمة الهاتفية”.

سلمتني هاتفها الخليوي، وقمت بالاتصال بفندق ذي بوينت.

أجاب جيم، “فندق ذي بوينت. كيف يمكنني مساعدتك؟”

قلت: “السيد كوري يتكلم. هل وصلت رسائل لي أو لزوجتي؟”

قال: “صباح الخير سيد كوري. هل تقضي وقتاً ممتعاً معنا؟”

“هاي جيم، علي أن أقول لك بأن هذه أفضل ألف ومئتي دولار أنفقتها في حياتي في ليلة واحدة، وهذا يتضمن فتيات الاستعراض في فيغاس”.

صمت جيم لبرهة، ثم قال: “وصلتني رسالتان لك، وكلاهما من السيد غريفيث. وهو يريد منك أن تتصل به”. وأعطاني رقم غريفيث وسألني، “هل ستشاركنا العشاء هذه الأمسية؟”

“هل تعتقد أنني سأشتاق إلى دجاجة الأرض التي يعدّها هنري؟ أسد لي خدمة، واتصل بسوني، وذكره بأنه كان سيعيرني سترة وربطة عنق. هل سمعتني؟”

“أجل. سأرسل الثياب إلى غرفتك. حسناً، سأراك في سهرة الكوكتيل. سيعدّ لنا هنري السجق الملفوف بالعجين”.

“أعرف ذلك”.

أنهيت المكالمة، وأعدت الهاتف إلى الأنسة سبايس التي أعتقد بأنها حسبت الهاتف هدية. ولكنني لن أحتاج على الأقل إلى القلق من تذكرها لي في حال زارها

العملاء الفيدراليون ليستعلموا عني.

غادرت المقهى، ومشيت على ممر المشاة، وخطرت
فكرتان ببالي. الفكرة الأولى كانت في وقف التصرفات
المتهورة والأنانية والتفكير بالمستقبل المهني لكاييت،
والذهاب لرؤية غريفيث وإطّاعه على كافة المعلومات
التي في حوزتي، بما في ذلك عبارات **ماد، ونيوك،
والف،** على أمل أن يتمكن مكتب التحقيقات الفيدرالي من
معرفة ماذا يخطط له مادوكس قبل فوات الأوان.

الفكرة الثانية هي في عدم القيام بأي شيء من تلك الأشياء، والسبب هو أن
القضية بدت في غاية الغرابة، وأنا لم أعد أثق بأحد، باستثناء كاييت بالطبع التي
كانت، من غير أن تتلقّى أوامر، زوجتي، وشريكتي، ووكيلتي القضائية، ورئيسي
المباشر، وعميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي. وبالرغم من أنني كنت أثق بها،
ولكنني مع كاييت، لا أعرف أبداً ماذا سيحصل. كنت أراهن على زوجة وشريكة.

الفصل 35

عدت إلى السيارة، وقدمت لكاييت كوب القهوة ورزمة من الكتيبات والمنشورات السياحية، وقلت لها: “إننا بحاجة إلى مكان نبيت فيه لكن ليس في بوتسدام”.
“ربما يجدر بنا الذهاب إلى كندا، وطلب اللجوء السياسي”.
“أنا مسرور لأنك لا زلت تحافظين على روحك الفكاهية”.
“هذه لم تكن نكتة”.

شربت قهوتي فيما كنت أقود السيارة وسط بوتسدام، وكانت كاييت تقلب المنشورات المطبوعة. أخبرتها عن المكالمات التي أجريتها مع **ذي بوييت** وقلت لها: “سيطلب غريفيث في وقت قريباً جداً إلى شرطة الولاية البدء بالبحث عنّا، هذا إذا لم يكن قد فعل ذلك أصلاً. ولكنني أعتقد بأننا نستطيع البقاء متقدمين عليه دائماً”.

بدا أن كاييت لم تسمعي فيما كانت تدرس الأدبيات المحلية. قالت: “ربما كانت المنطقة جيدة لكي نشترى فيها منزلاً. متوسط أسعار المنازل هو 66400 دولار”.
“أنا أبحث فقط عن مكان للإيجار لكي أبيت فيه هذه الليلة يا عزيزتي”.

“متوسط المدخول العائلي لا يتجاوز 30782 دولاراً في العام فقط. كم يبلغ مقدار ثلاثة أرباع تعويض إعاقتك المعفى من الضرائب؟”
“يا عزيزتي، ابحتي عن مكان نبيت فيه”.

“حسناً” قلبت بعض المناشير، وقالت: “هذا فندق بي أند بي جميل...”.
“لا أريد فنادق بي أند بي”.

“يبدو لطيفاً، ومنعزلاً إذا كانت تلك مواصفات المكان الذي نبحث عنه”.
“هذه هي المواصفات التي نبحث عنها”.

“يقع المبنى في أرض مساحتها اثنان وعشرون فداناً كانت في السابق ملكاً لاصطبلات الخيل التابعة لجامعة سان لورنس”. وقرأت، “إنه يوفر الخصوصية التي يوفرها عقار كلاسيكي في الريف”.

“كم تبلغ كلفة هذا العقار الريف الكلاسيكي؟”

“خمسة وستين دولاراً لليلة الواحدة. ولكن يمكنك الحصول على كوخ مقابل خمسة وسبعين دولاراً”.

“هذا ما كنا ندفعه في ذي بوينت في الساعة”.

“سندفع المال على أية حال”.

“أجل. كيف السبيل للوصول إليه؟”

نظرت إلى المنشور، وقالت: “علينا أن نسلك الطريق 11”.

بدأت دورتي الثانية في وسط بوتسدام، وصرت أعرف المنطقة. تقدمت نحو نقطة تقاطع فيها الكثير من إشارات المرور، وسرعان ما وصلنا إلى الطريق 11 الذي يتجه إلى خارج البلدة.

قلت: “أعرف أشخاصاً في فرقة الهاربين يقولون إن الهاربين يجدون متعة دائماً في تقادي الاعتقال. الأمر أشبه باستخدام فطنتك، والتنقل على الطرقات”.

“أنا لا أجد الأمر مسلياً. وماذا عنك؟”

“حسناً، أجل. إنها لعبة. والألعاب مسلية”.

لم تعلق على كلامي، وقالت: “يبعد فندق بي أند بي هذا حوالي خمسة عشر كيلومتراً عن المكان الذي نحن فيه، خارج كانتون”.

“تقع كانتون في ولاية أوهايو”.

“ربما نقلوا مكانه، أو ربما توجد بلدة اسمها كانتون في نيويورك”.

“سنرى”. وهكذا، واصلنا سيرنا في الاتجاه الجنوبي الغربي سالكين الطريق 11.

عادت كايت لتقرأ منشور غرفة التجارة، وقالت: “يوجد الكثير من الكليات في المنطقة، وهذا يعني أن نسبة الأشخاص الذين يحملون شهادات جامعية أعلى من النسبة المتوسطة على الصعيد القومي”.

“ستجمدن متقفيك في هذه المنطقة”.

“متوسط الدرجة الحرارة في يناير هو سبع وعشرون درجة فهرنهايت. ليست بالسيئة”.

“قولي لي ذلك في يناير”.

“يمكننا الإقامة مع والديك في فلوريدا في فصل الشتاء”.

“أفضل أن أتجمّد حتى الموت”. نظرت إلى الساعة التي في لوحة أجهزة القياس في السيارة ووجدت أنها 11:47. كان عليّ أن أتصل بديك كيرنز في أسرع وقت ممكن.

كانت طريقاً تكثر فيها السيارات، وتمرّ عبر المناطق المكشوفة في الريف، والمزارع، والقرى الصغيرة. كنا بالتأكيد خارج منطقة جبل أديرونداك وفي سهول غريت ليكس. في تلك الجنان، كانت الدببة تفوق البشر عدداً وكانت حركة المرور

خفيفة، بحيث كان يسهل الانتباه إلينا وتذكرنا. لكن هنا، يمكننا الاندماج مع عامة السكان طالما أنني أبقى فمي الذكي مغلقاً.

كانت قيادة سيارة الهبونداي الصغيرة سلسة، ولكنني كنت أفضل سيارة ذات دفع رباعي تحسباً لحاجتي إلى تحطيم سياج نادي كاستر هيل في وقت معين، كما في هذه الليلة.

سألت كايت، “كم تحملين من الذخيرة؟”

لم تجب عن سؤالي.

“كايت؟”

“معي مخزنان إضافيان في حقيبة يدي.”

كان في جيب سترتي مخزن واحد، فليس من عادتي أن أحمل ذخيرة إضافية. ربما لو كنت أحمل حقيبة يد أو حقيبة أمتعة، كنت سأحمل مخزناً إضافياً. سألتها، “هل يوجد متجر لبيع الأدوات الرياضية في كانتون؟”

بدأت تقلّب دليلاً وقالت: “هذا إعلان عن متجر لبيع الأدوات الرياضية في كانتون.”

“هذا جيد.”

واصلنا سيرنا بصمت، وبعد عشر دقائق، قالت كايت: “انعطف هنا نحو الطريق 68 وابحث عن فندق ويلما بي أند بي.”

“ربما يمكننا فتح فندق بي أند بي. أنت تقومين بالطهو والتنظيف، وأنا أطلق النار على الضيوف القادمين.”

لم أسمع جواباً.

شاهدت لافتة لفندق ويلما، فتقدمت بالسيارة على ممر خاص للسيارات مفروش بالحصى يمرّ في حقل محاط بالأشجار. وأمام الحقل كان يوجد منزل من طراز كايب كود مع شرفة مسقوفة.

أوقفت السيارة، ونزلنا منها، واقتربنا من الشرفة. نظرت إلى الطريق العام، ووجدت أنني بالكاد أستطيع رؤيته.

سألتني كايت، “هل أنت بخير؟”

“أنا في وضع ممتاز. يبدو أشبه بمكان يقيم فيه بوني وكلاي.”

ضغط كايت على جرس الباب، وبعد دقيقة فتح رجل في منتصف العمر الباب وسألنا، “كيف يمكنني مساعدتكما؟”

قالت كايت: “تريد غرفة لنبيت فيها هذه الليلة.”

“حسناً، لقد وصلتما إلى المكان المناسب.”

يبدو أنها العبارة التي تستخدم في هذه المنطقة. وعلى الأرجح أن تسمع العبارة نفسها عندما تدخل مستشفى لاستئصال الزائدة الدودية.

دخلنا مكتباً صغيراً في البهو، حيث قال المالك، واسمه نيد: “حصلتما على مرادكما. غرفتان في الأعلى أو كوخان صغيران”.

قلت: “سننزل في كوخ”.

عرض علينا صورتان فوتوغرافيتان وقال: “هذا هو البوند هاوس، لأنه يوجد في بركة. والآخر هو فيلد هاوس”.

بدا الكوخ الأخير أشبه بمنزل مقطور. قالت كاي: “يعجبني البوند. ما رأيك يا جون؟”

“أجل”. سألت نيد، “هل توجد لديكم خطوط هاتفية خارجية في هذين الكوخين؟”
هز رأسه وقال: “لدينا خطوط هاتفية بالتأكد، ولدينا كهرباء أيضاً”.

أردت أن أقول له بأننا قدمنا للتو من منتج فخم لا تُلَافز فيه ولا خدمة هاتفية، ولكنه لم يكن سيصدق ذلك.

قال: “منزل البوند مزود بتلفاز كابل وجهاز فيديو، ووصلة إنترنت”.

“لا بدّ وأنتك تمزح؟ هاي، هل يوجد لديك حاسوب محمول يمكنني استعارته أو استجاره؟”

“لديّ واحد يمكنك استخدامه مجاناً إذا كان في إمكانك إعادته بحلول الساعة السادسة والنصف، لأن هذا هو الوقت الذي تزور فيه زوجتي موقع إي باي الإلكتروني للمشاركة في المزاد. تقوم هذه المرأة بشراء الخردة، ثم تعود فتبيعها على الموقع إي باي. وتقول إنها تجني مالاً، ولكنني لا أعتقد ذلك”.

لو لم أكن أحاول تجنب الظهور، لقلت له إنها على الأرجح تتكلم مع شخص على الإنترنت. ولكنني اكتفيت بالتبسم.

وعلى أية حال، سددت ثمن المبيت في الغرفة نقداً، وهو ما أثار إعجابه، فلم يطلب هوية أو وديعة أمنية. سلمني حاسوبه المحمول الذي قدرته ثمنه بألف دولار تقريباً. أردت أن أطلب إليه صندوقاً من الجعة، ولكنني لم أشأ استغلال حسن ضيافته.

سلمني نيد مفتاح الكوخ، وأعطاني بعض الإرشادات الأساسية الخاصة بالمكان، وأرشدني إلى البوند وقال: “اتبع الطريق”.

ركبت وكايت السيارة، وقالت: “هل لاحظت مقدار لطافة الناس هنا وثقتهم بالآخرين؟”

“يبدو أنني فقدت محفظتي”.

تجاهلت عبارتي، وأضافت، “هذا المكان يشبه المكان الذي ترعرعت فيه في مينيسوتا”.

“حسناً، لقد قاموا بعمل جيد هنا. دعينا نناقش مسألة الانتقال للعيش في مكان آخر في وقت لاحق”.

سرنا على الطريق مسافة مئة متر، ووصلنا إلى كوخ صغير مكسو بألواح خشبية رقيقة في بركة.

أخذت كايت حقيبتها ودخلنا الكوخ. كان مكاناً لائقاً يضم غرفة جلوس، وغرفة نوم، ومطبخاً مزيناً بما يشبه إي باي كهربائي. وفي الخارج كانت توجد شرفة مقفلة تطل على البركة. وأملت بأن أجد حماماً داخلياً في مكان ما.

كانت كايت تتفحص المطبخ عندما سألتها، “ماذا يوجد في الثلاجة؟”

فتحت الباب وقالت: “لمبة مضيئة”.

“اطلبي خدمة الغرف”.

تجاهلت تعليقي وما لبثت أن وجدت الحمام.

أمسكتُ بسماعة الهاتف الموجود على الطاولة، واتصلت بديك كيرنز. قبل أن يتحمل كلفة المخابرة وسألني، “لماذا أدفع ثمن هذه المخابرة؟”

“أنا في السجن، وقد أجريت مكالمتي المجانية واتصلت بوكيل مراهناتي”.

“أين أنت؟ ومن يكون ويلما الذي يظهر على الشاشة لدي؟”

“إنها زوجة نيد. هل استقصيت عن الرجل؟”

“أي رجل؟ آه، بوشكين. إنه كاتب روسي وقد توفي. لا توجد معلومات إضافية”.

من الواضح أن ديك شعر بالحاجة إلى ممازحتي بدلاً من دفع كفالتي. قلت له: “هيا يا ديك، فالأمر هام”.

“أولاً عليّ أن أسألك. كم تبلغ المسافة بين رأسك والسقف (تصريحك الأمني)؟”

أجبتُه “مئة وثمانين سنتيمتراً”.

“للأسف أيها المحقق كوري، معظم الأدوات التي لدينا لا تصلح للأشخاص الذين يقل طولهم عن مئة وثلاثة وثمانين سنتيمتراً، ولكنني سأكتب هنا بأنك طلبت أدوات خاصة بمن يبلغ طولهم مئة وثلاثة وثمانين سنتيمتراً”.

انتهى من نكته القديمة وقال: “حسناً، هل أنت مستعد لكتابة ما سأقوله لك؟”

“انتظر لحظة” كانت كايت قد خرجت من الحمام، وجلست على كرسي بالقرب من الطاولة. قلت لديك: “سأحوّل صوتك إلى المجهر”. ضغطتُ على زر المجهر وقلت: “قل مرحباً لكايت”.

“مرحباً يا كايت”.

“مرحباً يا ديك”.

قال ديك: “أنا مسرور لأنك معه لكي تبقيه بعيداً عن المشكلات”.

“أنا أحاول القيام بذلك”.

“هل سبق أن حدثتك عن وقت...”

قاطعته بالقول: “ديك، إننا نعمل وفقاً لجدول زمني ضيق”.

“أجل، وأنا أيضاً. حسناً، هل أنت جاهز؟”

أخرجت كاييت دفتر الملاحظات، وأمسكت أنا بورقة وقلم كانا على الطاولة وقلت: “ابدأ”.

“حسناً. ميخائيل بوتيوف، وُلد في كيورسك في جمهورية روسيا التابعة للاتحاد السوفياتي، في 18 مايو/أيار 1941. قُتل والده في العام 1943، وكان نقيباً في الجيش الأحمر، أثناء تأديته مهامه. ووالدته متوفية، ولكنني لا أملك أي معلومات إضافية عنها. الاختصاص التعليمي... لا يمكنني تهجئة هذه الكلمات الروسية اللعينة”.

“قم بتهجئتها”.

“حسناً”. أملى عليّ اسم الشهادة العلمية التي حصل عليها بوتيوف، وكانت عيناى زائغتين إلى أن قال: “تخرج من معهد ليننغراد للفنون التطبيقية بدرجة متفوقة في الفيزياء النووية. وفي وقت لاحق، عمل في... اللعنة، كورشاتوف؟ أجل معهد كورشاتوف في موسكو... والمعلومات المتوفرة لدي تقول إنه منشأة نووية سوفياتية هامة، وهذا الرجل أجرى بحثاً هناك”.

لم أعلق على ما قال، ولكنني تبادلنا وكاييت النظرات.

سألني ديك، “هل هذا ما كنت تبحث عنه؟”

“وماذا غير ذلك؟”

“حسناً، ثم عمل في مصنع لتعليب البطاطا”.

“ديك...”

“عمل في برنامج نووي عسكري سوفياتي في مكان ما في سيبيريا...” قام بتهجئة اسم بلدة أو منشأة ثم قال: “يبدو أن هذه المعلومات سرّية. ولم يعد يتوفر الكثير من المعلومات منذ العام 1979 إلى حين انهيار الاتحاد السوفياتي سنة 1991”.

“حسناً، ما مدى دقة هذه المعلومات؟”

“حصلت على بعض منها من مكتب التحقيقات الفيدرالي مباشرة. إن اسم بوتيوف مدرج على لائحة الأشخاص الذين يخضعون للمراقبة. وقد حصلت على معظم المعلومات من السيرة الذاتية لبوتيوف الموجودة في الموقع الإلكتروني حيث يعمل”.

“ما هو مكان عمله؟”

“معهد ماساشوستس للتكنولوجيا. إنه يعمل أستاذاً مدرّساً هناك”.

“ما هي المادة التي يدرّسها؟”

“ليست التاريخ الروسي.”

“بالطبع...”

“كما حصلت على بعض المعلومات المتعلقة به من المجالات الأكاديمية. إنه شخص ذائع الصيت.”

سألته، “وما هو السبب؟”

“إنها مواضيع تتعلق بالبحوث النووية. هل تريد أن أقرأها لك؟”

“سنعود إلى هذا الأمر لاحقاً. وماذا بعد؟”

“حسناً، كنت في المكتب الميداني التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالي. وهناك، وجدت شخصاً عرفت أنه على استعداد للتحدث بطريقة غير رسمية. قال لي إنه جرى إحضار بوتيوف إلى هنا كجزء من برنامج لإعادة التوطين في مرحلة ما بعد الاتحاد السوفياتي بهدف تحييد بعض المواهب النووية الطليقة قبل أن يبيع أصحابها معلوماتهم لمن يقدم لهم عطاء أكبر. وجرى إسناد وظيفة مدرّس في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا إليه كجزء من برنامج إعادة التوطين هذا.”

ضحك ديك ضحكة خافتة وقال: “ربما كان البرنامج أقل كلفة لو اقتصر على ذلك. ولكنهم اشتروا له شقة في كامبريدج، وهو لا يزال يحصل على بعض المبالغ من العم سام. في الواقع، أجريت فحصاً سريعاً لبطاقته الائتمانية وتبين لي أن درجته هي A3 أي أنه لا يعاني من مشكلات مالية أو مشكلات تتعلق ببطاقته الائتمانية، وهو ما يلغي كما تعرف، نصف الدوافع للقيام بالأعمال غير القانونية التي تحدث في العالم.”

“هذا صحيح.” لكن النصف الآخر هو الذي يقلقني، ذلك النوع من الدافع للقيام بنشاطات غير قانونية ربما يجد مليونير في صناعة النفط صعوبة في مقاومة إغرائها، مثل السلطة، والمجد، والانتقام.

سألته كايته، “لماذا أدرج اسمه في لائحة المراقبة لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي؟”

أجاب ديك “قال لي ذلك الشخص الذي يعمل في بوسطن بأنه إجراء عادي بالنسبة إلى شخص يملك هذه المواصفات. ليس لدى المكتب مأخذ على الرجل، ولكنه يشترط عليه إبلاغه عندما يريد مغادرة المنطقة لأن بوتيوف، كما قال العميل الذي تحدثت إليه، دماغ متنقل مليء بالمعلومات التي ينبغي عليه ألا يتشارك بها مع أي بلد لديه برنامج نووي ناشط غير قانوني.”

سألته، “هل قام بوتيوف بإبلاغ مكتب بوسطن بأنه سيغادر البلدة؟”

“لست أدري فأنا لم أسأل. لقد كنت محظوظاً كفاية بالعثور على هذا الشخص الذي قبل بالتحدث إليّ بطريقة غير رسمية. ولكنني اقتصرت في أسئلتني على المعلومات التي تتعلق بخلفية هذا الرجل.”

سألته كايت، “هل لديه زوجة؟ أو أولاد؟”

“ولدان ناضجان جرى إحضارهما إلى هنا أيضاً كجزء من رزمة اتفاقية إعادة التوطين. لا توجد معلومات متوفرة عنهما. وزوجته، سفيتلانا، لا تتقن اللغة الإنكليزية”.

سألته كايت، “هل تحدثت إليها؟”

“أجل. اتصلت بالشقة التي تقيم فيها. ولكنني اتصلت قبل ذلك بمكتبه في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا. قالت لي السكرتيرة، واسمها كرايتري، بأنه أرسل إليها رسالة إلكترونية في عطلة نهاية الأسبوع - يوم السبت - وقال فيها إنه لن يعود حتى يوم الثلاثاء؛ أي اليوم. ولكنه لم يصل لغاية الآن، ولم يسمع أحد عنه شيئاً”.

وأضاف، “أعتقد بأنه موجود في المنطقة التي تتواجد فيها. أليس كذلك؟”

“لسنا ندري”. استغربت قيامه بإلغاء حجزه على الرحلة التي تطلع عند الساعة 12:45 إلى بوسطن في وقت ما ليلة البارحة، وعدم اتصاله بشركة الطيران لتجديد حجزه على متن الرحلة التالية المتوجهة إلى بوسطن، والتي أذكر بأنها ستطلع عند الساعة 9:55 من صباح يوم غد، كما أنه لن يذهب بالسيارة إلى بوسطن لأن سيارته المستأجرة أعيدت إلى الشركة.

سألته كايت، “هل بدت السكرتيرة قلقة؟”

“لم يكن في مقدوري استنتاج ذلك. فقد كانت محترفة، ولم يكن يوجد لدي سبب لأضغط عليها. ولذلك، اتصلت بسفيتلانا التي أخبرتني بأنه غير موجود في المنزل”. ولذلك سألتها متى تتوقعين عودته؟ فأجابت ‘يوم الثلاثاء’. قلت لها ‘اليوم هو يوم الثلاثاء’، فقالت ‘اتصل في وقت لاحق’. ولذلك أعدت الاتصال قبل حوالي عشرين دقيقة من الآن وقالت لي ‘أنا بحاجة إلى الاتصال بميخائيل. لقد ربح مليون دولار في مسابقة ريدرز دايجست وهو بحاجة إلى المطالبة بالجائزة’. وعلى أية حال، لا أعتقد بأنه في المنزل، أو أنها تمكنت من إبلاغه بضرورة المطالبة بجائزته”. سألته، “إذاً، هذا الشخص في عداد المفقودين؟”

“ربما. هل تريد شيئاً آخر؟”

“كلا. هذا هو العرض التقديمي المجاني الأساسي”.

“هل حصلت على رقم هاتف هذا الشخص؟”

“طلبت الحصول عليه من سفيتلانا ومن السكرتيرة، ولكنهما امتنعتا عن إجابة طلبي. وأنا على ثقة بأنهما اتصلتا به بضع مرّات”.

“حسناً، وماذا عن شركة الهاتف؟ أو مكتب التحقيقات الفيدرالي في بوسطن؟”

“سأحاول الحصول على الرقم من شركة الهاتف، ولكنني لن أعاود الاتصال بمصدري في المكتب مرّة أخرى. لقد حصلت منه على أكبر قدر ممكن من المعلومات، وكان متعاوناً، ولكنه أصبح فضولياً. وعلينا أن نترك الأمور على حالها ما لم تكن تريد إثارة مشكلة ما”.

“حسناً، لنترك الأمور على حالها”.

قال: “ما الذي يدعوني إلى القيام بذلك يا كايت؟ عندما كنت أعمل في الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب، كانت لديهم حواسيب، وهواتف، وملفات خاصة بهم”.

نظرتُ إليّ ثم قالت لديك: “يسعى صديقك إلى إثبات نظرية خاصة به في أمر معيّن”.

“أجل. وهل قلت له بأنه ينبغي عليه أن يكون لاعباً في فريق؟”
“قلت له ذلك عدة مرّات”.

في هذا الوقت، كانت عيناى تدوران.

قال ديك: “حسناً، عندما يُفصل جون من عمله، سأحتاج إلى مساعدته هنا”.
أجابت كايت، “أعتقد بأنه سيكون على لائحة عدم المفصولين الفيدرالية إلى الأبد”.

قاطعتها، “حسناً، لنعد إلى العمل. ديك، هل يوجد شيء آخر تعتقد بأنه هام أو على صلة بالموضوع؟”
“أي موضوع؟”

كان ذلك سؤالاً جيداً، وقبل أن أفكر في جواب، سألتني ديك، “عن الموضوع النووي تسأل؟”

أجبت، “أنا لا أعتقد بأن له علاقة بالتحقيق الجنائي”.

“ولماذا يتورّط أستاذ مدرّس في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا في جريمة قتل؟”

“اعتقدت بأنه من رجال المافيا الروسية، ولكن لا يبدو أنه كذلك. حسناً، سوف..”
“إذاً، هل قام العرب باختطاف هذا الرجل؟”

“أنا لا أعتقد ذلك. أعطني رقم هاتف منزله وعمله”.

أعطاني الرقمين وقال: “حسناً، الكرة الآن في ملعبكما. أتمنى أن توفّقاً في العثور على بوتيوف، وأمل بأن تجد ابن العاهرة الذي قتل هاري مولر”.

قلت له: “سأفعل”.

قالت كايت: “شكراً لك يا ديك”.

“انتبها لنفسيكما”.

وضعت السماعة. نظرت كايث إليّ، وقالت: "عالم فيزيائي نووي".
"أجل".

"وماذا يصنع في نادي كاستر هيل؟"

"أعتقدين بأنه يعمل على إصلاح فرن الميكرووايف؟"

"جون، علينا أن نسافر إلى نيويورك اليوم، ونطلب من والش أن يجمع الأشخاص المناسبين..."

"انتظري لحظة. أنتِ تبالغين، فنحن لا نملك معلومات مفزعة عدا أنه صدف أن عالماً فيزيائياً نووياً نزل ضيفاً عند نادي كاستر هيل..."

"لدينا الحروف ماد، ونيوك، وإلف، و..."

"يا إلهي، أرجو أن يكونوا قد عثروا عليها بحلول هذا الوقت".

"وماذا لو لم يعثروا عليها؟"

"إذن سيكونون حمقى".

"جون..."

"لا يمكننا الاعتراف بأننا نملك دليلاً قمنا بإخفائه... حسناً، نسينا أن نشير إليه".

"أتقصد أننا نسينا نحن الاثنان؟" قامت عن كرسيها، وقالت: "أنت لم تبلي عن هذه المعلومات. لقد ارتكبت جريمة، وأنا شريكك فيها".

وقفت أنا أيضاً، وقلت لها: "ألا تعتقدين بأني سأحميك؟"

"أنا لست بحاجة إليك لكي تحميني. علينا أن نبلي عن كافة المعلومات التي في حوزتنا، بما في ذلك بوتيف. الآن".

"عليك أن تعرفي بأن مكتب التحقيقات الفيدرالي يعرف كل شيء نعرفه، وهم لا يشاركوننا ما لديهم من معلومات؛ فلماذا علينا أن نشاركهم في معلوماتنا؟"

"لأن تلك هي وظيفتنا".

"أجل. وسنقوم بذلك، ولكن ليس الآن". وأضفت، "اعتبري أن ما نقوم به هو تحقيق مكمل".

"كلا، إننا نعمل في تحقيق غير مصرح لنا أن نقوم به".

"هذا خطأ. فقد صرّح لنا والش..."

"ليام غريفث..."

"عليه اللعنة. كل ما أعرفه هو أنه أحضر لنا ملابس داخلية يستغرق تنظيفها أسبوعاً كاملاً".

"أنت تعرف لماذا جاء إلى هنا".

“كلا، أنا لا أعرف، ولا أنتِ تعرفين”.

اقتربت منّي أكثر وسألتني، “ما الذي تخطط للقيام به؟”

“كما هو الحال دائماً، معرفة الحقيقة وإحقاق الحق”. وأضفت، “الواجب، الشرف، البلاد”.

“هذا هراء”.

“حسناً، الجواب الحقيقي هو أننا بحاجة إلى إنقاذ أنفسنا. فنحن عالقان في ورطة، والطريقة الوحيدة للخروج من تلك الورطة هي في إحراز تقدم في القضية”.

“ولا تنسَ غرورك. هذا هو جون كوري، من شرطة ولاية نيويورك، يسعى إلى إثبات أنه أذكي من مكتب التحقيقات الفيدرالي بأكمله”.

“أنا لست بحاجة إلى إثبات ذلك. فهذه حقيقة راسخة”.

“أنا عائدة إلى نيويورك. هل ستأتي معي؟”

“كلا”. وأضفت، “عليّ أن أجد قاتل هاري”.

جلستُ على السرير، ونظرت إلى الأرضية. من الواضح أنها كانت مستاءة.

وقفتُ لدقيقة كاملة، ثم قلت: “يا كايت”، ووضعت يدي على كتفها، وقلت: “ثقي بي”.

بقيت صامتة لبرهة ثم قالت كما لو كانت تتحدث مع نفسها: “لِمَ لا نذهب إلى نيويورك ونخبر توم والش بكل ما نعرفه...؟ ونحاول إنقاذ مستقبلنا المهني؟”

أجبتها، “لأننا تجاوزنا نقطة اللاعودة. لا عودة إلى الوراء”. وأضفت، “أنا آسف”.

بقيت جالسة لفترة، ثم نهضت، وقالت: “حسناً، ما هي الخطوة التالية”.

“معرفة معنى العبارة ‘إلف’”.

الفصل 36

بدا أن كايت هدأت لفترة وجيزة، وأذعنت لحقيقة أن الغبي الذي أقحمها في هذه الورطة ربما يكون الغبي الوحيد الذي يمكنه إخراجها منها.

بدأت أشعر بشيء من الضغط نتيجة لذلك، ولكنني عرفت بأنه إذا حافظت على تركيزي وتمكنت من حل القضية - جريمة قتل هاري والغموض الذي يحيط بمادوكس - فستخفي مشكلتنا المهنية والشخصية. وفيما نحن منكبّان على حلها، ربما نتمكن أيضاً من إنقاذ الكوكب. وكما قالت كايت نفسها: “لا شيء ينجح مثل النجاح”.

أما نقيض ذلك فكان، حسناً، الخزي، والإذلال، والفصل من الخدمة، وطابور العاطلين عن العمل، وبعض المفاجآت النووية. لكن لماذا أنظر إلى الأمور بهذه السلبية؟

ولكي أجعل كايت جزءاً من الحل، قلت لها: “حسناً، سأعمل بنصيحتك، وسنتصل بجون ناسيف”.

جلست وكايت إلى الطاولة، وأخرجنا دفترينا.

كنت أفضل استخدام حاسوب نيد، ولكنني كنت متأكداً من أن جون ناسيف، الذي هو عضو في فريق دعم تقني، خارج حلقة الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب على أية حال.

اتصلت كايت بالرقم مستخدمة بطاقات المكالمات الشخصية لكي لا يظهر رقم ويلما على الشاشة، وعرفت عن نفسها بأنها مديرة الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب، وطلبت التحدث إلى القائد ناسيف. قامت بتشغيل المجهار، وتم تحويل المكالمات، وقالت لي: “جون ناسيف هو قائد مناوب في البحرية، ولذلك ربما ترغب في مخاطبته بذكر رتبته أولاً”. وأضافت: “إنه ضابط، ورجل كريم الأخلاق، ولذلك، اختر ألفاظك بعناية”.

“وأنت كوني حذرة في كيفية صياغتك للأسئلة”.

أجابت، “أعتقد أنني أعرف كيف أقوم بذلك. ولكن لماذا لا تتولّى دور الريادة كالعادة؟”

“أجل سيدتي”.

سمعت صوت القائد جون ناسيف وهو يقول: “مرحباً يا كايت، كيف يمكنني أن أخدمك؟”

أجابت، “مرحباً يا جون. هذا زوجي جون، وهو يعمل معي، ونحن نريد بعض المعلومات عن الموجات اللاسلكية بالغة الانخفاض. هل يمكنك أن تساعدنا في ذلك؟”

“أظن ذلك”. توقف عن الكلام لبرهة ثم قال: “هل لي أن أسأل عن سبب استفسارك عن هذا الموضوع؟”

تدخلتُ، وقلت: “مساء الخير يا حضرة القائد. أنا التحري كوري الذي يعمل تحت إمرة العميلة الخاصة مايفيلد”.

قال: “نادني جون”.

“وأنا أطلب إليك فعل الشيء نفسه. من دواعي الأسف أن المسألة حساسة، ونحن مخولان فقط بالقول إن الأمر ملح”.

“فهمت... ماذا تريد أن تعرف؟”

سألته، “هل يمكن لموجات إلف أن تقلي بيضة؟”

بدت كايت منزعجة، ولكن القائد جون أجاب، “أنا لا أعتقد ذلك”.

بدا أن حديث جون ناسيف يشبه حديث ضابط في البحرية، ولذلك سارعت إلى القول: “أنا أمزح فقط. هل يمكنك أن تزودنا ببعض المعلومات عن الموجات إلف؟ وأرجو منك أن تتقادي المصطلحات التقنية قدر الإمكان، فأنا لا أستطيع حتى أن أبرمج أزرار جهاز اللاسلكي الذي في سيارتي”. حملته على الضحك. وأجاب بعدها، “حسناً، للأمر علاقة بموضوع تقني، ولكنني سأحاول التكلم بالإنكليزية. أولاً، أنا لست خبيراً في إشارات إلف، ولكن في مقدوري بالتأكيد تزويدكما ببعض المعلومات الأساسية”.

“كلنا أذان صاغية”. فتحت دفتر الملاحظات، وأمسكت بقلم رصاص.

قال: “حسناً، لكي نبدأ، سأستعين ببعض المعلومات الموجودة في حاسوبي... حسناً، يجري إرسال الموجات إلف على ترددات بالغة الانخفاض... وهذا هو سبب إطلاق الاسم عليها... وعلى أية حال، إنها موجات بالغة الطول. وبالتالي إذا افترضنا أنك ترسل عند تردد مقداره 82 هيرتز، أو 0.000082 ميغاهيرتز، فإن ذلك يساوي موجة طولها 3658535.5 أمتار، أو 3658.5 كيلومتر..”

ألقيت قلم الرصاص، وقلت: “انتظر لحظة يا جون. إننا لا نريد إرسال رسالة على جهازنا الذي يعمل بترددات بالغة الانخفاض. نحن نريد أن نسأل من هم الذين يستخدمون هذا الطول الموجي؟ وفي أي شيء يُستخدم؟”

أجاب، “استخدامه يقتصر على الجيش فقط، وخصوصاً سلاح البحرية. ونحن نستخدمه في الاتصال مع غواصاتنا النووية التي تعمل عند أعماق متدنية جداً”.

تبادلت وكايت النظرات. أردت أن أسأله إن كان يعرف فريد، ولكنني سألته،
“هل يمكن مراقبة موجات إلف؟”

“بالتأكيد، في حال كنت تملك المعدات المناسبة. ولكنك قد تحتاج إلى الانتظار
فترة أطول لكي تسمع إرسالاً بتردد إلف.”

“لماذا؟”

“لأن استخدامه محدود جداً. وكل شيء تسمعه يمكن تشفيره.”

“حسناً، أجبني عن الأسئلة التالية، من، وماذا، وأين، ومتى، وكيف، ولماذا؟”

قال: “أنا لا أعتقد بأن المعلومات التي سأخبرك بها سرّية، ولكن أريد أن أعرف
إن كنت تستخدم خطأً أمناً.”

شخص تقليدي في قسم الاتصالات العسكرية. اعتقدت
بأنه ربما يكون نيد يصغي لكي يضيّع وقته، ولكن لا يبدو
أنه جاسوس، وعلى الأرجح أن تكون ويلما منهمة في
مشاهدة شبكة التسوق المنزلي. قلت للقائد ناسيف: “إننا
نستخدم خطأً أرضياً عادياً، وهو استخدام لمرة واحدة في
منتجع يقع في جبال أديرونديك”. لم نعد في الواقع في
جبال أديرونديك، ولكن هذا هو المكان الذي أردت أن
يعتقد والش وغريفيث أننا نتكلم منه في حال وصلت هذه
المحادثة إليهما. وأضفت، “إنه منتجع يسمى ذي بوينت.
رئيس الطهاة فرنسي، ولكنني متأكد من أنه لا يصغي
إلينا”.

“حسناً، كما سبق أن قلت، معظم هذه المعلومات ليس سرّياً. ولذلك دعني أشرح
لك التطبيق العملي لتكنولوجيا التردد بالغ الانخفاض إلف. كما تعرف، لدينا
غواصات نووية تعمل عند أعماق عميقة جداً ولفترات طويلة من الزمن؛ لمدة
شهور، وأحياناً تعمل غالبية هذه الغواصات في مناطق تسيير الدوريات بالقرب
من ... حسناً، هذه معلومات حساسة بعض الشيء، ولكنني سأقول لك إنها تعمل
بالقرب من المحطات الصوتية المائية أسفل سطح البحر حيث يمكنها البقاء على
اتصال مع غرف العمليات البحرية عبر القنوات اللاسلكية العادية. ولكن يمكن أن
يتواجد بعض من هذه الغواصات في مناطق خالية من الوجود البشري، وعلى
مسافات بعيدة جداً عن هذه المحطات تحت المائية، وبالتالي، فإنه في الحالات
الطارئة، تحتاج غرف العمليات البحرية في بيرل هاربور الخاصة بأسطول
المحيط الهادئ، أو نورفولك الخاصة بأسطول المحيط الأطلسي، إلى البقاء على

اتصال مع هذه الغواصات النووية التي لا هي قريبة من السطح ولا هي قريبة من محطة ترحيل تحت سطح الماء. هل لا زلت تستطيع متابعتي لغاية الآن؟” نظرتُ إلى كايت التي أومأت برأسها وقالت: “بالتأكيد، تابع”.

“حسناً، لا يمكن للموجات التي تعمل بترددات منخفضة جداً ‘في ألف’ اختراق أعماق المحيطات، وخصوصاً إذا كانت المياه شديدة الملوحة. ولكن موجات ألف يمكن أن تقطع المسافة كلها في أي مكان من العالم مهما كانت الأحوال الجوّية، ويمكنها اختراق أي شيء، بما في ذلك الجبال، والمحيطات، والتلوج القطبية. ويمكنها أن تصل إلى الغواصات التي في أعماق المحيطات، وإلى أي شيء وفي أي مكان”. وأضاف، “ولولا وجود موجات ألف، لما كان لدينا اتصال ببعض من هذه القطع في أسطول غواصاتنا النووية، ولكن من الممكن أن يؤدي ذلك إلى مشكلة كبيرة في حال انفجر البالون”.

“ما هو البالون؟”

“إنه الاسم المتداول للحرب النووية”.

“أجل. أنا أحب اسم البالون أكثر”. وهنا أيضاً تبادلتُ وكايت النظرات فيما كنا نحاول أن نفهم معنى كل ذلك. لم أعرف حقيقة شعورها، ولكن مع التفكير في باين مادوكس، كنت أقل قلقاً.

وروى لنا القائد ناسيف دعابة جميلة بقوله: “لولا موجات ألف، لما كنا سنخوض حرباً نووية شاملة جيدة”.

“حسناً، يجب أن نكون ممتنين لتوفر ترددات ألف”.

ضحك وقال: “هذه نكتة قديمة يتبادلها العاملون في الاتصالات البحرية”.

“يا لها من نكتة مضحكة جداً. هل لديك غيرها؟”

“حسناً، يا صديقي، لقد مضى وقت طويل على انتهاء الحرب الباردة، ولكن...”

أنا لا أقاطع الشاهد في العادة، ولكنني فعلت، وسألت، “إذاً، هذه هي الطريقة الوحيدة... السبب الوحيد لاستخدام الموجات اللاسلكية عند التردد ألف؛ الاتصال مع الغواصات”.

أجاب، “حسناً، إنها ليست في الواقع موجة لاسلكية صوتية - إنها أشبه بمُرسل إشارات، مثل التلغراف - تُستخدم في إرسال رسائل مشفرة”.

“إلى الغواصات فقط؟”

“أجل. الغواصات التي في أعماق عميقة أسفل سطح البحر. إن موجات ألف طويلة جداً، ولذلك فإن عمليات الإرسال بطيئة جداً. ولكن في إمكانها اختراق أي شيء. وبالتالي فإن الاستخدام العملي الوحيد لها هو في الاتصال بالغواصات التي لا يمكن الاتصال بها بالوسائل العادية”.

“أجل. وهل يمكن لموجات ألف أن تعطل هاتفك الخليوي؟”

ضحك مجدداً وأجاب، “كلا. فهذه الموجات أبعد من أن تلتقط، ولذلك فهي لا تتداخل مع الموجات اللاسلكية الأخرى، أو موجات الميكروويف، أو أي شيء نستخدمه بشكل يومي”.

قالت له كايت: “وبالتالي، فإن إرسالات الموجات إلف عبارة عن رسائل مشفرة”.

“هذا صحيح”.

“ويمكن للغواصات فقط استقبالها”.

“حسناً، يمكن أن يلتقطها أي شخص لديه جهاز استقبال لموجات إلف. لكن ما لم تكن تعرف الشيفرة، وهي تتغير باستمرار، فستستقبل رسائل لا معنى لها. وكل ما ستسمعه عبارة عن نبضات مرسلّة، والتي هي حروف في نسق مشفر. وكما فهمت، الشيفرة الأكثر شيوعاً هي شيفرة الحروف الثلاثة”.

سألته كايت، “وهذه الرسائل تخبر العاملين على متن الغواصات بكل شيء يحتاجون إلى معرفته”.

“في العادة، تنقل لهم هذه الرسائل ما يحتاجون إليه لكي يجرؤوا اتصالاً لاسلكياً عادياً”. وأضاف، “يُسمى إرسال إلف دقّاق الجرس. فالغرض منه تنبيه قائد الغواصة إلى أن وضعاً معيناً أخذ في التطوّر، وأن عليه القيام بشيء للبقاء على اتصال”. وأضاف، “لكن في بعض الأحيان، تكون شيفرة الحروف الثلاثة غنية عن الشرح. وعلي سبيل المثال، يمكن أن تعني ‘أطف على السطح’ أو ‘تابع طريقك نحو الموقع كذا’، الذي يكون عبارة عن نقطة إحدائيات على شبكة مصممة سلفاً. هل أنتِ معي؟”

أجابت كايت، “أعتقد ذلك”.

“لا يمكنك استخدام الموجات إلف في تبادل رسائل طويلة، لأن وصول الإشارة إلى الغواصة يستغرق نصف ساعة. وينبغي أن أشير إلى أنه لا يمكن للغواصات أن ترسل إشارة أو رسالة على موجات إلف، وإنما يمكنها استقبالها فقط”.

قلت، “الأمر كقولك ‘لا تتصل بنا، بل نحن من سيتصل بك’”.

“هذا صحيح”.

سألته كايت، “لماذا لا تستطيع الغواصة إرسال رسالة على موجات إلف؟”

“ينبغي أن يكون جهاز الإرسال والهوائي على اليابسة. ويمكنني أن أشرح لك ذلك لاحقاً. لكن إذا احتاجت الغواصة إلى الردّ على هذه الرسائل ذات الاتجاه الواحد، أو إذا احتاج قائد الغواصة إلى مزيد من البيانات، ينبغي أن تقترب الغواصة من محطة سمعية مائية، إذا كان يتوفر لها وقت للقيام بذلك، أو تدنو من سطح الماء، وترسل إلى السطح عوامة اتصالات لكي تردّ أو تحصل على مزيد من المعلومات عبر الموجات ذات التردد المنخفض جداً، أو عبر القمر الصناعي في يومنا هذا، أو عبر وسائل أخرى”.

سألته، “ماذا تعني بقولك ‘إذا كان يتوفر لها وقت للقيام بذلك’؟”

أجاب، “حسناً، إذا أطلق الطرف الآخر مثلاً صواريخ باليستية عابرة للقارات علينا، فلن يتوفر وقت لإجراء اتصال لاسلكي عادي، لأنه بحلول الوقت الذي تستقبل فيه الغواصة إشارة إلف، والتي كما قلت يمكن أن تستغرق ثلاثين دقيقة، تكون كافة الاتصالات في الولايات المتحدة قد تبخرت، وتكون الحرب النووية قد انتهت تقريباً”. وأضاف، “وإذا كان هذا ما يحصل على السطح، تكون الغواصات قد تلقت رسالة إلف الوحيدة والأخيرة التي ستتلقاها - شيفرة من ثلاثة حروف تعني... حسناً، أطلق صواريخك”.

ارتسمت على وجه كايث علامات القلق، ولكن كان لدى القائد ناسيف أخبار طيبة حيث قال: “إن موجات إلف لا تتأثر بالانفجارات النووية الحرارية”.

قلت: “تشكر الله على ذلك. لكن دعني أسألك سؤالاً؛ ماذا لو أرسل الشخص المكلف بإرسال شيفرة إطلاق الصواريخ النووية الحروف الخاطئة؟”

أجاب القائد ناسيف والمرح بادٍ على صوته، “لن يحصل ذلك”.

“ولم؟ انظر إلى البريد الإلكتروني الذي يصلك؟”

“أعني”، وبدأ يشرح بصبر، “توجد إجراءات أمنية، تستوجب التأكد من صحة كافة الأوامر التي تقضي بإطلاق الصواريخ”.

“من قبل من؟ بحلول الوقت الذي تتلقى فيه الغواصات الأمر بعد نصف ساعة على إرساله، وكما قلت للتو، لن يبقى أحد على قيد الحياة لكي يتحقق من أي شيء”.

“هذا صحيح. لكن يمكنك الاطمئنان إلى أن ذلك لن يحدث”.

“كيف لا أقلق؟ أعني أنت تتحدث عن ثلاثة حروف تافهة، مثل القرودة التي تكتب ‘الملك لير’”.

“لمعلوماتك، يمكن أن يكون لرسالة من ثلاثة حروف 17576 تركيبية حروف محتملة في اللغة الإنكليزية. وفي الأبجدية الروسية التي تتضمن ثلاثة وثلاثين حرفاً، يتوفر 35937 شيفرة مختلفة”. وشرح لنا كيفية الحصول على تلك الأرقام فقال: “تضرب العدد ثلاثة وثلاثين بنفسه ثلاث مرّات فنحصل على 35937. وبالتالي ما هي فرص قيام العامل على اللاسلكي البحري بإرسال شيفرة عن طريق الخطأ إلى أسطول غواصات لكي يطلق صواريخه على أهداف محددة سلفاً؟”

إذا فكّرنا في حقيقة أنه في حال تعمّد شخص ارتكاب خطأ، ستكون الفرص في اعتقادي كبيرة. قلت: “ربما يجدر بنا استخدام الأبجدية الروسية لأن حروفها أكثر، مما يعني فرصة أقل لإشعال حرب نووية عن طريق الخطأ”.

اعتقد أنني كنت أمزح فقال لي: “في الواقع، إذا كنت تريد معرفة معلومات أكثر من تلك التي تحتاج إليها، فإن كل من يريد إرسال الرسالة بحاجة إلى إرسالها على

شكل شيفرة متكررة تصحح الخطأ، ثم اتباعها بشيفرة تحقق من ثلاثة حروف. ولا يمكن لأحد إفساد الأمر عن طريق الخطأ”.

طرحت عليه السؤال الواضح والمناسب، “ماذا لو قام بذلك عن قصد؟ مثل مجنون يريد إشعال حرب نووية؟”

فكّر في السؤال وأجاب، “كما قلت، الشيفرات تتغير باستمرار”.

“لكن ماذا لو كان ذلك الشخص يعرف الشيفرة...”

“لا يمكنني تخيل حصول أي شخص غير مصرّح له على الشيفرات التي تطلق الصواريخ وشيفرات التحقق، إضافة إلى حصوله على بروتوكولات التشفير الحالية. كما أن برمجيات التشفير الحاسوبية أكثر تعقيداً مما يمكن لأي شخص أن يتصوره”. وأضاف، “ينبغي ألا تقلق بشأن أمور كهذه”.

فكّرت في باين مادوكس، وأردت أن أقول للقائد ناسيف: “يجدر بك أن تقلق من ذلك”.

سألته كايث، “وهل يوجد تطبيق ممكن آخر لوسيلة الاتصال هذه؟ أعني هل يوجد استخدام آخر لموجات إلف عدا الاستخدام العسكري؟”

“حسناً، كان ذلك ممكناً في السابق. ولكنني سمعت بأن أجهزة استقبال الموجات إلف الروسية باتت تُستخدم منذ انتهاء الحرب الباردة في البحوث الجيوفيزيائية. لقد تحوّلت السيوف إلى محاريف”. وشرح ذلك قائلاً: “يمكن أن تخترق موجات إلف قشرة الأرض ويمكن بالتالي استخدامها في سبر الأعماق والمراقبة الكهرومغناطيسية، مثل البحوث الزلزالية، والتكهّنات بوقوع هزات أرضية وتطبيقات من هذا القبيل”. وأضاف، “أنا لا أعرف الكثير عن هذه التطبيقات”.

قالت كايث: “إنّ، يمكن من الناحية النظرية لشخص من خارج الجيش إرسال موجات إلف، كالعلماء مثلاً”.

“هذا ممكن من الناحية النظرية، لكن يوجد ثلاثة أجهزة لإرسال موجات إلف في العالم، وتعود ملكيتها إلى جيشين”. وأضاف، “نحن نملك جهازين، والثالث يملكه الطرف الآخر”.

فكّرت كايث في الأمر، ثم قالت: “فهمت. لكن من الناحية النظرية، ينبغي أن تخضع صناعة أجهزة الإرسال للسرية التامة، أو تتم بطريقة غير قانونية”.

أجاب، “لا أعلم شيئاً عن الطريقة غير القانونية، ولا توجد أسرار في التكنولوجيا أو المعلومات الفيزيائية اللازمة لصناعة هذه الأجهزة. لكن المشكلة الحقيقية هي في الكلفة الباهظة لبناء محطة إرسال لموجات إلف، وفي أنه لا توجد تطبيقات عملية لها عدا الاتصال بالغواصات، أو البحوث الجيوفيزيائية المحدودة الحديثة”.

لم يخطر ببالي أن باين مادوكس مهتم بالبحوث الجيوفيزيائية، ولكن ربما يكون ذلك ممكناً ولذلك سألت، “هل يمكن لموجات إلف أن تكتشف المخزونات النفطية؟”

“أعتقد ذلك”.

“إذن، يمكن للعلماء الجيولوجيين استخدامها في التنقيب عن النفط”.

“هذا صحيح من الناحية النظرية، ولكن الأماكن التي يمكن بناء محطات إرسال موجات إلف فيها قليلة جداً”.

سألته كايث، “و السبب؟”

“حسناً، نحن نتحدث الآن عن جهاز الإرسال الفعلي نفسه، لكن دعيني أشرح لك ذلك. سألت لماذا لا يمكن للغواصات إرسال رسائل على موجات إلف. أحد الأسباب هو أن جهاز إرسال إلف يمكن بناؤه على اليابسة فقط وفي مناطق تتميز بأدنى قدر من التوصيلية الأرضية. وهناك أماكن قليلة جداً في العالم يتوفر فيها هذا الشرط الجيولوجي”.

وسألني البديهي كان، “وأين توجد هذه الأماكن؟”

“حسناً، أحد هذه الأماكن هو حيث يوجد جهاز الإرسال الروسي، ويسمى سيفز ويقع شمال غرب مورمانسك بالقرب من الدائرة القطبية. والمكان الآخر الذي تتوفر فيه هذه الشروط يقع هنا في الولايات المتحدة. يوجد جهاز الإرسال الأول في منشأة ويسكونسن للإرسال والآخر في منشأة متشيغان للإرسال، وهما تتقاسمان التشكيل الجيولوجي نفسه والذي يسمى درع لورينتاين”.

سألته، “هل توجد أماكن أخرى؟”

“حسناً، تحدثنا عن أجهزة إرسال الموجات إلف الموجودة. لكن كان لدى البريطانيين مخطط لبناء منشأة أثناء الحرب الباردة لصالح البحرية الملكية في مكان ملائم يسمى غلين غاري فورست في اسكتلندا. ولكن لأسباب سياسية وعملية متنوعة، تم التخلي عن الفكرة”.

بقيت وكايث صامتين لفترة، ثم أوجزت كايث ما حصلنا عليه من معلومات فقالت “إذن، يوجد ثلاث محطات إرسال لموجات إلف في العالم أجمع”.

قال القائد ناسيف على سبيل المزاح: “كان ذلك عندما أحصيتها آخر مرة”.

حسناً، أيها القائد، أحصها مجدداً.

تبادلنا وكايث النظرات، ولكن أياً منا لم يطرح السؤال البديهي عن إمكانية وجود أماكن أخرى مناسبة وربما قريبة. عرفنا أننا بحاجة إلى التعمية على السؤال لكي لا يجلس القائد ناسيف في المقهى ويحدث الناس أن كوري ومايفيلد كانا يطرحان أسئلة عن أجهزة إرسال الموجات إلف في جبال أديرونك.

رأى جون ناسيف في الصمت على أننا فرغنا من الاستفادة من وقته ولذلك سألنا، “هل كان ذلك مفيداً لكما؟”

أجابت كايث، “كان ذلك مفيداً للغاية. نشكرك. لكن لدي سؤال إضافي واحد حول نقطة لم نتضح لي بعد. فأنت تقول إنه يمكن لفرد أن يبني جهاز إرسال لموجات إلف”.

ربما كان جون ناسيف يفكر في وجبة الغداء، ولكنه أجاب، "بالتأكيد. يمكن لشخص معين أن يبني واحداً في الطابق السفلي في منزله أو في المرآب. وهو بحاجة إلى التكنولوجيا الأساسية وبعض المكونات التي يمكن شراؤها بدون الحاجة إلى ترخيص. كما أنه يمكن بناء بعض المكونات غير المتوفرة أو شراؤها بعد دفع الثمن المناسب. والمشكلة الحقيقية هي في موقع الهوائي وحجمه".

"ولماذا يمثل ذلك مشكلة؟"

"لأننا لا نتحدث عن هوائي رأسي قياسي. فهوائي موجات إلف في الواقع عبارة عن كابل أو مجموعة كابلات طويلة. وهذه الكابلات معلقة بأوتاد مثل تلك التي تستخدمها شركات الهاتف، وعادة ما تكون على شكل دائرة كبيرة تمتد لعدة كيلومترات".

بدا وصفه مطابقاً لما شاهدته مؤخراً. سألته، "أين تكمن الصعوبة، وما هو سبب ارتفاع الكلفة؟"

أجاب ناسيف، "حسناً، إنه باهظ التكلفة في حال قامت الحكومة ببنائه". وضحك وقال: "كما قلت لك، الأمر يتعلق بطبقات الأرض والجغرافيا. أولاً، عليك أن تعثر على مكان تتوفر فيه قاعدة صخرية مناسبة، ثم عليك أن تشتري مساحة كبيرة بما يكفي من تلك الأرض".

"وماذا بعد؟"

"حسناً، بعد ذلك عليك أن تمدّ الكابلات التي تغذي الهوائي. وربما تمتدّ هذه الكابلات مئات الكيلومترات - في دائرة من أجل استخدام حيز أقل - أو إذا كانت الظروف الجيولوجية مثالية، يمكنك الاقتصار على مدّ الكابلات بطول ثمانين كيلومتراً أو أقل من ذلك".

قالت كايت: "أنا لم أفهم الناحية الجيولوجية من المسألة".

"حسناً، دعيني أقرأ على مسامعك بعض المعلومات. الشرط المتعلق بالأرض لبناء هوائي إلف هو توفر رقعة من الأرض يوجد فيها أمتار قليلة من الرمال، أو المخلفات الصخرية الجليدية أسفلها، إضافة إلى أساس صخري من الصخور البركانية، أو المتحوّلة أو... ما هي هذه العبارة؟ صخور صوانية".

قلت: "أمل بالأ تكون العبارة المشفرة لكلمة غذاء".

ضحك وأجاب، "أعتقد بأنه نوع من الصخور. دعني أرى... مناطق في سلسلة جبال قديمة تعود إلى عصر ما قبل الكامبري، مثل درع لورنتاين حيث توجد منشآتنا الخاصة بإرسال إلف... وشبه جزيرة كولا في روسيا، حيث توجد المنشأة الروسية، والمكان الذي يقع في اسكتلندا والذي تراجع البريطانيون عن فكرة بناء محطة إرسال بتردد إلف فيه... مكان بالقرب من بحر البلطيق".

لم أسمعه يقول، "جبال أديرونداك"، وكنت أصغي في الواقع بانتباه شديد.

واصل حديثه فقال: "إذاً، إذا أراد شخص أن يبني محطة إلف، عليه أن يذهب إلى واحد من تلك الأماكن، ويشتري قطعة أرض كبيرة، ثم يدق الأوتاد الهاتفية في

الأساس الصخري، ويمدّ كابلات الهوائي بينها على شكل دائرة. وكلما كانت الظروف الجيولوجية أفضل، كلما قل طول الكابلات اللازم لتوفير قدرة الإرسال نفسها. وبعد ذلك، يتم وصل سلك الهوائي بكابل تأريض مصنوع من النحاس الغليظ يمتدّ أسفل واحد أو أكثر من الأوتاد الهاتفية في ثقوب عميقة يتم إحداثها في صخور ضعيفة الموصّلية. ويقوم مولد كهربائي قوي - باهظ الثمن - بإمداد كابلات الهوائي بالتيار الذي يجري في سلك الهوائي، ليصل بعد ذلك إلى كابلات التأريض النحاسية المدفونة في الصخور". وأضاف، "وبعد ذلك، تصبح الأرض في حدّ ذاتها الهوائي الفعلي. هل تفهمني؟"

أجبت، "بالتأكيد".

لم أعتقد أنه صدّق كلامي، ولكنه أضاف، "وهذا أمر أرى أنه تقني أيضاً، ولكن يبدو أنه إذا كنت تملك قدرة كافية لتوليد الكهرباء - آلاف من الكيلوواط - وبعد بناء الهوائي بالشكل الصحيح، لا يعود من الصعب بناء جهاز حقيقي لإرسال الإشارات اللاسلكية، ويمكنك إرسال إشارات على موجات إلف كما يحلو لك". وأضاف، "من سوء الحظ أنه لا يوجد أحد يصغي إليّ".

ذكرته بالقول: "الغواصات تصغي إليك".

أجاب، "فقط في حال كانت تعمل على التردد الذي تستخدمه. فالروس يستخدمون التردد 82 هيرتز، ونحن نستخدم التردد 76 هيرتز. حتى وإن كانت الغواصات تسمع شيئاً على التردد المناسب، فعلى الأرجح أن يرفض جهاز استقبال الموجات إلف لديها تلك الإشارات".

"لماذا؟"

"لأن الإشارات العسكرية كما أسلفت مشفرة بواسطة الحاسوب. وهي تكون مشفرة أثناء إرسالها، ويتم فك التشفير عند الطرف الذي يستقبلها. وبخلاف ذلك، يمكن لأي معنوه - كما أشرت - أن يعبث من الناحية النظرية مع أساطيل الغواصات النووية الروسية والأميركية". وأضاف، "وكما تعرف، الأمر يشبه إشعال حرب عالمية ثالثة".

عرفت بالضبط ما عناه بكلامه من غير إعطاء مثال صريح.

نهضت كاييت، وسألت، "هل سبق أن حاول شخص القيام بذلك؟"

صمت القائد ناسيف لبرهة، ولذلك أعدت طرح السؤال.

وبدوره، طرح عليّ سؤالاً، "ما هو نوع القضية التي تعملان عليها؟"

عرفت أننا سنصل إلى هذه المرحلة لا محالة، ولم أرغب في إرسال رسالة مشفرة من ثلاثة حروف إلى البنتاباغون تقول "تحققوا من كوري ومايفيلد". أجبت، "حسناً، كما لا بد وأنك تعرف، إننا نعمل في قسم الشرق الأوسط. هذا كل ما يمكنني أن أقوله لك".

فكّر في الأمر ثم قال: "حسناً، ربما كان هؤلاء الأشخاص يملكون، أو لديهم القدرة على امتلاك هذه التكنولوجيا... ولكنني لا أعتقد بأنه توجد منطقة مناسبة

من الناحية الجيولوجية في أي من تلك البلدان”.

قلت: “إنها أخبار طيبة”. ولكن الأمر لا يتعلق بأصدقائنا في الشرق الأوسط. سألته مرة أخرى “هل سبق لأحد في الماضي أن حاول إرسال إشارة زائفة إلى أسطول غواصاتنا؟”

أجاب، “سمعت شائعة تتحدث عن شيء بهذا المعنى”.

سألته، “متى؟ وكيف؟ وماذا حصل؟”

“حسناً، إذا كنت تستطيع تصديق هذه الشائعة، كانت إحدى غواصاتنا النووية قبل خمسة عشر عاماً تستقبل رسائل ألف مشفرة، ولكن الحواسيب في الغواصة لم تستطع التحقق من صحة الرسائل المشفرة، ولذلك رفضتها”. وأضاف، “وعندما اتصل قبطان الغواصة بغرفة العمليات البحرية في بيرل هاربور ونورفولك بوسيلة أخرى، قيل له إنهم لم يرسلوا أية رسائل عبر منشأة ويسكونسن أو متشيغان”. وبقي صامتاً لوضع ثوان ثم وأضاف، “تبين أن جهة ما كانت ترسل رسائل زائفة، ولكن الإجراءات الأمنية نجحت في فضح أمرها، ولم تقم الغواصات بأي عمل بناء على تلك الرسائل”.

سألته، “ما هو العمل الذي كان مطلوباً؟ وما كان فحوى تلك الرسائل؟”

“أطلقوا الصواريخ”.

ساد الصمت في الغرفة لبرهة، ثم سألته كايته، “هل كان من المحتمل أن يكون الروس هم الذين بعثوا بتلك الرسائل؟”

“كلا. أولاً، لم يكن لدى الروس إمكانات لإرسال إشارات ألف لغاية العام 1990. وحتى وإن كان الروس من فعلوا ذلك، فما من سبب منطقي يدعوهم إلى إصدار أوامر إلى الغواصات الأميركية بشن هجوم صاروخي على الاتحاد السوفياتي”.

اتفقت معه في هذا التحليل وسألته “إذن، من كانت الجهة المرسلة؟” أجاب، “انظر، يمكن أن تكون تلك إحدى القصص المشكوك في صحتها والتي اختلقها الذين كانوا يخدمون في الغواصات أو في أقسام الاتصالات إبان الحرب الباردة لنيل إعجاب عشيقاتهم أو أصدقائهم في المقاهي”.

“أجل. فهذه القصة تستحق عناقاً قوياً أو شراباً مجانياً. ولكن يمكن أن تكون صحيحة أيضاً”.

“يمكن أن تكون كذلك”.

سألته، “إذاً، من الواضح أن تعدادنا لأجهزة إرسال موجات ألف خطأ. وأنا أحصي أربعة منها الآن”.

بقي صامتاً لبرهة، ثم أجاب “في الواقع، قبل حوالي خمس عشرة أو ست عشرة سنة، كانت توجد محطة ألف واحدة في العالم، وهي محطتنا في ويسكونسن. ولم تكن قد شيدت محطة متشيغان بعد، ولا محطة السوفيات”. وأضاف، “ولهذا السبب

أعتقد بأن القصة عارية عن الصحة. فمن هو الذي يريد بناء محطة إرسال موجات إلف وتشغيلها بغرض إشعال حرب نووية؟”

أعتقد بأن حمائي السابق المجنون يمكن أن يقدم على ذلك، ولكنه كان أبخل من أن ينفق دولاراته. ولذلك قلت: “هل كانوا صينيين؟ أعني أنه ربما أرادوا خداعنا وحملنا على إطلاق صواريخنا على الروس، ليجلسوا ويتفرّجوا علينا فيما ندمر بعضنا”.

أجاب ناسيف، “حسناً، هذا ممكن. ولكن في حال تم الإمساك بهم مثلّسين، لن أفاجأ إذا اتفق الروس والأميركيون على ضربهم بالصواريخ النووية عقاباً لهم”. وأضاف، “من الخطورة بمكان الدخول في مثل هذه اللعبة”.

كانت لعبة خطيرة فعلاً. وإذا كنت بلداً يمكن أن يتأثر بهذه اللعبة، مثل روسيا أو الصين، فعليك أن تفكر مرتين قبل أن تقدم على ذلك. ولكن إذا كنت فرداً ثرياً مقيماً في الجبال، فقد ترغب في إمتاع نفسك بجهاز إرسال إلف. سألت القائد ناسيف، “قلت بأنه يمكن مراقبة الموجات إلف، وبالتالي يمكنني الافتراض بأنه يمكن تحديد موقع مصدر الإرسال أيضاً”.

أجاب، “هذا سؤال جيد. لكن الجواب الأساسي هو كلا. عليك ألا تتسى أن الأرض نفسها أصبحت الهوائي، ولذلك تبدو الإشارات أنها تتبعث من كافة الجوانب التي تحيط بك”.

“مثل رسالة كونية”.

“حسناً، سيكون الأمر أشبه بارتجاج الأرض بفعل هزة أرضية. وستبدو الإشارة قادمة من كل مكان”.

“إذاً، لا توجد وسيلة لتعقب مصدر إرسال الإشارات إلف؟”

“ليس بالمعنى الذي تفكر فيه. ولكن يمكن لأجهزة استقبال الموجات إلف تحديد مصدر الإرسال بوجه عام عبر مقارنة القدرة الفاعلة المنبعثة التي تستقبلها في المواقع التي هي فيها. فعلى غرار كافة مصادر الطاقة الأخرى، كلما كانت المسافة التي تفصلك عن المصدر أكبر، كلما أصبحت الإشارات أضعف”. وأضاف، “وبهذه الطريقة عرفنا بأمر جهاز الإرسال زيفز الروسي؛ فقد اشتبهنا بأن الروس يستخدمون جهاز إرسال إلف في التواصل مع غواصاتهم، ولذلك بنينا محطة استقبال في غرينلاند ووجدنا أنها تستقبل إشارات قوية. وبعد فترة، كنا قادرين على تحديد الموقع العام بدقة أعلى في شبه جزيرة كولا، كما أن أقمار التجسس أكدت لنا صحة ما توصلنا إليه. ولكن ذلك حدث لأن الروس كانوا يرسلون إشارات بشكل متواصل فيما كنا نعمل على تحديد مصدرها”.

فكرت في هذا الكلام، ثم سألته، “هل تمكنت البحرية يوماً من تحديد مصدر تلك الإشارات الزائفة؟”

“ليس لديّ أدنى فكرة. وأظنّ بأنها لم تتمكن من ذلك وإلا لوصل الخبر إلى كل العاملين في الاتصالات في سلاح البحرية بطريقة رسمية أو غير رسمية. وأنا لم

أسمع بهذا الخبر بتاتا". وذكرني قائلاً: "أعود وأكرر بأنه ربما لم يكن لتلك الإشارات الزائفة وجود أصلاً".

حسناً، اعتقدت بأنه كان لتلك الإشارات وجود، وساورتني الظنون بأن القائد ناسيف آمن بوجودها، كما اعتقدت بأنه كان يعرف مصدرها.

انتقل إلى فكرة سعيدة، وقال: "حسناً، أحمد الله أن الحرب الباردة قد انتهت".

"يمكنك أن تقول ذلك مرة أخرى".

ولكنه لم يفعل وإنما قال: "هل لديكم أسئلة أخرى؟"

فكرت في ميخائيل بوتيوف، وسألته "هل يمكن لعالم فيزيائي نووي أن يكون له علاقة بتكنولوجيا التردد بالغ الانخفاض؟"

أجاب، "كلا على الإطلاق. وعلى الأرجح أن ما يعرفه عنها أقل مما تعرفه أنت".

"هاي، أصبحت خبيراً الآن. ولن يتمكن أحد من بيعي فرن إلف وايف".

تجاهل القائد ناسيف تعليقي، وسألني، "لماذا يهتم قسم الشرق الأوسط التابع للوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب بإشارات إلف؟"

تبادلت وكايت النظرات، وكتبت على الورقة "إنك رجل ثرثار".

شكراً لك يا كايت. أحببت القائد ناسيف، "حسناً، كما تبين لنا، وبناء على ما قلته لنا، ربما كنا نعمل على الطول الموجي الخطأ". وضحكت من أجل التأثير فيه وشرحت مرادي بالقول: "إننا نعمل في الواقع على قضية لها علاقة بهذه المجموعة البيئية الإرهابية التي تسمى جبهة تحرير الأرض، إلف. إنه اسم إلف الخطأ. أنا آسف".

كان ضابطاً ورجلاً شهماً فعلاً، فالقائد ناسيف لم يردّ على تفاهاتي بشيء.

كانت كايت من النوع الذي يعرف متى ينبغي تجنب طرح سؤال يمكن أن يزود الشخص المسؤول بمعلومات. ولكنها سألت ناسيف، "أنا يا جون أنظر في أوراقك، وأعتقد بأنك قلت بأن الموقع الوحيد الملائم لهوائي وجهاز إرسال الموجات إلف في الولايات المتحدة هو المنطقة الجيولوجية في ويسكونسن ومتشيغان والتي تسمى الدرغ لورنتاين. هل ما فهمته صحيح؟"

كان في مقدوره أن يسأل بعجرفة عن علاقة هذا السؤال بجبهة تحرير الأرض، ولكنه أجاب كايت، "أعتقد بأن فهمك صحيح... انتظري لحظة... هناك مكان آخر داخل الولايات المتحدة يصلح لبناء جهاز إرسال إلف فيه".

لا أنا ولا كايت سألناه عن ذلك المكان، ولكن جون ناسيف قال: "إنه المكان الذي تقفان فيه".

الفصل 37

جلسنا على الشرفة المغلقة، والتي كانت دافئة بفعل أشعة الشمس التي تخللتها من خلال النوافذ الكبيرة. وفي الخارج، كانت أوراق الشجار تتساقط، وطيور البط تسبح في البركة، وإوزة كندية سميئة تتبختر على المرح بدون جواز سفر.

كنا غارقين في أفكارنا التي ربما بدت متشابهة. وأخيراً، قالت كايت: “يملك مادوكس مولدا كهربائياً كبيراً، وهوائي إلف في أرضه، وعلى الأرجح أنه يملك جهاز إرسال في مكان ما في بيته. ربما في ملجئه النووي..”

حاولت أن أخفف من وقع اللحظات التي نمرّ فيها فقلت: “إذاً، أنتِ تعتقدين بأن مادوكس ينقب عن النفط؟”

لم تكن في مزاج جيّد لتقبّل دعابتي وسألتني، “هل يمكننا الاستنتاج بأن مادوكس كان ذلك الشخص الذي أرسل تلك الإشارات إلف إلى أسطول الغواصات قبل خمس عشرة سنة؟”

“أجل.”

“ولكن لماذا؟”

“دعيني أفكّر. هاي، كان يحاول إشعال حرب نووية حرارية.”

“أجل. أنا أفهم ذلك. ولكن ما هو السبب؟”

“أعتقد بأنه أراد أن يرمي حجر النرد، ويشبك أصابعه، ويأمل بنهاية سعيدة.”

“هذا جنون.”

“هذا صحيح. ولكنه لم يكن يرى المسألة على هذا النحو.” وأضفت، “ربما كنت صغيرة جداً حينها لكي تتذكّري، ولكن كان يوجد أشخاص في هذه البلاد في تلك الفترة - وأنا واثق من أن السيد مادوكس كان واحداً منهم - أرادوا الضغط على الزرّ أولاً وإنهاء المسألة. كانوا يعتقدون فعلاً بأنه يمكن مفاجأة الروس وهم نيام، وأن التكنولوجيا ومنظومات الأسلحة السوفياتية سيئة، وأنه يمكننا الخروج من الحرب منتصرين حتى ولو أفلحوا في الردّ علينا. هناك مبالغة في تقدير تأثيرات الغبار الذري.”

“هذا جنون مطلق.”

“حسناً، من حسن الحظ أننا لن نعرف.” فكّرت للحظة ثم قلت: “من الواضح أن مادوكس كان يملك بعض المعلومات السريّة المتعلقة بشيفرات إلف العسكرية وقرر استخدامها. إن التكنولوجيا اللازمة لبناء جهاز الإرسال والهوائي ليست سريّة كما سمعنا. وفي مرحلة معينة، قبل حوالي عشرين سنة، أدرك مادوكس أنه بحاجة إلى قطعة الأرض المناسبة، وقبل أن نعرف بأمرها، كان يبحث عن أرض في جبال أديرونك.” وأضفت، “هذا أفضل استثمار قمت به في حياتي.”

أومات برأسها، وهي تفكر، وقالت: “أعتقد بأن هذا ما حصل فعلاً.. ولكن خطته لم تنجح”.

“كلا والحمد لله، وإلا لما كنا هنا نتحدث عنها”.

“لماذا لم تنجح؟”

فكرت في سؤالها، وأجبت، “أعتقد بأنه استهان بتعقيدات الحواسيب وبرمجياتها، والتي هي جزء مكمل من عمليات إرسال إشارات إلف المشفرة”. وأضفت، “جرى تحذيره في مرحلة معينة بواسطة هذا الشخص الدخيل من أنه إذا استمر في محاولاته لتصحيح شيفرة إطلاق الصواريخ فستقوم الحكومة بكافة الجهود الممكنة لاكتشاف مصدر تلك الإشارات الزائفة، ويفتح عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي نادي كاستر هيل. ولذلك تخلى عن هوايته المسلية”.

قالت كايت: “أعتقد بأن ذلك كان قضاء الله”.

“والآن، علينا أن نعرف ما صلة موجات إلف بميخائيل بوتيوف، العالم الفيزيائي السوفياتي السابق في صناعة الأسلحة النووية، والذي يعمل حالياً أستاذاً مدرّساً في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا، وضيف السيد مادوكس؟”

فكرت كايت للحظة، ثم أجابت، “ربما سيسعى مادوكس هذه المرة إلى حمل غواصاتنا على إطلاق صواريخها ضد الأهداف المحددة سلفاً في الشرق الأوسط، أو الصين، أو كوريا الشمالية؟”

فكرت في ما سمعت، وقلت: “هذا الكلام ينطبق على باين مادوكس الذي نعرفه. إنه احتمال مثير، ولكنه لا يفسر وجود بوتيوف”.

فكرت كايت في الأمر وربما في مسائل لم تحلم بالتفكير فيها بالأمس. سألتني أو سألت نفسها، “ما هو الأمر الذي يخطط له هذا الرجل؟”

أجبتها، “أعتقد بأنه ينوي تنفيذ الخطة باء، والتي لا أملك أية فكرة عنها، باستثناء أنها نسخة عن الخطة ألف التي لم تنجح قبل خمسة عشر عاماً”. وأضفت “لقد تغير العالم منذ نهاية الحرب الباردة، ولذلك تغيرت خطة مادوكس، بالرغم من أن السيد مادوكس بقي نفس الشخص المضطرب نفسياً كما كان إبان الحرب الباردة”.

نظرت إلى ساعتني ونهضت، وقلت لكايت: “سأخبرك بما أريدك أن تقومي به. ادخلي على الإنترنت وانظري إن كان يوجد شيء نحتاج إلى معرفته بخصوص موجات إلف. واستخدمي غوغل في التقصي عن بوتيوف، وعن باين مادوكس”.

“حسناً...”

“هناك أمر هام آخر. أعيدي الحاسوب المحمول إلى ويلما قبل الساعة السادسة والنصف”.

اضطرت إلى التبسم، وقالت: “هل يمكنني المشاركة في مزادات الموقع الإلكتروني إي باي؟”

“كلا. من غير المسموح لك أن تزوري الموقع إي باي. كما عليك أن تتصلي بإدارة الطيران الفيدرالية وتحصلي منها على خطط الرحلات المستمرة لطائرتي مادوكس. يمكنك أن تجدي رقمي ذيلي طائرتيه في حقيبتك. ربما يستغرق ذلك بعض الوقت، فأنت تعرفين البيروقراطية الفيدرالية بقدر ما أعرفها، ولكن كوني مثابرة وفاتنة...”

“لماذا تعتقد بأن لهذا الأمر أهمية؟”

“لست أدري في الحقيقة، ولكنني أود معرفة الأماكن التي أمر مادوكس هاتين الطائرتين بالتوجه إليها في حال أصبحت هذه المعلومة هامة”. وأضفت، “كما أريد منك أن تدرسي جداول أسماء الركاب المسافرين على متتهما. واتصلي أيضاً بمنزل بوتيوف ومكتبه لتعرفي إن كان ثمة شخص يعرف المكان الذي يوجد فيه”.

“حسناً... لكن ماذا ستفعل فيما أقوم بكل هذه الأمور؟”

“إنه وقت قيلولتي”.

“هذا مضحك جداً”.

“في الواقع، سأعمل على إتمام بعض المهمات. وسأشتري طعاماً إضافة إلى بعض الحاجيات الشخصية التي لا يبدو أنها غير مشمولة بمبلغ الخمسة وسبعين دولاراً، وكل ما تطلبينه”.

قالت: “لسنا بحاجة إلى شراء أي شيء من المتجر يا جون. فعلياً أن نعود إلى المدينة حالما ننتهي من جمع هذه المعلومات”. وأضافت، “سأحجز على متن طائرة تفلع من مطار أديرونذاك الإقليمي، أو من مكان قريب من هنا”.

أجبتها، “أنا لا أعتقد بأننا نملك معلومات تكفي لنا لشراء تذكرة خروجنا من السجن”.

“ولكنني أعتقد بأننا نملك ما يكفينا منها”.

“كلا. أعتقد بأنه يوجد أشخاص في واشنطن يعرفون معلومات مثل التي نعرفها على أقل تقدير”.

سألنتي، “إذاً، لماذا أرسلوا هاري للقيام بعملية مراقبة لنادي كاستر هيل؟”

هذا سؤال جيد، وخطر ببالي العديد من الإجابات. قلت لها: “حسناً، ربما كان للأمر علاقة بجمع معلومات عن اللقاء الذي جرى يوم عطلة نهاية الأسبوع. ولكنني لا أعرف شيئاً عدا ذلك”.

أجابت كايت “أعتقد بأن هاري أنجز مهمته. أعتقد بأنهم أرادوه أن يقع في الأسر”.

وهذا ما اعتقده أيضاً، والآن باتت كايت تعتقد ذلك. قلت: “كل الدلائل تشير إلى ذلك”.

“لكن لماذا يريدون إيقاعه في الأسر؟”

“هذا هو السؤال الكبير. الجواب المحتمل هو لإعطاء إشارة إلى مادوكس بأنه يخضع للمراقبة. ولكنهم لم يتوقعوا بالتأكيد أن يعمد مادوكس إلى قتل المسؤول عن المراقبة الذي أمسك به”.

سألتني كايت، “ولماذا تريد وزارة العدل ومكتب التحقيقات الفيدرالي أن يعرف مادوكس بأنه يخضع للمراقبة؟”

“في بعض الأحيان، يلجأ رجال الشرطة إلى إخضاع المشتبه به للمراقبة لإخافته. وفي بعض الأحيان، يخضعون الأثرياء والأشخاص النافذين للمراقبة من باب المجاملة، أو بغرض التحذير. وكما تعرفين، الأمر أشبه بامتناعك عن القيام بشيء قبل أن تضعي الجميع في موقف سيئ”.

وقفت كايت، واقتربت مني، وقالت: “كان من الممكن أن تكون أنت الضحية”.

في الواقع، أتمنى لو كان لدي الذكاء لإلغاء المهمة ما إن ألقى نظرة على الوضع عن قرب. ومن ناحية أخرى، كان هاري شخصاً طيباً، يثق كثيراً برؤسائه، وينفذ الأوامر.

سألتني، “إذا كان تعليقك صحيحاً، هل تعتقد بأن المراقبة أفزعت مادوكس وحملته على العدول عن القيام بما كان ينوي القيام به؟”

أجبتها “أعتقد بأن رجلاً مثل مادوكس لا يمكن إخافته بسهولة. إنه رجل يحمل رسالة، وهو على استعداد لارتكاب جريمة واحدة على الأقل في سبيل إكمال تلك الرسالة”.

قالت كايت: “رسالة نعرفها”.

“أجل. وأنا متأكد من أنه كان للأحداث التي حصلت في عطلة نهاية هذا الأسبوع تأثير عكسي على ما كانت واشنطن تأمل به. في الواقع، تم اختزال الجدول الزمني لبابين مادوكس بمقدار أربع وعشرين ساعة تقريباً، أو أقل أو أكثر قليلاً”.

قالت: “ربما كان يعرف بأن اللعبة قد انتهت، وأنه يخطط للفرار من البلاد”.

وأضافت، “هذا ما يفعله معظم الناس”.

“أنا مقتنع بأنه ليس كغالبية الناس. ولكن لا بأس بأن تستقصي عن الأماكن التي توجد فيها الطائرتان”.

أومأت برأسها، وقالت: “حسناً، ولكن إذا كنت تعتقد بأنه عازم على المضي في خطته، وإذا كنت لا تريد العودة إلى المدينة، فعلينا الذهاب إلى أقرب مدع عام فيدرالي، وطلب الحصول على مذكرة تفتيش لنادي كاستر هيل”.

“يا عزيزتي، أعتقد بأن المذكرة الوحيدة التي ستجدينها عند القضاء الفيدرالي هي مذكرة اعتقال باسم كايت مايفيلد وجون كوري”.

أجابت، “إذاً، لنذهب إلى شافير، ونرى إن كان في مقدوره إقناع مدّع عام محلي بإصدار مذكرة تفتيش”.

“يا كايت، لن يقوم أحد بإصدار مذكرة تفتيش إذا كان اسم باين مادوكس مكتوباً عليها بناء على ما سنخبره به. إننا بحاجة إلى مزيد من الأدلة”.

“أي نوع من الأدلة؟”

“حسناً، أدلة مثل بعض الشعرات والألياف من نادي الصيد في كاستر هيل والتي تتطابق مع ما تم العثور عليه على جثة هاري وثيابه. وهذا هو الدليل الجنائي المطلوب الذي يربط بين نادي الصيد الذي يملكه مادوكس وهاري، وبين هاري ومادوكس الذي كان في البيت”.

“حسناً، ولكن كيف ستأخذ أليافاً من نادي كاستر هيل بدون مذكرة تفتيش؟”

“سأتبع الطريقة نفسها التي كنت سأتبعها لو كنت أحقق في جريمة قتل جون دو الذي أعتقد بأنه شوهد لآخر مرّة وهو لا يزال على قيد الحياة في منزل جو سميث”.

“ماذا تقصد؟”

“أريد الذهاب إلى نادي كاستر هيل لزيارة السيد مادوكس”.

“لا أريدك أن تذهب إلى هناك”.

“ولمّ لا؟ فهذا ما كنت سأقوم به في هذه المرحلة في أي تحقيق جنائي آخر. إننا نخسر الأدلة الآن، ولذلك أنا بحاجة إلى العودة إلى المشتبه به الرئيسي والتحدث إليه”.

“أنا ذاهبة معك”.

“في الواقع، أنتِ لن تذهبي معي. فأنا أريد منك أن تجمعي معلومات تفصيلية سنكون بحاجة إليها لبناء القضية”. وأضفت، “أعني المعلومات التي سنحتاج إليها لكي نحصل على مذكرة تفتيش”. في الواقع، بدأ الوقت المخصص لذلك ينفد، ولكنّ وضعنا كان جيداً.

قالت: “كلا. لن تذهب إلى هناك بمفردك”. ونظرتُ إليّ، وقالت: “يمكن أن يكون ذلك خطراً”.

“لن يكون خطراً. فهذه ليست قلعة دراكولا. أنا عميل فيدرالي يجري بعض التحقيقات”.

“سبق أن قتل عميلاً فيدرالياً”.

أثارت نقطة هامة، ولكنني أحببتها، “وربما هو نادم على فعلته الآن. وإذا لم يكن كذلك، فسيندم لاحقاً”. وعدت إلى غرفة الجلوس، ولبست سترتي الجلدية.

كانت تلك إحدى اللحظات التي تستدعي التركيبة الصحيحة من الحزم والرقة. أخذتها بين ذراعيّ، وقلت: "أريدك أن تبقى هنا. فنحن نعاني من نقص في القوة العاملة اليوم. وفي مقدوري معالجة الأمر بنفسني".

"كلا".

"أعتقد بأن فرصتي في الاجتماع به ستكون أوفر في حال كنتُ بمفردي".

"كلا".

"سأتحقق من فريق المراقبة الذي أرسله شافير إلى نقطة التقاطع. سأطلب منهم منحي ساعة من الوقت، وفي حال لم أخرج من النادي بانقضائها، ينبغي عليهم إرسال الخيالة. هل أنت موافقة؟"

بدا الكلام كافياً لإقناعها، وأصبحت أقل إصراراً على ذهابها معي.

قلت لها: "ابقي على اتصال مع شافير، واتصلي بفندق ذي بوينت، وتأكدي من هوية الأشخاص الذين يبحثون عنا". وأضفت، "قولي لهم بأننا نتسوّق في لايك بلاسيد. وفي حال اتصل السيد غريفيث، أخبريه بأنه ينبغي أن نلتقي في وسط البلدة. وذكّري جيم بأن سوني كان ينوي إعارتي ربطة عنق وسترة لسهرة العشاء".

"ماذا كان ينوي أن يفعل؟"

"أنا واثق من أنه سيفعل ذلك. المهم أن تخدعهم". وأضفت، "تظاهري أنك معي".

ابتسمت ثم قالت: "أريدك أن تشغل هاتفك الخليوي".

"يا كايث لا أريد استخدام الهاتف. إذا شغلت هذا الشيء فسيصل أيام غريفيث إلى عتبة هذا الباب في غضون ساعة".

"يا جون، هذه ليست طريقتنا في العمل".

"عليك أن تتساهلي في تطبيق القواعد بعض الشيء بين الحين والآخر يا عزيزتي".

"بين الحين والآخر؟ لقد قمتَ بذلك في القضية السابقة".

"حقاً؟ حسناً، كانت النتيجة في صالحني. وفي هذه الأثناء، تأكدي إن كان في مقدورك الحصول على طبق من البيتزا".

مشينا نحو الباب، وقالت كايث: "كن حذراً".

قلت: "إيّاك أن تطلبي سمك الأنشوفة".

تعاوننا، وانطلقت نحو قلعة دراكولا.

الفصل 38

وجدت متجراً في ضواحي كانتون، أو ربما في وسط بلدة كانتون، فقد كان من الصعب عليّ تحديد ذلك. وعلى أية حال، دخلت المتجر واشتريت ما كنت بحاجة إليه للقيام بمهمتي، بعض أصابع شوكولاته رينغ دينغز والقليل من الضمادات اللاصقة.

أرشدني العامل في المبيعات إلى طريق مختصرة للعودة إلى كولتون تبلغ مسافتها حوالي خمسين كيلومتراً. كما سألته عن متجر لبيع الأدوات الرياضية وأعطاني التوجيهات اللازمة.

عدت إلى السيارة، وبدأت أفكر في خطوتي التالية. كان الوقت قد تجاوز الواحدة من بعد الظهر بقليل، وتوقعت أن أصل إلى بيت الحراسة في نادي كاستر هيل قبل الساعة الثانية إذا لم أتوقف لشراء علبة من الطلقات من عيار 9 ملم، وبضع مخازن إضافية. أعني أنه إذا كنت سأنسف رأس مادوكس، ينبغي أن يكون لديّ ذخيرة كافية في المخزن الذي يتسع لخمس عشرة طلقة، إضافة إلى الطلقة التي في بيت النار.

من ناحية أخرى، إذا احتجت إلى إطلاق النار أثناء دخولي إلى المكان، فقد أعاني من نقص في الذخيرة. والخلاصة في ما يتعلق بالذخيرة هي أنه من الأفضل دائماً أن تكون الذخيرة التي في حوزتك أكثر مما تحتاج إليه، لأنه إذا كنت لا تملك ما يكفيك منها، فلن تسير الأمور على ما يرام بوجه عام.

على الأرجح أنه لم يكن ينبغي عليّ التحقق من مقدار ما معي من الذخيرة أمام كايث التي ربما كانت تتساءل إن كنت أخطط لشنّ هجوم على نادي كاست هيل. لم أكن متأكداً من أنني سأفعل ذلك، ولكنه كان خياراً مطروحاً.

على أية حال، قررت بأن أول خطوة ينبغي أن أقوم بها هي الذهاب إلى نادي كاستر هيل ومعرفة ماذا يخطط مادوكس للقيام به، إذا كان يخطط لشيء أصلاً. وإذا احتجت إلى مزيد من الذخيرة، فأنا أعرف بأن لدى مادوكس الكثير من البنادق في النادي.

انطلقت بالسيارة، وقمت بتشغيل المذياع والإصغاء إلى برنامج حوار باللغة الفرنسية كان يُذاع على الهواء من مقاطعة كيبيك.

لم تكن لديّ فكرة عما يتحدثون عنه، ولكن بدا أن الجميع متحمسون لأمر معين، وكان في مقدوري تمييز كلمات مثل العراق، وأميركا، وبوش، وحسين.

كانت اللغة الفرنسية المرخمة تسبب لي صداعاً، ولذلك بدأت أنتقل بين المحطات الأخرى محاولاً العثور على محطة إخبارية ربما تشير إلى حادث الصيد، ولكن كل ما حصلت عليه كان الأغاني والإعلانات التجارية المحلية. استقر رأيي على محطة تبث الأغاني الريفية الغربية، وكان هانك وليامز ينتحب ويقول: "أنت تغشين يا عزيزتي". لماذا أجد هذه الموسيقى لغزاً وسراً لا أشركه العديد من الناس.

كان الطقس لا يزال جيداً، وكانت الطريق الريفية منحدره وتشهد حركة خفيفة، وهو ما ساعدني على كسب مزيد من الوقت.

فتحت علبة الرينغ دينغز والتهمت القطعة الأولى، وتذوّقت القطعة الثانية. كان ذلك استكشافاً حقيقياً لطعم الشوكولاته.

بدأت أغني فيما كنت أقود السيارة، وأستمع إلى هانك وهو يقول: “مرحباً أيتها جميلة”.

شعرت أولاً بأن كايث في مكان آمن في فندق بي أند بي ما لم تتعرض لهجوم أثناء تأدية المهنة، أو دفاعاً عن الشرف والبلاد، أو تتلقى اتصالاً من والش أو غريفيث. كانت السيدة مايفيلد أكثر فطنة مما يوحى به مظهرها، وأملت بأنها تفكر بعقلية ما بعد 11 سبتمبر/أيلول، وتفهم بأن أمراً في منتهى الغرابة يحدث في نيويورك وواشنطن، وأنه لا يجدر بها الاتصال بأحد للحديث عنه.

ثانياً، عندما تحدثت إلى الرائد شافير في لقائنا الأخير، بدا أنه في جانبنا. ولكن ذلك يمكن أن يتغير بسرعة، أو أنه لم يكن في جانبنا أصلاً. وفي حال أوقفني أحد عناصر شرطة الولاية وأنا في سيارتي التي استأجرتها من شركة إنتربرايز، أكون قد حصلت على الإجابة عن ذلك قبل وصولي إلى نادي كاستر هيل.

ثالثاً، لم يجر إطلاع توم والش على معلومات موثوقة حول ما يجري، وعلى الأرجح أنه واقع في ورطة الآن لإرساله عميلين غير مناسبين على الإطلاق إلى هنا للعمل على حل قضية اختفاء هاري مولر. حسناً، إذا كان في مأزق خطير، فقد حصل على ما يستحقه من ناحية أخرى، كان يريد في الأصل إرسالي قبل أن يرسل هاري. فما هو سبب ذلك؟

رابعاً، أذكر أن منفذ القانون، ليام غريفيث كان صديقاً لعدوي، الراحل تيد ناش، الضابط في وكالة الاستخبارات المركزية. وبالتالي، وكما يقول العرب، كل صديق لعدوي هو عدوي، وخصوصاً إذا كانا أخرقين. ولذلك، أنا بحاجة إلى تجنب هذا الرجل إلى أن أملك القوة للتغلب عليه.

أخيراً وليس آخراً، هناك السيد باين مادوكس الذي من الواضح أنه سعي مرّة إلى إشعال حرب نووية حرارية لرؤية ما ستؤول إليه الأمور، أعني أن الأمر يكتنفه غموض يجعل من الصعب عليّ استيعابه. ولكن مع القليل من القرائن التي اطلعت عليها بنفسني، بما في ذلك اجتماعي بهذا الرجل، يبدو أنها تشير إلى ذلك الاتجاه. اعتقدت بأنه ربما شاهد مادوكس الكثير من أفلام جايمس بوند خلال سنواته التكوينية، وأنه على صلة وثيقة بالأشهر المختلين عقلياً.

لكن باين مادوكس لم يكن يمثل في فيلم، ويتحدث بلكنة أجنبية، بل كان مواطناً أميركياً، وبطلاً عسكرياً، وقصة نجاح. إنه أشبه برجل عصامي لديه أمنية موت نووي حراري. لكن معالجي، لو كان لدي واحد، كان سيقول: “يا جون، الحرب النووية الحرارية باتت شيئاً من الماضي، ونحن بحاجة إلى السير قدماً”. هذا صحيح. والمشكلة الآن هي في معرفة ما يقوم به مادوكس في ذلك البيت الكبير لكي يحول فشله السابق إلى نجاح.

خرجت من الطريق الخلفية عند كولتون، وتوجهت جنوباً على الطريق 56، ودخلت قرية ساوث كولتون الصغيرة الهادئة. شاهدت راستو رودى وهو يأكل الدهون مع شخص في شاحنة.

لم يكن في مقدورى المقاومة، فدخلت المحطة، وقلت: "مرحباً يا رودى".

رأني، واقترب من السيارة. قلت: "لقد تهتُ مجدداً".

"حقاً؟ أهلاً، كيف حالك؟" وأضاف، "حصلت على سيارة جديدة".

"كلا إنها السيارة القديمة نفسها".

"هل أنت متأكد؟ كنت تقود سيارة توروس بالأمس".

"حقاً؟ انظر، هل رأيت السيد مادوكس ليلة البارحة؟"

"حسناً، أجل، وأنا أريد التحدث إليك بهذا الخصوص. إنه لم يكن يرغب في رؤيتي".

"ولكنه قال لي ذلك".

"هل أنت متأكد؟"

"هذا ما قاله". وأضفت، "أنا آسف لأنني أخبرته بأنك قلت لي بأنه ينبغي عليّ الحصول على مالي مقدماً".

"أجل... حاولت أن أشرح له ذلك، ولكنه رأى الأمر مضحكاً لسبب ما".

"حقاً؟ هل قال شيئاً آخر؟"

"حسناً، قال إنك كنت تسخر مني. وقال إنك مدّع، وتثير المشكلات".

"أنا؟ هل هذا هو الشكر الذي ينبغي أن أحصل عليه لقاء إصلاحى ماكينة صنع الثلج؟"

"قال إن ماكينة صنع الثلج لا تحتاج إلى تصليح".

"من ستصدق؟ أنا أم هو؟"

"حسناً، ليس للأمر أهمية".

"الحقيقة هامة". وسألته، "ألا يزال هناك ضيوف في بيته؟"

هزّ رودى كتفيه، وقال: "لم أرَ أحداً، ولكن كانت توجد سيارة قبالة منزله، واعتقدت بأنها لك. توروس زرقاء اللون".

"أنا أقود سيارة هيونداي بيضاء اللون".

"أجل، أنت تقودها الآن. لكنك كنت تقود في الأمس سيارة توروس زرقاء اللون".

"أجل. انظر، هل توقف أحد من ضيوف مادوكس في المحطة اليوم؟"

“كلا. هل تريد التزوّد بالوقود؟”

“كلا، فهذه السيارة تعمل على شراب الأرز الفرنسي. هل توقف أحد هنا وطلب بعض الإرشادات لكي يصل إلى منزله؟”

“كلا... حسناً، جاء شخص من بوتسدام، وأراد الإطلاع على خريطتي.”

“لماذا؟”

“كان يحمل إرشادات للوصول إلى نادي كاستر هيل، وأراد أن يتحقق منها. قلت له بأنه لن يتمكن من العثور على المكان على الخريطة، ولذلك رسمت له خط سيره، وذكرت له بعض المعالم لكي يسأل عنها.”

توجد طرق مختلفة لطرح أسئلة فضولية. سألته، “هل كان طويل القامة، نحيل الجسم وله شاربان كثيفان، ويقود سيارة كورفيت حمراء اللون؟”

“كلا، كان رجلاً يعمل في الصيانة من شركة بوتسدام ديزل.”

أخذني الخبر على حين غرّة، وكدت أضيع بحثاً عن الكلمات. قلت: “أوه، أجل. إنه تشارلي الذي يعمل في شركة بوتسدام ديزل في صيانة المولدات الكهربائية.”

“أجل. ولكنني أعتقد بأن اسمه هو آل. فهذا هو الوقت من السنة الذي تحتاج فيه المولدات الكهربائية إلى صيانة. في شهر نوفمبر وربما ديسمبر الماضي، هبت علينا تلك العاصفة الثلجية فجأة. وانقطع التيار الكهربائي...”

“أجل. وهل لا يزال آل هناك؟”

“لست أدري. ربما حصل ذلك قبل ساعة من الآن، وأنا لم أره يمرّ في الجوار. لكن لماذا تسأل؟ هل تبحث عن هذا الشخص؟”

“كلا... أنا...”

“إلى أين تريد الذهاب؟”

“ماذا قلت؟”

“قلت بأنك تائه.”

“كلا.” سألت رودي، “هل أوصلت رسالتي إلى السيد مادوكس؟ تلك التي تحدثت فيها عن الرامي الماهر؟”

بدا على رودي الانزعاج، وأجاب، “أجل... وهو لم يرَ في ذلك أمراً يثير الضحك.”

“حقاً؟ وما كان ردّه على ذلك؟”

“لم يقل الكثير. ولكنه طلب مني إعادة العبارة مرّة أخرى.”

“حسناً، هذا جيد. إذن، سأراك في وقت لاحق.”

عدت إلى الطريق، وتوجهت نحو نادي كاستر هيل.

شركة بوتسدام ديزل.

كان على وشك تشغيل مولداته الكهربائية، وبعد وقت وجيز، يبدأ جهاز الإرسال بالعمل، ويبدأ الهوائي بإرسال الموجات إلف نحو أعماق الأرض. وفي مكان ما على ظهر هذا الكوكب، يوجد جهاز استقبال سيعمل على التقاط تلك الإشارات. يا له من أمر مفرع.

الفصل 39

كنت أقود السيارة بسرعة عالية جداً للوصول إلى طريق قطع الأخشاب حيث حلقت الهيونداي في الهواء بضع مرّات. كان في مقدوري رؤية الطريق ماكوين بوند أمامي والتي تتوجه شمالاً نحو بيت الحراسة في نادي كاستر هيل، ولكنني لم أرَ أحداً يحمل رفشاً، أو حفراً في الطريق جرى إصلاحها منذ مدة وجيزة.

توقفت عند نقطة التقاطع، وأمعنت النظر في طريق قطع الأخشاب، ثم نظرت إلى الطريق ماكوين بوند.

بدا أنني الشخص الوحيد الموجود في المكان.

كان ذلك أشبه بمشهد في فيلم العرّاب، عندما ذهب مايكل إلى المستشفى ليطمئن إلى حالة أبيه، حيث اكتشف بأن شخصاً ما أبعد الحرّاس من رجال الشرطة عن المكان، فيما كان القتلّة المأجورون في طريقهم إليه. يا أمّاه.

توقفت هناك لدقيقة في انتظار أن يظهر أحد المكلفين بالمراقبة من بين الأدغال، ولكنني كنت وحيداً بالتأكيد. ترى، ماذا حدث لشافير؟ وهانك؟ وبودي؟

حسناً، كان الوقت يمرّ بسرعة، ولذلك انعطفت نحو الطريق ماكوين بوند، وتوجهت نحو بيت الحراسة.

خففت السرعة، وفقاً لما هو مذكور في اللافتة، ثم توقفت عند مطبّ السرعة، وسحبت مسدس الغلوك، ووضعت في جيب سترتي.

فتحت البوابة، ومشى رجل يرتدي ثياباً مرقطه نحوي. ومع اقترابه من السيارة، تبين لي أنه الجندي نفسه من فرقة العاصفة الذي تعاملت معه في المرّة السابقة، وكان ذلك مؤشراً جيداً. وربما كان العكس هو الصحيح. حاولت أن أتذكر إن كنت قد أغظته في المرّة الأخيرة. تتذكر كايت كافة الأشخاص الذين أغظتهم، وهي توجز لي أسماءهم.

أنزلت زجاج النافذة، وبدا أنه عرفني، على الرغم من سيارتي الجديدة. أعاد العبارة نفسها التي قالها في المرّة السابقة: "كيف يمكنني أن أساعدك؟"

"جنّت لكي أرى السيد مادوكس".

"هل يتوقع زيارتك؟"

أجبت، "انظر أيها الصغير، دعنا لا نكرر تلك السخافات مجدداً. أنت تعرف من أكون وأنت تعرف بأنه لا يتوقع زيارتي. افتح هذه البوابة اللعينة".

ما من شك في أنه تذكرني الآن؛ ربما لأنني ارتدي الثياب نفسها، ولكنني أرجح أنه عرفني بسبب عجرتي. ولكنه فاجأني بالقول: "تقدم نحو البوابة". وأضاف، "إنه يتوقع مجيئك"، وابتسم بعد ذلك.

حسناً، كان ذلك أمراً لطيفاً، ولكنها لم تكن ابتسامة لطيفة بالتأكيد. تقدمت نحو البوابة، وشاهدت عبر المرّة الداخلية رامبو الصغير وهو يتحدث عبر جهازه

اللاسلكي.

فُتحت البوابة، ودخلت المكان، وخرج شخص آخر من بيت الحراسة ورفع يده. رددت عليه ترحيبه بتحية إيطالية، وزدت من سرعة السيارة فيما كنت أتوجه نحو نادي الصيد على الطريق المتعرج.

لاحظت مجدداً الأعمدة الهاتفية والكابلات الثلاثة السميكة التي تمتدّ بينها - ما بدا غريباً يوم أمس أصبح مريباً الآن مثل هوائي إلف - ما لم أكن بالطبع مخطئاً تماماً. كنت بحاجة إلى جرعة من باين مادوكس لكي أحصل على الثقة بشكوكي واستنتاجاتي.

تقدمت نحوي سيارة جيب سوداء اللون، كان سائقها يلوح لي، وهو ما اعتبرته إشارة لطيفة، ولذلك لوّحت له بيدي، وضغطت على بوق السيارة فيما كان يبتعد عن مصرف المياه.

كان ينتصب أمامي وتد يحمل علماً أميركياً يرفرف، وكان أسفله علم فرقة الخيالة السابعة الأصفر. عرفت من كتاب قرأته سابقاً أن العلم الصغير يعني أن القائد موجود في الجوار، وبالتالي فإن آل سوبريمو كان موجوداً في الداخل بالتأكيد.

درت حول العلم، وتوقفت أسفل الرواق، وخرجت من السيارة، وأقفلتها. ثم صعدت السلالم التي تؤدي إلى الشرفة. كان الباب الأمامي مفتوحاً، فدخلت ردهة المنزل، ونظرت إلى الشرفة.

لم أجد أحداً في المكان، وتذكرت أن الموظفين في إجازة بعد عملهم في عطلة نهاية الأسبوع التي دامت ثلاثة أيام، وهو ما يُظهر أن السيد مادوكس صاحب عمل مستتير، أو رجل أراد أن يبقى لوحده.

على الجدار، كان الجنرال كساتر لا يزال في وقفته الأخيرة، ولكنني لاحظت الآن وجود عدسة بصرية من الفاير على الألواح الخشبية فوق اللوحة، والتي كان في مقدورها رؤية الغرفة بأكملها. في الواقع، ربما لاحظتها في المرة السابقة في عقلي الباطني، ومن هنا خطرت ببالي تلك القصة السخيفة عن سمكة المكاريل المقدسة، وربما كان الأمر بخلاف ذلك.

اقتربت من اللوحة أكثر كما لو كنت أدرسها، ثم اقتربت أكثر إلى أن أصبحت قريباً جداً من الجدار بحيث لم يعد في مقدور العدسة تصويري.

نظرت إلى الشرفة مجدداً، ثم سحبت الضمادة اللاصقة من سترتي، ونزعت الورقة عنها، ثم ألصقتها بالسجادة، ودست عليها بقدمي، ثم انتزعتها وأعدتها إلى جيبي. إذا كان ذلك الكلب الغبي في المكان، أكون قد التقطت أثره أيضاً.

أنا أحب الأدلة الجنائية عندما يقوم الآخرون بجمعها، ورفع النتائج إليّ. ولكن ربما تحتاج في بعض الأحيان إلى القيام بهذا الأمر بنفسك. وأنا لا أعتقد بأنه بقي الكثير من الوقت لانتظار نتائج الاختبارات الجنائية، ولكن ربما يتمكن شخص من العثور على الضمادة في جيبي إذا انتهى بي الأمر إلى الموت إثر تعرّضي لحادث صيد.

سمعت صوتاً خلفي، والتفت لأرى كارل وهو ينزل السلم. تبادلنا النظرات، ولم يكن في وسعي التأكد من أنه رأني وأنا ألصق الضمادة بالسجادة.

توقف كارل عند الدرجة الأخيرة، ونظر إليّ، وسألني، “هل أنت هنا من أجل رؤية السيد مادوكس؟”

“أنا لست هنا من أجل رؤيتك يا كارل.”

لم يجب على ذلك، ولكنه قال: “أنت بحاجة إلى من يرافقك وأنت في طريقك إلى نادي الصيد، وأنت في نادي الصيد.”

“أجل، أنا أعرف ذلك، إنها السياسة التأمينية. هل ينبغي أن نعيد ذلك ثانية؟”

أنا لا أعتقد بأنه أعجب بي، وعلى الأرجح أنه لا يزال مغتاضاً لأنه أوجني إلى طلب كوب من القهوة بالحليب.

قال: “من حسن الحظ أن السيد مادوكس يستقبل.”

“ماذا يستقبل؟ رسائل كونية؟”

“يستقبل الزوّار.”

نظرت إلى كارل، الذي كان ضخم الجثة، وهو الأمر الذي لاحظته في الزيارة السابقة. فهو لم يكن شاباً، ولكنه بدا لائقاً بدنياً، وما كان يفتقر إليه في شبابه، لا بدّ وأنه عوضه بالتجربة. في الواقع، كنت أستطيع تخيله وهو يلف شريط المنظار حول عنق هاري ليبقيه منتصباً وهو جاثٍ على ركبتيه لكي يفرغ رئيسه طلاقة في عموده الفقري.

أنا أعرف بعضاً من المحاربين القدامى القساء، وعليك أن تتوقع بأنهم لا يزالون قساء، وربما كانوا في مكان ما في الداخل. ولكن معظم الذين أعرفهم يتحلون بالشهامة، كما لو كان أحدهم يريد أن يقول: “لقد قتلت، ولكنني لا أريد أن أقتل مجدداً”.

من ناحية أخرى، ولّد كارل لديّ انطباعاً بأنه كان سيضيف إلى تلك العبارة “ما لم أتلّق أمراً بالقتل”.

قال لي: “اتبعني، السيد مادوكس في مكتبه.”

تبعته، وهو يصعد السلم متوجهاً نحو بهو كان يشرف على الردهة في الأسفل.

قادني كارل نحو باب خشبي وقال: “لدى السيد مادوكس خمس عشرة دقيقة.”

“سأعطيه وقتاً أطول من ذلك.” ما لم أقتله قبل أن ينتهي وقتي.

طرق كارل الباب، ثم فتحه وقال: “سيدي العقيد، السيد كوري جاء لمقابلتك.”

عقيد؟ قلت لكارل: “التحرّي كوري. قلها مجدداً.”

بدا مغتاضاً فعلاً، وفكرت في أن أطلب منه إعداد قهوة فائقة الجودة، ولكنه قال: “التحرّي كوري جاء لمقابلتك يا سيدي.”

قال العقيد مادوكس: “شكراً لك يا كارل”.

دخلت المكتب، وأغلق كارل الباب خلفي. توقعت أن أرى العقيد مادوكس ببزته العسكرية الكاملة، ولكنه كان واقفاً بالقرب من طاولته مرتدياً سروالاً من الجينز، وكنزة بولو بيضاء اللون، وسترة زرقاء اللون. قال لي: “هذه متعة غير متوقعة يا حضرة التحري”.

أجبته، “تولّد لديّ انطباع عند البوابة بأنّي أملك دعوة مفتوحة”.

ابتسم وقال: “أجل، في الحقيقة قمت بإبلاغ الحراس بأنك ربما تعود لزيارتنا مجدداً للبحث في قضية الشخص المفقود؛ وهي المسألة التي باتت، حسبما فهمت، خاضعة للنقاش”.

لم أعلّق على ذلك، ومدّ مادوكس يده، وتصافحنا، وقال: “أهلاً بك”.

رافقتني إلى كرسي قبالة طاولته، فجلست، وتساءلت إن كان هاري قد جلس في هذا المكان.

سألني مادوكس، “أين هي السيدة مايفيلد؟”

“إنها تحضر صفاً لتعلم كيفية الغناء بصوت مرتفع”.

ابتسم وسألني، “إذاً، أنتما تتمتعان بغرفتكما في فندق ذي بوينت؟”

لم أجب عن سؤاله.

قال: “في الواقع، سبق أن أقمْتُ في ذلك الفندق بضع مرات من أجل تغيير المكان”. وأضاف “أنا أحبّ البحيرة، وهو المشهد الذي أفنّقه هنا. إنها أرض جيدة، ولكنني وجدت الطعام ممتازاً وعالمياً. ولكنني أفضل الطعام الأميركي البسيط”.

لم أجب أيضاً، فسألني، “هل لا زال الطاهي الفرنسي يعمل هناك؟ هنري؟”
“أجل”.

قال مادوكس: “إنه فريد من نوعه، على غرار الجميع هناك. ولكنك إذا تحدثت معه، سيصنع لك شريحة بسيطة من لحم البقر بدون صلصة غريبة، مع البطاطا المشوية”.

هل كان هذا الأخرق يحاول أن يقول لي شيئاً؟ عرفت أنني خالفت إحدى قواعدني الرئيسية الأخرى عندما أخبرته عن المكان الذي ننزل فيه، وهو الآن يمارس على الأرجح لعبة نفسية معي.

بدا أنه في مزاج يشجعه على الكلام، وهو الأمر الذي يفعله الكثير من المشتبه فيهم عندما يتحدث ضابط الشرطة إليهم، وقال: “بالحديث عن الفرنسيين، ما هي مشكلتهم؟”

أجبتة، “مشكلتهم أنهم فرنسيون”.

ضحك وقال: “هذا صحيح”. ونقر على الصحيفة التي على الطاولة، والتي عرفت أنها ذا نيويورك تايمز، وسألني، “هل قرأت هذه المقالة المنشورة في الصفحة الأولى؟ حلفاؤنا الفرنسيون المخلصون يلمحون إلى أننا لوحدنا في موضوع العراق”.

“شاهدت المقالة”.

“لديّ نظرية تقول إنهم فقدوا جزءاً هاماً من عبقريتهم في الحرب العالمية الأولى، عندما قُتل مليون جندي شجاع في الخنادق. وبالتالي من بقي لكي ينجب ذرية؟ إنهم غير اللائقين عقلياً وبدنياً، وجبناء ومخنثون. ما هو رأيك؟”

فكرت في أنه فقد عقله اللعين، ولكنني أجبت، “إن علم الوراثة ليس المجال الذي أبرع فيه”.

“حسناً، إنها نظريتي. ومن ناحية أخرى، كان لديّ جنديان فرنسيان سابقان في كتيبيتي. أحدهما كان من قدامى المحاربين الأجانب، والآخر كان مظلياً. وقد التحقا بالجيش الأميركي من أجل القتال، والقتال كان العمل الذي قاما به. كانا يحبان قتل الشيوعيين. كانا من الشجعان”.

“هذا ما يتماشى مع نظريتك”.

“كلا. فرنسا لا تنتج أعداداً كافية من الرجال مثل هذين. ربما كانت تنتجهم فعلاً، ولكن مجتمعهم المخنث يؤثر فيهم. فهم ما عادوا يحترمون الروح العسكرية، بخلافنا نحن”. وأضاف، “ستنتهي هذه الحرب في العراق في أقل من ثلاثين يوماً”.

“متى ستبدأ؟”

“لست أدري”.

“اعتقدت بأن لديك أصدقاء في مناصب رفيعة”.

“حسناً، في الواقع لدي مثل هؤلاء الأصدقاء”. وتردد ثم قال: “أنا أراهن على أن الحرب ستندلع في منتصف مارس/آذار، في وقت قريب من يوم سان باتريك”.

“أنا أقول إنها ستندلع في نهاية يناير/كانون الثاني”.

سألني، “هل تراهن بمبلغ مئة دولار على ذلك؟”

“بالتأكيد”.

قال: “عندما تخسر، سأتي للبحث عنك”.

قلت له: “مبنى بلازا 26 الفيدرالي”. وأضفت، “وفي حال خسرت، فسأبحث عنك”.

“اتصل بي في مكنتي في نيويورك، وهو لا يبعد كثيراً عن مبنى بلازا 26. في شارع واين، الشركة غوكو”. وأضاف، “كنت في مكنتي عندما اصطدمت

الطائرتان... أنا لن أنسى ذلك المشهد..."

سألني، "هل كنت في مكتبك حينها؟ هل شاهدت ما حدث؟"

أجبت، "كنت على وشك الذهاب إلى البرج الشمالي."

"يا إلهي."

قلت: "دعنا نغيّر هذا الموضوع."

"حسناً". سألني، "إذاً، هل ستتضمّن السيدة مايفيلد إلينا؟"

سؤال غريب، باعتبار أنني قلت إنها تشارك في صف للتعلم على كيفية الغناء بصوت مرتفع، ولأن لديّ خمس عشرة دقيقة فقط مع جلالتها. ربما كان معجباً بنظراتها، أو ربما أراد أن يعرف إن كانت زيارتي بمثابة مداخلة للمكان. أجبت، "أنا لوحدي اليوم."

"حسناً... إذاً، بدأت بالحديث من غير أن أسألك عن سبب زيارتك."

كان الغرض من زيارتي إجراء تحقيق جنائي، ولكنني لم أشأ القفز إلى ذلك الموضوع مباشرة، لأنه عادة ما يؤدي ذلك إلى قطع المحادثة، وربما يُطلب منك الرحيل. ولذلك قلت: "رأيت أن أتوقف وأشكرك على عرضك المساعدة في قضية شخص مفقود."

"أنت مرحب بك". وأضاف، "أسف لسماعي الأخبار السيئة."

"أجل، وأنا أيضاً". عند هذه النقطة، يمكننا التحدث قليلاً عن هذا الموضوع، وسأشكركه مجدداً لأنه مواطن صالح، ثم أرحل. ولكنني تركت هذا الموضوع في الوقت الحالي وسألته، "هل تمانع إذا ألقيت نظرة؟" وأشرت إلى النافذة.

تردد ثم هزّ بكتفيه استخفافاً ثم أجاب، "إذا كنت ترغب في ذلك."

وقفت، ومشيت نحو النافذة. كان المشهد الذي خلف المنزل مباشرة عبارة عن تلّ ينحدر بشكل متواصل، وفي أعلاه برج الترحيل الذي كانت تتفرّع منه كافة أنواع الأذرع الكهربائية، وتساءلت إن كان لذلك أية علاقة بالهوائي إلف.

على امتداد هذه المسافة، كان في مقدوري إحصاء عدد من الأعمدة الهاتفية، وشاهدت الطيور وهي تحطّ وتطير من ثلاثة كابلات كبيرة. لا يبدو أنها كانت تتوهج، أو يتصاعد منها الدخان، أو تطير إلى الوراء، واعتبرت ذلك على أنه إشارة جيدة.

بعيداً عن الكابلات، شاهدت مرآباً مسقوفاً ضخماً مسبق الصنع. كانت أبوابه مفتوحة، وكان في إمكاني رؤية القليل من المركبات في داخله: سيارة جيب سوداء، مركبة مقفلة زرقاء اللون، وماكينة لجزّ الأعشاب. وخارج المرآب رأيت بضع درّاجات نارية رباعية الدواليب افترضت بأنها تُستخدم في تسيير الدوريات في الأرض. توقعت أن أرى أن العقيد مادوكس يملك بضع دبابات من طراز أبرامز، ولكنني لم أجد أثراً للجنازير دبابات.

في الجهة اليمنى، على مسافة مئة متر تقريباً من نادي الصيد، شاهدت مبنين شاهقين. وبما أنني اطلعت على خريطة هاري، التي كانت في جيبى، حددت المنشأ الخشبي الأبيض بأنه ثكنة الحرس، وبدا أنها يمكن أن تستوعب حوالى عشرين رجلاً، والمنشأ الآخر كان بحجم منزل، وكان مبنياً من الصخور المصمتة، مع سقف من الألواح المعدنية، ومصاريع فولاذية تغطي النوافذ. كانت توجد ثلاث مداخن تنفث الدخان، وبالقرب من الباب المفتوح للمبنى، كانت توجد مركبة تحمل علامة "بوتسدام ديزل".

وقف مادوكس بجانبى وقال: "ليس مشهداً رائعاً". وأضاف، "إن المشهد من الجهة الأمامية أجمل".

"أعتقد بأن هذا المشهد مثير للاهتمام". سألتها، "لماذا تملك كل هذه الأعمدة الهاتفية والكابلات الممتدة حول أرضك؟"

نظرت في عينيه، ولكن لم يرمش له جفن، وأجاب، "جرى تركيب هذه الأعمدة والأسلاك من أجل ربط محطات الاتصال التي تحيط بالأرض".

"حقاً؟"

"أنت تذكر الأيام التي كنت تعمل فيها شرطياً يقوم بدوريات، ويستخدم أكشاك الهاتف؟"

"أجل. كما كانت لدينا أجهزة إرسال واستقبال لاسلكية في سياراتنا منذ الخمسينيات من القرن الماضي، وهي أقل كلفة بكثير من بضع مئات من الأعمدة الهاتفية المغروسة في الصخر".

اكتفى مادوكس بعدم الردّ في الواقع، على الأرجح أنه كان يفكر بعمق متسائلاً إن كانت تلك مجرد أسئلة غير مجدية أم أنها أسئلة هادفة.

قال لي: "كما اكتشفت في ساحات القتال، لا يمكن الاعتماد على الأجهزة اللاسلكية". وأضاف، "وعلى أية حال، بات من النادر استخدام أكشاك الهاتف الآن بعد أن أصبحنا نستخدم الهواتف الخليوية والأجهزة اللاسلكية عالية الجودة. كما أن الأعمدة تُستخدم في تركيب وتشغيل معدات الإنارة الأمنية".

"هذا صحيح". وأجهزة التنصت والكاميرات الفيديوية أيضاً. "هاي ما هو هذا المبنى الأبيض؟"

"هذه هي الثكنة".

"أجل، من أجل جيشك. وأنا أرى مجموعة من المركبات حولها. يا له من مكان".

"أشكرك".

"وذاك المبنى الحجري؟"

"إنه المبنى الذي توجد فيه مولداتي الكهربائية".

“أرى ثلاث مداخل تنفث الدخان”.

“لأنه يوجد ثلاثة مولدات كهربائية”.

“وهل تبيع الطاقة الكهربائية إلى بوتسدام؟”

أجاب، “أنا معجب بالوفرة”.

“الوفرة”.

“أجل. ولهذا السبب لدينا خصيتان”.

“وعضو واحد فقط. ما هو السبب؟”

“غالباً ما أسأل نفسي هذا السؤال”.

“وأنا أيضاً”. كان من المفترض به الآن أن يسألني عن سبب طرحي كل هذه الأسئلة، ولكنه لم يفعل. وبدلاً من ذلك، قال: “حسناً، أشكرك على الزيارة. وأكرر أسفي. ما اسم الشخص الذي كنت تبحث عنه؟”

“هاري مولر”.

“أجل. ينبغي أن يتحلّى الناس بالحذر في الغابات”.

“أجل”.

“هل هناك شيء آخر؟”

“أريد بضع دقائق إضافية من وقتك”.

ابتسم بأدب، وذكرني قائلاً: “هذا ما قلته في المرة السابقة، ولكنك لبثت فترة طويلة”.

تجاهلت تلك الملاحظة، وابتعدت عن النافذة، ثم نظرت في أرجاء المكتب. كان عبارة عن غرفة كبيرة، مغطاة بألواح خفيفة من خشب الصنوبر وأثاثها من خشب السنديان. وعلى الأرضية كانت توجد سجادة شرقية. وفوق طاولة مادوكس، كانت توجد صورة فوتوغرافية في إطار لناقلة نפט كتب على مقدمتها ‘غوكو البصرة’. وكانت هناك صورة فوتوغرافية أخرى تظهر حقلاً نفطياً مشتعلًا.

قال لي مادوكس: “حرب الخليج. أو ينبغي أن أقول حرب الخليج الأولى”. وأضاف، “أكره رؤية النفط الجيد وهو يحترق، وخصوصاً إذا لم يكن يوجد يدفع لي ثمنه”.

امتنعت عن التعليق.

في العادة، تساعد أسئلتني الروتينية القصيرة والردود الأقصر على زعزعة ثقة المشتبه به بنفسه، ولكن هذا الرجل كان بارداً مثل جيفة على لوح من الثلج. ولكنني أحسست بالرغم من ذلك بشيء من الانزعاج في تصرفاته. في الواقع، أشعل سيجارة، ولكنه لم يعد يصنع حلقات دخانية هذه المرة.

بقينا صامتين، ثم اقتربت من جدار مليء بالشهادات والصور الفوتوغرافية في أطر.

كانت جميعها على علاقة بالجيش: جوائز، شهادات تقدير، تسريح مشرف من الخدمة، ترقيته إلى رتبة ملازم ثان، ترقياته، ... إلخ، إضافة إلى عدد من الصور الفوتوغرافية، والتي تظهر غالبيتها مادوكس في البزات العسكرية المتنوعة، تم التقاط عشر منها تقريباً في فييتنام.

نظرت إلى صورة أخذت عن قرب لوجهه. كان جلده مطلياً بألوان التمويه، كما أنه كان متسخاً، وظهر جرح أصيب به حديثاً فوق عينه اليمنى وكان يتقاطر منه الدم. كان وجهه يلمع بسبب العرق، وكانت عيناه بارزتين، كما لو كانتا عيني صقر حادثين.

قال لي: "هذه الصور الفوتوغرافية تذكرني بحظي الوافر لوجودي هنا".

حسناً، أنا أرى كم أنت محظوظ. قلت له: "أنا أرى ثلاثة أوسمة من فئة القلب الأرجواني".

"أجل. جرحان طفيفان، ولكن كدت أمنح وسام القلب الأرجواني الثالث بعد الوفاة".

لم أسأله عن أية تفاصيل، وهو لم يذكر شيئاً منها باستثناء قوله: "طلقة من بندقية كلاشينكوف اخترقت صدري".

من الواضح أنها لم تصب أي عضوي حيوي، ولكنها ربما تسببت في فقدان الدم من دماغه.

قال: "كنت في رحلتي الثالثة إلى الجبهة، وكنت أضغط على حظي".

"أجل". ولكن هاري لم يتمتع بهذا القدر من الحظ.

"لكن أتعرف شيئاً؟ أنا أفعل الشيء نفسه مرة أخرى".

فكرت في أنه ينبغي عليّ أن أذكره بأن تعريف الشخص المجنون هو الذي يفعل الشيء نفسه مرّة بعد أخرى وهو يتوقع الحصول على نتائج مختلفة.

الشيء الغريب بالطبع هو أنني وباين، كما أشارت السيدة مايفيلد، أصبحنا مرتبطين، وأنه لو لم يقتل أحد أصدقائي، ولو لم يكن يسعى إلى الاستيلاء على هذا الكوكب أو تفجيرها، فعلى الأرجح أنني كنت سأعجب به. في الواقع، بدا أنه معجب بي، بالرغم من أسئتي الفضولية. ولكنني لم أكن حتى ذلك الحين قد قتلت أيّاً من أصدقائه، أو أفسدت خطته بتفجير الكوكب بالصواريخ النووية، أو أفسدت أي شيء كان يعمل على تنفيذه. وبالتالي، لم يكن لديه سبب يدعو إلى عدم الاعتقاد بأنني شخص جيد.

فيما كنت أتخصّص ما تبقى من صور الفوتوغرافية، سألني، "هل سبق أن أصبت أثناء تأديتك الخدمة؟"

"أجل".

“في الجيش أم في الشرطة”.

“في الشرطة”.

قال: “إذا أنت تعلم بأن الإصابة تخلف فيك رضة نفسية، وبالتالي فهي تبعدك عن تجاربك اليومية العادية بحيث لا يمكنك استيعاب ما حصل لك”.

“أعتقد بأن هذا ما حصل فعلاً”.

“ما أردت قوله هو أنك إذا كنت في معركة - أو تقوم بعمل من أعمال الشرطة - فأنت تتوقع إمكانية تعرّضك للإصابة أو القتل وتظن بأنك مستعدّ لذلك. ولكن عندما يقع الحادث فعلاً، لن يمكنك أن تصدق ما حصل لك فعلاً”.

وسألني، “ألم تكن تلك ردة فعلك؟”

“أعتقد بأن هذا ما حصل”.

“حقاً؟ حسناً، ربما تكون ردة فعل الناس مختلفة”.

وتوسع في هذا الموضوع وقال: “وبعد ذلك، أي بعد أن تستوعب الذي حصل، تدخل في حالة ذهنية أخرى”.

وشرح ذلك قائلاً: “لكي أعيد صياغة ما قاله ونستون نشرشل، لا شيء يرضي أكثر من التعرّض للإصابة والنجاة”.

“هذا صحيح. والبديل هو التعرّض للإصابة والموت”.

“هذا هو جوهر الموضوع. إنها تجربة الاقتراب من الموت. وفي حال نجوت، فلن تعود ذلك الشخص الذي كنت عليه سابقاً. ولكنني أعني الجانب الإيجابي من التجربة، إذ إنه يراودك شعور بالغبطة الشديدة... والقوة، يكاد يصل إلى الخلود”.

وسألني، “هل كانت تلك التجربة التي مررت بها؟”

أذكر أنني كنت ممدداً في أهدود تصريف المياه في الشارع الغربي 102 بعد أن أطلق اثنان من أصول أميركية لاتينية عشرات الطلقات عليّ، أصابتي منها ثلاث من مسافة ستة أمتار، وأذكر أنني رأيت الدم يجري في المصرف أمام عينيّ.

سألني، “كيف كان شعورك؟”

“أعتقد بأنني شعرت بالضعف لبضعة شهور”.

“ألم تتغير حياتك بعد ذلك؟”

“أجل. لقد قضى الحادث على مستقبلي المهني”.

“حسناً، هذا تغير كبير. ولكن ما عنيته هو هل غير ذلك طريقتك في النظر إلى الحياة؟ كيف كان شعورك حيال المستقبل؟ مثل القدر الذي ينتظرك”.

“مثل ماذا؟ التعرّض للإصابة مجدداً؟”

“كلا أنا أعني”.

“لأنني تعرضت للإصابة مرة أخرى”.

“حقاً؟ أثناء أدائك عملك؟”

“حسناً، أجل، فأنا لم أكن في إجازة”.

“اعتقدت بأنه قضي على مستقبلك المهني”.

“أنا أعمل في مهنتي الثانية” وأضفت، “شاب ليبي. وأنا لا زلت أبحث عنه”.

“فهمت” بدا لي أنه لا يريد أن يتحدث عن الموضوع وقال: “من الواضح أنك تحمل تلك الهجمات التي تعرضت لها على محمل شخصي”.

عليك أن تترك المشتبه فيه يتحدث لأنه ربما كان يرمي إلى شيء معين. وحتى لو لم يكن يفصح عن شيء على علاقة بالجريمة، فقد يكشف عن شيء يتعلق به شخصياً. أحبته، “عندما يطلق الناس النار عليّ، أميل إلى أخذ المسألة على محمل شخصي، وحتى وإن لم يكن بيني وبينهم معرفة سابقة”.

أوماً برأسه وقال: “هذا أمر مثير لأنه في المعركة، أنت لا تأخذ المسألة على محمل شخصي، وأنت لا تفكر في العثر على ذلك الشخص بعينه الذي كان يطلق النار عليك. فهذا أمر يمكن أن يخطر ببالك”.

“إذاً، أنت لم تشعر بالغضب من الشخص الذي أطلق النار عليك؟”

“كلا على الإطلاق. كان يعمل فقط من أجل راتبه، مثلي تماماً”.

“هذه روح مسامحة جداً” وأضفت، “وأنت لا تضربني كما يفعل المسامح”.

تغاضى عن هذا التلميح، وقال: “ما عنيت قوله هو أن الجنود لا ينظرون إلى العدو كأفراد. فالعدو خطر واحد كبير لا شكل له. ولذلك لا تهتم معرفة الفرد الذي يحاول قتلك، أو من تقتله بالمقابل طالما أن الشخص الذي تقتله يرتدي البزة نفسها التي يرتديها الشخص الذي حاول قتلك” وأضفت، “أنت تطلق النار على اللباس العسكري، لا على الرجل. هل تفهمني؟”

“حسناً، أنا لم أشاهد الشخص الليبي، ولكنّ الشخصين اللاتينيين اللذين حاولا قتلي كانا يلبسان سروالين أسودين من قماش التشينو، وكنزتين أرجوانيتي اللون، وينتعلان أحذية مستدقة المقدمة”.

ابتسم وقال: “أعتقد بأنك لا تستطيع المشي في الطرقات وإطلاق النار على كل شخص يرتدي هذا الزي. ولكنني أستطيع أن أطلق النار على أي شخص يبدو أنه عدوي”.

“هذا تهديد”.

قال لي: “الانتقام أمر صّحي، ولكن لا ضرورة لأن يكون انتقاماً شخصياً. فأني محارب معادٍ سيفي بالعرض”.

“لكنّ ذلك قد لا يكون صحّياً بالقدر الذي تعتقد”.

“أودّ أن أخالفك الرأي. إن الانتقام يُنهي المسائل” وأضفت، “من سوء الحظ أن الحرب انتهت قبل أن أعود إلى الخدمة، وأصفي الحساب”.

خطرت ببالي فكرة مفاجئة وهي أنه في حال ألصقتُ تهمة ارتكاب جريمة قتل هاري بهذا الرجل، فقد يرفع محاميه من منطلق أنه مجنون، وسيقول القاضي: “أنا أوافق يا حضرة المستشار. إن عميلك فقد عقله اللعين”.

بدا لي أن هذا الرجل تائه على الأرجح في حالة من عدم اليقين بعد هزيمة السوفييات، لأنه لم يتبق أعداء رئيسيون متحالفون يستحقون منه أي اهتمام، أو بحاجة إلى أن يُقتلوا لكي يتسنى لباين مادوكس إنقاذ الأمة.

ثم جاءت هجمات 11 سبتمبر/أيلول 2001. وكانت بالتأكيد جوهر القضية.

عمد إلى تغيير الموضوع فجأة، وسألني، “هل توغلت في الغابات من قبل؟”

“توغلت بعض الشيء هذا الصباح. لماذا تسأل؟”

“كنت أتساءل إن كنت قد صادفت بعض الدببة”.

“لم أصادف أيًا منها بعد”.

“ينبغي أن تجرب رؤية الدبّ قبل أن تعود إلى المدينة”.

“لماذا؟”

“إنها تجربة. فمشاهدتها تجربة فائتة”.

“لا تبدو مثيرة إلى هذا الحدّ على القناة ناشونال جيوغرافيك”.

ابتسم وأجاب، “لا يمكنك أن تشمّها على التلفاز. فالإثارة تتحقق من الوقوف وجهاً لوجه أمام حيوان متوحش تعرف بأنه يمكنه قتلك”.

“هذا صحيح، الأمر مثير فعلاً”.

“لكن إذا كنت مسلحاً فهذا يعني أنك تغش. الشيء المثير في الدببة السوداء هو أنك تستطيع أن تتفاعل معها. إنها حيوانات خطيرة، ولكنها ليست خطيرة. هل تفهمني؟”

“أعتقد أنني تهت بعد ذكرك كلمة ‘الخطيرة’ الأولى”.

“حسناً، فكّر في الأسد من ناحية، وبالحمل من ناحية أخرى. مع هذين الحيوانين، أنت تعرف بالضبط أين يجب أن تقف. هل هذا صحيح؟”

“أجل”.

“ولكن الدببة - الدببة السوداء - أكثر تعقيداً. فهي حيوانات ذكية، وفضولية، وغالباً ما تدنو من البشر. وهي تريد منك أن تلقي لها بعض الطعام بنسبة خمسة وتسعين في المئة من الحالات. ولكن في الحالات الأخرى التي تشكل خمسة في المئة - علماً بأنه يصعب عليك تحديدها - يكون هدفها قتلك”. وخطا خطوة كبيرة نحو، وقال: “هذا ما يجعل الأمر مثيراً”.

“أجل، إنه أمر مثير”.

“هل فهمت قصدي؟ احتمال الموت قائم، ولكن أرجحية الوفاة ضعيفة بما يكفي لإغرائك بالدخول في التجربة للتمتع بالإثارة. فدقات قلبك تتسارع، وهرمون الأدرينالين يتدفق من أذنيك، وأنت مسمر في مكانك، بين الشعور بالخوف والرغبة في الهرب. هل ترى المشهد؟”

لم أشم رائحة الكحول من نفسه، ولكن ربما كان يشرب الشراب الروسي، أو يشم شيئاً، أو ربما كان مجنوناً. وربما كانت تلك أقصوصة مثالية عن جون وباين. ختم حديثه قائلاً: “لكن للدبية البنية أو القطبية قصة أخرى، إذ إنك تعرف بالتأكيد ما يدور في عقولها”.

“أجل. هل لك أن تعيد ذكر الألوان مجدداً؟ البني دبّ...”
“سيئ. وهو الدبّ الضارب لونه إلى الرمادي”.
“والأسود هو”.

“ليس سيئاً”. وأضاف الدبية البيضاء هي الدبية القطبية. وهي ستمزقك إرباً”.
وأضاف “يوجد هنا دبية سوداء فقط”.
“هذا جيد. وهل تعرف بأن لونها أسود؟”

اعتقد أن سؤالي كان مزحة، ثم نظر إلى ساعته وقال: “حسناً، مرة أخرى، أشكرك على زيارتك. إذا جرت عملية لجمع الأموال للسيد ميلر، أرجو أن تخبرني بذلك”.

أصبحت ضائعاً تماماً، ولكنني أخذت نفساً، وسيطرت على نفسي. أردت فعلاً أن أطلق النار عليه، وأراقبه وهو يموت ببطء كما شرحت الأمر بشأن هاري مولر، وأن يكون دافعي لإطلاق النار شخصياً جداً، وليس لأسباب مهنية أو لأنه العمل الذي أتقاضى راتباً لقاء قيامي به.

بدا أنه ينتظر مني أن أقول له وداعاً، ولكنني اكتفيت بالوقوف، فقال: “بالمناسبة، قدم لزيارتي البارحة صديق مشترك، رودى”.

أو ربما يمكنني أن أشرح له أنني أطلقت النار عليه من أجل الله والوطن. لم أكن أعرف ماذا يخطط له، ولكنني كنت متأكداً تماماً بأنه يتعين إيقافه، وأنه إذا لم أوقفه في الحال، فإن محاولة أي شخص لإيقافه لاحقاً ستكون بعد فوات الأوان. وباين مادوكس يفهم ذلك.

قال: “رودى، من محطة الوقود في ساوث كولتون”.

وضعت يدي في جيبي سترتي الجلدية، وأحسست بعقب مسدسي الغلوك في يدي اليمنى. قال مادوكس: “يبدو أنه مرتبك لسبب معين. فقد كان يعتقد أنني طلبت منك إخباره بأني أودّ رؤيته”.

“ألم تكن تريد ذلك؟”

“كلا. لماذا قلت له ذلك؟”

إذا أطلقت النار عليه في هذا المكان وفي هذه اللحظة، سيكون الشخص الوحيد الذي يعرف السبب، وربما يكون ذلك كافياً. لكن ربما كنت بحاجة إلى معرفة المزيد. والشرطة ومكتب التحقيقات الفيدرالي يودان بالتأكيد معرفة المزيد.

“يا حضرة التحري؟”

لكي أكون صادقاً مع نفسي، ربما لا أستطيع أن أشهر مسدسي وأطلق النار على رجل أعزل. ولكي أكون أكثر صدقاً، السيد باين مادوكس يحيرني... كلا إنه يدهشني. سبق له أن أصيب؛ ونجا في الحرب. وكان، أو يعتقد بأنه كان، وطنياً يواصل القيام بوظيفته، وإذا قُلت له بأنه في الواقع قاتل مضطرب نفسياً، فسيعاني من صدمة.

“السيد كوري؟ مرحباً؟”

نظر كل منا في عيني الآخر، واعتقدت بأنه عرف ما كان يجول في خاطري. في الواقع، انتقل إلى التركيز على يدي اليمنى التي تمسك بالمسدس الذي في جيبتي.

بقينا صامتين لفترة، ثم قال لي: “لماذا طلبت منه أن يخبرني بأنك رام ماهر؟”

“من؟”

“رودي.”

“رودي؟” أخذت نفساً آخر، وأخرجت يدي الفارغة من جيبتي. وقلت: “رودي، رودي، رودي. من يكون رودي؟”

بدا أنه أحسّ بلحظة حاسمة تمرّ، ولذلك تجاهل موضوع رودي وقال لي: “سأطلب من كارل أن يرافكك إلى خارج المنزل”. وعاد إلى مكتبه، وأمسك بجهاز لاسلكي، وكان على وشك أن يضغط على زرّ الإرسال.

قلت: “أنا هنا للتحقيق في جريمة قتل.”

تردد، ثم وضع الجهاز. ونظر إليّ، وسألني، “أي جريمة قتل؟”

اقتربت من مكتبه أكثر، وأجبته، “جريمة قتل هاري مولر.”

بدا متفاجئاً ومرتبكاً تماماً، وقال: “أوه... قيل لي بأنها كانت حادثة. لقد تم العثور على الجثة... أنا أسف، كان ينبغي عليّ التعبير لك عن مواساتي، فقد كان زميلاً لك.”

“صديق.”

“حسناً، أنا في غاية الأسف. ولكنني... تلقّيت اتصالاً من مكتب الشريف، الذي قال لي بأنه تم العثور على جثة هذا الرجل في الغابة، وأنه حُكم على القضية بأنها حادثة صيد.”

“لم يتم الحكم عليها بشيء بعد.”

“فهمت... إذاً، هناك احتمال بوجود تلاعب.”

“هذا صحيح”.

“و...؟”

“كنت أمل بأن تساعدني”.

“كلا أنا آسف. كيف لي أن أعرف...؟”

جلس على الكرسي قبالة مكتبه، وأشار إليّ بأن أجلس.

تردد، باعتبار أنه يعرف بأنه ليس مضطراً إلى الجلوس والتحدث في المسألة، وأنه يستطيع أن يطلب مني النهوض عن مقعده، والخروج من منزله، وحياته. ولكنه لم يكن عازماً على القيام بذلك، وبقي جالساً من الناحية التقنية، لم أكن أملك أية صلاحية هنا في التحقيق في جريمة قتل؛ لأنها وظيفة شرطة الولاية. ولكن بدا أن مادوكس لا يعرف ذلك، وأنا لم أكن عازماً على إعطائه درساً في النظام الدستوري.

عاد كل منا إلى عادته القديمة في النظر إلى عيني الآخر. لم يكن لدى هذا الرجل عين ترمش. هذا مدهش. كيف يمكنه أن يفعل ذلك؟ فحتى الأشخاص من أصحاب العيون الزجاجية يرمشون.

سألني، “كيف يمكنني مساعدتك أيها التحريّ؟”

قلت له: “حسناً، الأمر على هذا النحو يا سيد مادوكس. هاري مولر لم يكن هنا، كما تعرف، بغرض مراقبة الطيور”.

“ولكنك قلت بأنه أتى من أجل ذلك”.

“لم يأت من أجل ذلك. في الواقع، جاء إلى هنا من أجل مراقبتك”.

لم يتظاهر بأنه مصدوم أو متفاجئ، وبدا أنه يفكر في الأمر، فأوماً برأسه، ثم قال لي: “أنا أفهم بأن الحكومة مهتمة بي. وأي رجل في مثل وضعي سيتفاجأ إن لم تكن الحكومة مهتمة به”.

“حقاً؟ ولماذا تعتقد بأن الحكومة مهتمة بك؟”

“حسناً... بسبب صفقتي التي أبرمها مع القوى الأجنبية. تسعير النفط”.

وأضاف، “كما أنني صديق شخصي لوزير النفط العراقي”.

“لا بدّ وأنتك تمزح؟ ما هو رأيه في احتمالات نشوب حرب؟”

“لم أتحدث إليه منذ مدة، ولكنني أتخيل بأنه ليس متأكداً جداً من تعرّض بلاده لغزو وشيك”.

“أعتقد بأنه كذلك. إذًا، أنت تعتقد بأن الحكومة مهتمة بك لأنّ؟”

“لأنّ مصالح ومصالح الولايات المتحدة لا تتطابق دائماً”.

“فهمت. مصالح أي طرف تحلّ الأولوية؟”

ابتسم قليلاً، ثم أجاب، “بلدي دائماً يحتل الأولوية، ولكن بلدي لا يحظى دائماً بتمثيل مناسب في الحكومة”.

“أجل. يمكنني تصديق ذلك. لكن دعنا نقول على سبيل الافتراض بأن الحكومة لا تأبه البتة للصفات التي تجريها مع القوى الأجنبية، وأنت مخطئ في اعتقادك بخلاف ذلك، ما هي الأسباب الأخرى التي تدفعها إلى الاهتمام بأمرك؟”
“ليست لدي أدنى فكرة يا سيد كوري. هل لديك فكرة؟”
“كلا”.

“لكن لماذا جرى إرسال التحريّ ميلر من الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب لكي يتجسس عليّ؟ هل تعتقد الحكومة أنني إرهابي؟”

“لست أدري”. وسألته، “من قال بأن التحريّ مولر كان عضواً في الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب؟”
ترددت مدةً ثانية ثم أجاب، “إنه زميل لك، وأنت في الوحدة التكتيكية”.

“أجل. هذا عمل تحقيقي جيد”.
أشعل سيجارة، ولكنه لم يصنع حلقات دخانية هذه المرة أيضاً، وقال لي: “إذاً، أنت تقول بأن هذا الرجل الذي يسمى ميلر...”
“مولر. التحريّ هاري مولر”.
“أجل. أنت تقول بأن التحريّ هاري مولر أرسل إلى هنا... لكي يتجسس عليّ”.

“وعلى ضيوفك”.
“وعلى ضيوفي، وأنت لا تعرف..”
“بالمناسبة، العملية تسمى مراقبة. فعبارة التجسس لها دلالة سلبية”.

انحنى نحوي وقال: “من يأبه للتسمية الصحيحة للعملية؟” وأخيراً فقد برودة أعصابه، وضرب مكتبه بيده، ورفع صوته وقال: “إذا كان هذا الرجل، التحريّ هاري مولر، قد أرسل إلى هنا لكي... يراقبني ويراقب ضيوفي، فسأكون غاضباً جداً بسبب ذلك. فالحكومة لا تملك حق التدخل في خصوصياتي، ولا في خصوصيات ضيوفي الذين اجتمعوا بطريقة قانونية في أملاك خاصة من أجل...”
“هذا صحيح. ولكن تلك مسألة أخرى. أما المسألة التي بين أيدينا فهي جريمة قتل”.

“أنت تقول إنها جريمة قتل. لكن الشريف يقول بأنها حادثة صيد. وإذا كانت حادثة قتل، ما علاقة ذلك بي؟”

إذا قلتَ لهذا الرجل بأنك مشبوه، عليك أن تقرأ عليه حقوقه، وأنا لا أحمل تلك الورقة معي. ولو كانت معي وقرأتها عليه، سيقول: “لقد عثرتَ على الشخص غير المطلوب أيها التحري. اعذرني أريد الاتصال بالمحامي”.

ولذلك قلت: “أنا لم أقل إن للأمر علاقة بك”.

قال: “إذا ما هو سبب وجودك هنا؟”

أجبت، “لكي أخبرك بالحقيقة...” وهو الأمر الذي لا نية لدي في القيام به... “أعتقد بأن للأمر علاقة بأحد حراسك”.

لم يصدّق كلامي، ولكنه كان جيداً بما يكفي لكي يتظاهر كلانا بأنه يعمل على شيء معين، ويواصل لعبة الهرة والفأرة لفترة من الوقت.

عاد وأسند ظهره وقال لي: “هذا.. هذا أمر لا يصدّق... ولكن... أعني... هل لديك دليل يثبت ذلك؟”

“لا يمكنني مناقشة ذلك”.

“حسناً. لكن هل تشتهه بشخص معيّن؟”

“لا يمكنني الإفصاح عن ذلك في هذه المرحلة” وعللت له ذلك بالقول: “إذا أفصحت عن اسم مشتبه فيه، وتبيّن أنني كنت مخطئاً، فستفتح نيران جهنم عليّ”.

“أجل... ولكنني لست متأكداً من قدرتي على مساعدتك”.

أجبت، “حسناً، الإجراء التقليدي هو أن يقوم مكتب التحقيقات الفدرالي بطلب الحصول على كافة ملفاتك الشخصية، ثم نبدأ باستجواب كافة عناصر فريقك الأمني، وكذلك الموظفين الذين يعملون في المنزل، لمحاولة تحديد مكان كل شخص وتحركاته، قبيل وقوع الجريمة وبعدها”.

أصغى إليّ ثم قال: “لا زلت عاجزاً عن فهم سبب اعتقادك بأن أحد الموظفين لدي ارتكب جريمة قتل. ما هو دافعه للقيام بذلك؟”

“حسناً، لست متأكداً من الجواب. ربما كان يمر بحالة من الحماسة المفرطة”.

لم يرد على هذا الجواب.

“دعنا نسمّي الأمر على أنه تجاوز للمهام. ربما حصلت مشادة بينهما. وربما نحكم على ما حدث بأنه قتل غير متعمّد وغير إرادي، أو أية جريمة أقل خطورة، مثل جريمة قتل مبرّرة”.

فكّر في كلامي وقال: “أكره التفكير في أن أحد رجالي يمكنه أن يفعل ذلك. فهم مدربون جيداً، ولم يسبق أن وقعت مثل هذه الحادثة من قبل” بدأ عليه القلق، وسألني، “هل تعتقد، بوصفك موظفاً، بأنه يمكن مقاضاتي بسبب حادثة قتل بدون وجه حق؟”

“هذه ليست دائرة اختصاصي. ينبغي أن تسأل وكيلك القضائي”.

“سأفعل”. وذكرني قائلاً: “كما قلت البارحة، الدعاوى القانونية تعمل على تخريب هذه البلاد”.

اعتقدت بأنه قال ‘محامين’ في المرة السابقة، ولكنه بحاجة إلى واحد الآن، وهم ليسوا سيئين إلى هذا الحد في نهاية المطاف. ولكنني قلت على سبيل المساعدة، “سأسأل السيدة مايفيلد عن هذا الأمر”.

اكتفى بعدم الردّ. أطفأ سيجارته، وقال: “حسناً، سأقدم لك كافة الملفات الشخصية التي يمكن أن تحتاجها أو يحتاجها أي شخص”. وسألني، “متى تريد هذه الملفات؟”

“ربما في الغد”. وقلت له: “هناك فريق استرجاع الأدلة التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالي في طريقه إلى المنطقة”.

“حسناً، ... أنا لست متأكداً إن كنا نحتفظ بتلك الملفات هنا، فقد تكون في مكنتي في نيويورك”.

“أخبرني عندما تعرف مكانها”.

“وكيف يمكنني الاتصال بك؟”

“اتصل بفندق ذي بوينت. وكيف يمكنني الاتصال بك؟”

“كما قلت سابقاً، عبر فريق الأمني”.

قلت له: “ربما لا تصلح هذه الطريقة في هذه القضية”.

“إذاً عبر مكنتي في نيويورك”.

“ماذا عن رقم هاتفك الخليوي؟”

“يوجد في مكنتي عامل على الهاتف على مدار الساعة. وهو يمكنه الاتصال بهاتفك الخليوي”.

“حسناً”. وسألته، “إلى متى ستظل هنا؟”

“لا أعرف المدة بالتحديد. لماذا تسأل؟”

“يوم، يومان، سنة؟ متى ستغادر المكان؟”

من الواضح أنه لم يكن معتاداً على الخضوع للاستجواب فأجاب بطريقة تتم عن فقدان الصبر “سأبقى مدة يومين أو ثلاثة أيام”. وسألني، “إلى متى ستظل هنا؟”

“إلى أن يتم حل القضية”. وسألته، “إلى أين تريد الذهاب عندما تغادر المكان؟”

“ربما سأذهب إلى نيويورك”.

“حسناً. عليّ أن أطلب منك إبلاغ مكتب التحقيقات الفيدرالي في نيويورك إذا كنت تخطط لمغادرة البلاد”.

«لماذا؟»

«ربما تكون شاهداً هاماً في التحقيق في جريمة قتل».

لم يجب بشيء.

قلت: «كما عليك أن تزودني بلائحة بأسماء الضيوف الذين كانوا عندك يوم عطلة نهاية الأسبوع».

«لماذا؟»

«ربما يكونون شهوداً هامّين أيضاً. فكما تعرف، ربما تنتهي إلى أسماعهم شيء، أو ربما كانوا قادرين على تزويدنا بمعلومات عن الفريق الأمني أو موظفي المنزل الذين كانوا يتصرفون بطريقة مريبة. أو ربما يدلون بمعلومات عن تحركات الضيوف الآخرين». وأضفت، «الأمر يشبه جريمة قتل غامضة ترتكب يوم عطلة نهاية الأسبوع في منزل ريفي كبير. لنفترض مثلاً أن السيد... لنقل وولف، الذي كان يقرأ في المكتبة، لاحظ أن كارل، رئيس الحرس، على سبيل المثال، غاب لمدة ساعتين ثم عاد إلى المنزل وثيابه ملطخة بالدماء. أو أي شيء آخر من هذا القبيل».

امتنع مادوكس عن الرد.

قلت: «كما سأحتاج إلى كافة أشرطة المراقبة التي كانت تصور أملاكك، أو التي تصور ما يدور داخل هذا المنزل. وأريد الحصول على السجل الأمني، والذي أنا على ثقة بأنك، بوصفك ضابطاً سابقاً في الجيش، تصرّ على الاحتفاظ به. من هم الذين كانوا في الخدمة، ومتى عادوا إلى الخدمة، ومتى أخذوا إجازة من الخدمة، ونوبات الحراسة، وأية حوادث غير مألوفة، وما إلى ذلك». وأعدت التأكيد قائلاً: «أنا واثق من وجود ذلك السجل وتلك الأشرطة الأمنية».

لم يؤكد كما لم ينفِ وجود سجل أو أشرطة أمنية.

أخرجت دفتر ملاحظاتي، وقلت له: «أتساءل إن كان في مقدورك إعطاء أسماء من نزلوا ضيوفاً عندك بالاستعانة بذاكرتك». وذكرته بالقول: «أعتقد بأنك قلت بأن المجموعة ضمّت حوالي ستة عشر ضيفاً».

اعتقدت بأن مادوكس بات يشعر الآن بأنه محاصر، مثل الجنرال جورج كاستر. لا يبدو أنه كانت توجد طريقة للخروج من هذا الطوق، ولكنه وجد واحدة وقال لي: «أخشى أنني مضطرّ إلى قطع زيارتك أيها التحري». وشرح سبب ذلك فقال: «أنا بحاجة إلى إجراء بعض المكالمات الهاتفية الهامة مع الشرق الأوسط، والساعة باتت متأخرة الآن هناك. كما أن لدي عملاً ملحاً آخر عليّ أن أهتم به». وذكرني قائلاً: «أنا أدير عملاً تجارياً، واليوم هو يوم عمل».

«أنا أعرف ذلك، فأنا أعمل على قضية جنائية».

«أنا أفدّر هذا الأمر، ولكن.. سأقول لك أمراً. لدي فكرة».

«هذا جيد. هل لك أن تطلعني عليها؟»

“لماذا لا تأتِ إلى هنا مجدداً هذا المساء؟ وبهذه الطريقة، يمكننا أن نجتمع بين العمل والمتعة. لنقل أننا سنشرب الكوكتيل عند الساعة السابعة، وفي حال رغبت في البقاء لتناول العشاء، فلا بأس بذلك”.

“حسناً، لست متأكداً من رغبتني في البقاء لتناول العشاء لأن هنري سيعدّ طبق دجاجة الأرض هذه الليلة”.

ابتسم وقال: “أعتقد بأنك تستطيع القيام بما هو أفضل من ذلك، وسأعطيك لائحة بأسماء الضيوف الذين نزلوا عندي يوم عطلة نهاية الأسبوع”.

“هذا رائع”. لم يكن في مقدوري إسقاط الضمادة اللاصقة على السجادة بدون أن أشرح سبب لعبي بضمادة لاصقة، ولذلك خلعتُ حذائي وفركت جواربي بزغب السجادة الشرقية، والذي يمكن المقارنة بينه وبين غيره بسهولة.

تملكنني إحساس قوي فعلاً بأن هاري كان موجوداً هنا، وأني سأتمكن من التحقق من ذلك في غضون يومين تقريباً. وعندها، أستطيع العودة إلى المكان مع مذكرة اعتقال: باسم السيد باين مادوكس على خلفية الاشتباه بارتكابه جريمة قتل. والأفضل من ذلك هو أنه يمكنني إطلاق النار عليه، باعتبار أنني قد لا أتمكن من إصاق التهمة به، وضميري مرتاح، ما لم يكن قد رحل حينها إلى العراق أو إلى في مكان آخر ليلعب... مع وزير النفط.

سألته، “من الذي سيعدّ الطعام هذه الليلة؟”

“سأندبر الأمر”. وأضاف، “يمكنني صنع شراب الكوكتيل. شراب اسكتلندي، أليس كذلك؟”

“بلى. حسناً، هذا لطف كبير منك”.

“ولا تنسَ بالطبع أن تحضر السيدة مايفيلد”.

“سأرى إن كانت قد عادت من صف التعلّم على الصراخ”.

“هذا جيد. الثياب غير رسمية”. وأضاف والابتسامة على وجهه “لا حاجة إلى ارتداء زيّ السهرة”.

“زيّ السهرة لمساء يوم غد”.

“هذا صحيح. أيام الأربعاء والسبت”. وألح عليّ بالقول: “أرجو أن تقنع السيدة مايفيلد بالمجيء، وقل لها بأنه لا داعي لأن تقلق بشأن ثيابها”. وقال لي، على طريقة حديث الرجل إلى الرجل: “أنت تعرف عادات النساء”.

“حقاً؟ متى حصل ذلك”.

ضحكنا قليلاً على هذا التعليق، وجددنا أواصر الصداقة. هذا رائع. وفي هذه الأثناء، تساءلت إن كنت وكايت سنخرج من هنا أحياء. سألته، “هل سينضمّ أحد إلينا؟”

“لست متأكداً من ذلك بعد. ولكن في وسعي أنا وأنت الاختلاء في المكتبة في حال احتجنا إلى الاهتمام بعمل معين”.

“هذا جيد. فأنا أكره الحديث عن جرائم القتل على موائد العشاء”. وسألته، “هل لا زال أحد الضيوف الذين نزلوا عندك يوم عطلة نهاية الأسبوع موجوداً هنا؟”
“كلا. لقد رحل الجميع”.

ربما نسي ميخائيل بوتيوف.

نهض وقال: “إذاً، شراب الكوكتيل عند الساعة السابعة، ثم ننجز بعض الأعمال، ثم نتناول طعام العشاء إذا كنت تستطيع الانسحاب من دعوة العشاء التي يقدم فيها طبق دجاجة الأرض”.

“ستكون مكالمة صعبة”. لبست حذائي، ونهضت، وقلت: “هاي، ما هي تشكيلة الخضار؟”

“لا زلت غير متأكد”. ولكنه أعطاني نصيحة عندما قال: “لا تأكل شيئاً لا يمكنك تهجئة اسمه، وإياك أن تأكل شيئاً توجد علامة كتابية فوق أي من حروف اسمه”.
“إنها نصيحة جيدة”.

قال: “أكرر التعبير عن أسفي مجدداً على الحادثة التي تعرض لها التحري مولر. وأمل ألا يكون للحادثة أي علاقة بالموظفين الذين يعملون لدي. ولكن في حال تبين وجود هذه العلاقة، ففي وسعي أن أطمئنك إلى أنني سأكون متعاوناً جداً”.
وأضاف، “سأبحث عن المعلومات التي طلبتها”.

“شكراً لك. وفي هذه الأثناء، أرجو أن تتكتم على الخبر، فنحن لا نريد التحدث إلى أحد”.

“أنا أتفهم ذلك”.

تصافحنا، وغادرت مكتبه، وهناك وجدت كارل واقفاً على مسافة أمتار قليلة من الباب. قال لي: “سأرافقك وأنت تغادر المكان”.

“شكراً. يمكن أن تتوه في هذا المكان”.

أجاب، “وهذا هو سبب مرافقتي لك”.

“أجل”. يا له من أخرق.

نزلنا درجات السلم، وسألت كارل، “أين يوجد الحمام؟”

أشار إلى باب في الردهة. دخلته، وأمسكت بمنشفة كانت معلقة في الحلقة، ومسحت بعض السطوح، وجمعت بعض الشعرات، والخلايا الجلدية، وكل شيء يحمل علامات الحمض النووي ويرغب المحققون الجنائيون في الحصول عليها. تمنيت لو كنت أستطيع التقاط عقب السيارة التي كان يدخلها مادوكس، ولكنني لم أسأله إن كان في مقدوري الاحتفاظ بعقب السيارة كهدية تذكارية، لأن ذلك أمر مستحيل.

وضعت المنشفة تحت سترتي، وخرجت.
رافقتني كارل حتى الباب الأمامي. قلت له: "سأراك في الساعة السادسة".
"السابعة".

لم يكن ذكياً جداً، ولكنه كان مخلصاً، وخطراً.

الفصل 40

نظرت أمامي فلم ألاحظ أن البوابة الحديدية فتحت فيما كنت أقترّب من بيت الحراسة، فبدأت أطلق بوق السيارة.

بدأت البوابة بالانزلاق، ومع وصولي إلى بيت الحراسة، رمقتي اثنان من جنود العاصفة بنظرات خبيثة فيما كان كل منهما يقف ويعقد إصبع إبهامه حول حزام مسدسه. إذا كان ذلك أقصى ما يمكنهما فعله، فلن أكلف نفسي عناء إغاظتهما، ولكنني زدت السرعة، وانحرفت نحوهما، ثم أعدت السيارة إلى الاتجاه الصحيح، ثم مررت بالهيونداي بصعوبة عبر البوابة نصف المفتوحة.

وعلى المرأة الجانبية، شاهدتهم وهو يركلون الحصى، ويطأون الأرض بأقدامهم. أعتقد أنني أعظمتهم.

ربما لم أكن بحاجة إلى التصرف على هذا النحو، ولكنك بحاجة إلى تحديد الذكر المسيطر مقدماً. فالناس يحبون أن يتعرفوا على أماكنهم في سلم تدرج السلطة.

كما أنه لم يساورني شك في أن أحد هذين الرجلين أو كلاهما أمسك بهاري عندما كان في أرض النادي. وإذا لم يكونا الشخصين اللذين أمسكا به، فأشخاص يرتدون زياً مثل زيهما. أليس كذلك يا باين؟

لم ألاحظ هذه المرة أيضاً أي فريق مكلف بالمراقبة، وتساءلت عما يخطط له شافير.

واصلت سيرتي شمالاً على الطريق 56. وأثناء الطريق، أعدت سردت تفاصيل محادثتي مع باين مادوكس، والتي اشتملت على بعض الأفكار الجانبية المشوّقة. والخلاصة هي أن باين وجون عرفا بأن باين وجون كانا يلعبان لعبة الهرة والفأرة معاً.

على أية حال، دعاني مادوكس إلى مائدة العشاء، كما دعا السيدة مايفيلد بالطبع. وقد استنتج مادوكس من عدم تغيير لي لثيابي أنني وكايت سافرنا إلى المنطقة على عجل. ولذلك تحمّل عبء التأكد من شعور السيدة مايفيلد بالارتياح في النادي بغض النظر عن الثياب التي ترتديها. وأثبت بذلك أنه حكيم جداً، ناهيك عن كونه شديد الملاحظة. وهذا ما يمكن أن يجعل باين مادوكس محققاً جيداً.

لا يقدم المجرمون في العادة على حلّ مشكلاتهم مع القانون بقتل الضباط المحققين، ولكن في حال كانت الدعوة إلى العشاء مصيدة، فهذا يعني أن مادوكس سيُلحق على عجل جريمة مزدوجة بخطته الرئيسية، بغض النظر عن نوعية هذه الجريمة. والطريقة الوحيدة لكي ينجح هذا المخطط هي في معرفة مادوكس من مصدر معين - شافير أو الشريف، أو حتى من مصدر في مكتب التحقيقات الفيدرالي - بأنني وكايت هاربان من وجه القانون، وأنه لا يوجد فريق دعم ينتظر المجيء لإنقاذنا.

إذا كان مادوكس يملك مصدراً داخلياً يزوده بهذه المعلومات، فهذا يعني أن الوضع مقلق جداً، ومرعب جداً. كما أن مادوكس أدرك بأنه لم يعد يتوفر لديه الكثير من الوقت، وخصوصاً أنه أصبح عالماً في تحقيق جنائي. فهل يمكنني على الفور معرفة نتيجة ما سيقوم به؟ أعني أنه يمكنني تخيل قيام هذا الشخص بملء الكؤوس بالشراب الاسكتلندي والإشارة بطريقة عرضية بالقول "آه، بالمناسبة، لقد دمر أسطول غواصاتنا النووية للتو الصين، وكوريا الشمالية، والشرق الأوسط، وباريس. وربما سيدعوننا إلى الاختباء في ملجئه النووي".

على أية حال، أن الأوان للعمل بنصيحة كايت والذهاب إلى نيويورك بدلاً من حضور مائدة العشاء في قلعة مادوكس. أليس كذلك؟ بلى بكل تأكيد.

عرفت أن كايت لا بدّ وأنها تشعر بالقلق، وفي إمكانك إجراء مكالمة هاتفية لمدة ثلاث دقائق قبل أن يتمكنوا من اقتفاء أثرها، ولذلك قمت بتشغيل هاتفي، والاتصال بالرقم الهاتفي لمنزل البوند. ردت كايت، "مرحباً؟"
"هذا أنا".

"الحمد لله. بدأت أقلق..."

"أنا بخير. ليس في مقدوري الحديث لأكثر من دقيقة. أنا بحاجة إلى إنجاز بعض المهام، وسأعود في غضون ساعة تقريباً".

"حسناً. كيف سارت الأمور؟"

"سارت على أحسن ما يرام. سأطلعك على التفاصيل عندما أعود. هل أنجزت المهام التي طلبتها؟"

"أجل، أنا..."

"هل تحدثت إلى شافير؟"

"لم أتمكن من الاتصال به".

"حسناً، هاي هل طلبت طبقاً من البيتزا؟"

"كلا. يمكنك أن تشتري لنا شيئاً".

"سألتها، هل أنت جائعة؟"

"أنا أتضور جوعاً".

"هذا جيد. تلقينا دعوة لتناول العشاء في نادي كاستر هيل".

"ماذا تقول؟"

"سأخبرك عن ذلك عندما أعود". وقلت لها: "اللباس غير رسمي".

"هل تمزح؟"

"كلا. المناسبة غير رسمية. سيتم تقديم شراب الكوكتيل عند الساعة السابعة".

“أعني...”

“عليّ أن أقطع المكالمة. سأراك في وقت لاحق.”

“جون...”

“إلى اللقاء. أنا أحبكِ.” قطعتُ المكالمة، وأطفأت هاتفِي. هل قلت إننا ذاهبان لتناول العشاء في نادي كاستر هيل؟ هل أنا مجنون؟

على أية حال، كنت أقترب من محطة الوقود التي يملكها رودِي، وهناك، وجدت رودِي وهو يتحدث إلى زبون آخر يخدم نفسه. أوقفت السيارة وصحت، “رودِي!”

اقترب منِّي عندما رأني وقال: “عدت مجدداً؟”

“من أين؟”

“من؟ لست أدري. أين ذهبت؟”

قلت: “حاولت أن أرطب الأجواء بينك وبين السيد مادوكس.”

“حقاً؟ أخبرتك بأنني تحدثت إليه وهو على ما يرام.”

“كلا، كان لا يزال غاضباً منك. حسناً، حصلت على خبر سارّ وآخر سيئ. ما هو الخبر الذي تودّ سماعه أولاً؟”

“أوه... الخبر السارّ.”

“الخبر السارّ هو أنه لم يعد غاضباً منك. والخبر السيئ هو أن ينوي افتتاح محطة غوكو للوقود في الجهة المقابلة من الشارع.”

“ماذا تقول؟ ماذا ينوي أن يفعل؟ يا إلهي، لا يمكنه فعل ذلك.”

“بل يمكنه فعل ذلك وسيفعل ذلك.”

نظر رودِي إلى الجهة المقابلة من الشارع في الحقل الفارغ، وكنت متأكداً من أنه لم يكن في مقدوره تصوّر ذلك: ثماني مضخات جديدة تلمع، حمامات نظيفة، وخرائط للمنتزه.

قلت له: “المنافسة مفيدة. إنها جوهر الأصالة الأميركية.”

“هذا هراء.”

“هاي، أريد منك خدمة. رودِي؟”

“ماذا قلت؟”

“يتعين عليّ الحصول على ذبيحة غزال. هل يوجد لديك شيء أكبر يمكن مقايضته بجذاعة الأعشاب الكورية هذه؟”

“ماذا قلت؟”

“لهذه الليلة فقط. وسأمنحك مئة دولار لكي تحل مشكلاتك.”

“ماذا قلت؟”

“وسأملأ خزان سيارتك.”

“هل تريد التزود بالوقود؟”

استدرت بسيارة الهيونداي حول المحطة، وبعيداً عن الأعين، وفي غضون خمس دقائق، أبرمت صفقة مع رودي الذي كان لا يزال يتصرف كما لو أصيب بضربة في الرأس من بغل. في الواقع، لم يلاحظ أن مفاتيح الهيونداي لم تكن في داخل السيارة بعكس ما قلت له.

قلت له كلمات الوداع التالية، “لا تخبر مادوكس بشأن هذه الصفقة، لأن ذلك سيجعل الأمور أكثر سوءاً. وسأتباحث الموضوع معه.”

“لا يمكنه فعل ذلك. سأقدم بشكوى إلى المحكمة.”

على أية حال، تبين أن سيارة رودي الكبيرة مركبة مقفلة مهترئة من طراز دودج بدت من داخلها كما لو أنها تعرضت لانفجار في خزان الوقود أثناء عراك على الطعام. ولكنها كانت تسير بسرعة عالية.

أكملت طريقي، وفي كولتون، تجاوزت المنعطف الذي يؤدي إلى كانتون، وعلقت مساراً طويلاً يمر عبر بوتسدام.

عندما تكون فارّاً من أشخاص يطاردونك، عليك أن تغيّر الجياد مرات كثيرة، وتطلق النار على آخر جواد تركبه، ولا تسلك الدرب نفسه مرّتين.

وصلت إلى كانتون، ووجدت متجر شينثال للأدوات الرياضية، فاشترت علبة تحتوي على طلقات لمسدس من عيار 0.40 من أجل كاييت، وعلبة من طلقات لمسدس من عيار 9 ملم الذي أحمله. ينبغي على كافة العاملين في تطبيق القانون أن يستخدموا مسدسات من العيار نفسه، كما هو الحال في الجيش، ولكن تلك قصة أخرى. كما اشترت أربعة مخازن إضافية لمسدس الغلوك. وقد طلبت صاحبة المتجر، واسمها السيدة ليزلي شينثال، مني إبراز هويتي قبل إتمام عملية البيع، فعرضت عليها رخصة القيادة، ولكنني لم أبرز أوراقى الثبوتية الفيدرالية.

احتجت إلى تغيير جواربي التي أصبحت مؤخراً دليلاً جنائياً، ولذلك اشترت زوجاً من الجوارب الصوفية التي ستكون جيدة لجمع المزيد من ألياف البُسُط والشعرات من غرفة المائدة والمكتبة في منزل السيد مادوكس.

غير أن كافة هذه التقنيات التحقيقية ستصبح مشكوكاً فيها بالطبع في حال دس مادوكس المخدّر في شرابنا، أو أطلق علينا أسهماً تخديرية، واكتشف الناس جثتنا بعد ذلك، كما حصل مع هاري. كما كان هناك احتمال اندلاع معركة تقليدية جيدة بواسطة المسدسات. وحول هذا الموضوع، فكّرت في وضع ربما ينشأ في حال جرى تجريدي وكاييت من أسلحتنا. لم يكن في نيتي السماح بحدوث ذلك بدون قتال، ولكن الحقيقة هي أننا كنا نسير وسط معسكر مدجج بالسلاح، وكان من الصعب المجادلة مع عشرة أشخاص يصوّبون بنادقهم الهجومية نحوك. وكنت متأكداً من أن هاري واجه وضعاً مماثلاً.

لذلك، نظرت من حولي في متجر بيع الأدوات الرياضية بحثاً عن شيء لا يطلق صوت جهاز الكشف عن المعادن من غير أن يُكتشف أثناء التفتيش عن السلاح، وفي نفس الوقت يمكن أن يكون أكثر إفادة في وضع متأزم من زوج من الجوارب الصوفية مثلاً.

سألتي السيدة شينثال، التي كانت امرأة جميلة وصغيرة السن - بالرغم من أنني لم ألاحظ ذلك - "هل يمكنني مساعدتك في شيء؟"

"حسناً، ... إنها قصة طويلة". أعني أنني لم أشأ أن أكون ضيفاً على مائدة العشاء فيما يصوب جيشه الخاص أسلحته إلينا ويجردنا من مسدساتنا، لأجد نفسي بحاجة إلى سلاح مخبأ لقتلهم، وما إلى ذلك. ولذلك قلت: "أنا بحاجة إلى بعض معدات البقاء".

"هل يمكنك أن تكون أكثر تحديداً؟"

"لست أدري يا ليزلي. ماذا يوجد لديك؟"

رافقتني إلى جناح وقالت: "حسناً، يمكنك أن تجد هنا بعض الأدوات". وأضافت: "ولكن كافة معدات التخيم معدات بقاء من الناحية العملية".

"لكن ليس على طريقة تخيم زوجتي السابقة في منزل مقطور وعاملة تنظيفات".

ابتسمت ليزلي.

نظرت إلى الأدوات، وحاولت أن أتخيل أداة يمكنني تهريبها إلى نادي الصيد من غير أن تطلق صوت جهاز الكشف عن المعادن. إن القنابل الصوتية خالية من أية معادن تقريباً، ولذلك سألتها، "هل لديك قنابل صوتية؟"

ضحكت وقالت: "كلا. ولماذا تحتاج إلى حمل قنابل صوتية؟"

"لست أدري. ربما سأحتاج إليها في اصطيد السمك. وكما تعرفين، على طريقة الاصطياد بالديناميت".

قالت لي: "هذا عمل غير مشروع".

"لا بدّ وأنك تمزحين؟ أنا أفعل ذلك طوال الوقت في السنترال بارك".

"هيا يا جون".

بدا أنها تريد المساعدة، ولكنني لم أكن أساعد نفسي. قالت: "إذاً، أنت تقيم مخيماً في البرية. أليس كذلك؟"

"بلى".

"إذاً، هل لديك تجهيزات شتوية؟"

"وماذا تعنين بالتجهيزات الشتوية؟"

ضحكت، وقالت: “يصبح الجوّ بارداً في المساء يا جون. هذه ليست نيويورك سيتي”.

“أجل. ولهذا السبب اشتريت هذه الجوارب الصوفية”.

اعتقدت أن تلك كانت مزحة، ولذلك قالت: “حسناً، أنت بحاجة إلى معدات تخييم شتوية”.

قلت: “أنا لا أملك الكثير من السيولة النقدية، وزوجتي السابقة سرقت بطاقتي الائتمانية”.

سألتني، “هل لديك بنقدية، على أقل تقدير؟”

“كلا”.

“حسناً، عليك أن تتنبّه للدببة. فمن الصعب التوقع بتصرفاتها في هذا الوقت من العام”.

“وكذلك أنا”.

أضافت، “عليك ألا تعتقد بأنك أكثر أمناً بهذه الألعاب التي معك. فأخر شخص عرفته أراد أن يقتل دُبّاً بواسطة مسدس أصبح الآن بساطاً في عرين دب”.

“أجل. هذا أمر مضحك”.

“أجل، ولكنه غير مضحك. حسناً، إذا اقترب دبّ من مخيمك بحثاً عن الطعام، عليك أن تطرق على القدور والأوعية...”

“ليس لدي قدور وأوعية. ولهذا السبب أحتاج إلى قنابل يدوية”.

“كلا. هل تعرف ماذا تريد؟”

“كلا. ماذا لديك؟”

“أنت بحاجة إلى بوق غازي مضغوط”.

سحبت علبة صغيرة من الرف، فسألته، “هل هذه علبة تشيلي؟”

“كلا”.

“هل تحتوي على غاز مضغوط؟”

“كلا يا جون. إنها أشبه ببوق هوائي. وعادة ما يخيف الدببة. كما يمكنك استخدامها في إطلاق إشارة تفيد بأنك تعاني من مشكلة. صوتان طويلان وصوت قصير. السعر هو ستة دولارات فقط”.

“حقاً؟”

“وهذه..” وسحبت صندوقاً من الرف وقالت: “إنها طقم ’بير بانغر’”.

“ماذا قلت؟”

“إنها أشبه بقاذف أسهم مضيئة مع طلقات. هل هذا جيد؟ اقرأ هنا، مكتوب على الصندوق أنه يمكن للقاذف أن يطلق أسهماً مضيئة حتى ارتفاع أربعين متراً ويمكن أن تُشاهد من على مسافة خمسة عشر كيلومتراً في النهار، ومن على مسافة ثلاثين كيلومتراً في الليل”.

“أجل”. لمعت ببالي فكرة مضيئة، فقلت: “أجل، سيفي هذا بالعرض”.

“أجل. عندما تطلق هذه الطلقة، يرتعب الدب”.

“أجل، وسيهرب الدب إلى وسط الغابة وهو يقول دو دو”.

ضحكت، وقالت: “أجل”. وسلمتني الصندوق ففتحته. كان يحتوي على قاذف، لا يزيد حجمه كثيراً عن مصباح الجيب، وهو يشبهه من حيث الشكل، إضافة إلى ستة أسهم ‘بير بانغر’ بحجم البطارية الصغيرة. يحتوي هذا الشيء الصغير على طاقة تولد لكمة.

قالت ليزلي: “ضع الطلقة هنا، ثم اضغط على الزر، فينطلق السهم. هل هذا مفهوم؟ لكن حاول ألا تصوّبه نحو وجهك”. وضحكت.

في الواقع، لم يكن وجهي الهدف الذي سأصوّبه نحوه في حال احتجت إلى استعمال هذا الشيء.

أضافت، “كما أنك لست بحاجة إلى أن تصوّبه نحو الدب، لأن ذلك يمكن أن يؤذيه أو يشعل حريقاً في الغابة. وأنت لا تريد القيام بذلك”.

“كلا”.

“كلا. حسناً، ستحصل على ضوء ساطع بقوة، لنقل خمسة عشر ألف شمعة”. وابتسمت وقالت: “إذا شاهدت السهم، أو سمعت صوته، فسوف آتي للبحث عنك”. وأضافت، “التمن هو ثلاثون دولاراً. هل هذا يناسبك؟”

“حسناً”.

“إذاً، اشترِ البوق الهوائي وقاذف الإشارات المضيئة”.

“أجل. في الواقع، سأشتري قاذفين”.

“هل معك أحد؟”

“كلا. ولكنه سيكون بمثابة هدية جميلة في ذكرى عيد ميلاد ابن أخي الصغير”.

“كلا يا جون، كلا. هذه ليست لعبة. هذا قاذف يطلق إشارات قوية ومخصص للرائدين فقط. في الواقع، عليك أن توقع على استثمار ‘أي تي أف’ لكي تشتريه”.

“هل هذه العبارة تعني استثماراً راشد تحت التدريب؟”

“كلا، إنها تعني، الكحول، والتبغ، والأسلحة النارية”.

“حقاً؟” اشتريت طقماً آخر، وتوجهنا نحو الصندوق، وشكرت الدببة اللعينة سراً على مساعدتها لي في حل مشكلة.

أعطتني ليزلي استمارة من مكتب الكحول والتبغ والأسلحة النارية، والتي نصت على أنني أتعهد باستعمال هذه الأسهم للسيطرة الشرعية على الحيوانات المتوحشة في البرية فقط.

حسناً، كان ذلك وصفاً قريباً جداً لاستخدامي الحقيقي لها، ولذلك قمت بالتوقيع على الاستمارة.

كانت توجد علبة من مصبغات الشوكولاته على المنضدة، فاشتريت واحدة لكايث. كنت سأشتري علبتين، ولكنني أردت أن أبقها جائعة لكي تتمكن من تناول العشاء.

سألته ليزلي، "هل هذا كل شيء؟"
"أجل".

حسبت كلفة الذخيرة، والبوق الهوائي، ومصبع الشوكولاته، وطقمي الأسهم الضوئية.

سددت ثمنها مستخدماً آخر ما كان في حوزتي من نقود، ولكنني احتجت إلى دولارين إضافيين، ولذلك أرجعت مصبع الشوكولاته، ولكن ليزلي قالت: "أنت تدين لي بثمانها". وأعطتني بطاقتها، وقالت: "عد في الغد وأخبرني إن كنت بحاجة إلى أي شيء آخر. وسأقبل شيكاً مصرفياً، كما يوجد في البلدة القليل من ماكينات الصراف الآلي".

"أشكرك يا ليزلي. أراك في الغد".
"أمل بذلك".

وأنا أيضاً.

عدت إلى مركبة رودني المقفلة، وتوجهت نحو الفندق بي أند بي.

دببة، مادوكس، نووي، إلف، بوتيوف، غريفيث.

أصبح أسد خليل، الإرهابي الليبي الذي يحمل بندقية قنّاص، هدفاً جيداً الآن.

الفصل 41

وصلت إلى ممرّ السيارات الطويل الذي يؤدي إلى الفندق عند الساعة 4:54 من بعد الظهر. شاهدت امرأة تنتظر من خلال نافذة المنزل الرئيسي، وما من شك في أنها كانت ويلما التي تنتظر عشيقها الإلكتروني، وعلى الأرجح أنها تساءلت في نفسها عن الشخص الذي يقود السيارة المقفلة.

توقفت عن منزل البوند، وجمعت أكياس التسوق التي تحتوي على الأدوات التي اشتريتها من متجر شينثال للأدوات الرياضية، وخرجت من السيارة، وطرقت الباب وقلت: "هذا هو رجلك الجبلي".

فتحت كابت الباب، ودخلت الكوخ. سألتني، "من أين حصلت على هذه المركبة؟"

"من رودي". وشرحت لها الأمر فقلت: "من المهم أن تغيّري مركباتك عندما تكونين هاربة".

لم تعلق على ذلك، وسألتني، "كيف سارت الأمور؟ وماذا يوجد في تلك الأكياس؟"

"سارت الأمور على نحو جيد، بالرغم من أن مادوكس لم يحصل على العلاج الطبّي المناسب بعد. دعيني أعرض عليك الأدوات التي اشتريتها".

أفرغت محتويات الأكياس على طاولة المطبخ وقلت: "جوارب نظيفة لي، وبعض الذخائر والمخازن الإضافية لنا".

"لماذا؟"

"بوق هوائي، وقاذفان لإطلاق الإشارات المضئية".

"ماذا قلت؟"

"إنها تخيف الدببة، وتطلق إشارات تفيد بأنك في ورطة. أدوات أنيقة، أليس كذلك؟"

"جون".

"هاي، ينبغي أن تري هذه الأشياء في متجر الأدوات الرياضية. لم يسبق أن شاهدت هذا العدد الكبير من الأشياء المموهة. وهذا مصعب شوكولاته لك".

"هل اشتريت لنا طعاماً لناكله؟"

"لديّ مصعب من الشوكولاته".

جلستُ على كرسي في المطبخ وخلعت حذائي، ثم جواربي التي كان في مقدوري رؤية ألياف البساط في باطنها، وشعرة سوداء طويلة واحدة على الأقل، والتي أملت بأن تعود لباين مادوكس، أو قيصر ويليام، أو هاري مولر. قلت: "هذه

من مكتب مادوكس، ولديّ إحساس - أمل في الحقيقة - بأن هاري كان يجلس على الكرسي نفسه الذي جلست عليه”.

أومأت برأسها.

وضعت الجوارب في كيس من النايلون، ثم انتزعت ورقة من دفتر الملاحظات، وكتبت وصفاً موجزاً لوقت جمع هذه الأشياء، وتاريخه، والطريقة التي اتبعتها، والمكان الذي جمعتها منه، وقمت بالتوقيع عليها، ووضعتها في الكيس.

ثم أخرجت الضمادة اللاصقة من جيبي، وأزلت الورقة الخارجية، ثم نزعت الطبقة الأولى من الورقة اللاصقة التي كانت مطلية بالألياف، وشرحت لكايث، “حصلت على هذه الألياف من السجادة التي في البهو”.

وضعت الورقة اللاصقة بحرص داخل الكيس البلاستيكي وقلت: “في إحدى المرات، اختلفت من مطبخ شخص مشتبه في ارتكابه جريمة قتل شطيرة الهامبرغر التي كان يأكلها...” وبدأت أكتب وصفاً للضمادة اللاصقة وقلت: “حصلت على ما يكفي من آثار الحمض النووي لكي أربط بين المشتبه به وبين الجريمة... ولكن محامي جادل بأن الحصول على الدليل كان بطريقة غير مناسبة - سرق بدون مذكرة - ولذلك فهو غير مقبول. وكان عليّ أن أقسم بأن المشتبه به أعطاني تلك الشطيرة التي أكل نصفها”. وضعت الملاحظة في الكيس البلاستيكي، وأنهيت حديثي بالقول “حسناً، ضحك القاضي من ذلك..” أفضلت الكيس، وسألت كايث، “هل يوجد لديك شريط؟”

“كلا، ولكن يمكنني الحصول على واحد. إذاً، ماذا حصل؟”

“لمن؟ آه، أنت تعنين الدليل. سألني محامي الدفاع عن السبب الذي يدعو المتهم إلى أن يقدم لي شطيرة الهامبرغر بعد أن أكل نصفها، وبقيت على منصة الشهود لمدة عشرين دقيقة أشرح كيفية حدوث ذلك، ولماذا وضعت الشطيرة في جيبي بدلاً من أن أكلها”. ابتسمت وأنا أتذكر تلك الشهادة وقلت لكايث: “انبهر القاضي من كلامي التافه، وقضى بقبول الشطيرة كدليل”. وأضفت، “جُن جنون محامي الدفاع واتهمني بالكذب”.

“ولكنها كانت كذبة، أليس كذلك؟”

“كانت شهادة ضبابية”.

لم تعلق على ذلك، ولكنها سألتني، “هل توصلوا إلى إدانته”.

“لقد تم إحقاق الحق”.

وجدت المنشفة في قعر الكيس الثاني، وقلت لكايث: “هذه من الحمام أسفل السلم، وقد استخدمتها في مسح بعض السطوح”. وفيما كنت أكتب ملاحظة بشأن المنشفة، قلت: “تنطوي هذه تحت فئة شطيرة الهامبرغر. هل عرض عليّ الاحتفاظ بالمنشفة أم أنني أخذتها بدون مذكرة تفتيش؟ ماذا سنقولين؟”

أجابت، “أست أنا من عليه أن يجيب عن هذا السؤال، بل أنت”.

“أجل”. قرأت ما كتبت في الملاحظة بصوت عالٍ “عرضها عليّ كارل، وهو موظف يعمل لدى المشتبه به، عندما لاحظ أنها؟ عالقة في سحاب سروالي؟”
“عليك أن تفكر في هذا الأمر”.

“أجل. سأكمل كتابة هذه الملاحظة في وقت لاحق. حسناً، مع توفر قليل من الحظ، سينطبق بعض من هذه الشعرات والألياف التي أخذتها من نادي كاستر هيل مع تلك التي عثرنا عليها على جثة هاري، وبالمثل، ربما سقطت بعض شعرات هاري وألياف من ثيابه في النادي، بحيث تكون في جملة الأشياء التي جمعتها”.

لم تعلق كايت على شيء باستثناء قولها: “لقد قمت بعمل جيد يا جون”.
“أشكرك. كنت تحريراً ماهراً”.
“ولا زلت كذلك”.

يا للعجب.

قالت: “أعتقد بأننا جمعنا ما يكفي من الأدلة الجنائية وغيرها لكي نتصل بتوم والش، ونعود إلى نيويورك في أسرع وقت ممكن”.

تجاهلت ذلك الاقتراح وعرضت عليها جواربي الصوفية الجديدة، وقلت: “لدينا فرصة أخرى لجمع الأدلة من نادي الصيد”. وسألتها، “ما هو نوع الجوارب التي تلبسينها؟”

لم تجب عن سؤالها، ولكنها سألتني، “هل أنت جادّ بشأن دعوة العشاء؟”
“أنا جادّ”. وضعتُ ضمادة لاصقة في جيبي وسألتها “كم مرّة يمكن لمشتبه بارتكابه جريمة قتل أن يدعوك إلى مائدة العشاء؟”

“حسناً، اعتاد أبناء ’بورغيا‘ على القيام بذلك طوال الوقت”.
“حقاً؟ من يكونون؟ من عائلة غامبيني، أليس كذلك؟”
“كلا، كانوا من عائلة إيطالية نبيلة اعتادت على دس السم في طعام العشاء الذي تقدّمه لضيوفها”.

“حقاً؟ وهل استمرّ الضيوف في النزول عندهم؟ هذا غباء مطلق”.
“لقد وصلت الفكرة”.

نزعت غلاف مصبع الشوكولاته، وسألتها، “هل تريدني منّي أن أكل منها شيئاً لتزين إن كانت مسمومة؟”

“كلا، ولكن إن كنت جائعاً، فسأتناقشها معك”.

“أود المحافظة على شهيتي من أجل تناول العشاء”.

“أنا لن أذهب إلى هناك”.

“يا عزيزتي، لقد وجّه دعوة خاصة لكِ.”
“وأنتَ لن تذهب أيضاً.” وسألتني، “أخبرني عن المواضيع التي حدّثك مادوكس عنها.”
“حسناً، ولكن علينا أن نتصل بويلما أولاً.”
“لماذا؟”

“لأقول لها بأننا سنعيد حاسوبها المحمول إليها قبل الساعة السادسة والنصف، ونطلب شريطاً ملفوفاً.”
“حسناً.” جلستُ إلى الطاولة، ومشيتُ نحو الأريكة حافي القدمين لكي لا ألوّث جواربي الجديدة بأثار المكان.
أمسكتُ كايث بسماعة الهاتف. قلتُ لها: “واطلبي من ويلما أيضاً أن تتصل بكِ فوراً إذا شاهدتِ زوجك وهو يقود سيارة هيونداي بيضاء اللون.”
اعتقدتُ بأن كايث ستقول لي بأنني طفل غبيّ، ولكنها ابتسمت، وقالت: “حسناً.” كانت تتمتع بروح فكاهية غريبة.

اتصلتُ كايث بويلما عبر الهاتف وشكرتها على إعارتها لنا الحاسوب المحمول، ووعدها بأنها ستعيده إليها قبل الساعة 6:30. ثم قالت: “هل يمكنني طلب خدمتين؟ أنا بحاجة إلى شريط ملفوف؛ شريط لاصق من النايلون أو القماش. وسأكون سعيدة لسداد ثمنه. أشكركِ. أوه، إذا شاهدتِ زوجي في سيارة هيونداي البيضاء، هل يمكنكِ الاتصال بي على الفور؟” ابتسمت كايث فيما كانت ويلما تقول شيئاً، ثم قالت كايث: “إنه صديق وحسب، ولكن، حسن، ... أجل.”

“أخبريها بأنك تحتاجين إلى ما يكفي من الأشرطة لرسغكِ وكاحليكِ، وتأكدي إن كان لديها كريما مخفوقة.”
“انتظري لحظة رجاء..” غطت كايث سماعة الهاتف، وكتمت ضحكتها، وقالت: “جون..”

قلت: “واتصلي بي في حال جاءت سيارة أخرى إلى منزل البوند.”
نظرت كايث نحوي مجدداً، وأومات برأسها، وقالت لويلما: “ربما كان زوجي يقود سيارة أخرى. ولذلك إذا شاهدتِ أية مركبة تقترب من منزل البوند - أجل، أشكركِ.”

أقفلت كايث سماعة الهاتف، وقالت لي: “اقترحت عليّ ويلما أن يقوم صديقي بتغيير المكان الذي أوقف فيه سيارته، وذكرتني بأنه يوجد باب خلفي عند الشرفة.”
ضحكنا معاً بسبب هذا الموقف، وهو ما كنا نحتاج إليه. قالت كايث: “كما لو أنني لم أكن أعرف كيف أتخلص من رجل من الباب الخلفي.”
“هاي.”

ابتسمت، ثم قالت بنبرة جادة: “أعتقد بأن ويلما باتت حارستنا الآن.”

“لديها الحافز”.

أومأت كايت برأسها، وقالت لي: “أنت تفكر بطريقة جيدة أحياناً”.

“أنا لست متحفزاً”.

على أية حال، تعانقتا وتبادلنا القبلات بعد تأخير، وقلت: “أمل بالألا تستخدمى بطاقةك الائتمانية”.

“إنهم لا يقبلون الشيكات المصرفية على الهاتف”.

“حسناً، عندما تصلى إلى المطار، أبلغى ليام غريفيث تحياتى”.

“جون، لا يمكنهم الحصول على المعلومات الخاصة ببطاقة الاعتماد بهذه السرعة... حسناً، يمكننا أن نذهب بالسيارة إلى مدينة تورونتو هذه الليلة، فهناك العديد من الرحلات المتوجهة إلى نيويورك ونيومارك التي تنطلق من تورونتو”.

“لن نعبر حدوداً دولية”. وقلت: “حسناً، كيف سارت الأمور معك؟”

فتحت دفتر ملاحظاتها، ووضعتة على الطاولة، وقالت: “حسناً، أولاً، لم أتمكن من التكلم مع الرائد شافير. فقد حاولت الاتصال به مرتين، وتركت له رسائل بأني سأتصل به مجدداً”. وأضافت: “أنا لا أعتقد بأنه يرغب في التحدث إليّ. وربما كنت أوفر حظاً”.

“سأقوم بالاتصال به لاحقاً”. وتمددت على الأريكة، وقلت: “لم ألاحظ وجود فريق مراقبة على طريق ماكوين بوند”.

“ربما كانوا متخفين”.

“ربما. ولكن ربما أوقف مساعدته لنا”.

“ولكنك أكملت طريقك على أية حال”.

“كتبت ملاحظة على شجرة ’بتولا’”.

قالت: “بحثت في جداول أسماء المسافرين، وأوراق الحجوزات على متن الطائرات، واتفاقيات تأجير السيارات. لم ألاحظ أسماء تلفت النظر باستثناء بول دان، وإدوارد وولفر، وميخائيل بوتيوف بالطبع”. ونظرت إلى ملاحظاتها، وأضافت: “كان هناك القليل من الأسماء الأخرى التي بدت مألوفاً، ولكن ربما كان سبب ذلك أنى دوتت الأسماء بدون أن أقرأها”. وأضافت: “وعلى سبيل المثال، هناك اسم جايمس هوكينز. هل يبدو مألوفاً بالنسبة إليك؟ إياك أن تقول لي بأنه يلعب في الخط الثالث في فريق اليانكيز”.

“حسناً، لن أفعل. هوكينز. هل بحثت عنه بواسطة غوغل؟”

“أجل، ووجدت نتيجة ورد فيها اسم جايمس هوكينز العضو في هيئة أركان الحرب المشتركة. ووجدت نتيجة أخرى وصفت رجلاً يحمل هذا الاسم بأنه جنرال في سلاح الجو. ولكنني لم أستطع التأكد من أن الصفتين تعودان إلى الرجل نفسه”.

“حسناً، إذا ذهب إلى نادي كاستر هيل، فعلى الأرجح أنه هو. هل استأجر سيارة؟”

“كلا. لقد وصل من بوسطن يوم السبت عند الساعة التاسعة وخمس وعشرين دقيقة قبل الظهر، ورحل على متن الرحلة التي أفلعت عند الساعة الثانية عشرة وخمس وأربعين دقيقة من بعد الظهر متوجهة إلى بوسطن يوم الأحد وهي في طريقها إلى واشنطن”.

“حسناً، إذا ذهب إلى نادي كاستر هيل، فعلى الأرجح أنه تم نقله إلى هناك بواسطة المركبة المقلدة”. وأضفت، “المثير في الأمر أن مادوكس لم يرسل أيًا من طائرتيه لتتقل أيًا من تلك الشخصيات المرموقة”. وأضفت، “وربما لم يشأ الطرفان إظهار وجود أي رابط بينهما، وهو الأمر الذي يثير الريبة دائماً”.

أجابت كايت، “غالباً ما يعود الأمر إلى عدم رغبة المسؤولين الحكوميين في قبول هدايا ثمينة أو خدمات كبيرة من الأشخاص الأثرياء. إنها مسألة أخلاقية”.

قلت: “وهذا أمر أكثر إثارة للريبة. إذاً، ربما كان لدى مادوكس أيضاً عضو في هيئة أركان الحرب المشتركة من جملة من شاركوا في ذلك التجمع. جنرال في سلاح الجو”.

قالت كايت: “أتساءل إن كان هؤلاء الضيوف قد عرفوا بأن هاري موجود هناك، وبالأمور التي حصلت له”.

لم يكن في مقدوري تخيل تورط أشخاص مثل هؤلاء في جريمة قتل. ومن ناحية أخرى، إذا كانت رهاناتهم كبيرة، يصبح كل شيء ممكناً. سألت كايت، “ما هي الأسماء الأخرى التي وردت في اللوائح”.

“هذا كل شيء. وفي ما يتعلق بعشرات الأسماء الأخرى، نحن بحاجة إلى فريق لدراسة تلك اللائحة لمعرفة من يكون هؤلاء الأشخاص، وما هي صلة كل واحد منهم، إن كانت توجد صلة، بباين مادوكس”.

قلت: “أمل بأن زملاءنا بدأوا العمل على ذلك”. وأضفت، “ولكننا لن نتمكن من معرفة النتائج”.

لم تعلق على عبارتي الأخيرة، وقالت: “إذاً، دخلت إلى الإنترنت، واستخدمت غوغل في البحث عن باين مادوكس، وتفاجأت من توفر القليل من المعلومات التي تحدثت عنه”.

“لا ينبغي أن يشكّل ذلك مفاجأة”.

“أعتقد ذلك. معظم النتائج التي حصلت عليها أشارت إلى مسائل مهنية؛ منصبه كمسؤول تنفيذي رئيسي وأكبر المساهمين في شركة النفط العالمية”. وأضافت، “ولم أجد الكثير من المعلومات المتعلقة بذلك. كما وجدت القليل جداً من المعلومات التي تتحدث عن حياته، ويكاد لا يتضمن شيء منها معلومات شخصية - ناهيك عن الحديث عن زوجته السابقة، أو أولاده - وإنما خمسة اقتباسات تقريباً من مصادر مطبوعة، ولكنني لم أجد اقتباساً أو تعليقاً واحداً غير مطبوع أدلى به شخص ما”.

قلت: “من الواضح أنه قادر على حذف المعلومات التي يكتبها طرف ثالث عنه”.
“هذا أمر واضح”. ونظرت إلى ملاحظاتها، وقالت: “الشيء الوحيد الذي يثير الاهتمام بطريقة غامضة هو أن حوالى خمسين في المئة مما في حوزته من أسهم في النفط والغاز ونصف أسطوله من ناقلات النفط تملكه مصالح غير معروفة في الشرق الأوسط”.

فكرت في الأمر، وبما قاله لي مادوكس بشأن وزير النفط العراقي أثناء محادثتي معه. هذا يعني بأنه احتاج، على غرار غالبية المدراء في شركات النفط الغربية، إلى التودد إلى بعض الأشخاص في تلك الأراضي الصحراوية. لكن بما أن باين مادوكس ليس من النوع الذي يتودد إلى الآخرين، وربما كان يخطط للتخلص من شركائه وللابد. ربما كان ذلك ما يخطط للقيام به.

سألت كايت، “هل من معلومات أخرى عن مادوكس؟”

“كلا. ثم بحثت في الإنترنت عن عبارة إلف. ولم أعثر على أكثر مما أخبرنا به جون ناسيف، باستثناء أن الروس يستخدمون نظام إرسال موجات إلف بطريقة مختلفة عنا”.

“أجل لأن لديهم حروفاً أبجدية أكثر”. وتساءلت، وأصغيت إلى صوت معدتي.

قالت كايت: “هناك اختلاف واحد”. نظرت إلى مذكراتها وقالت: “اسمع؛ ترسل الولايات المتحدة، كما اكتشفنا، رسائل إلف إلى أسطول غواصاتها النووية كرسائل تنبيه في أوقات التوتر الزائد؛ وترسل رسالة متواصلة إلى غواصاتها النووية تقول فيها، من حيث المضمون، ‘كل شيء على ما يرام’”. وأضافت، “وعندما نتوقف الرسالة الإيجابية، فذلك يعني أن رسالة ملحة جديدة في الطريق، وأنه إذا لم تصل الرسالة في غضون الوقت المتوقع لوصول إشارة إلف إلى الغواصات - أي حوالى ثلاثين دقيقة - ينبغي تفسير الصمت على أن محطة إرسال الموجات إلف قد دُمّرت، وبالتالي فإنه يُصرَّح للغواصات بإطلاق صواريخها على الأهداف المحددة مسبقاً في الصين، أو كوريا الشمالية، أو أي بلد آخر”.

“يا إلهي، أمل بأنهم يسدّدون فواتير الكهرباء في الوقت المحدد”.

“وأنا أمل ذلك أيضاً”. وأضافت، “ولهذا السبب تمكن جهاز استقبال موجات إلف لدينا والموجود في جزيرة غرينلاند من التقاط إشارة إلف الروسية على شبه جزيرة كولا؛ لأنهم كانوا يستخدمون بشكل متواصل إشارة ‘كل شيء على ما يرام’ أثناء أزمة شهدت توتراً خطيراً، والتي افتعلناها بأنفسنا، على زعم المقالة، من أجل حمل الروس على التحوّل إلى نظام الرسائل المتواصلة، وهو ما أتاح لنا تحديد موقع جهاز إرسال الموجات إلف في شبه الجزيرة كولا”.

“واو. ألسنا أذكىاء؟ إنه فنّ الدفع بالأموال إلى شفير حرب نووية. ألسنا سعداء لانتهاة الحرب الباردة؟”

“أجل. ولكن ذلك حملني على التفكير في مادوكس الذي تمكن مرّة من الحصول على شيفرات إلف الأميركية، وربما حصل على شيفرات إلف الروسية”.
وأضافت، “واستناداً إلى تلك المقالة - التي كتبها رجل سويدي - فإن برمجيات

التشفير الروسية ليست معقدة أو صعبة الاختراق مثل برمجاتنا، ولذلك ربما قام مادوكس بضبط تردد محطاته التي تبث موجات إلف عند التردد الذي يستخدمه الروس، ليحاول إرسال إشارات زائفة إلى أسطول الغواصات الروسي لكي يطلق الصواريخ النووية على الصين، أو الشرق الأوسط، أو أي بلد لم يعد يحبه هذه الأيام”.

فكرت في ما سمعت، وقلت: “أعتقد بأنه إذا كان فك الشيفرات الروسية أسهل من فك شيفراتنا، فهذا احتمال وارد”. وأضفت، “جهاز إرسال الموجات إلف نفسه في كاستر، ولكن غواصات نووية مختلفة”. وسألتها، “هل حصلت على معلومات مثيرة أخرى عن الموجات إلف؟”

“هناك خبر مفاده أن الهنود يتطلعون إلى بناء محطة إلف”.

جلست على الأريكة، وقلت: “لماذا يحتاجون إليها؟ لإطلاق صواريخ التوماهوك؟ لديهم كازينوهات”.

“جون، عنيت شبه القارة الهندية”.

“أوه”.

“إنهم يعملون على تطوير أسطول من الغواصات النووية. وكذلك الحال مع الصينيين والباكستانيين”.

“هذا أمر مقرف. وفي الغد سيجيء دور عمال البريد. وبعدها يمكننا أن نقول وداعاً”.

قالت لي كايت: “في الواقع، أضحي العالم مكاناً أخطر للعيش فيه منه إيان الحرب الباردة عندما كان في الميدان الأميركيون والروس فقط”.

“هذا صحيح. ما هو متوسط أسعار المنازل في بوتسدام؟”

لا يبدو أنها تذكرت أننا كنا جالسين إلى الطاولة، غارقين في أفكارنا. قالت: “كما اكتشفتُ بعض الأخبار الجيدة”.

“وما هي؟”

“لا زلت أحاول تحليلها. لكن دعنا نكمل ما تبقى من معلومات ينبغي أن نناقشها أولاً لكي يظهر لنا سياق الموضوع”.

“هل ستأتي أمك لزيارتنا؟”

“هذه ليست مزحة”.

“حسناً، وماذا بعد؟”

“ميخائيل بوتيوف”.

الفصل 42

قلت: "ميخائيل بوتيوف. لم نجد أثراً يدل على وجوده في كاستر هيل". سألت كايت، "هل هو موجود في منزله أو في مكتبه؟"

أجابت، "اتصلت بمكتبه أولاً، فقالت السكرتيرة، السيدة كرابتري، بأنه ليس موجوداً، وقلتُ بأني طيبة والأمر يتعلّق بحالة صحّة خطيرة".
"كانت تلك حجة جيدة. ولم يسبق أن استخدمتها".

"إنها تتجح دائماً. وعلى أية حال، لانت السيدة كرابتري بعض الشيء، وأخبرتني بأن الدكتور بوتيوف لم يأتِ إلى عمله، ولم يتصل، وأن اتصالاتها بهاتفه الخليوي كانت تحوّل مباشرة إلى البريد الصوتي. كما اتصلت بزوجة بوتيوف، ولكن السيدة بوتيوف لا تعرف أين يوجد زوجها". وأضافت كايت، "من الواضح أن بوتيوف لم يخبر أحداً عن وجهته".

"هل تمكنت من الحصول على رقم الهاتف الخليوي لبوتيوف؟"

"كلا. فالسيدة كرابتري رفضت أن تعطيني إياه، ولكنها أعطتني رقمها الهاتفي الذي يمكنني الاتصال به بعد الدوام، وأعطيتها رقم مجيبي الصوتي". وأضافت كايت، "بدت السيدة كرابتري قلقة".

"حسناً. إذاً بوتيوف غائب بدون إجازة عن معهد ماساشوستس للتكنولوجيا. وماذا عن منزله؟"

"الحال هو نفسه. فقد كادت السيدة بوتيوف تبكي". وأضافت كايت، "قالت سفينلانا بأنه حتى عندما يكون ميخائيل مع عشيقته، يقوم بالاتصال، ويقدم الاعتذار عن عدم رجوعه إلى البيت".
"إنه زوج طيب".

"جون، لا تكن أخرق".

"أنا أمزح فقط. إذاً، ميخائيل ليس غائباً بدون إذن وحسب، بل إنه مفقود أثناء تأدية الخدمة".

"حسناً، هذا هو حاله، طالما أن القلق بادٍ على زوجته وسكرتيرته. لكنه لا يزال على الأرجح في نادي كاستر هيل".

أومأت برأسي رافضاً هذا التحليل وقلت: "لو كان في النادي، لكان اتصل ببيته أو بمكتبه. لا يمكن لرجل في مثل منصبه، يخضع لمراقبة مكتب التحقيقات الفيدرالي، أن يخفي ويضع زوجته، وعائلته، ومكتبه في وضع يحملهم على التفكير في الاتصال بمكتب التحقيقات". وأضافت، "فهذا آخر شيء يريده بوتيوف".

أومأت كايت برأسها، ثم سألت، "ما هي الحقيقة إذاً؟"

قلت: "حسناً، من الواضح أنه ليس كل من يدخل نادي كاستر هيل يغادره في الحالة ذاتها التي زاره فيها".

"هذا واضح". وأضافت، "لقد ذهبت إلى هناك مرتين، فهل ترغب في الذهاب مرةً ثالثة؟"

"المرة الثالثة ستكون ساحرة".

تجاهلت إجابتي، وقالت: "ولذلك، بحثت بواسطة غوغل عن ميخائيل بوتيوف، وحصلت على بعض المقالات المنشورة، والقطع غير المنشورة مقتبسة عن علماء فيزياء آخرين كتبوا عنه".

"هل يحبونه؟"

"إنهم يحترمونه، فهو نجم في عالم الفيزياء النووية".

"هذا أمر رائع. إذًا، لماذا يحوم حول باين مادوكس؟"

"ربما تربط بينهما علاقة مهنية، بالرغم من أنها - بناء على ما نعرفه - ربما تكون علاقة شخصية. وربما كانا مجرد صديقين".

"إذًا، لماذا لم يخبر زوجته عن المكان الذي ينوي الذهاب إليه؟"

"هذا سؤال مطروح. وعلى أية حال، إننا متأكدان من أن عالماً في الفيزياء النووية اسمه ميخائيل بوتيوف نزل ضيفاً على نادي كاستر هيل وهو الآن مفقود. وكل ما عدا ذلك يدخل في دائرة التكهنات".

"هذا صحيح. هاي، هل اتصلت بفندق ذي بوينت؟"

"أجل. وصلتنا رسالتان من ليام غريفيث يقول فيهما إنه من الضروري أن نتصل به".

"ضروري بالنسبة لمن؟ ليس بالنسبة إلينا. هل قلت إننا نسعى إلى شراء رؤوس الأيائل في لايك بلاسيد؟"

"طلبت من جيم أن يخبر كل من يتصل بنا بأننا نتوقع العودة إلى فندق ذي بوينت من أجل المشاركة في مأدبة العشاء".

"هذا جيد. وربما يساهم في تهدئة غريفيث إلى حين قدومه إلى ذي بوينت، واكتشافه أننا خدعناه". وسألته، "هل اتصل والش؟"

"كلا".

“أترين؟ لقد تخلى رئيسنا عنا. يا له من رجل لطيف.”

“أعتقد بأننا من تخلى عنه يا جون، وهو الآن يردّ لنا الجميل.”

“بصرف النظر عما حصل، انسي أمره. هل اتصل أحد سوى غريفيث؟”

“اتصل الرائد شافير بالفندق، وفقاً لاقتراحك. والرسالة التي تركها لك هي 'لقد أعيدت سيارتك إلى ذي بوينت. وستجد المفاتيح في الصندوق الأمامي'.”

“هذا رائع. لقد نسي إرسال فريق المراقبة، ولكنه لم ينسَ التعمية على أخبارنا أمام مكتب التحقيقات الفيدرالي.”

“هل سبق أن قال لك أحدهم بأنك عيّاب؟”

“يا عزيزتي، عملتُ شرطياً في شرطة ولاية نيويورك طوال عشرين عاماً. أنا رجل واقعي.” وأضفت، “أعتقد أننا سبق أن ناقشنا هذا الأمر سابقاً. حسناً، وماذا بعد؟”

تجاهلتُ موضوعها المفضل، وقالت: “اتصل رجل اسمه كارل - يبدو اسمه مألوفاً - وترك رسالة تقول 'العشاء جاهز'. طلب جيم الحصول على بعض التفاصيل، ولكن كارل قال إن السيد كوري يعرف التفاصيل أصلاً وهو يرجو أن يُحضر السيدة مايفيلد كما تم الاتفاق.” وأضفت “إذاً، لم يترك مادوكس اسمه أو أي شيء يمكنه ربطه باختفائنا أو بمنزله.”

سألته، “عن أي اختفاء تتكلمين؟”

“أتكلم عن اختفائنا.”

“لماذا أنتِ كثيرة الشك في الناس؟”

“كفّ عن ذلك يا جون.” وأضفت، “كما وصلت ثلاث رسائل بريدية صوتية إلى غرفتنا.”

“من شخصين غير غريفيث؟”

عادت كايت إلى ملاحظاتها وأجابت، “رسالة من ليام غريفيث عند الساعة الثالثة والتاسعة وأربعين دقيقة، قال فيها بطريقة مرحة: مرحباً يا رفاق. اعتقدت بأنني كنت سأتمكن من رؤيتكما قبل وقت طويل من الآن. اتصلا بي عندما تتلقيان هذه الرسالة. أمل بأن تكونا في صحة جيدة.”

ضحكتُ، وقلت: “يا له من أخرق. إلى أي حدّ يعتقد بأننا وصلنا في غبائنا؟” وأضفت بسرعة، “أنا آسف. يبدو أنني عيّاب.”

“الرسالة البريدية الصوتية الثانية تسألنا إن كنا نودّ تحديد وقت لجلسة التدليك...”

“أجل”.

“والرسالة البريدية الصوتية الأخيرة وصلت من هنري، الذي يبدو شخصاً لطيفاً، وهو يسأل فيها عن نوع الخردل الذي ترغب في أن يُضاف إلى السجق الملفوف بالعجين”.

“أترين؟ أنت لا تصدقيني”.

“يا جون، لدينا من المسائل التي ينبغي علينا معالجتها ما هو أكثر إلحاحاً من...”
“هل أعدت الاتصال به؟”

“أجل، للإيحاء بأننا عائدان إلى الفندق”.

“ماذا قلت لهنري؟ خردل من النوع الجاهز للأكل، أليس كذلك؟”
“بلى. إنه في غاية الكياسة”.

قلت: “أراد أن يريني دجاجة الأرض التي أعدها لنا”.

تجاهلت تعليقي، وقالت: “كما أنني حددت موعداً لجلسة تدليك لنا صباح يوم غد”.

“هذا جيد. وأنا متشوق لهذه الجلسة”.

“إننا لن نذهب إلى هناك”.

“هذا صحيح. حسناً، أنا أسف لأنني سأخيب ظنّ هنري بعد ما عاناه من مشكلات، ولكنني لست أسفاً على تقويت شراب الكوكتيل مع ليام غريفيث”.

بدا على كاييت التعب، أو ربما القلق، ووجدت أنني بحاجة إلى أن أقول لها بعض الكلام الحماسي، ولذلك قلت: “لقد قمت بعمل رائع. أنت أفضل شريكة حصلت عليها في حياتي”.

شعرت بأنها مجبرة على الابتسام، وقالت: “أنا لا أصدقك، ولكنني أجد كلامك في غاية الكياسة”.

“أنا أعني ما أقول. أنا أعنيه فعلاً. أنت ذكية، وواسعة الحيلة، وشجاعة، وسريعة البديهة، وجديرة بالثقة، ... وماذا بعد...؟”

“أنا رئيسك”.

“أجل. أفضل رئيسة عرفتها. حسناً، إذاً، إدارة الطيران الفيدرالية...”

رنّ جرس الهاتف، وقلت لكاييت: “هل تتوقعين مكالمة؟”

“كلا”.

“ربما كانت ويلما. زوجك قد وصل”.

ترددت، ثم رفعت السماعة وقالت: “مرحباً؟” أنصتت، ثم قالت: “شكراً لك. أجل سأخبره بذلك. أشكرك”.

أغلقت السماعه، وقالت: “إنها ويلما. لقد وضعت الشريط اللاصق عند باب غرفتنا. وهي تقول إنه ينبغي على صديقي أن ينقل مركبته المقفلة من مكانها”.

ضحكنا، ولكننا كنا متوترين للغاية. ولذلك اقتربتُ من النافذة، وتحققت من المكان، ثم فتحت الباب، والتقطت لفافة كبيرة من الشريط اللاصق.

جلستُ إلى طاولة المطبخ، وبدأت أَلْفَ أكياس الأدلة المؤقتة، كما تقتضي القواعد والتشريعات، وقلت لكايث: “أخبريني عن إدارة الطيران الفيدرالية”.

لم تجب عن سؤالي، وقالت: “لِمَ لا نستعيد سيارة الهيونداي من رودي، وننقل هذه الأكياس إلى نيويورك؟”

“هل معك قلم؟ أنا بحاجة إلى التوقيع على الشريط”.

“يمكن أن نصل إلى المبنى بلازا 26 في غضون...” ونظرت إلى ساعتها، وقالت: “عند الساعة الثالثة أو الرابعة فجرًا”.

“في وسعك الذهاب، أمّا أنا فسأبقى هنا. هنا مسرح الأحداث، وهذا هو المكان الذي ينبغي أن أتواجد فيه. أعطني القلم من فضلك”.

أعطتني قلمًا كان في حقيبتها، وسألتنني، “ماذا يحصل؟”

“لست أدري، ولكن عندما يحصل، سأكون هنا” وقعت على الشريط، وقلت: “في الواقع، ينبغي علينا الانفصال تحسبًا... حسنًا، سنتوجهين بمركبة رودي المقفلة إلى مينيسوتا، وتستأجرين سيارة أخرى، وتكملين طريقك إلى نيويورك”.

جلست على الكرسي بالقرب مني، وأمسكت بيدي، وقالت: “دعني أكمل حديثي عن المعلومات التي توصلت إليها، ثم افعل بعد ذلك ما تشاء”.

بدا كما لو كان في يدها ورقة رابحة، وكان ذلك يعني أخباراً سيئة. ومهما كانت هذه الأخبار، فقد كانت تشغل بالها.

قلت: “إدارة الطيران الفيدرالية. هل من أخبار سيئة؟”

“الخبر الجيد هو أنني تمكنت من الحصول على بعض المعلومات. والخبر السيئ هو المعلومات في حد ذاتها”.

الفصل 43

بدأت كايت حديثها بالقول: “كانت إدارة الطيران الفدرالية، كما توقعت، التحدي الرئيسي. ولكن في نهاية المطاف، أرشدني شخص في الإدارة إلى كيفية الاتصال بمحطة خدمة الطيران الإقليمية في كنساس سيتي، حيث وصلت هاتان الطائرتان التابعتان لشركة غوكو بعد ظهر يوم السبت قادمتين من مطار أديرونذاك الإقليمي.”

“هذا جيد. وماذا قالت إدارة الطيران الفيدرالية في كنساس سيتي؟”

“حسناً، قالت إن الطائرتين حطتا في أرض المطار، وأعادتا التزوّد بالوقود، وقدمتا خطتهما لمواصله الطيران، ثم أقلعتا”. ونظرت إلى ملاحظاتها وقالت: “الطائرة الأولى، وهي من طراز سيسنا سايتايشن يقودها الربان تيم بلاك، ورقم ذيلها N2730G أقلعت في اتجاه لوس أنجلوس. والطائرة التي يقودها الربان إيلوود بيلمان، ورقم ذيلها N2731G، أقلعت في اتجاه سان فرانسيسكو”.

“حقاً؟” شكل الخبر مفاجأة لي، فقد كنت متأكداً من أن كلتا طائرتي مادوكس أو إحداهما ستعود إلى مطار أديرونذاك الإقليمي، حيث يمكن أن يستقلها مادوكس ويرحل إلى حيث يريد الذهاب على عجل. سألت كايت، “وهل هاتان المدينتان هما الوجهتان النهائيتان للطائرتين؟”

“يمكن قول ذلك حتى ساعة مضت. فقد اتصلت بمحطة خدمة الطيران في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو، وعلمت بأنه لم يجرِ تقديم خطط لرحلات جديدة”.

“حسناً، ولكن لماذا توجهتا إلى لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو؟”

“هذا ما نحن بحاجة إلى معرفته”.

“أجل. كما ينبغي علينا أن نعرف إن كان الطياران يقيمان في تلك المدينتين لكي نتمكن من التحدث إليهما”.

“خطرت ببالي الفكرة ذاتها، ووجدت أن الطائرات الخاصة تستخدم ما يسمى العمليات الأساسية الثابتة بغرض الاهتمام بالطائرات القادمة والمغادرة. في لوس أنجلوس، اكتشفت بأن الطائرات التي تملكها شركة غوكو تستخدم خدمة غاريت للملاحة الجوية، في حين تستخدم الطائرة التي حطت في سان فرانسيسكو خدمات شركة تسمى دعم إرشادات الطيران. ولذلك، اتصلت بهاتين القاعدتين، وسألتهما إن كانتا تعرفان أماكن تواجد الطيارين ومساعدتهما. قيل لي بأن الطيار يترك في بعض الأحيان رقماً محلياً، يعود إلى فندق في العادة، حيث يمكن الاتصال به إذا دعت الحاجة إلى ذلك، أو يترك رقم هاتفه الخليوي. ولكن ذلك لم يحصل هذه المرة. ومعلومات الاتصال الوحيدة التي توفرت لدى هاتين القاعدتين كانت قسم الطيران التابع لشركة غوكو في مطار ستيوارت الدولي في نيويورك، بولاية نيويورك حيث توجد عملياتها الأساسية، وحظيرة الصيانة، ومكتب الشحن”.

“وماذا بعد؟ هل اتصلت بهؤلاء الأشخاص؟”

“أجل، اتصلت بمكتب الشحن التابع لشركة غوكو في مطار ستيوارت، ولأسباب واضحة لم أعرف عن نفسي بأني عميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي، ولذلك لم أجد من يعطيني أية معلومات عن طاقمي الطائرتين”.

“هل قلتَ لهم إنك طبيبة وأن الطيارين ومساعدتيهما عريان من الناحية القانونية؟”

“كلا، ولكنني سأساعدك على الاتصال بهم لنرى ما يمكنك أن تتوصل إليه”.

“ربما في وقت لاحق”. وسألته: “ما اسم الطيارين المساعدين؟”

أجابت “الغريب في الأمر أنه لا يُشترط في تقرير الرحلات المزمعة ذكر اسم الطيار المساعد”.

في وسعي الاستنتاج بأن إدارة الطيران الفيدرالية لم تشدد إجراءاتها المتعلقة برحلات الطائرات الخاصة منذ 11 سبتمبر/أيلول. ولكنني كنت أعرف ذلك مسبقاً.

قالت كايت: “ولكن تقرير الرحلات المزمعة يبيّن عدد الأشخاص الذين على متن الطائرة، وكان في كلتا الطائرتين اثنان، الطيار ومساعد الطيار”.

“حسناً، إذاً حطت الطائرتان في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو، ولم يكن يوجد على متنها ركاب، وأنا أفترض بأن الطيار بلاك والطيار بيلمان ومساعدتيهما يستمتعون بمناظر لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو في انتظار ورود تعليمات إضافية”.

“يبدو أن الأمر كذلك”.

فكرت في كل ما سمعته، واستنتجت بأنه ربما لم يكن له معنى وأن الأمور تسير بشكل عادي تماماً. فما هي الغرابة في أربعة طيارين يحلقون بطائرتهم عبر القارة بدون ركاب، ويحرقون الوقود بمعدل عدة مئات من الغالونات في الساعة، في حين يورّد رئيسهم كميات كبيرة من الوقود إلى البلاد بواسطة ناقلات النفط التي يملكها. سألت كايت، “هل يبدو الأمر غريباً في نظرك؟”

أجابت، “ربما يكون الجواب نعم، ولكننا لا نعرف هذا العالم”. وأضافت، “وعلى سبيل المثال، أشار إليّ أحد الموظفين في مركز العمليات الأساسية الثابتة في سان فرانسيسكو إلى أنه ربما قام شخص باستئجار هاتين الطائرتين من أجل نقل شحنة صغيرة من سان فرانسيسكو”.

أجبتها، “هل تعتقدين بأن رجلاً مثل مادوكس يؤجر طائرتيه الخاصتين لكي يكسب حفنة من الدولارات؟”

“من الواضح أن بعض الأثرياء يقومون بذلك”. وأضافت، “ولكن هناك المزيد من المعلومات”.

“كنت أمل بأن يكون هناك المزيد منها”.

قالت كايت: “تحدثتُ إلى سيدة اسمها كارول أسكريزي تعمل لدى شركة دعم خدمات الطيران في سان فرانسيسكو وقالت لي إنه طلب منها نقل الطيار ومساعدته

في مركبة الاستقبال إلى خط سير مركبات الأجرة في المحطة الرئيسية”.

لم أجد الأمر هاماً أو غير اعتيادي، ولكن كان في وسعي الاستنتاج من نبرة السيدة مايفيلد بأنه كان بخلاف ذلك. “وماذا بعد؟”

“قالت السيدة أسكريزي بأن الشركة غوكو، على غرار غالبية الشركات الكبيرة، تحجز سيارة وسائقها سلفاً لكي تنتقل طاقم الطائرة إلى أي مكان يريد الذهاب إليه. ولذلك استغربت لجوء هذا الطيار ومساعدته إلى طلب سيارة أجرة من المحطة الرئيسية”. وأضافت كايت، “ولذلك، أخبرتني السيدة أسكريزي، التي أرادت مجاملة العملاء الجيدين، بأنها عرضت نقل الرجلين إلى الفندق الذي ينويان النزول فيه”. وأضافت، “من الواضح أن الطاقم ينزل في العادة في مكان ما بالقرب من المطار. ولكن الطيار المساعد عبّر عن شكره لها وأخبرها بأنهما ينويان الذهاب إلى وسط المدينة، واستقلاً سيارة أجرة”.

“حسناً، هل عرفت المكان الذي توجهنا إليه؟”

“كلا، فهما لم يخبرا السيدة أسكريزي بذلك”.

أعتقد بأن ذلك يفسر سبب استعانتهم بسيارة أجرة بدلاً من سيارة الاستقبال، وسبب عدم وجود سيارة خاصة تنتظرهما. “حسناً، هل يوجد شيء آخر؟”

“أجل، أخبرتني بأنه كان في حوزة الطيار ومساعدته حقيبتان جلديتان سوداوان كبيرتان. كانت الحقيبتان مقفلتين، وتسيران على عجلات، وكانتا ثقيلتين جداً، بحيث احتاج الرجلان إلى أن يتعاونوا في تحميلهما في السيارة المقفلة”.

قلت: “حسناً، حقيبتان كبيرتان وثقيلتان، مقفلتان ويجري سحبهما على عجلات. أعتقد بأن تلك كانت الشحنة التي رآها تشاد في المطار هنا. والآن، جرى إنزالها في سان فرانسيسكو، وأنا أفترض بأنه حصل في لوس أنجلوس الشيء نفسه”. لم تكن كايت تحاول الخروج من هذه المعلومات باستنتاج معين، ولذلك قلت لها على سبيل المساعدة: “ربما اصطحب الرجلان زوجتيهما أو عشيقتيهما على متن الطائرة بنية تهريبهما، وأن هاتين الحقيبتين الثقيلتين تحتويان على ثياب تكفي السيدتين مدة يومين”.

سألتني، “كيف تمكنت من الإتيان بإيماءة جنسية في محادثة تتعلق بشحنة منقولة جواً؟”

“أنا آسف”. كان الأمر سهلاً. “كنت أتكهن وحسب”. ومن أجل المزيد من التكهّنات قلت: “إذاً، هل كانت الشحنة ذهباً؟ جئتين؟ أو شيئاً آخر؟”

قالت كايت: “ينبغي أن تفكر في الأمر”.

“حسناً، ماذا قالت كارول أسكريزي في هذا الخصوص؟ هل انتابها شك في أمر معين؟ هل تصرف الطيار ومساعدته بطريقة مريبة أو عصبية؟”

“تصرف الطيار ومساعدته، استناداً إلى ما قالته كارول، بطريقة طبيعية تماماً، وكانا يتبادلان النكات بشأن وزن الحقيبتين وحقيقة أن الشركة غوكو لم تحجز لهما

سيارة وسائقها. وقد اختلى الطيار المساعد بالسيدة أسكريزي وقال لها بأنه يأمل بأن يراها يوم الأربعاء عندما يعودان إلى المطار ويغادرانه.”

“حسناً، ما هي الوجهة التي سيغادران إليها؟”

“قال الطيار المساعد بأن الوجهة النهائية هي لاغارديا، ولكنه لم يذكر المحطات التي سيتوقف فيها قبل الوصول إليها”. وأضافت، “ترك الطيار تعليمات لدى شركة دعم الطيران يطلب فيها تجهيز الطائرة لكي يغادر ظهر يوم الأربعاء وخزاناته مليئة بالوقود”.

“حسناً، إذًا، بدا الطيار ومساعدته، استناداً إلى ما قالته أسكريزي، طبيعيين، ولكن لا يبدو أن الشحنة كانت كذلك”. فكرت في الأمر، وقلت: “إذًا، تم نقل الشحنتين إلى لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو على متن طائرتين خاصتين بدلاً من نقلهما في طائرة واحدة تهبط في هاتين المدينتين المتجاورتين”.

“هذا صحيح”.

“ولم تكن هناك سيارة وسائق لنقل كل من الطاقمين وهاتين الشحنتين إلى حيث ينبغي نقلهم”.

“هذا صحيح”.

“كما أن الطيار طلب من شركة الدعم في سان فرانسيسكو تجهيز الطائرة لكي يقلع بها ظهر يوم الأربعاء إلى وجهته النهائية في لاغارديا. ولكنني أستنتج مما ذكرته لي بأنهما لم يقدموا تقريراً عن رحلتهما المزمعة إلى إدارة الطيران الفيدرالية”.

“هذا صحيح. لكن ذلك ليس أمراً غير عادي”. وأضافت، “تبيّن لي أنه ينبغي تقديم تقارير الرحلات المزمعة قبيل الإقلاع بالطائرة، للأخذ بعين الاعتبار حالة الطقس الحالية، وحركة المرور في المطار، وما إلى ذلك”.

“هذا أمر منطقي”.

أجابت، “أنا آسفة لأنني لم أستطع أن أغيّني وساوسك”.

“أوه، لا تقلقي بشأن ذلك. لقد استنتجت المزيد مما قلته لي. في الواقع، الوجهة النهائية السريّة للطيار ومساعدته هي سان فرانسيسكو”.

“ولماذا تصفها بالسريّة؟”

“حسناً، لم يتم استئجار سيارة وسائق، وهو الأمر الذي يترك أثراً مكتوباً، إضافة إلى أنهما فوّتا على نفسيهما فرصة الانتقال بمرحلة الاستقبال المقفلة إلى المدينة بعد تحميلهما الحقيبتين المملوءتين بالطوب أو ما شابه، وإنزالهما عند خط سيارات الأجرة، ثم تحميلهما في سيارتي أجرة، بسبب حجمهما الكبير، لينتقلا بعد ذلك إلى المدينة. هل يبدو هذا الأمر منطقياً؟”

“كلا. ولهذا السبب اتصلت بخدمة غاريت للملاحة الجويّة في لوس أنجلوس فردّ على مكالمتي شخص اسمه سكوت الذي طرح على زملائه بعض الأسئلة فيما

كنت أنتظر، ثم عاد بالقصة ذاتها تقريباً؛ حقيبتان سوداوان كبيرتان، نقلتهما مركبة الاستقبال المقفلة إلى خط سيارات الأجرة فقط”.

“إذاً، من الواضح أن الأشخاص الأربعة تلقوا تعليمات متشابهة، وأن لهذين الطاقمين وجهة أو وجهات سرية في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو، وأن هذا هو سبب انتقالهما بواسطة سيارات أجرة، التي يتطلب تعقبها الكثير من الحظ”. وأضفت، “ولذلك، فالسؤال المطروح هو هل لهذا الأمر علاقة بالخطة الجهنمية التي أعدها مادوكس لكي يصبح إمبراطور أميركا الشمالية، أو تحقيق أي شيء لعين يصبو إليه؟ أم أنه ليس للأمر علاقة بتلك الخطة؟”

“أعتقد بأن هناك علاقة بين الأمرين”.

“وهل هذه هي الأخبار السيئة؟”

أجابت، “إننا بحاجة إلى مزيد من القرائن. والآن، حدثني عن المحادثة التي جرت بينك وبين مادوكس”.

“حسناً، وهل ستطلعيني بعد ذلك على الأخبار السيئة؟”

“أجل. ما لم تتمكن من معرفتها بنفسك قبل أن ننتهي من بحث البنود الأخرى في جدول الأعمال”.

“هذا تحدّ. حسناً، هل أنا بحاجة إلى شيء لكي أستنتج الأخبار السيئة؟”

“لقد وصلت إلى النقطة التي استنتجت عندها الأخبار السيئة”. وأضافت، “وبعد ذلك، حصلت على المزيد من المعلومات التي أكدت لي ما كنت أخشاه”.

“إنه تحدّ مثير”.

فكرت في الأمر، واعتقدت بأن شيئاً ما يختمر في دماغي، ولكن قبل أن أتمكن من الإفصاح عنه، قالت كايت: “كاستر هيل، باين مادوكس”.

جميع الطرق تعود مجدداً إلى كاستر هيل وباين مادوكس.

الفصل 44

عدت لأجلس على الأريكة، فيما جلست كايت على كرسي مريح. قلت: "حسناً، أولاً، كان باين مادوكس يتوقع وصولي". وأضفت، "كل الأدمغة العبقريّة تفكر بنفس الطريقة".

أحبّ أن أراها وهي تجول بعينيها، لأنّ المشهد ظريف جداً. أضفت، "بدا أن الموظفين الذين يعملون في المنزل قد رحلوا، ولكن الحراس كانوا هناك، وكذلك كارل".

أوجزتُ لكاييت ما دار بيني وبين مادوكس، بما في ذلك المناقشات الهامشية حول التعرّض للإصابة أثناء الخدمة، وهوس مادوكس الغريب بالدببة. وقلت لها: "لكن ربما لا تكون هذه المواضيع هامشية. ربما كان مادوكس يتحدث بطريقة مجازية".

أجابت كايت، "يبدو لي أن الأمر أشبه بتقاهات رجولية".

"أجل. والأهم من ذلك أنني أخبرتك السيد باين مادوكس بطريقة رسمية أنه شاهد أساسي في جريمة قتل محتملة". وشرحتُ له شكوكي المصطنعة بأن أحد حراسه هو قاتل مولر. وأضفت، "وهكذا تمكنا من وضعه في موقف صعب".

ذكرتني كايت بالقول: "إن قتل عميل فيدرالي لا يُعتبر جريمة فيدرالية".

"حسناً، ينبغي أن يُعتبر كذلك".

"ولكن الحال ليس كذلك". وأضافت، "إن شرطة ولاية نيويورك هي التي تملك صلاحية التحقيق، وهذا يعني الرائد شافير". وسألته، "ألا تدرّس هذه الأمور في صفك في كلية جون جاي للتحقيق الجنائي؟"

"أنا أدرّسها، ولكنني لا أمارسها". وأضفت، "في الواقع، أمّنت التغطية لِنفسي عبر استعمال عبارة اعتداء، والتي تعتبر جريمة فيدرالية". وأضفت، "مادوكس ليس محامياً. إنه مشتبه فيه".

"ولكن لديه محام".

"لا تقلقي بشأن ذلك".

بدت غاضبة منّي، ولكنها أذعنت قائلة: "أعتقد بأنها كانت خطوة جيدة". وسألته، "هل هذه هي المرحلة التي دعاك فيها إلى العشاء؟"

"في الواقع كانت كذلك". وأضفت، "سيقوم بجمع بعض المعلومات التي طلبت الحصول عليها".

"أجل. حسناً، أنت بحاجة الآن إلى إبلاغ الرائد شافير وتوم والنش رسمياً بما قمتَ به".

"سأفعل".

"متى؟"

“لاحقاً”. وأكملت حديثي عن المسائل التي تحدث عنها مادوكس، ولكنني لم أت على ذكر اللحظة التي فكرت فيها بحلٍ تقليدي بسيط لمشكلة معقدة. أردت أن أقول لزوجتي وشريكتي: “كما أن مادوكس حل مشكلته مع هاري مولر بأقل قدر من الأدلة، ففي وسعي حل مشكلة مادوكس برمتها في أقل من الزمن اللازم لرفع الضمادة اللاصقة عن البساط”. ولكنني لم أقل ذلك. ولكنني قلت: “عبر مادوكس عن تعازيه الحارة بهاري، بالرغم من أنه لم يستطع تذكر اسمه”.

نظرت كايت إليّ. وأضفت، “أراد مادوكس أن يعرف إن كان يوجد صندوق يمكن أن يساهم فيه”.

بقيت تنظر إليّ، واعتقدت بأنها تشتهه في أنني فكرت في العدالة المعجلة التي يلجأ إليها القتلة من رجال الشرطة بين الحين والآخر.

قالت كايت: “اتصلت بلوري باهنيك، صديقة هاري”.

أخذني الخبر على حين غرة، ولكنني أدركت بأنه كان ينبغي عليّ القيام بذلك أصلاً. قلت: “كان ذلك تصرفاً لطيفاً منك”.

أجابت كايت، “لم تكن محادثة سهلة، ولكنني أكّدت لها أننا نبذل كل ما في وسعنا لحل القضية”.

وأما برأسي.

“سألنتي لوري أن أبلغك تحياتها”. وأضافت كايت، “إنها سعيدة لأنك تعمل على حل القضية”.

“هل قلت لها إنني لم أعد مكلفاً بالقضية؟”

“كلا، لم أقل لها ذلك”. ونظرت إليّ، وقالت: “آخر كلام سمعته هو أنني وأنت مكلفان بالقضية”.

تبادلنا النظرات والابتسامات الخفية. انتقلت إلى موضوع آخر، فقلت: “حسناً، الخلاصة هي أن باين مادوكس يشعر بالضغط الآن، وربما يقدم على عمل غبي، أو يائس، أو ذكي”.

أجابت كايت، “أعتقد بأنه أقدم على هذه الأفعال الثلاثة معاً بدعوتك إلى العشاء”.

“تعنين دعوتنا يا عزيزتي. وأنا أعتقد بأنك على صواب”.

“أعرف أنني على صواب. إذاً، لماذا لا ترتكب العمل الخاطئ وتذهب إليه؟ أو لماذا لا تبادر إلى عمل أكثر ذكاء وتمتع عن الذهاب”. وسألنتي، “هل يمكنني الاتصال بتوم والش الآن؟”

تجاهلت سؤالها، وأكملت حديثي، “كما أنني أقيت نظرة فاحصة على الفناء الخلفي لبيت مادوكس من نافذة مكتبه في الطابق الثاني. توجد ثكنة كبيرة بما يكفي لاستيعاب ما بين عشرين وثلاثين رجلاً، ولكنني أعتقد بأنه لا يعمل في كل مناوبة أكثر من نصف هذا العدد. كما رأيت ميني حجرياً تعلوه ثلاث مداخن تنفث الدخان، وشاحنة تابعة لشركة تقدم الصيانة لمولدات الديزل متوقفة في الخارج”.

أومات برأسها، وقالت مجدداً: “ربما آن الأوان لتقاسم هذه المعلومات. سأتصل بتوم، فيما تتصل بالرائد شافير”.

قلت: “حسناً، سأتصل بهانك شافير أولاً لكي يكون لدينا المزيد من المعلومات التي سنتباحث بشأنها مع توم ولش”.

نهضتُ، واقتربت من طاولة الهاتف، واستخدمت بطاقتي الائتمانية الهاتفية، واتصلت بمقرّ شرطة الولاية في راي بروك.

وجدت الرائد شافير في انتظار المحقق كوري، وسألني، “أين أنت؟”

ضغطت على زرّ المجهار، وأجبت، “لست متأكداً من المكان، ولكنني أنظر إلى قائمة طعام مكتوبة باللغة الفرنسية”.

لم يجد الرائد شافير كلامي مسلياً، وسألني، “هل وصلتك رسالتي بأن السيارة التي استأجرتها من شركة هيرتز أصبحت في ذي بوينت؟”

“أجل. شكراً لك”.

قال لي: “صديقك، ليام غريفيث غاضب منك”.

“عليه اللعنة”.

“هل ينبغي عليّ تبليغه هذه العبارة؟”

“سأقوم بذلك بنفسي. وبالمناسبة، ذهبت إلى نادي كاستر هيل ولم أجد أثراً لفريق مراقبة هناك”.

أجاب، “حسناً، كان الفريق هناك، ولكنني سحبته إلى الطريق 56 لأن سيارة الجيب السوداء تلك بقيت تجوب المكان”. وأضاف، “لديّ فريق آخر على طريق قطع الأخشاب تحسباً لاحتمال انتقال أحدهم إلى الطرقات الخلفية أو خروجه منها”.

“حسناً”. وسألته، “هل وجد فريق المراقبة شيئاً جديداً؟”

أجاب، “لم يصل أحد إلى نادي كاستر هيل باستثناءك في سيارة الهبونداي التي استأجرتها من شركة إنتربرايز، كما وصلت شاحنة لإحدى شركات صيانة مولدات الديزل”. وأعطاني التفاصيل المتعلقة بوصولي ورحيلي، وسألني، “ماذا كنت تفعل هناك؟”

“سأكلمك عن هذا الموضوع”. وسألته، “هل غادرت الشاحنة أم بعد؟”

“منذ خمس دقائق لم تكن قد غادرت بعد”. وأضاف، “لم يغادر أحد آخر أرض النادي، ولذلك أعتقد بأن بوتيوف لا يزال هناك”. وسألني، “هل لاحظت شيئاً يشير إلى أنه موجود هناك؟”

“كلا أنا لم ألاحظ شيئاً يدل على ذلك”. وسألته، “هل لحق بي أحد بعد مغادرتي لنادي كاستر هيل؟”
“كلا”.

“وكيف عرفت؟”

“لأن سيارة المراقبة أجرت اتصالاً مباشراً معي، وقالت إن السيارة تعود إلى شركة إنتربرايز لتأجير السيارات، وأن اسم المستأجر هو السيد جون كوري. ولكنني قلت لهم إنك في مهمة”.

“حسناً”. إذا كان ذلك صحيحاً، فهذا يعني أن شرطة الولاية لم تشاهد عملية تبادل السيارتين في محطة رودي. وإذا لم يكن كلامه صحيحاً، فهذا يعني أنني أتجول في المنطقة في مركبة مقللة ساخنة. ولكن ذلك لا يهم إلا في حال لم أكن أتق بالرائد شافير. وأعتقد أنني كنت سألاحظ رجال الشرطة لو كانوا يلاحقونني.

سألني الرائد شافير مجدداً، “ماذا كنت تفعل هناك؟”

“كنت أجري تقييماً للمشتبه فيه، وأجمع بعض الأدلة الجنائية”.

“أي نوع من الأدلة الجنائية؟”

“شعرات وألياف من البُسط”. وشرحت له ما قمت به هناك.

أصغى الرائد شافير، ثم سألني، “أين توجد هذه الأدلة الآن؟”

“إنها في حوزتي؟”

“ومتى ستسلمني إياها؟”

“حسناً، أعتقد بأن هناك مسألة تتعلق بالصلاحيات ينبغي أن تُحل أولاً”.

“كلا لا وجود لمثل هذه المشكلة. جريمة القتل جريمة وقعت في ولاية”.

ذكرته قائلاً: “أنت لم تصنّف الحادث على أنه جريمة”.

ساد الصمت للحظات فيما كان شافير يفكر في عواقب موقفه المتأرجح. وأخيراً قال: “في وسعي اعتقالك لأنك تخفي أدلة”.

“يمكنك القيام بذلك إذا كنت تستطيع العثور على مكاني”.

“يمكنني أن أجدك”.

“كلا، فأنا جيد في هذا الأمر”. وقلت: “أنا أفكر في ما هو الأنسب لهذا التحقيق، وما هو الأنسب لي ولشريكتي”.

“لا تضيع الكثير من وقتك في التفكير”. وسألني، “ماذا قال لك مادوكس؟”

“تحدثنا عن الدببة”. وقلت للرائد شافير: “أبلغت باين مادوكس بأنه شاهدٌ مهم في تحقيق جنائي محتمل”. شرحت له كيفية قيامي بذلك، وختمت حديثي قائلاً:

“والآن، أصبح بحاجة إلى التعاون طوعاً أو كرهاً، وهو ما يضع مزيداً من الضغوط عليه”.

أجاب شافير، “أجل، أنا أفهم كيفية تأثير ذلك أيها التحرّي. أشكرك”. وسألني، “متى أصبحت جريمة وقعت في ولاية نيويورك جريمة فيدرالية؟”
“متى أصبحت وفاة هاري مولر جريمة قتل”.

من الواضح أن الرائد شافير لم يكن سعيداً معي ولا مع أساليبي، ولذلك لم يجب عن سؤالي، ولكنه قال: “ربما يجد مادوكس نفسه الآن بحاجة إلى التعاون في التحقيق، ولكنك لن تراه بعد الآن بدون أن يكون محاميه حاضراً”.

تساءلت إن كان محامي مادوكس سيحضر العشاء. وفي ما يتعلّق بهذا الموضوع، قررت ألا أخبر شافير بدعوة مادوكس لي لتناول العشاء إلى أن أصبح في طريقي إلى نادي كاستر هيل. أعني أنني كنت بحاجة إلى إحاطته علماً بالمكان الذي أنا فيه، تحسباً لوقوع مشكلة. ولكنني لم أشأ إطلاعه على ذلك في وقت مبكر جداً كي لا يصبح هو أو غريفيث جزءاً من المشكلة باعتقالهم لي.

قال: “حسناً، لقد أدّيت لك بعض الخدمات، وبدورك أدّيت لي بعض الخدمات. وأعتقد أننا متعادلان في موضوع الخدمات”.

“في الواقع، هناك بعض الخدمات التي أريدك أن تسديها إليّ”.

“قدّمها لي في تقرير مكتوب”.

“وبذلك أصبح مديناً لك بخدمة”.

لم أسمع جواباً. أعتقد بأنه كان غاضباً. وبالرغم من ذلك، قلت: “بالحديث عن الديزل، هل تمكنت من معرفة مقدار طاقة هذه المولدات التي في كاستر هيل؟”

“لماذا تعتقد أن لهذا الأمر أهمية؟”

“لا أعرف إن كان ذلك مهماً، وأنا متأكد من أنه ليس كذلك، ولكنني رأيت المبنى هناك...”

“أجل، وأنا رأيتُه أيضاً، عندما كنت أصطاد هناك”.

تركت بضع ثوانٍ تمرّ، ثم قال: “طلبت إلى أحد رجالي أن يتصل بشركة بوتسدام ديزل، ولكنه حصل على معلومات خاطئة، أو أن الشخص الذي في الشركة لم يقرأ الملف على الوجه الصحيح؟”

“وماذا يعني ذلك؟”

“حسناً، قيل للشرطي بأنه يمكن لهذه المولدات إنتاج ألفي كيلوواط”. وأضاف، “أعني كل واحد منها. اللعنة، يمكن أن يغذي ذلك بلدة صغيرة. لا بدّ وأن الرقم الصحيح هو عشرون كيلوواط، أو ربما مئتا كيلوواط على الأكثر، أو ربما يمكنها توليد عشرين ألف واط”.

قال لي: “دعني أسدي إليك هذه النصيحة”.

“حسناً”.

“أنت لا تعمل لوحده. هذا جهد جماعي. عد إلى الانضمام إلى الفريق”.

رفعت كايث يدها تأييداً للاقتراح.

قلت للرائد شافير: “لقد تأخر الوقت قليلاً على القيام بذلك”.

“ينبغي أن تأتي وزوجتك إلى مقرّ الشرطة الآن”.

إنه لأمر رائع دائماً أن أدعى إلى المنزل مرة أخرى، كما أنه أمر مغر، ولكنني لم أعد أثق بعائلتي بعد الآن، ولذلك قلت: “أعتقد بأن كافة العملاء الفيدراليين الذين تحتاج إليهم موجودون هناك”.

ولكنه عرض عليّ اقتراحاً فقال: “سألتقي بك في مكان تشعر فيه بأنك... أكثر أمناً”.

“حسناً. سأخبرك بمكان ذلك اللقاء لاحقاً”.

وقبل أن يتمكن من الإجابة، قطعت المكالمة، ونظرت إلى كايث التي قالت: “أعتقد بأنه يجدر بنا الذهاب إلى...”

“انتهت المناقشة. لنبدأ الحديث عن موضوع جديد: شركة بوتسدام ديزل”. أمسكتُ بسماعة الهاتف، واتصلت بشركة بوتسدام ديزل التي تذكرت رقمها الهاتفي من شاحنتها التي رأيتها في النادي. أجابت سيدة شابة، “هنا شركة بوتسدام ديزل، وأنا ليو آن. كيف يمكنني أن أساعدك؟”

ضغطت على زرّ المجهار، وقلت: “مرحباً يا ليو آن. أنا أدعى جو، الناظر في نادي كاستر هيل”.

“أجل سيدي”.

قلت: “لدينا آل الذي يعمل على صيانة المولدات”.

“هل توجد مشكلة؟”

“كلا. هل تستطيعي سحب ملفات المبيعات والصيانة من أجلي؟”

“انتظر”.

بدأ المجهار يسمعنا موسيقى موزاك، وقلت لكايث: “لم يصدّق شافير أن المولدات يمكنها إنتاج ستة آلاف... ماذا تسمى؟ ميغاواط؟”

أجابت كايث “كيلوواط. ستة آلاف واط تساوي ستة ملايين واط. وعادة ما تستهلك اللبنة العادية خمسة وسبعين واط”.

“واو. هذا مقدار كبير من...”

عادت ليو آن، وقالت: “لقد حصلت عليها. كيف يمكنني أن أساعدك؟”

قلت: “حسناً، إذا انقطع التيار الكهربائي، وقمت بتشغيل المولدات، هل يمكنني تحميل خبز وإعداد القهوة في الصباح؟”

ضحكت، وقالت: “يمكنك تحميل خبز وإعداد قهوة تكفي بوتسدام”.

“حقاً؟ ما هو مقدار الطاقة بالكيلوواط التي يمكنني الحصول عليها؟”

أجابت ليو أن، “حسناً، لديك ثلاثة مولدات ديزل من نوع ديترويت براند، ست عشرة أسطوانة، يمكن لكل منها إنتاج ألفي كيلوواط”.

تبادلت وكايت النظرات.

قلت لليو أن: “لا بدّ وأنتك تمزحين؟ كم مضى على تاريخ صنع هذه المولدات؟ هل أن أو ان استبدالها؟”

“كلا. تم تركيب هذه المولدات في العام 1984، وليس هناك عمر افتراضي لها”.

“كم يبلغ ثمن مولد جديد؟”

“لست متأكدة، ولكنّ ثمنها كان 245 ألف دولار في العام 1984”.

“أتقصدين ثمن المولد الواحد؟”

“أجل. ولكن السعر أعلى بكثير هذه الأيام”. وسألنتي، “هل تعاني من مشكلة في الصيانة؟”

“كلا. يقوم آل بعمل رائع. وفي مقدوري رؤية عرقه من هنا. متى سيفرغ من عمله؟”

“حسناً، لدينا آل وكيفن فقط، وقد جرى الاتصال بنا يوم السبت، ونحن مشغولون فعلاً... أنت تعرف أنكم تدفعون تكاليف الصيانة على أساس مستعجل”.

تبادلت وكايت النظرات. قلت لليو أن: “لا توجد مشكلة. في الواقع، أضيفي ألف دولار إلى فاتورة السيد مادوكس مكافأة لآل وكيفن”.

“هذا كرم كبير منك...”

“إذاً، كم بقي من الوقت في اعتقادك؟ ساعة أخرى؟”

“لست أدري. هل تريد منّي أن أتصل بهما، أم تفضل الذهاب مشياً والتحدث إليهما؟”

“أرجو منك أن تتصلي بهما. سنقيم مأدبة عشاء كبيرة، ولذلك يمكنهما الذهاب الآن والعودة في وقت لاحق”.

“متى تريد منهما العودة؟”

“في الواحد والثلاثين من نوفمبر/تشرين الثاني”.

“حسناً، ... أوه شهر نوفمبر ثلاثون يوماً”.

“سأحدد الموعد القادم لاحقاً. وفي هذه الأثناء، يمكنك أن تطلبي منهما الرحيل. سأنتظر.”

“انتظر من فضلك.”

بدأت أسمع على الهاتف موسيقى “الدانوب الأزرق” لسبب ما، وقلت لكاييت: “كان ينبغي أن أقوم بذلك قبل ساعة من الآن.”

أجابت، “أن تتصل متأخراً خير من ألا تتصل على الإطلاق.” وأضافت، “ستة آلاف كيلواط.”

“أجل. لماذا أستمع إلى سيمفونية الدانوب الأزرق؟”

“لأنك تنتظر أن.”

“هل ترغبين في الرقص؟”

عادت ليو آن، وقالت: “حسناً، لدي أخبار طيبة. لقد فرغا من عملهما، وهما يوضبان أدواتهما.”

“هذا رائع.” يا له من حظ سيئ.

“هل توجد خدمة أخرى يمكن أن أؤديها لك؟”

“ابتهلي من أجل السلام العالمي.”

“حسناً، إنه اقتراح لطيف.”

“ليو آن، أتمنى لك أمسية طيبة.”

“وأنا أيضاً يا جو.”

وضعتُ السماعة، وقلت لكاييت: “إنها المرة الأولى في تاريخ العالم التي يتمكن فيها طاقم صيانة من إكمال عمله قبل الموعد المحدد.”

قالت: “لم يكن مادوكس ليسمح لهما بالرحيل على أية حال.” وأضافت، “إذاً، إذا كنا على قناعة بأننا نبحث عن هوائي إلف، ينبغي أن تكون هذه المعلومات مقنعة لنا.”

“أنا مقتنع فعلاً. وهذه هي الحجة المفحمة.” وأضافت، “إذا لاحظت الأواني الفضية وهي تلمع، أعلميني بذلك.”

“جون، إننا لن نذهب...”

“ما هو الجانب السيئ لذهابنا إلى هناك وحضور مأدبة العشاء.”

“الموت، وتقطيع الأوصال، والاختفاء، والطلاق.”

“يمكننا تدبر ذلك.”

“لدي فكرة أفضل. لنركب المركبة المقفلة ونعود إلى مناهاتن. الآن.” وأضافت، “وستتصل بتوم والش ونحن في الطريق...”

“انسى الأمر. أنا لن أذهب على الطريق السريعة اللعينة، وأتحدث إلى توم والش عبر هاتفي الخليوي، بينما نحن غارقان في المشكلات هنا”. وأضفت، “في الواقع، السبب الحقيقي لذهابنا إلى نادي كاستر هيل هذه الليلة ليس حضور مأدبة العشاء، ولا جمع المزيد من الأدلة، وإنما تحديد ما إذا في إمكاننا ومقدورنا اعتقال السيد باين مادوكس بتهمة قتل - أنا آسف، بتهمة الاعتداء على - العميل الفيدرالي هاري مولر”.

فكرت في الأمر ثم أجابت، “أنا لا أعتقد بأننا نملك أدلة كافية، أو ربما قضية محتملة لكي...”

“اللعنة على الأدلة لدينا الدليل. إنه موجود في تلك الحقيبتين. والقضية المحتملة هي المجموع الكلي لكل ما شاهدناه وسمعناه”.

هزت رأسها، وقالت: “سيكون الاعتقال على خلفية أية تهمة فيدرالية - وخصوصاً لشخص مثل باين مادوكس - سابقاً لأوانه، ويمكن أن يوقعنا في مشكلة حقيقية”.

“إننا واقعان أصلاً في مشكلة حقيقية”. وأضفت، “علينا أن نعتقل هذا الوغد الليلة، قبل أن يقوم بأي عمل يعتقد بأنه ينبغي أن يقوم به في المرحلة التالية”.

لم تجب، وفكرت في أنني عرضت وجهة نظر قوية، ولذلك قلت لها: “حسناً، دعينا نسمع الأخبار السيئة”. وأضفت بنبرة لطيفة، “وعندها يمكنني اتخاذ قرار منطقي بشأن ما ينبغي أن نقوم به بعد ذلك”.

قالت: “اعتقدت بأنك ربما ستعرف هذه الأخبار بحلول هذا الوقت”.

“كنت سأخبرك بذلك لو أنني فعلت. انتظري لحظة”. فكرت لعشر ثوانٍ كاملة. كان يوجد شيء ما يختمر في دماغي، ولكنه كان مليئاً بالكثير من الأفكار. سألتها “حيوانات، أم معادن، أم خضار؟”

اقتربت من الطاولة، من غير أن تجلس، وقربت إليها الحاسوب المحمول وقالت: “دعني أريك شيئاً”.

الفصل 45

ضغطت كايث على بعض مفاتيح الحاسوب المحمول، فظهرت صفحة على الشاشة. قالت: "هذه قطعة غير منشورة عن ميخائيل بوتيوف، كتبت قبل عشر سنين من الآن".

نظرتُ إلى الشاشة وقلت: "حقاً؟ وماذا بعد؟"

أدارت الشاشة نحوي، وقالت: "الكاتب زميل له واسمه ليونيد شيرنوف، وهو عالم روسي في الفيزياء النووية، يعيش في الولايات المتحدة أيضاً. وهذه القطعة مأخوذة من رسالة بعث بها إلى علماء فيزيائيين آخرين، يمتدح فيها عبقرية بوتيوف، وأشياء من هذا القبيل".

لم أدلِ بأي تعليق.

أضافت، "وهنا... "تدرّجت في الصفحة، وقالت: "كتب شيرنوف: بوتيوف قانع الآن بمركزه التعليمي، ويرى أن هذا العمل يوفر له تحديات ومكافآت. لكن يتعين على المرء أن يتساءل إن كان يواجه تحديات توازي تلك التي كان يواجهها عندما كان يعمل في معهد كورشاتوف أثناء عمله في برنامج صنع النماذج المصغرة السوفياتي". ونظرتُ إليّ، وقالت: "انتهى الاقتباس".

"ما هي الأشياء التي كانوا يعملون على تصغير أحجامها؟"

أجابت كايث، "أسلحة نووية، مثل قذائف مدفعية نووية، أو ألغام أرضية". وأضافت "وكذلك حقائب تحتوي على قنابل نووية".

احتجت إلى نصف ثانية لاستيعاب الأمر، وشعرت بأنني تلقّيت ضربة في المعدة. "يا إلهي". نظرت مشدوهاً إلى شاشة الحاسوب المتوهجة، وبدأت أفكر بسرعة في كل ما سمعت، واكتشفت، وعرفت، وارتبت فيه.

"يا جون، أعتقد بأنه توجد قنبلتان نوويتان في حقيبتين في لوس أنجلوس، وقنبلتان أخريان في سان فرانسيسكو".

"يا إلهي".

قالت: "لا أعرف الوجهة النهائية لتلك القنابل أو ما إذا كانت طائرتا مادوكس ستنتقلان هذه الحقائق إلى وجهتها أو مقصدها النهائي، أو ما إذا كانت ستوضع على متن سفينة، أو..."

"علينا أن نجبر هاتين الطائرتين على الهبوط".

"هذا ما حصل. فقد اتصلت بصديقي، دو ستبورغيز، الذي يعمل عميلاً خاصاً مساعداً مسؤولاً في المكتب الميداني في لوس أنجلوس، وطلبت منه أن يضع هاتين الطائرتين تحت المراقبة في حال ظهر الطياران، أو في حال تم احتجاز الطائرتين كدليلين في قضية فيدرالية ملحة، وتحثل أقصى درجات الأولوية".

أومات برأسي. كان صديقها دو، فيما أعتقد، عشيقاً قديماً عندما كانت تعمل في لوس أنجلوس قبل عدة سنين. وقد تشرّفت بلقائه عندما لاحقتُ وكايت المدعو أسد خليل في كاليفورنيا؛ ولم يساورني شك في أن هذا المخنث سيقفز على قفاه من أجل الالتقاء بصديقه السابقة، كايت.

ولكنني لم أستطع تخيل كيفية إقدام كايت على فتح قضية كبيرة بمكالمة هاتفية واحدة مع عميل خاص مساعد مسؤول في لوس أنجلوس. أعني أن العمل مع مكتب التحقيقات الفيدرالي يظل لغزاً بالنسبة إليّ، ولكنني أذكر وجود تسلسل في القيادة.

سألته عن هذا الأمر، فأجابته، "ما قمت به - لتجنّب الاتصال بتوم والش - كان الطالب من دو أن يتعامل مع هذه القضية كخبر من مجهول يكشف عن وجود خطر إرهابي". وأضافت، "وهذا ما سيجعل التحرك أسرع، في حال قال دو إن الخبر بدا صادقا، ... إلخ".

"أجل. وهل فعل ذلك؟"

"قال بأنه سيفعل ذلك". وأضافت، "شرحت له إننا نعاني من بعض المشكلات المتعلقة بالمصادقية مع الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب وما إلى ذلك، ولكنني أملك معلومات موثوقة للغاية، وأن الأمر ملح، وأن الأمر من صلاحياته، وأن..."

"حسناً، لقد فهمت. وبما أنه صديقك، فلقد عرض نفسه للخطر من أجلك".

قالت لي: "لم يكن ليعرض نفسه للخطر من أجل أحد. ولكنه استجاب لخطر إرهابي أكيد".

"أجل. أعتقد بأنه يعرف بأنك مصدر موثوق".

"هل يمكننا متابعة المناقشة؟"

"أجل. أنا بحاجة فقط إلى معرفة أن هذه القضية في أيدي أمينة، وأنها لن تنتظر في صندوق أحدهم لليوم التالي".

تابعت حديثها، وقالت: "كما أعطيتُ دو الاسمين تيم بلاك وإيلوود بيلمان، وقلت له إن بلاك يقيم على الأرجح في فندق في لوس أنجلوس، وأن بيلمان يقيم في سان فرانسيسكو، وأنا بحاجة إلى العثور على هذين الطيارين في أسرع وقت ممكن". وأضافت، "عبّرت له عن شكوكي بأنهما ينقلان حقائب تحتوي على قنابل نووية".

أومات برأسي. فقد كانت تلك الخطوة المناسبة كما هو واضح. وقلت: "هل لفت ذلك انتباهه؟"

تجاهلت سؤالي، وأضافت، “وعدني ببدء عملية بحث على الفور في لوس أنجلوس، وبأنه سيتصل بالمكتب الميداني في سان فرانسيسكو، وأنه سيعمم الخبر أيضاً على كافة وكالات تطبيق القانون في كلتا المدينتين وضواحيهما”. وأضافت، “وسيتحدث أيضاً إلى رئيسه في لوس أنجلوس، وسيقومان معاً بالاتصال بالمدراء المسؤولين في نيويورك وواشنطن، ورفع تقرير عن هذا الخبر. وسيؤكد دو بأنه يعتقد بأن الخبر موثوق، بناء على الطبيعة الخاصة للمعلومات وما إلى ذلك، وسيصف الإجراءات التي يقوم باتخاذها”.

“هذا جيد. لكن في حال تبين أن الحقائق الأربع مليئة بالمجلات الخلاعية لأصدقاء مادوكس العرب، فهل سينال دو العقاب؟ أم سيذكر اسمك؟”

نظرت إليّ، وسألته “هل تعتقد بأنني مخطئة في ذلك؟”

فكرت في الأمر للحظة، ثم أجبت، “كلا. أعتقد بأنك فعلتِ الصواب. الحقائق تحتوي على أربع قنابل نووية. وأنا معك في هذا الاستنتاج”.

“هذا جيد. أشكرك”. وأضافت، “سألت دو طلب رفع مستوى خطر إرهابي محلي”.

“ينبغي أن يحمل ذلك مكتب لوس أنجلوس على القفز عن ألواح التزلج”. وذكرتها بالقول: “هذا ليس خطراً محلياً في واقع الأمر”.

“كلا. كما أن باين مادوكس ليس إرهابياً... حسناً، ربما يكون كذلك. ولكنني لا أستطيع تخيل كيفية تصنيف مخطط لإرسال أربع قنابل نووية إلى الخارج، ولذلك طلبتُ إلى دو أن يتعامل مع القضية كخطر إرهابي محلي قوي، طالما أننا نعتقد بأن الحقائق النووية لا تزال في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو”.

“خطوة جيدة”.

تابعت حديثها قائلة: “سيقوم مكتب التحقيقات في كلتا المدينتين بالاتصال بكافة شركات سيارات الأجرة لمعرفة إن كان أي من سائقيها يتذكر أنه نقل مسافراً على خط سيارات الأجرة في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو، حاملاً حقيبة جلدية سوداء كبيرة الحجم”. وأضافت، “ولكنني أعتقد بأنه رهان ضعيف لأن العديد من سائقي تلك السيارات، كما تعرف، من الأجانب، وهم لا يحبون التحدث إلى الشرطة أو مكتب التحقيقات الفيدرالي”.

كانت تلك عبارة غير صحيحة من الناحية السياسية من موظفة فيدرالية، ولكن عندما يكون الضغط كبيراً، يجد الناس حتى الفيدراليون منهم أنهم بحاجة إلى العودة إلى الواقع.

أضافت، “لدينا وصف أكثر دقة للحقائق من وصف الطيارين ومساعدَيْهما. ولذلك طلبتُ إلى دو الاتصال بإدارة الطيران الفيدرالية للحصول على صور لرخصتي بلاك وبيلمان، وإرسالها بالبريد الإلكتروني إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو في أسرع وقت ممكن. وكم كانت دهشتي عندما علمت بأن رخص الطيارين لا تحمل صوراً فوتوغرافية”.

“هل يُعقل ذلك؟” وقلت: “هذا مثال آخر لا يُصدّق على غياب إدارة الطيران الفيدرالية بعد 11 سبتمبر/أيلول”.

“هذا صحيح. ولذلك استخدمت عناوين إدارة الطيران الفيدرالية للحصول على رخص قيادة الطائرات في الولايات مع صورهما. يقيم بلاك في نيويورك، ويقوم بيلمان في كونكتيكت”.

“أرى أنك كنت مشغولة أثناء غيابي”.

“أصبحت مشغولة فعلاً بعد أن أدركت بأننا نتعامل مع حقائب نووية”.

“أجل. وكيف حال دو؟”

“دو أكثر انشغالاً من أن أسأله عن حاله”. وأضافت، “ولكنه أرسل إليك تحياته”.

“هذه بادرة لطيفة منه”. عليه اللعنة. “وهل قدر إخبارك له كيف ينبغي أن يقوم بعمله؟”

أجابت، “يا جون، كنت أملك المعلومات، وفكرت في هذا الأمر، وهو كان... حسناً، مذهولاً. ولذلك، قدر مداخلاتي”.

“هذا جيد”. وأذكر أيضاً أنه غبي.

فكرت في هذا التطور الجديد والمثير، وكان عقلي يحسب كافة الزوايا، والمعادلات، والاحتمالات. قلت لكاييت: “إذا نزل هؤلاء الطيارون في فنادق، وإذا كانت تلك مهمة سرية لمادوكس، وهي تبدو كذلك، فعلى الأرجح أن يحجز الرجال الأربعة غرفاً بأسماء مستعارة”.

أومأت برأسها، وقالت: “ولكننا نعرف الاسمين الحقيقيين للطيارين، ولذلك يتعين على مكتب التحقيقات الفيدرالي الحصول على نسخ عن رخصتي القيادة الخاصة بهما في أسرع وقت ممكن، هذا إذا لم يتم بذلك أصلاً”. وأضافت، “طلب دو إلى مكتب كينفستون الإقليمي في نيويورك إرسال عميل إلى مكتب الشحن التابع لشركة غوكو في مطار ستيوارت لمعرفة هوية الطيارين المساعدين”.

“هذا تفكير جيد”. بدا أن تلك كانت نهاية المشكلة التي اكتشفناها، ولكنني اعتقدت بأن العثور على الطيارين الأربعة لن يكون سهلاً، وخصوصاً إذا أمرهم مادوكس بالاحتجاب عن الأنظار، وعدم الردّ على المكالمات الهاتفية، والبقاء في الفنادق التي ينزلون فيها، واستخدام هويات مزوّرة، وما إلى ذلك.

قالت كاييت: “من سوء الحظ أنه من المحتمل أن الحقائب النووية - إذا كانت تحتوي على قنابل نووية فعلاً - لم تعد في أيديهم الآن”.

“إنها حقائب نووية. ولذلك صفي تلك الحقائب على حقيقتها”.

“حسناً، حسناً. سيقوم مادوكس بنقلها إلى مكان ما خارج البلاد. وأعتقد أن الوجهة ستكون الشرق الأوسط، أو أي بلد إسلامي آخر”. وقالت إنها اتصلت بخدمة غاريت للملاحة الجوية مجدداً وردّ على الهاتف شخص قال إنه لا يمكن لطائرة من نوع سيسنا سايتايشن أن تقطع المحيط الهادئ ما لن تنتقل من الساحل

الغربي إلى ألاسكا، ثم إلى جزر أليوشن، ثم إلى اليابان، وهكذا". وأضافت، "يمكن أن تتضمن تلك الرحلة عمليات توقف كثيرة من أجل إعادة التزود بالوقود، ناهيك عن تدقيق سلطات الجمارك في تلك المحطات. ولذلك فأنا أعتقد بأنه في إمكاننا استبعاد هذا الاحتمال".

أومأت برأسي، وفكرت في الأمر. حطت طائرتنا مادوكس اللتان كانتا من طراز سيسنا سايتايشن مساء يوم الأحد في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو. ولم يترك الطيران والمساعدان أي عنوان محلي، ولكن أشار أحدهما إلى أنه سيغادر يوم الأربعاء - أي يوم غد - عائداً إلى نيويورك. وأنا متأكد من أن الطيارين يفكران في القيام بالأمر نفسه، أو أنهما عازمان على فعل الشيء نفسه. والسؤال المطروح الآن، أين ذهبت الشحنات التي كانت معهم؟ على الأرجح أنها لم تعد معهم.

قلت لكاييت: "أعتقد بأن مادوكس سيستخدم إحدى ناقلات النفط التابعة له - أو أنه استخدمها أصلاً - في نقل هذه القنابل النووية إلى مكان ما. ولهذا السبب حطت طائرتاه في مدينتين ساحليتين".

أومأت كاييت برأسها، وقالت: "وصلت إلى الاستنتاج نفسه، وطلبت من دو بدء عملية تفتيش للسفن والمستوعبات في كلا المرفأين، بدءاً بالسفن التي تملكها شركة غوكو". وأضافت، "إنها عملية كبيرة. لكن إذا تمكنوا من تفعيل فرق نست في وقت مبكر إضافة إلى عناصر الأمن في المرفأين الذين يملكون أيضاً أجهزة للكشف عن الأشعة غاما والنيوترونات، فقد نكون محظوظين".

"أجل، ولكنهم ليسوا بحاجة إلى مسح السفن والمستوعبات وحسب، بل وإلى مسح المستودعات والشاحنات... علماً بأنه سيتم شحن تلك القنابل على متن طائرات تجارية".

"كما أنهم يتحققون من كافة المطارات في المنطقة".

"حسناً، ولكن ذلك أشبه بالبحث عن إبرة في كومة قش".

أجابت، "إنها إبر مشعة، وأمامنا فرصة جيدة للعثور عليها".

"ربما، إذا كانت لا تزال موجودة في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو. لكنني أفكر في سيناريو آخر أرجح احتمالاً؛ أن تكون القنابل النووية هذه في طريقها الآن بحراً أو جواً إلى وجهاتها النهائية". وأضافت، "أعني أنه مرّ يومان تقريباً منذ وصولها إلى الساحل الغربي".

أجابت كايت، “ربما تكون محقًا، ولكننا بحاجة إلى البحث عنها في هاتين المدينتين في حال كانت لا تزال موجودة فيهما”. وأضافت، “سيكون من الأسهل العثور على الطيارين، وخصوصاً إذا ظهرنا في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو في الغد”.

“أجل. حسناً، الخلاصة في ما يتعلق بالطيارين هي أنه سيكون العثور عليهم أمراً جيداً، ولكنني لا أعتقد بأن مكتب التحقيقات الفيدرالي سيعثر عليهما مع حقائبهما. لكن الطيارين يعرفان المكان الذي وصلت إليه هذه الحقائب، وربما قاما بنقلها بأنفسهما. ولكن على الأرجح أن ينتهي الأثر هناك”. وأضافت، “من سوء الحظ أننا تأخرنا حوالي ثمان وأربعين ساعة على القيام بهذا الأمر، وعندما تُشاهد تلك الحقائب النووية في المرة القادمة، ستكون على شكل أربع سحابات على شكل فطر يرتفع فوق رمال الصحراء”.

وقفت كايت بصمت وبدون حراك لفترة من الوقت، ثم قالت: “أمل بالأمر يحدث ذلك”.

“أجل”. حسناً، يبدو أن كايت وذلك الشخص الذي لا يُسمّى في لوس أنجلوس قد قاما بكل ما يمكن القيام به في وقت وجيز، وأنهما قاما بعمل جيد؛ بالرغم من أنه لا علاقة لهذا العمل بعلم الصواريخ، أو الفيزياء النووية. كان في الواقع عملاً تقليدياً تقوم به الشرطة ومكتب التحقيقات الفيدرالي، وسينتج عنه العثور على الطيارين وربما الحصول على بعض المعلومات المتعلقة بالحقائب النووية. لكن المشكلة، كما كان الحال دائماً، هي الوقت. فقد بدأ مادوكس اللعبة قبل حضور الفريق الزائر، ونشر لاعبيه في الملعب قبل أن ينزل خصومه إليه.

لكن ربما كانت هناك أخبار طيبة. أعني وجود حلقة ضعيفة في هذه السلسلة النووية. قلت لكاي: “جهاز إرسال الموجات إلف. وبواسطته سيتمكن من تفجير تلك القنابل”.

أومأت برأسها، وقالت: “هذا هو دور الموجات إلف. ولا بدّ وأنه تم وصل جهاز استقبال للترددات بالغة الانخفاض في كل من أجهزة التفجير. وكما اكتشفنا، يمكن أن تجوب موجات إلف العالم وتخترق أي شيء. ولذلك، عندما تصل القنابل إلى حيث يريد مادوكس، سيرسل رسالة مشفرة من هنا، وفي غضون ساعة، تصل الإشارة إلى أجهزة الاستقبال التي في الحقائب، بصرف النظر عن الأماكن التي توجد فيها في العالم”.

“هذا صحيح”. فكّرت في الأمر، وقلت: “إذاً، يبدو أن هذا الأخرق بنى محطة إلف الضخمة هذه قبل عشرين سنة تقريباً لإرسال رسائل مزيفة إلى أسطول الغواصات النووية الأميركية لكي تشعل حرباً عالمية ثالثة. ولكنه لم ينجح حينها في ذلك، ولذلك توصل إلى طريقة أخرى الآن لجعل استثماره يعود بالنتائج”.

أومأت كايت برأسها، وقالت: “يبدو الأمر منطقياً الآن”.

“أجل... وبوتيفوف كان الشخص الذي قام بالعمل اللازم لتجهيز تلك الحقائب النووية لكي يتم تفجيرها باستخدام موجة إلف”.

قالت كايت: “كما وجدت على الإنترنت أن الأسلحة النووية المنمنمة بحاجة إلى صيانة دورية، وهذه أيضاً وظيفة بوتيوف”.

“الدكتور بوتيوف الراحل”.

أومات كايت برأسها.

سألته بطريقة منمّقة، “من أين حصل مادوكس على هذه القنابل؟” ثم أجبتُ عن سؤالي بنفسي، فقلت: “أعتقد بأنها كانت معروضة للبيع من قبل أصدقائنا في روسيا؛ ولهذا السبب قام مادوكس بتوظيف عالم روسي. اللعنة، لم يكن في مقدوري العثور على ميكانيكي سويدي لكي يصلح سيارتي الفولفو القديمة، في حين عثر مادوكس اللعين على عالم روسي في الفيزياء النووية لكي يقوم بصيانة قنابلته الذرية”. وأضفت، “الأمر كله يتعلق بالمال”.

قالت كايت: “المال والجنون لا يصنعان تركيبة جيدة”.

“هذه نقطة جيدة. حسناً، إذن، أعتقد بأنه توجد أربع مدن واقعة في بقعة ما ستقع في مشكلة في غضون أيام معدودة، أو ساعات قليلة؛ مدن إسلامية. ألا تعتقدن ذلك؟”

أومات برأسها، وقالت: “وهل هناك تحليل منطقي آخر؟”

فكرت في الهدف الذي ربما يكون تحت منظار مادوكس، ولكنني وجدت أن الأهداف المحتملة أكثر من أن تُحصى. وهذا يتوقف بدرجة معينة على ما إذا كان يجري نقل هذه القنابل النووية عن طريق البحر أو الجو أو بطريقة تجمع بين النقل الجوي، والبحري، والبرّي. وأنا لا أستبعد أن يقدم على ضرب مكة والمدينة بالقنابل النووية، ولكن ربما تكون تلك صفقة تجارية محضّة وأنه اختار نقاط تصدير النفط في البلدان التي أثارت غيظه. والخلاصة هي: ما هي أهمية معرفة السبب؟

قالت كايت: “حسناً، أعتقد أنني قمت بكل ما يمكنني القيام به، وسيقوم دو بكل ما يمكنه القيام به”.

“أجل...” نظرت إلى ساعتني. “هذا سيوفر للمكتب الميداني في لوس أنجلوس عملاً يقوم به قبل أن يحين وقت صفوف تمارينهم الرياضية”.

“يا جون...”

“لكن في ما يتعلّق بمن يعرف هذه المعلومات ومتى عرفها؛ واشنطن تعرف بالتأكيد شيئاً عن هذا الموضوع”. وأضفت، “ولكن يبدو أنهم نسوا إخبارنا عنه”.

لم أسمع تعليقاً من العميلة الخاصة في مكتب التحقيقات الفيدرالي، مايفيلد.

“هذه هي الطريقة الوحيدة التي تجعل مهمة هاري منطقية”. وأضفت، “إن وزارة العدل وبالتالي مكتب التحقيقات الفيدرالي على علم بما يخطط له مادوكس. أليس كذلك؟”

“لست أدري”. وأضافت، “لكن وكما قلت لك، هذه القضية أكبر بكثير مما كنت تعتقد عندما بدأت تحشر أنفك في تحقيق تجريه وزارة العدل”.

أجبتها، “أعتقد بأن كلانا يدرك ذلك”. وقلت لكاييت: “فيما يلي نظريتان على علاقة بالمؤامرة أعرضهما عليك. النظرية الأولى هي أن الحكومة تعرف بما يجري في كاستر هيل، وأن هاري أرسل إلى المكان ليكون بمثابة كيش فداء لإعطاء مكتب التحقيقات الفيدرالي ذريعة لاقتحام أبواب مادوكس واعتقاله. ولكن هناك نظرية أخرى أفضل منها، وهي أن الحكومة تعرف بما يجري في كاستر هيل وأنه تم إرسال هاري ككيش فداء لحمل مادوكس وأصدقائه على التحرك لكي يتسنى لها إطلاق صواريخها النووية”.

هزت كاييت رأسها، وقالت: “هذا جنون”.

“حقاً؟ هل ترين فرق سوات التابعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي وهي تهبط على نادي كاستر هيل؟”

“كلا، ولكن... ربما كانوا ينتظرون الوقت المناسب”.

“إذا كان ذلك صحيحاً، ربما تكون هذه الفرق قد انتظرت وقتاً طويلاً جداً”. وذكرت بالقول: “كان هاري في نادي كاستر هيل صباح يوم السبت. وحصل اجتماع مادوكس مع أصدقائه يومي السبت والأحد. وظهر بوتيوف صباح يوم الأحد لإجراء كشف على القنابل النووية. وحطت طائرتا مادوكس على الساحل الغربي مساء يوم الأحد. وعلى الأرجح أن شحن هذه القنابل إلى الأراضي الصحراوية قد بدأ يوم الاثنين. واليوم هو الثلاثاء، وقد أنهت شركة بوتسدام ديزل الكشف على المولدات الكهربائية”. وختمت تحليلي قائلاً: “وفي مرحلة ما من هذه الليلة أو يوم غد، ستدق ساعة التفجير”.

امتنعت كاييت عن الرد.

ذكرتها قائلاً: “كما أن مادوكس لا يعمل وحده. فلم يكن من قبيل المصادفة أن تتضمن مجموعة الضيوف الذين نزلوا عنده يوم عطلة نهاية الأسبوع شخصيتين، وربما ثلاث شخصيات، تحتل مناصب رفيعة في الحكومة”. وأضافت، “اللجنة، وبناء على ما لدينا من معلومات، فإن مدراء مكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة الاستخبارات المركزية يشاركون في هذا المخطط”. وأضافت، “ربما تتضمن المشاركة مستويات أعلى من ذلك”.

فكرت في الأمر لبضع ثوان، ثم قالت: “حسناً،... لكن هل يهم في هذه المرحلة معرفة الأشخاص الآخرين الذين يعملون مع مادوكس، أو الأشخاص الذين يعرفون بهذا الأمر؟ النقطة هي أنه إذا كان ما تقوله صحيحاً، أكون قد قمت بالعمل الصائب عبر الاتصال بالمكتب الميداني التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالي في لوس أنجلوس”.

“أنا أفترض بأنك لم تخبري صديقك عن مادوكس، أو إلف، أو المكان الذي تتصلين منه، أو...”

“كلا لأنني أردت أن أكلمك أولاً”. وسألتني، “ماذا لو كنت مخطئة في هذا الأمر؟ أعني، إذا فكرت في الأمر، ربما ستجد تفسيراً آخر لكل شيء”.

“يا كايت، أنت لست مخطئة. إننا لسنا مخطئين. وهاري لم يكن مخطئاً. فالأمر في غاية الوضوح. مادوكس، ونووي، وإلف. هذا بالإضافة إلى بوتيوف”.

“أنا أعرف ذلك. حسناً، إذن، يتعين علينا الآن الاتصال بتوم والش والطلب منه أن يقوم بإبلاغ مقرّ مكتب التحقيقات الفيدرالي بطريقة رسمية عن مصدر هذه المعلومات، أي أنا وأنت، وعن الأدلة التي استندنا إليها..”

“أجل”. نظرت إلى ساعتني مجدداً ووجدت أنها 6:10 من بعد الظهر. قلت: “قومي أنت بذلك. وفي هذه الأثناء لدي دعوة لتناول العشاء”.

نهضت، وقالت: “كلا. لا يوجد سبب يدعوك إلى الذهاب إلى هناك”.

“يا عزيزتي، إن مادوكس منكبّ على تهيئة جهاز إرسال الموجات إلف، وهو ينتظر ورود رسالة ما تفيد بأن حقائبه الأربع وصلت إلى الأماكن التي حددها. وبعد ذلك ستنتقل موجة إلف لتعبر القارة ببطء، والمحيط الهادئ - أو تعبر طريقاً أخرى فوق الأطلسي - إلى أن تلتقطها أجهزة استقبال الموجات إلف الموجودة في تلك الحقائب”. وأضفت، “سيموت الملايين من الناس، وسترتفع سحابة مشعة في سماء الكوكب. وأقل ما يمكنني فعله هو محاولة وقف العملية من مصدرها”.

فكرت في الأمر، ثم قالت: “أنا ذاهبة معك”.

“كلا. ستقومين بالاتصال بالخيالة، وحملهم على المجيء إلى نادي كاستر هيل - بدون مذكرة تفتيش لعينة أو أي سبب آخر أو أية تهاة أخرى - بإبلاغهم خبراً صادقاً مفاده أن عميلاً فيدرالياً موجود في أرض النادي وأن حياته في خطر”.

“كلا”.

“اتصلي بوالش، واتصلي بشافير، واتصلي بالشريف المحلي، إذا احتجت إلى ذلك، واتصلي بليام غريفيث وأخبريه بالمكان الذي يمكن أن يجد جون كوري فيه”. وأضفت، “ولكن امنحني ثلاثين دقيقة للوصول إلى المكان أولاً”.

لم أسمع منها أي ردّ.

مشيت نحو طاولة المطبخ، وقمت بتعبئة مخزني الغلوك بطلقات من عيار 9 ملم، ووضعت قاذفي الإشارات المضئية في جيب سترتي إلى جانب قلمي، وأخيراً، لبست جواربي الجديدة، التي لم تعد مهمة بعد الآن. ولم أجد سبباً لاستخدام البوق الهوائي، ولكنني أخذته على أية حال تحسباً لتعطل بوق مركبة رودي المقلقة.

وفيما كنت أقوم بذلك، كانت كايت تضغط على مفاتيح الحاسوب المحمول، وسألتها، “ماذا تفعلين؟”

“أنا أرسل رسالة إلكترونية إلى توم والش، أطلب منه فيها الاتصال بدو في لوس أنجلوس، وأكشف فيها عن كوني مصدر المعلومات”.

أجبتها، “لا ترسليها إلى أن تسمعي خبراً مني”. وأضفت، “أمل بأن يتحقق والش من بريده الإلكتروني هذه الليلة”.
“إنه يقوم بذلك في العادة”.

وحول هذا الموضوع، لا يزال يستخدم مكتب التحقيقات الفيدرالي بريداً إلكترونياً “داخلياً” مؤمناً فقط، وهو لا يستطيع الوصول إلى أي شخص في المكتب أو إرسال نسخة إليه، مثل العميل المناوب بعد انتهاء الدوام. ولذلك، سترسل البريد الإلكتروني إلى الحساب الشخصي لوالش والذي تأمل بأنه يراجع بانتظام. وها قد مضت سنة على أحداث 11 سبتمبر/أيلول.

قلت لها: “حسناً، سأصل بك مستخدماً هاتفني الخليوي عندما أصبح قريباً من نادي كاستر هيل”.

“انتظر. حسناً، سأرسل الرسالة إلى الخدمة بغرض تأخيرها لغاية الساعة السابعة من بعد الظهر”. فصلت التيار عن الحاسوب المحمول، ووضعت على طاولة المطبخ، ولبست سترتها المصنوعة من جلد الشاموا، وسألتني من سيقود السيارة؟”

أجبتها، “بما أنني الشخص الوحيد الذي سيذهب، أعتقد أنني سأقودها”.

وضعت علبة الطلقات من عيار 0.40 في حقيبتها إضافة إلى مخزنين، ثم حملت الحاسوب المحمول ومشيت نحو الباب. أمسكت بذراعها وسألتها، “إلى أين تعتقدين أنكِ ذاهبة؟”

ذكرتني قائلة: “أنت من قال إن مادوكس وجّه دعوة خاصة لي يا عزيزي. وأنت أردت مني الذهاب. ولذلك أنا ذاهبة”.

قلت لها: “إن الوضع قد تغير”.

قالت كايت: “لقد تغير بالتأكيد. وقد قمتُ بكل ما يمكنني القيام به هنا”. وذكرتني قائلة: “أنت وضعتني تحت ضغط شديد هنا مدة يومين. والآن، أريد أن أقوم ببعض الأعمال الميدانية. وأنت تضيع وقتي”. ابتعدت عني وفتحت الباب، ومشيت نحو الخارج. أما أنا فلحقت بها.

كان الظلام قد حلّ الآن، وأصبح الجوّ بارداً. وفيما كنا نمشي نحو المركبة المقلّعة، قلت لكاييت: “أنا أقدر شعورك بالقلق على مصيري، ولكن...”

“لأمر علاقة بي أكثر مما له علاقة بك. أريد بعض التغيير”.

“فهمت”.

“أنا لا أعمل معك، ولكنك تعمل معي”.

“حسناً، من الناحية التقنية، ...”

“أنت من سيقود السيارة”.

ركبتُ في المقعد الجانبي في المركبة، وركبت في مقعد السائق، ثم انطلقنا.

استدرت بالمركبة، وتوجهت نحو المنزل الرئيسي.

قالت كايت: “كما أنني قلقة عليك”.

“شكراً لك”.

“أنت بحاجة إلى مراقبة”.

“لست أدري...”

“توقف هنا”.

توقفت عند منزل ويلما ونيد، وقالت كايت: “خذ هذا الحاسوب المحمول إلى ويلما”. وأضافت، “لا يزال أمامها عشر دقائق قبل أن يقفل مزادها”.

لم تكن لدي فكرة عما عنته بقولها، ولكن بدا أنه هام، ولذلك أخذت الحاسوب المحمول، ونزلت من السيارة، وقرعت الجرس.

فُتح الباب، فوجدت ويلما أمامي. بدت شبيهة بويلما، ولم أرغب في الدخول معها في لعبة مصارعة من أجل حاسوب محمول.

نظرت إليّ، ثم نظرت إلى المركبة المقفلة، ورأت كايت. قالت لي: “لا أريد مشكلات هنا”.

“ولا أنا. حسناً، هذا هو حاسوبك المحمول. أشكرك”.

“ماذا عليّ أن أقول إذا جاء زوجها للبحث عنها؟”

“قولي الحقيقة”. وقلت لها أيضاً: “أريد أن أطلب خدمة. إذا لم نعد بحلول الصباح، اتصلني بالرائد هانك شافير في مقرّ شرطة الولاية في راي بروك. شافير، هل سمعتي؟ قولي له بأن جون ترك بعض الحاجيات له في منزل البوند”. وأضافت، “أتمنى لك حظاً سعيداً في المزاد”.

نظرت إلى ساعتها، وقالت: “يا إلهي”. وأغلقت الباب.

عدت إلى المركبة، وانطلقنا.

كانت كايت تملأ المخزنين وقالت: “هذه المركبة مريعة”.

“أعتقد ذلك؟” أوجزت لها ما دار من حديث بيني وبين ويلما، وأجابت كايت، “سنعود قبل الصباح”.

كان ذلك توقعاً متفائلاً.

كانت ساعة السيارة تشير إلى أنها 3:10، مما يعني أنها لم تكن تعمل بشكل صحيح. أما ساعة يدي فكانت تشير إلى أنها 6:26، وكنا متأخرين حسب العادة في حضور حفلة الكوكتيل.

شعرت بأنه في مكان ما، في موضع ما، كانت توجد ساعة أخرى تدق.

الفصل 46

سألتُ كايت فيما كنت أقود السيارة “ماذا كتبتِ في الرسالة الإلكترونية لوالش؟”
“سبق أن أخبرتكِ.”

“أمل بأنكِ لم تذكري أننا في طريقنا إلى نادي كاستر هيل من أجل حضور حفلة كوكتيل وتناول العشاء.”
“لقد قمت بذلك.”

“ما كان من المفترض أن تقومي بذلك. والآن، ربما سيعترضنا مطار دونا؛ أو ربما سبقونا.”

“كلا، لن يتمكنوا من فعل ذلك. فقد أخبرتكِ أنني أرسلت البريد الإلكتروني إلى خدمة ستقوم بإرسالها في وقت لاحق. إرسال متأخر، عند الساعة السابعة مساءً.”
“لم يسبق أن سمعت بذلك.”
“لقد أنشئت خصيصاً لأوضاع مثل هذه، ولأشخاص مثلكِ.”
“حقاً؟ هذا أمر لطيف.”

قالت كايت: “أنت تريد أن تكون داخل نادي الصيد في كاستر هيل حتى قبل أن يعرف الآخرون بأنكِ هناك. ويجلول الوقت الذي يقرأ فيه توم والش رسالتي، نكون قد وصلنا، على أمل أن نحل بعض القضايا هناك. أليس ذلك صحيحاً؟”
“بلى.”

“وسنكون بطلين.”

“أجل.”

“أو ميئين.”

“لا تبدئي الآن بالتفكير بطريقة سلبية.”

“هل تريد الانعطاف بالسيارة الآن؟”

نظرت من خلال حاجب الريح وسألتها، “لماذا؟ هل تجاوزت المنعطف الصحيح؟”

“يا جون، ألا تعتقد بأنه ربما حان الوقت لكي تعود إلى رشدي؟”

“كلا، هذا ليس الوقت المناسب لذلك.” وسألتها، “هل أتيتِ معي لإزعاجي أم لمساعدتي؟”

“أنا ذاهبة معكِ لكي أساعدكِ.” وأضافت، “ولكنكِ إن توجهتِ إلى مقرّ شرطة الولاية، سأقول بأنكِ في غاية الذكاء.”

“كلا، سنقولين إنني جبان، ورعديد، ومخنث.”

“لا أحد سيطلق عليك هذه الأوصاف. ولكن في بعض الأحيان، كما هو الحال الآن، الرأي قبل شجاعة الشجعان.”

“بعض المخنثين اخترعوا تلك العبارة. انظري، أنا لست غيبياً. ولكن المسألة شخصية يا كايت. فالأمر يتعلق بهاري. كما أن هناك عنصر الزمن”. وشرحت ما عنيته قائلاً: “إن محطة إرسال الموجات إلف تعمل، أو أنها ستعمل، ولست أدري إن كان في مقدور أحد يعمل في وكالة لتطبيق القانون وتلقى دعوة الوصول إلى أرض كاستر هيل أسرع مني”.

“قد يكون كلامك صحيحاً وقد لا يكون.”

“الأمر الصحيح هو أنني أريد قطعة من هذا الوغد قبل أن يصل إليه أي شخص آخر.”

“أنا أعرف ذلك”. وسألنتي، “هل أنت على استعداد للمخاطرة باحتمال وقوع حادثة نووية من أجل الأخذ بتأرك الشخصي؟”

“هاي، أنت من أرسل ذلك البريد الإلكتروني بنية تأخيره”.

قالت: “يمكنني الاتصال بالرائد شافير، وليام غريفيث حالياً”.

“سنقوم بذلك قبيل وصولنا إلى نادي كاستر هيل”. وأضفت، “أما الآن، علينا أن نصل إلى هناك بدون إعاقة”.

لم تعلق على جملي الأخيرة، ولكنها سألتني، “هل تعتقد بأن مادوكس سيقوم بإرسال إشارة إلف تلك هذه الليلة؟”

“لست أدري. ولكن علينا الافتراض بأن لدعوتنا لمأدبة العشاء علاقة بجدوله الزمني”. وقلت: “شغلي المذيع لعننا نسمع تقريراً إخبارياً مفاجئاً عن وقوع انفجارات نووية. في حال سمعنا مثل هذا التقرير، يمكننا أن نخفف سرعتنا بدون أن نقلق من احتمال وصولنا متأخرين”.

قامت كايت بتشغيل المذيع، ولكننا لم نسمع خبراً غير عادي. قالت: “خطتك لم تتجح”.

“ربما أدت موجات إلف إلى وقف عمل الإشارات المضمّنة سعويّاً أو تردّدياً. جرّبي قناة إلف”.

“هذه ليست دعابة”.

كنت أسير على الطريق 56 متوجّهاً نحو ساوث كولتون، فأخرجت مفاتيح سيارة الهيونداي من جيبي ووضعتها في يدها، وقلت: “سأتوقف عند محطة رودي، وستركبين الهيونداي وتتوجهين بها إلى مقرّ شرطة الولاية”.

فتحت النافذة، ورمت المفاتيح منها.

“سيكلّفني ذلك خمسين دولاراً”.

قالت: “حسناً يا جون، سنكون هناك في غضون عشرين دقيقة تقريباً. دعنا ننتهز هذه الفرصة لمناقشة ما نتوقع حدوثه، وما نحن بحاجة إلى قوله وفعله. كما ينبغي أن نناقش بعض الخطط الطارئة، وتحديد الأهداف.”

“هل تعنين خطة للعبة؟”

“أجل عنيت إعداد خطة للعبة.”

“حسناً، أعتقد بأننا سنلعبها بطريقة مرتجلة.”

“أنا لا أعتقد ذلك.”

“حسناً، أولاً، لا تسمحي لهم بإجراء مسح للمعادن. ومن باب أولى ألاّ نسمح لهم بتفتيشنا.”

“لا حاجة إلى قول ذلك.”

“أعني، أشك في أنه سيحاول القيام بذلك ما لم يكن يتوقف عن الزعم بأننا ضيوفه على مائدة العشاء.”

سألتني كايث، “وماذا لو حصل ذلك؟”

“حسناً، إذا طلبوا منا تسليم مسدساتنا، عندها سنشهر عليهم مسدساتنا وشاراتنا.”

“وماذا لو كان يوجد عشرة منهم والبنادق في أيديهم؟”

“عندها، نتحوّل إلى نمط العملاء الفيدراليين ونقول لهم إنهم معتقلون. ينبغي ألاّ ننسى إخبار مادوكس بأن أفراد الشرطة التابعين للقسم باء في شرطة ولاية نيويورك يعرفون أننا هنا. هذه هي ورقتنا الراجعة.”

“أنا أعرف ذلك. لكن في الواقع، لا نعرف بعد إلى أين سنذهب.” وسألتني، “وماذا لو أظهر مادوكس عدم مبالاته بمن يعرف بمكاننا؟ وماذا لو وجدنا هاتك شافير وهو يعدّ الطعام في المطبخ، والشريف وهو يقدم المشروبات؟ وماذا لو...؟”

“لا تجعلي مادوكس بطول ثلاثة أمتار. إنه رجل ذكي، وغني، وقوي، وديم الرحمة. ولكنه ليس سوبرمان يا عزيزتي.” وأضفت، “أنا سوبرمان.”

“حسناً يا سوبرمان، ما هي النواحي الأخرى التي ينبغي علينا التفكير فيها للمحافظة على حياتنا وصحتنا؟”

نصحتها قائلاً: “لا تطلبي دايكويري متلجة أو أي شيء يمكن أن يُدسّ المخدر فيه. اشربي من نوع الشراب الذي يشربه. والأمر نفسه ينطبق على الطعام. كوني حذرة. وتذكري أبناء عائلة بورغياس.”

“أنت من عليه أن يتذكر أبناء عائلة بورغياس. وأنا أقسم بأنك ستأكل التشيلي والهوت دوغ، حتى وإن كنت تعرف أنها مسمومة.”

“يا لها من مناقشة.” وأكملت موجزي قائلاً: “حسناً، علينا أن ندرس طريقة تصرفاتنا. فهذه مناسبة اجتماعية تتداخل مع أعمال التحقيق الفيدرالي المزعجة.

ولذلك، تصرفني بناء على ذلك”.

“وماذا تعني بذلك؟”

“أعني أن تتوصلي إلى التركيبة الصحيحة من التحلي بالأدب، والحزم. مادوكس يحب الشراب الإسكتلندي الذي لديه. حاولي أن تقيسي مدى تأثير الخمر في عقله. فإذا كان لا يشرب كثيراً، عليك أن تعبري ذلك إشارة إلى قرب الوقوع في مشكلة”.

“فهمت”.

ناقشنا القليل من المسائل الدقيقة المتعلقة بأدب السلوك والتي ربما لم نتعرض لها إميلي بوست.

بعد أن فرغنا من صف آداب السلوك، عادت كايت إلى مدرسة البقاء، وقالت: “أخبرني عن قاذف الإشارات المضيئة”.

“هاي إنها رائعة”. أعطيتها قاذفاً، وأرشدتها إلى كيفية تلقيه وإطلاق الأسهم منه، وربما استخدامه كملاذ أخير في حال تم تجريدنا من أسلحتنا. قلت: “ربما لن يُكتشف أثناء تفتيش الملابس لأنه يشبه المصباح الصغير”.

درسنا بعض السيناريوهات المحتملة، وبعض الخطط الطارئة، وبعض الخطط البديلة.

قلت لكايت: “خطتي الأصلية - والتي لا زلت مؤمناً بها - تقضي باقتحام المكان عبر نقطة معينة من السياج، وتعطيل عمود أو أكثر من أعمدة الهوائي، و/أو تعطيل المولدات الكهربائية”.

لم تعلق على هذه الخطة.

قلت: “هذا حل مباشر لمشكلة موجات إلف”. وأضفت، “وهذه هي الحلقة الأضعف في خطة مادوكس لتفجير تلك القنابل النووية. أليس كذلك؟”

“ماذا لو لم تكن حقائب نووية؟ وماذا لو لم تكن هناك محطة إلف؟”

“عندها، نعتذر على ما تسببنا به من أضرار، ونعرض دفع ثمن الأعمدة والمولدات الكهربائية”.

أردت أن أفسح لها المجال لكي تستوعب الخطة ونحن في الطريق، ولكن كايت بدت غير متجاوبة، ولذلك أخرجت خريطة أرض نادي كاستر هيل، وأعطيتها إياها.

نظرت إلى الخريطة، وسألنتني، “من أين حصلت على هذه؟”

“هاري أعطاني إياها”.

“هل أخذت هذه من المشرحة؟”

“لم يكن قد تم تسجيلها ضمن الأدوات التي عُثر عليها...”

“هل أخذت دليلاً؟”

“توقفي عن قول تقاهات مكتب التحقيقات الفيدرالي. لقد استعرتها”. وأضفت، “هذا ما يحصل دائماً”. وأضفت، “يوجد طريق قديم لنقل الأخشاب في الجهة الشرقية من الأرض، وتخرق السياج وتتجاوزه، وعلى مسافة مئة متر نصل إلى الطريق الكفافية التي تصل بين الأعمدة الهاتفية. هل يمكنك أن تري الطريق؟”
لم تكن تنظر إلى الخريطة، بل كانت تنظر إليّ.

أضفت، “إذن، سنسير على هذه الطريق، ونصطدم بأحد هذه الأعمدة الهاتفية. سيسقط العمود على الأرض، وستقطع الأسلاك، وتتوقف محطة إلف عن البث. ما رأيك؟”

قالت: “حسناً، إلى جانب أنها خطة مجنونة، أنا لا أعتقد بأن هذه المركبة يمكن أن تقتلع أحد هذه الأعمدة من قاعدته الصخرية”.

“بل ستقتلعه بالتأكيد. ولهذا السبب قمت باستعارتها”.

“يا جون، لقد ترعرعتُ في مينيسوتا الريفية. ورأيت مركبات مقفلة وحتى شاحنات صغيرة تصطدم بالأعمدة الخدمية، وكانت الأعمدة تفوز في العادة”.

“حقاً؟ من الصعب تصديق ذلك”.

“حتى وإن سقط العمود، ستبقى الأسلاك عالقة، وسينكئ العمود عليها”.

“لا بدّ وأنتك تمزحين؟ كان من الأخرى أن أتحدث إليك قبل أن أشعر بالإثارة بسبب هذه الخطة”.

“وفي حال انقطع أحد الأسلاك وسقط على المركبة، فسنصبح قطعيتين من الخبز المحمص”.

“هذا صحيح. إنها فكرة سيئة”. وأضفت، “حسناً، إذا نظرتِ إلى الخريطة، سترين مبنى المولدات الكهربائية. إنه هناك”.

“انتبه إلى الطريق”.

“حسناً، هذا يمثل تحدياً لأن المبنى مصنوع من الحجر، وهو مزود بأبواب ومصاريع فولاذية. ولكن الحلقة الضعيفة هي المداخل..”

“أليس ذلك مذكوراً في قصة الحيوانات المقرفة الصغيرة الثلاثة؟”

“أجل. ولكننا لن نقوم بإسقاط المداخل. وبدلاً من ذلك، سنصعد إلى السقف انطلاقاً من سقف المركبة، ثم نضع سترتين في فتحات هذه المداخل، وستتوقف المولدات عن العمل”.

“أرى ثلاث مداخل وسترتين”.

“يوجد لحاف في مؤخرة المركبة، إضافة إلى ملابس قديمة تكفي لسدّ ستّ مداخل إضافية”. سألتها، “ما هو رأيك؟”

“حسناً، من الناحية التقنية، تبدو الخطة صالحة للتنفيذ. لكن هل أخذت في الحسبان وجود ما بين عشرة وعشرين من الحراس بما لديهم من مركبات وأسلحة؟”

“أجل. ولهذا السبب اشتريت ذخائر إضافية”.

“لنفترض أن الخطة نجحت أو أنها لم تنجح، هل سنقترب من الباب الرئيسي لحضور مأدبة العشاء؟”

“هذا يعتمد على نتائج تبادل إطلاق النار مع الحراس. وسنلعب تلك اللعبة بطريقة مرتجلة”.

“يبدو أنها خطة. دلني على طريق قطع الأخشاب”.

أعتقد بأنها كانت تهزأ بي. هناك حسنات وهناك عيوب عندما تكون شريكك امرأة. فالنساء يملن إلى اتباع الطرق العملية والتحلي بالحذر، بينما يميل الرجال إلى اتباع الطرق الغيبية والمتهورة، وهو ما قد يفسر زيادة عدد النساء على الرجال في العالم.

قلت: “حسناً، كانت مجرد فكرة”. وأضفت، “وقد خطرت ببالي قبل أن نتلقى دعوة لحضور مأدبة العشاء”.

قالت كابت: “لا أعرف كيف تمكنت من العيش طوال هذه المدة لكي تسنح لي فرصة الالتقاء بك”. وأضفت، “أمل بأن يحل التطور والانتقاء الطبيعي مشكلة الأشخاص الذين من أمثالك”.

امتنعت بالتأكيد عن الرد على ذلك.

أضفت، “ولكنك أثرت نقطة هامة، وهي النظام إلف. الحلقة الأضعف في محطة إلف ليست في الأعمدة أو الأسلاك، أو المولدات، بل في جهاز الإرسال نفسه”.

“هذا صحيح”.

“أنا أفترض بأن جهاز الإرسال موجود في نادي الصيد نفسه”.

أجبتها، “على الأرجح أنه موجود فيه، لأنه سيكون أكثر أمناً هناك، كما سيكون بعيداً عن الأنظار”.

“هذا صحيح. ربما يكون في الطابق السفلي، أي في الملجأ النووي”.

أومأت برأسي، وقلت: “ربما”.

“إذاً، إذا كنت تريد قطع بث محطة إلف، فهذا هو مكان القيام بذلك”.

“بالتأكيد”. وأضفت، “اطلبي السماح لك بالذهاب إلى حمام السيدات - يدرك مادوكس بأن ذلك سيستغرق ما بين خمس عشرة وعشرين دقيقة - وابحثي عن جهاز الإرسال، وحطميته”.

“حسناً. ويمكنك تأمين الغطاء لي عبر إبقاء قاذف الإشارات المضئية في جيبيك وإطلاق الأسهم منه”.

بدأت السيدة مايفيلد في مزاج مرح على غير العادة هذا المساء. لا بدّ وأن هذه هي طريقته في التعامل مع الإجهاد.

قلت لها: “كما ذكرت آنفاً، الغاية الحقيقية من هذه الزيارة ليست اجتماعية؛ بل وضع باين مادوكس قيد الاعتقال بسبب... أعطيني جريمة فيدرالية تناسب المقام”.

“الخطف. كان عليه أن يخطف هاري قبل الاعتداء عليه”.

“هذا صحيح. الخطف والاعتداء. وستحاكمه الولاية على ارتكابه جريمة القتل”.

“هذا صحيح”.

في الواقع، إذا عمد مادوكس إلى استفزازي بطريقة ما، فلن أحتاج إلى التفكير في المحاكمة. قلت لكايث: “إنه لأمر جيد أنني متزوج من محامية”.

أجابت، “أنت بحاجة إلى محامية متفرّغة يا جون”.

“أجل”.

“كما أنه لكي تلقي القبض على الرجل، أنت بحاجة إلى شيء عدا شكوكك فيه”.

قلت لها: “إذا لم نلقِ القبض عليه الليلة، هل تريد أن تكوني مسؤولة عن وقوع أربعة انفجارات نووية غداً؟ أو هذه الليلة؟”

“كلا، ولكن، إذا وضعنا المسائل القانونية جانباً، لن يكون اعتقاله عملية سهلة في نادي كاستر هيل”. وأضافت، “لا يوجد أحد سوانا في مواجهة عدد كبير منهم”.

“نحن القانون”.

“أنا أعرف ذلك يا جون، ولكن...”

“هل تحملين تلك الورقة الصغيرة لكي تقرئي حقوقه عليه؟”

“أعتقد بأنه بات في إمكاني الآن قراءتها عليه من دون ورقة”.

“هذا جيد. هل لديك أصفاد؟”

“كلا. وماذا عنك؟”

قلت: “ولا أنا. كان ينبغي أن نحضر الشريط اللاصق. وربما لا يزال في حوزة مادوكس القيود التي كبل بها هاري، أو ربما سأكتفي بركله على خصيتيه”.

“تبدو شديد الثقة بنفسك”.

“أنا متحفز جداً”.

“هذا جيد. وبالمناسبة، لمَ تعتقد بأنك ربما تحتاج إلى هذه الإشارات المضئية؟ فنحن نحمل مسدسين وشارتين. أليس كذلك؟”

“حسناً،...”

“حسناً يا جون. أنا سأقف معك، لكن لا تقمنا في شيء نعجز عن الخروج منه”.

ربما أكون قد فعلت ذلك أصلاً، ولكنني قلت: “المهم أن تظلي متنبهة، ويقتطعة، وجاهزة؛ مثل أية عملية اعتقال معقدة. نحن القانون، وهو المجرم”.

كان لديها كلمتان تقولهما لي: “تذكر هاري”.

نظرت إليها، وقلت: “يا كايت، هذا هو السبب الذي يجعلنا نقوم بهذا العمل بمفردنا”. وأضفت، “أريد أن ألقى القبض عليه بنفسني. أنا فقط، وأنت إذا شئت”.

تبادلنا النظرات، وأومات برأسها، وقالت: “تابع القيادة”.

بدت كايت قلقة بعض الشيء بشأن الأمسية، ولكن بدا أيضاً أنها تتطلع قدماً لقضائها. وأنا أعرف هذا الشعور جيداً. نحن لا نعمل على هذه القضية من أجل المال، بل من أجل الإثارة ولحظات مثل هذه.

الواجب، الشرف، البلاد، الخدمة، الحقيقة، العدالة، عناوين جيدة، ولكن في وسعك تطبيقها وأنت جالس خلف مكتبك.

في النهاية، أنت تحمل مسدسك وشارتك وتنزل إلى الميدان من أجل هدف وحيد وهو مواجهة الأشخاص الأشرار، مواجهة العدو. وما من سبب آخر يدعوك لأن تكون في الخطوط الأمامية.

كايت تدرك ذلك، وأنا أيضاً. وفي غضون ساعة تقريباً، سيدرك باين مادوكس ذلك.

الفصل 47

تجاوزنا محطة رودي المعتمة، وواصلنا سيرنا داخل محمية منتزه الولاية. ثم اقتربنا من الطريق ستارك، وشاهدنا شاحنة تابعة لشركة الكهرباء متوقفة في جانب الطريق وكانت مصابيحها تومض، وكنت متأكداً من أنها مركبة المراقبة التابعة لشرطة الولاية. خفت السرعة لكي أتأكد من أنهم رأونا ونحن ننعطف في اتجاه الطريق ستارك.

أثناء سيرنا داخل نفق من الأشجار، قلت لكايث: "حسناً، اتصلي بشرطة الولاية، وأخبريهم بأننا بحاجة إلى التحدث إلى الرائد شافير، وأن الأمر ضروري".
أخرجت كايث هاتفها الخليوي من حقيبتها، وشغلتها، وقالت: "لا يوجد إرسال".
"ماذا تعنين؟ لا يبعد برج الترحيل الذي يملكه مادوس أكثر من ستة كيلومترات".

"لا يوجد إرسال".

قمت بتشغيل هاتفي الخليوي. لم يكن يتوفر إرسال. قلت: "ربما نحتاج إلى الاقتراب أكثر". وسلمتها هاتفي.

انعطفت في اتجاه طريق قطع الأخشاب، وقالت كايث التي كانت لا تزال تمسك هاتفها الخليوي: "لا يوجد إرسال".

"حسناً،... "كنا نقرب من الطريق ماكوين بوند، فقمت بتخفيف سرعة السيارة وإضاءة مصابيحها، على أمل أن أجد مركبة مراقبة، ولكنني لم أجد أحداً عند التقاطع.

انعطفت نحو اليسار قاصداً الطريق ماكوين بوند ونظرت إلى ساعتي. كانت تشير إلى 6:55 مساءً. وبعد بضع دقائق، اقتربنا من أضواء و لافتات التحذير التي تسبق الوصول إلى بوابة نادي كاستر هيل. سألت كايث، "هل يوجد إرسال؟"

"لا يوجد إرسال".

"كيف يمكن حدوث ذلك؟"

أجابت، "لست أدري. ربما يعاني برج مادوكس من مشكلة. أو ربما عمد إلى وقف تشغيله".

"ولماذا يعمد إلى ذلك؟"

"دعني أفكر".

"أجل، إنه مهووس أخرق بالفعل".

"إنه مهووس أخرق ذكي". وسألنتي، "هل تريد الرجوع من حيث أتيت؟"

"كلا. أبقِ الهاتفين في وضعية تشغيل".

“حسناً، ولكن ما من أحد سيتمكن من التقاط إشارتنا هنا ما لم يعد برج ترحيل الموجات الخليوية في كاستر هيل إلى العمل”.

“يمكن أن يكون مجرد انقطاع مؤقت”. ولكنني كنت أشك في ذلك. الآن، وبعد أردت الكشف عن موقعي، أصبحنا في حالة صمت إلكتروني.

خففت سرعة السيارة عند مطبّ السرعة، ثم توقفت عند إشارة التوقف. انزلت البوابة، وكان في مقدوري رؤية حارسي المفضّل في مدخل النادي المضاء بالأنوار الكاشفة. اقترب منا ودستت مسدسي الغلوك في خصري. وقلت لكاييت: “احترسي”.

قالت: “أسأله إن كنت تستطيع استعمال هاتفه الأرضي للاتصال بشرطة الولاية وإخبار أفرادها بأننا في نادي كاستر هيل”.

تجاهلت اقتراحها التهكمي، وراقبت الحارس وهو يقترب منا بخطى بطيئة. قلت لكاييت: “على أية حال، أنا على ثقة من أن سيارة المراقبة شاهدتنا”.

“أنا متأكدة من ذلك يا رودى”.

“يا إلهي. كان ذلك تصرفاً غيبياً مني”.

كان من المحتمل أن تكون غاضبة أو ناقدة، ولكنها أمسكت بيدي، وقالت: “نحن نمرّ جميعاً في لحظات غيبية يا جون. وأنا أتمنى فقط في أنك لم تتعمد اختيار هذه اللحظة للقيام بعمل خاطئ”.

لم أجب، ولكنني وجهت لنفسي صفة ذهنية.

وصل النازي الجديد إلى المركبة، وأنزلت زجاج النافذة. بدا متفاجئاً لرؤيتي في المركبة التي يعرف على الأرجح أنها لرودي. نظر إلى كاييت ثم قال لنا: “السيد مادوكس يتوقع وصولكما”.

“هل أنت واثق من ذلك؟”

لم يجب، ولكنه وقف في مكانه. تولّدت لديّ رغبة في تحطيم وجهه الغبي. لاحظت اسمه على شارته المموهة للمرة الأولى. لقد قام والداه بتسمية ولدهما الصغير لوثر. على الأرجح أنه لم يكن في مقدورهما تهجئة الاسم لوسيفر. سألته، “هل يُتوقع حضور شخص آخر مأدبة العشاء يا لوسيفر؟”

“لوثر. كلا. يتوقع وصولكما فقط”.

قل: “سيدي”.

“سيدي”.

“وسيدتي. دعنا نحاول مرة أخرى”.

أخذ نفساً عميقاً لكي يظهر لي بأنه يحاول السيطرة على أعصابه، ثم قال: “أنت فقط سيدي، وأنت سيدتي”.

“هذا جيد. تدربّ على قول ذلك”.

قال لوثر: "أنت تعرف الطريق، سيدي. أرجو أن تقود سيارتك ببطء وانتباه هذه المرة، سيدي".

"عليك اللعنة". اقتربت من البوابة التي كانت قد فُتحت بالكامل.

سألنتي كايث، "ما الذي عناه بقوله 'هذه المرة'؟"

"أوه إنه واقف هناك مع رفيقه". خففت السرعة لدى وصولي إلى بيت الحراسة ونفختُ في البوق الهوائي من خارج النافذة في وجه الحارس الآخر وهو ما جعله يقفز مسافة تقارب المتر، "لقد حاولوا إلقاء أنفسهم أسفل عجلات سيارتي من بعد ظهر هذا اليوم". وواصلت سيرتي.

"لماذا فعلت ذلك؟ لقد أفزعتني".

قلت: "أنا آسف. يا كايث، كان هذان الوجدان، ورفاقهما الأشخاص الذين أمسكوا بهاري يوم السبت. وعلى حدّ علمي، ساعد واحد أو اثنان منهم في قتله يوم الأحد".
أومأت برأسها.

قلت: "سنرى كل واحد من هؤلاء الأشخاص في المحكمة".

ذكرتني بالقول: "ربما نرى كل واحد منهم في نصف الساعة التالية".

"هذا جيد. سأوفر على دافعي الضرائب بعض المال".

"اهدأ".

لم أجب.

فيما كنا نسير على الطريق المتعرّج، عملت أجهزة استشعار الحركة على إضاءة أعمدة المصابيح. وأسفل أحد هذه الأعمدة، شاهدت ما بدا أنه فرّامة أخشاب على المرج، وهو ما ذكرني بتعبير رجال المافيا عن طريقة التخلص من أعدائهم بواسطة فرّامة الخشب. كنت أضحك دائماً من ذلك، لكن لسبب معين، اكتفيت بالابتسام.

سألنتي كايث، "ما هو الأمر المضحك؟"

"نسيته". والأمر الأقل إثارة للضحك هو أننا لسنا أشجاراً ولا فروعاً ميتة على العشب.

أنت لا تقحم نفسك في العادة في أوضاع مثل هذه بدون مساندة. ولكن يمكن وصف هذا الوضع بأي وصف سوى أنه عادي. ووجه السخرية فيه هو أننا كنا مختبئين من **الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب**، ومن ليام غريفيث، ومكتب التحقيقات الفيدرالي، وشرطة الولاية؛

والآن، أصبحنا نريد من الجميع أن يعرف مكاننا. في الواقع، إن باين مادوكس فقط كان يعرفه.

عندما أُصاب بالهوس، كما هو الحال الآن، أتخيل أن وكالة الاستخبارات المركزية تشارك في العملية. وبالنظر إلى ما تدور حوله القضية، لماذا لا ينبغي الاعتقاد بأنها مشاركة؟

سألنتي كاييت، "ما الذي تُفكر فيه؟"

"أنا أفكر في وكالة الاستخبارات المركزية".

فكرت في الأمر أيضاً، وقالت: "أجل. وهذه القضية أيضاً ينبغي أن تحملهم على التدخل".

"سيتدخلون". لكن من النادر أن تراهم أو تسمع عنهم. ولهذا السبب يُسمون بالعمارة، أو الأشباح، وفي حال رأيتهم أصلاً، تكون تلك النهاية، كما هو الحال عليه الآن تقريباً.

قلت لكاييت: "في الواقع، أرى أن لتيد ناش يدًا في العملية".

نظرت إليّ وسألنتي "تيد ناش؟ يا جون، لقد مات تيد ناش".

"أنا أعرف ذلك، ولكنني أحببت أن تقولي تلك العبارة".

لم ترَ في العبارة دعابة، على العكس مني.

عندما وصلنا إلى مستديرة، كان يوجد وتد علم يرفرف عليه العلم الأميركي والعلم الصغير الذي يعود إلى فرقة الخيالة السابعة، أسفل ضوعين كاشفين.

قلت لكاييت: "العلم الصغير أو الراية تعني أن القائد موجود في الدار".

أجابت، "أنا أعرف ذلك. ألم تلاحظ يوماً رأيتي على عمود السرير؟"

ابتسمت، وأمسكت بيدها. قالت لي: "أنا متخوفة بعض الشيء".

ذكرتها قائلاً: "لسنا لوحدنا. إن القوة والسلطات الكاملة لحكومة الولايات المتحدة تقف خلفنا".

نظرت إلى الخلف، وقالت: "لا أرى أحداً سوانا يا جون".

شعرت بالسعادة لأنها لا تزال تحافظ على روحها المرحية. أمسكت بيدها، وأوقفت المركبة المقللة أسفل البهو، وسألتها، "هل أنت جائعة؟"

"أنا أتضور جوعاً".

نزلنا من السيارة، وصعدنا الدرجات التي تؤدي إلى الشرفة، وقرعت الجرس.

الفصل 48

فتح كارل الباب وقال لنا: "السيد مادوكس في انتظاركما".

أجبتة "مساء الخير يا كارل".

أنا واثق من أنه أراد أن يقول "عليك اللعنة"، ولكنه لم يفعل. رافقتنا كارل حتى الردهة وقال: "سأخذ معطفيكما".

أجابت كايت، "لا نريد خلعهما".

بدا كارل غير مسرور بجوابها، ولكنه قال: "سيتم تقديم شراب الكوكتيل في المشرب. أرجو أن تتبعاني".

تبعنا كارل عبر باب قريب من السلم، ومشينا نحو القسم الخلفي من نادي الصيد. بدا النادي هادئاً، ولم أر، أو أسمع، أو أشعر بأي شيء في الجوار.

كان مسدس الغلوك لا يزال على خصري، ولكنه مغطى بالقميص والسترة. وكان مسدسي من عيار 0.38 الذي أستخدمه خارج دوام العمل في جراب كاحلي. أما كايت، فقد وضعت مسدسها الغلوك في جيب سترتها، وعلى غرار غالبية عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي، إن لم يكن كلهم، لم يكن في حوزتها سلاح ثانٍ؛ باستثناء قاذف الإشارات المضئية في مكان ما في سروالها، فيما علقت قاذف الإشارات المضئية في جيب قميصي كما أعلق المصباح الصغير، ووضعت المخزنين الإضافيين في سترتي، ووضعت كايت مخازنها الأربعة في حقيبتها وسترتها. كنا مسلحين تحسباً لمواجهة دب، أو مواجهة باين.

لم أكن أتوقع القيام بأية أعمال مضحكة ونحن في طريقنا؛ كما أعتقد بأن مادوكس يريد على الأقل أن يقول مرحباً ويقيم الوضع قبل أن يقدم على خطوته.

حول هذا الموضوع، تساءلت إن كان يفضل القيام بخطوة رجولية، مثل مواجهة مسلحة أم يلجأ إلى مقاربة أقل عنفاً، مثل دس المخدر في شرابنا، يلي ذلك رحلة قصيرة عبر فرامة الخشب!

إذا كان مادوكس يريد الدخول في مواجهة مسلحة معنا، فأنا أعتمد على احتمال أنه ليس كافة حراسه قنلة يمكن الوثوق بهم، وهو ما قد يجعلنا نكتفي بالتعامل مع مادوكس وكارل وحارسين أو ثلاثة وحسب.

الاحتمال الأكثر إيجابية وربما غير الواقعي هو أنه لن يدس السم في طعامنا أو يطلق النار علينا في نادي كاستر هيل، وأنه عندما نواجه باين مادوكس بأدلتنا ونلقي القبض عليه، سيدرك بأن اللعبة قد انتهت، ويعترف بأنه قتل العميل الفيدرالي هاري مولر، ثم يدلنا على جهاز إرسال الموجات إلف، وتكون القضية قد انتهت.

نظرت إلى كايت التي بدت هادئة ورابطة الجأش. تبادلنا النظرات، وابتسمت في وجهها وغمزتها.

كما نظرت إلى وجه كارل. في العادة، يمكنك أن تعرف من الوجه ولغة الجسد إن كان الشخص يعرف بأن أمراً غير سارٍ علي وشك الحدوث. ولكنني لم ألاحظ أن كارل كان متوتراً، ولكنه لم يكن مرتاحاً أيضاً.

توقف كارل أمام مجموعة من الأبواب ذات المصراعين. وعلى أحد هذه الأبواب، عُلفت لوحة نحاسية كُتب عليها “المشرب”. قرع الباب، ثم فتحه وقال لنا: “سأدخل بعدكما”.

قلت له: “كلا. بل سندخل بعدك”.

تردد، ثم دخل الغرفة، ومشى نحو اليسار حيث كان السيد باين مادوكس يقف خلف منضدة من خشب الماهو غاني وهو يدخن، وبنصت إلى سماعة الهاتف الذي لاحظت أنه أرضي وليس خليوياً.

في الجانب الآخر من الغرفة المضاءة بالأنوار الخافتة، كانت توجد مدفأة مشتعلة، وإلى اليمين منها مجموعة من الأقمشة المنسدلة التي ربما كانت تغطي نافذة، أو مجموعة من الأبواب ذات المصراعين والتي تؤدي إلى الخارج.

سمعت مادوكس وهو يقول: “حسناً. يوجد لدي زوّار. سأتصل بك لاحقاً”. وأغلق سماعة الهاتف، وابتسم، وقال: “أهلاً بكما، ادخلا”.

ألقيت وكايت نظرة سريعة على المكان، ثم سلطنا مسارين مختلفين حول قطع الأثاث التي تؤدي إلى المشرب. وسمعت صوت الباب وهو يُغلق خلفنا.

أطفاً مادوكس سيجارته وقال لنا: “لم أكن متأكداً من أن الرسالة التي بعث بها كارل إلى ذي بوينت قد وصلتكما، وأملت بأنك لم تنسَ الدعوة”.

وصلت كايت إلى المنضدة. قلت: “كنا متشوقين لحضور هذه الأمسية”.

قالت كايت: “أشكرك على هذه الدعوة”.

تصافحنا، وسأل مادوكس، “ماذا يمكنك أن أقدم لكما؟”

كنت سعيداً لأنه لم يقل “اختر السم الذي تريده”، وسألته، “ماذا تحب أن تشرب؟”

أشار إلى زجاجة على المنضدة وأجاب، “شراب الملت الخاص بي والذي استمتعت بتذوقه البارحة”.

“هذا جيد. سأشربه بدون إضافات”، تحسباً لاحتمال دسّه المخدر في المياه الغازية أو مكعبات الثلج.

قالت كايت: “املاً كوبيين”.

ملاً مادوكس كوبيين من الكريستال بالشراب الاسكتلندي، ثم أعاد ملء كوبه من الزجاجة نفسها، والتي ربما كانت طريقته المؤدبة في إثبات أن الشراب الاسكتلندي

لن يقتلنا.

وفى مادوكس بوعدده، فارتدى الثياب غير الرسمية نفسها التي كان يرتديها في فترة ما بعد ظهر هذا اليوم - فارتدى سترة زرقاء اللون، قميص بولو أبيض اللون، وسروالاً من الجينز - بحيث يمكنني وكايت أن نشعر بالارتياح عندما نلقي القبض عليه.

رفع كوبه وقال: "إنها ليست مناسبة سعيدة، ولكن على أمل أن نعيش أوقاتاً أكثر سعادة".

لامسنا بين أكوابنا وشربنا. ابتلع شرابه فابتلعت شرابي، وابتلعت كايت شرابها.

كان في مقدوري رؤية الغرفة المعتمة عبر مرآة المنضدة، ولاحظت وجود مجموعة أخرى من الأبواب المفتوحة في الجهة البعيدة من الغرفة والتي تؤدي إلى ما يبدو أنه غرفة للعب الورق أو غرفة ألعاب.

كما لاحظت وجود باب صغير خلف المنضدة، إلى اليسار من رفوف المشروبات، على الأرجح أنه يؤدي إلى مخزن أو قبو للشراب الفرنسي. في الواقع، كان يوجد الكثير من الأبواب في هذا المكان، إضافة إلى الستائر المنسدلة خلف أبواب تؤدي إلى الخارج. كما أنني لا أحب الوقوف في مشرب فيما أدير ظهري لغرفة يمكن لرجل خلف المنضدة أن يختفي فيها فجأة. ولذلك، قلت: "لم لا نجلس بالقرب من النار؟"

قال مادوكس: "فكرة جيدة". واستدار حول المنضدة وكذلك فعلت كايت، وتقدمت نحو مجموعة من أربعة مقاعد جلدية بالقرب من المدفأة.

قبل أن يطلب إلينا الجلوس، اخترت وكايت مقعدين متقابلين وتركنا لمادوكس أحد المقاعد التي تواجه المدفأة وبذلك أدار ظهره للأبواب المزدوجة المقفلة. ومن مقعدي، كان في مقدوري رؤية الأبواب المفتوحة التي تؤدي إلى غرف لعب الورق، وكان في مقدور كايت رؤية المنضدة حيث يوجد الباب الصغير.

بعد أن حجزت مقعدي، نهضت، واقتربت من الستائر التي في يمين المدفأة وقلت: "هل تمنع؟" وسحبته. وجدت أن هناك مجموعة من الأبواب الزجاجية التي تؤدي إلى مصطبة مظلمة.

عدت إلى مقعدي، وجلست، وقلت: "إنه منظر رائع".

لم يعلق مادوكس على كلامي.

في الأساس، كانت القواعد كافة مغطاة، وكنت متأكداً من أن باين مادوكس - الضابط السابق في سلاح المشاة - يقدر قلقنا من ميادين القتال.

سألنا مادوكس، "هل ترغبان في خلع سترتيكما؟"

أجابت كايت، "كلا. شكراً. لا زلت أشعر بالبرد".

لم أجب عن سؤاله، ولاحظت أنه لم يخلع سترته، وربما لنفس السبب الذي دعانا إلى عدم خلع سترتينا. لم ألاحظ انتقالاً في ثيابه، ولكنني عرفت أنه وضب شيئاً ما

في مكان ما.

ألقيت نظرة على الغرفة. كانت أقرب إلى طراز نادٍ لرجال الأعمال منها إلى طراز نادٍ للصيد في أديرونديك. كان يوجد على أرضية الغرفة سجادة عجمية من صنع بلاد فارس بدت باهظة الثمن، والكثير من قطع الأثاث المصنوعة من خشب الماهوغاني، والجلد الأخضر، والنحاس المصقول. ولكنني لم ألاحظ حيواناً ميتاً، وأملت بأن تبقى الغرفة على هذه الحال.

قال مادوكس: “هذه الغرفة نسخة مطابقة للغرفة التي في شقتي في نيويورك، والتي هي بدورها نسخة مطابقة لغرفة في نادٍ لندني”.

سألته، “أليس الأمر مريباً بعض الشيء أن يكون لديك عدد من الغرف المتشابهة؟”

ابتسم بأدب، ثم قال: “دعنا ننهي بعض الأعمال”. وقال لي: “لدي قائمة بحرّاسي الذين كانوا مداومين يوم عطلة نهاية الأسبوع، وسأحرص على تقديمها إليك قبل أن ترحل”.

“هذا جيد”. وسألته، “وماذا عن موظفي المنزل؟”

أجاب، “لدي قائمة كاملة بأسماء الموظفين الذين كانوا يعملون في المنزل يوم عطلة نهاية الأسبوع”.

“وماذا عن السجل الأمني والأشرطة الأمنية؟”

أوماً برأسه، وقال: “لقد صنعت نسخاً كاملة لك”.

“هذا رائع”. وهكذا، بقي السؤال الصعب عن ضيوف يوم عطلة نهاية الأسبوع من الأثرياء والمشاهير. سألته، “وماذا عن قائمة ضيوف المنزل؟”

أجاب، “أنا بحاجة إلى التفكير في هذا الأمر”.

“ما هي النواحي التي ترغب في دراستها بالتحديد؟”

قال: “حسناً، من الواضح أن أسماء هؤلاء الأشخاص لا تعني أحداً”. وأضاف، “أعتقد بأن هذا هو سبب إرسال الحكومة للسيد مولر إلى هذا المكان للحصول على هذه الأسماء بطريقة ملتوية. وأنت تريد مني الآن أن أعطيك هذه الأسماء بطريقة طوعية”.

ذكرته بالقول: “هاري مولر توفي، ونحن نحقق الآن في أسباب وفاته. وكنت قد أخبرتني هذا اليوم أنك ستعطينا أسماء هؤلاء الأشخاص”.

“أنا مدرك تماماً لهذا الأمر، ولذلك اتصلت بالمحامي الذي وعدني بردّ هذا المساء”. وأضاف، “إذا طلب مني تقديم الأسماء، فسأقدمها لك هذه الليلة”.

قالت كايت: “وفي حال لم يفعل، يمكننا طلب هذه المعلومات عن طريق القضاء”.

أجاب مادوكس، “ربما تكون تلك أنسب طريقة لكي أعطيكما تلك الأسماء”.
وعلل ذلك قائلاً: “لأن ذلك سيعفيني من الدخول في مشكلة مع ضيوفى”.

في الأساس، أراد من هذا الكلام التافه أن يحملنا على الاعتقاد بأن لديه بعض القضايا الخطيرة التي ينبغي أن يُفكر فيها. وفي هذه الأثناء، كل ما كان يفكر فيه هو إطلاق إشارة إلف إلى بلاد الصحراء، والطريقة الأنسب للتخلص من كوري ومايفيلد.

قال لنا: “أخبرني المحامي بأن الحكومة الفيدرالية لا تملك صلاحية التدخل في قضية جنائية على مستوى الولاية”.

تركت لكاييت معالجة هذا الأمر، فقالت: “كل التهم التي ستصدر عن هذا التحقيق بارتكاب جريمة قتل ستكون موجّهة من قبل ولاية نيويورك. وفي هذه الأثناء، نحن نحقق في اختفاء عميل فيدرالي، واختطافه المحتمل، وهذه جريمة فيدرالية، إضافة إلى اعتداء جرمي محتمل على العميل المتوفى”. وسألت مادوكس، “هل ترغب مني التحدث إلى محاميك؟”

أجاب، “كلا. أنا متأكد من أنه في مقدور حكومة الولايات المتحدة العثور على قانون يلائم أية جريمة هذه الأيام، بما في ذلك مخالفة قانون السير”.

أجابت العميلة الخاصة مايفيلد، “أعتقد بأن الأمر أكثر خطورة من ذلك”.

ترك مادوكس تلك العبارة تمرّ، ولذلك قمت بتغيير الموضوع لإراحة الجميع فقلت: “هذا الشراب الاسكتلندي جيد”.

“شكراً لك. ذكرني بأن أقدم لك زجاجة قبل أن ترحل”. وقال لكاييت: “لا يوجد الكثير من السيدات اللاتي يشربن المالت”.

أجابت، “في المبنى الفيدرالي 26، أصبحت مثل باقي الرجال”.

تبسم في وجهها، وأجاب، “أعتقد بأنهم بحاجة إلى عدسات طبية في المبنى الفيدرالي 26”.

ملاحظة جيدة من باين العجوز، رجل الرجال، ورجل النساء. إنه فائن حقيقي معادٍ للمجتمع. وعلى أية حال، رأى مادوكس أننا فرغنا من العمل، وواصل التودد إلى السيدة مايفيلد، وسألها، “إذاً، كيف حال صفك الذي تتعلمين فيه كيفية الغناء بصوت مرتفع؟”

بدت كاييت مرتبكة بعض الشيء نتيجة للسؤال، ولكنها أوضحت، “إنه صف لتعليم اليوغا”.

“أوه، اعتقدت أنك قلت إنه صف لتعليم الغناء بصوت مرتفع”. ثم ضحك، واعترف لكاييت، “لم يعد سمعي كما كان في السابق”.

نظرت كاييت إليّ، ثم قالت: “كان صفاً جيداً”.

طرح مادوكس على كايت السؤال ، “هل تستمتعين بوقتِك
في فندق ذي بوينت؟”

“إنه في غاية الروعة”.

“أمل بأن تبقي لحضور مأدبة العشاء. لقد وعدت السيد كوري بأننا سنكون أفضل
من هنري”.

أجابت كايت، “خططنا للبقاء وتناول العشاء”.

“هذا جيد. في الواقع، بما أنه لا يوجد أحد هنا، وأن أحداً لن يعرف بأمر دعوتي،
فأنا أدعوك لتمضية ليلتك هنا”.

لم أعرف إن كانت هذه الدعوة تشماني، ولكنني أجبت، “ربما نقبل هذه الدعوة”.

“هذا جيد، فرحلة العودة إلى ذي بوينت طويلة؛
وخصوصاً إذا كنت قد شربت، وهو الأمر الذي لا تكثر
منه”. وتبسّم في وجهي وتوسع في الموضوع قائلاً: “كما
أنك لا تقود المركبة التي يُعرف بأنك تقودها”.

لم أعلّق على هذه الملاحظة.

أضاف مادوكس، “في البارحة، كنت تقود سيارة من طراز توروس، وهذا
الصباح، كنت تقود سيارة هيونداي، والآن أن تقود مركبة رودي المقفلة”.
وسألني، “هل وجدت السيارة التي تعجبك؟”

أنا أكره المتحذلقين سواي، قلت له: “كنت على وشك أن أسألك أن تعيرني سيارة
جيب”.

لم يجب عن ذلك، ولكنه سأل، “لماذا تغيّر سيارتك باستمرار؟”

لكي أربكه بقول الحقيقة، أجبت، “إننا هاربان من وجه العدالة”.

ابتسم.

قالت كايت: “عائنا من مشكلات مع السيارتين اللتين استأجرناهما”.

“حسناً، أنا على ثقة من أنهم كانوا سيعرضون عليكما سيارة أخرى، لكن أحسن
رودي بإعارتكما مركبته المقفلة”. ثم عاد إلى موضوع التحقيق وسألني، “لقد قمتُ
ببعض التحريات، ووجدت أن مكتب الشريف لم يتبلغ خبراً بوقوع جريمة قتل
محتملة”. وأضاف، “لا يزال على اعتقاده بأنها حادثة”.

أجبت، “التحقيق على صعيد فيدرالي وعلى صعيد الولاية، لا على صعيد
محلي”. وسألته، “ماذا تقصد؟”

“أنا لا أقصد شيئاً، وإنما أحببت أن أشير إلى ملاحظة وحسب”.

قلت له: "أعتقد بأنه ينبغي أن تترك النواحي المتعلقة بالصلاحيات للقانون".

لم يجب، كما لم تظهر عليه علامات الانزعاج من مخالفتي لرأيه. من الواضح أنه أراد منا أن نعرف بأن لديه من المعلومات ما يزيد على ما هو بحاجة إلى معرفته؛ بما في ذلك حقيقة أن المحقق كوري والعميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي مايفيلد ليسا على اتصال وثيق بزملائهما، وأنهما أرادا البقاء على هذه الحال عبر تبديل المركبات كل اثنتي عشرة ساعة.

لم أعرف إن كان باين مادوكس متأكداً من ذلك، ولكنه عرف بالتأكيد بأننا لم نجر مكالمة هاتفية خليوية واحدة ضمن شعاع يتراوح ما بين خمسة عشر وخمسة وعشرين كيلومتراً من المكان.

هكذا جلسنا صامتتين قرابة دقيقة - ننظر إلى الحطب المتوهج، والشراب الاسكتلندي، والكريستال الذي يومض تحت تأثير النار - ثم وجه مادوكس سؤاله إلى كايت فقال: "عبّرت عن عميق أسفي إلى السيد كوري، وأودّ أن أفعل الشيء نفسه معك". وسأل، "هل كان السيد مولر صديقاً لك أيضاً؟"

أجابت كايت، "كان زميلاً مقرباً".

"حسناً، أنا أسف بالفعل. وأنا مستاء جداً لأن السيد كوري يعتقد بأن أحد حراسي ربما كان على علاقة بوفاة السيد مولر".

أجابت كايت، "أنا أعتقد ذلك أيضاً". وأضافت، "وحول موضوع الاستياء، يمكنك تخيل مدى استياء أطفال التحريّ مولر بعد أن علموا بأن أباهم لم يمت وحسب، بل وربما قتل". ونظرت إلى مضيفنا.

عاد مادوكس إلى التحديق، ولكنه لم يعلّق بشيء.

أضافت كايت، "وباقى أفراد عائلته، وأصدقائه، وزملائه. عندما تكون الوفاة ناجمة عن جريمة قتل، يتحوّل الحزن إلى غضب بسرعة شديدة". وقالت لمضيفنا: "أنا غاضبة أشدّ الغضب".

أوما مادوكس رأسه ببطء ثم قال: "يمكنني تفهم ذلك". وأضاف، "وأنا أمل من كل قلبي بالأ يكون أحد حراسي متورطاً في ذلك. ولكن إذا تبين صحة هذا الأمر، فأنا أريد أن يُقدّم هذا الشخص إلى المحاكمة".

قالت كايت: "سيُقدّم إلى المحاكمة".

أفسحت المجال أما احتمال آخر فقلت: "ربما يكون أحد موظفي المنزل". وأضفت، "أو أحد ضيوفك".

ذكرني بالقول: "أنت تعتقد بأنه أحد حراسي. والآن، يبدو أنك في رحلة لصيد السمك".

أجبت، "بل في رحلة لصيد الحيوانات".

"لا يهم". وسألني، "هل يمكنك أن تكون أكثر تحديداً في الإشارة إلى السبب الذي يجعلك تفكر في أن أحد الموظفين - أو أحد الضيوف - شارك في ما تعتقد أنه

جريمة قتل؟”

أعتقد بأننا نعرف جميعاً ما عناه باين مادوكس بذلك؛ وبطريقة ما، أعتقد بأنه لم يكن يأبه لذلك.

مع ذلك، فكّرت في أن ذكر بعض المعلومات التي لم يُكشف عنها في هذه القضية ربما تربكه، ولذلك قلت: “حسناً، أولاً، لديّ دليل قوي يثبت أن التحريّ هاري مولر كان في أرضك”.

نظرت إلى مادوكس، ولكنني لم ألاحظ أية ردّة فعل.

واصلت كلامي، فقلت: “ثانياً، نحن نعتقد من خلال الأدلة الجنائية أن التحريّ مولر كان في منزلك”.

وهنا أيضاً لم ألاحظ أية ردّة فعل.

حسناً، إنه أخرق. “ثالثاً، علينا أن نفترض بأن التحريّ مولر احتجز من قبل أحد حراسك. كما أن لدينا دليلاً يثبت أن سيارته المقطورة كانت في الأصل قريبة من أملاكك، ثم نُقلت من مكانها”. وشرحت له كافة هذه الأدلة بالتفصيل. لكن لم تبتدر عنه أية ردّة فعل أيضاً، باستثناء إيماءة، كما لو أنه مهتم بما أقول.

شرحت بعض النواحي لبين مادوكس، فوصفت كيفية ارتكاب الجريمة، والتي شارك فيها اثنان على الأقل؛ شريك قاد السيارة المقطورة للضحية، والآخر قاد سيارة منفصلة قلت له إنها سيارة جيب، أو درّاجة نارية تسير على أربع عجلات، بالاستناد إلى وجود مجموعتين منفصلتين من آثار العجلات، والتي لم نعثر عليها في حقيقة الأمر، ولكنني كنت متأكداً من أنه لا يعرف ذلك على وجه اليقين.

كذبت عندما قلت إن تقرير اختبارات السموم أظهر وجود مخدّرات قوية في دم الضحية، ثم وصفت له كيفية حدوث الجريمة في اعتقادي، وذلك بحقن الضحية بالمخدّر، ثم وضعه على ركبتيه وإبقائه جاثياً بواسطة شريط المنظار، وما إلى ذلك.

أوماً مادوكس برأسه مجدداً كما لو أنه لا يزال مهتماً، ولكنه كان شارداً ذهنياً بعض الشيء. لو توقعت ردّة فعل ما - مثل صدمة، أو عدم تصديق، أو انزعاج، أو دهشة - لكنّ ظنيّ قد خاب.

احتسيت بعضاً من الشراب الاسكتلندي، ونظرت إليه. ساد الهدوء الغرفة باستثناء صوت الحطب المشتعل، ثم قال مادوكس: “أنا مبهور من قدرتك على جمع هذا القدر من الأدلة في هذا الوقت القصير”.

قلت له: “إن الساعات الثماني والأربعين الأولى هي الفترة الحرجة”.

“أجل، هذا ما سمعته”. وسألني، “كيف أشار الدليل الجنائي إلى هذا المنزل؟”

قلت له: “إذا كنت تريد بالفعل معرفة ذلك، عليّ أن أخبرك أنني قمت بجمع ألياف من البُسْط، إضافة إلى شعرات آدمية وحيوانية عندما كنت هنا، ووجدنا أنها متطابقة مع ما وجدناه على جثة التحريّ مولر وثيابه”.

“هل تطابقت فعلاً؟” ونظر إليّ وقال: “لا أذكر أنني منحتك إذن بالقيام بذلك.”
“ولكنك كنت ستفعل ذلك على أية حال.”

لم يعلّق على جوابي وقال لي: “كان ذلك عملاً مخبرياً سريعاً.”
“هذا تحقيق جنائي، والضحية عميل فيدرالي.”

“حسناً، إذًا، ماذا وجدتم بالاستناد إلى هذه الألياف...؟”

أعطيته درساً سريعاً في تحليل الألياف، وقلت: “تطابقت الألياف التي وُجدت على الضحية مع الألياف التي عثرتُ عليها هنا. وعلى الأرجح أن شعرات الكلب تتطابق مع شعرات كلبك، الذي يسمى..”
“فيسر ويليام.”

“لا يهم. كما أن الشعرات الأدمية التي وجدناها على جثة التحريّ مولر، إضافة إلى أية آثار للحمض النووي التي وُجدت على جثة الضحية أو ثيابه ستقودنا إلى القاتل أو القتلة.”

تبادلنا النظرات، ولكنّ عيناه لم ترمشا، ولذلك قلت: “بمساعديك، يمكننا إعداد لائحة بكافة الأشخاص الذين كانوا هنا يوم عطلة نهاية الأسبوع. وبعد ذلك سنأخذ عينات من الحمض النووي منهم، وبعض الألياف من ثيابهم، مثل البزات المموهة التي يلبسها حراسك.” وسألته، “هل تفهمني؟”
أوما برأسه.

“وفي معرض الحديث عن جيشك، ما هو المكان الذي أحضرت منه حراسك، وكيف تمكنت من إحضارهم؟”

أجاب، “إنهم جميعاً عسكريون سابقون.”

“فهمت. إذًا علينا أن نفترض بأنهم جميعاً مدربين على استخدام الأسلحة، ووسائل القوة الأخرى.”

قال لي: “والأهم من ذلك إنهم منضبطون جداً. وكما سيخبرك أي رجل عسكري، أفضل أن يكون لديّ عشرة رجال منضبطون ومدربون تدريباً جيداً على ألف جندي غير مدرب وغير انضباطي.”

“لا تتسّ الولاء، والتحمس لقضية نبيلة.”

أجاب، “بالطبع.”

سألت كايت مضيفنا، “كم كان عدد الحراس المناوبين ذاك المساء؟”

بدا أنه كان يقرأ المعنى الضمني للسؤال، وابتسم قليلاً على طريقة تيسم الكونت دراكولا إذا سأله ضيفه على مائدة العشاء “إذًا، متى تشرق الشمس هنا؟”

أجاب مادوكس، “أعتقد أنه يوجد عشرة رجال مناوبون هذه الليلة.”

سمعنا شخصاً يقرع الباب، فتبين أنه كارل الذي فتحه وهو يجرّ عربة وضعت عليها صينية مغطاة كبيرة. حمل كارل الصينية، ووضعها على طاولة القهوة، ورفع الغطاء عنها. كان يوجد في الصينية الفضية حوالي عشر قطع من السجق الملفوف بالعجين المحمص قليلاً على الطريقة التي أريدها. وفي وسط الصينية كان يوجد وعاءان من الكريستال؛ الأول يحتوي على خردل سميك داكن اللون جاهز للأكل، وكان الثاني يحتوي على خردل رقيق أصفر اللون.

قال لنا مضيفنا: “لديّ اعتراف ينبغي أن أقدمه، لقد اتصلت بهنري، وسألته إن كان أي منكما قد ذكر طعاماً يحبّه، فوالا (كلمة فرنسية)!” وابتسم.

لم يكن الاعتراف الذي أملت بسماعه، وهو عرف ذلك، ولكنه لم يكن اعترافاً سيئاً.

سأل كارل، “هل تريدون شيئاً آخر؟”

أجاب مادوكس، “كلا ولكن...” ونظر إلى ساعته “تأكد من تجهيز طعام العشاء”.

“أجل سيدي” غادر كارل، وقال لنا مادوكس: “لا يوجد طبق دجاجة الأرض هذه الليلة؛ مجرد شرائح بسيطة من لحم البقر وقطع البطاطا”. وسألني، “تناول واحدة من هذه”.

لاحظت كايت وهي ترمقني. من الواضح أنها لم تعتقد بأنه في مقدوري مقاومة قطعة صغيرة من السجق، سواء أكان فيها مخدر أم لا، وكانت محقة في ذلك. كان في مقدوري شمّ عبق العجينة المحمصة والسجق المصنوع من لحم البقر المشبع بالدهون.

غُرس في كل قطعة عود خشبي - لونه أحمر، أو أزرق، أو أصفر - وبالتالي كل ما كان عليّ القيام به هو تخمين اللون الذي يشير إلى القطع الخالية من المخدر. اخترت اللون الأزرق، وهو لوني المفضل، فتناولت قطعة، وغمستها في الخردل الجاهز للأكل.

قالت كايت: “يا جون، ينبغي أن تحافظ على شهيتك من أجل تناول العشاء”.

“سأكتفي من تناول القليل منها”. وضعت القطعة في فمي. كان طعمها رائعاً: حارّة، ومحمّصة، وغنية بالخردل.

قال مادوكس لكايت: “أرجو أن تخدمي نفسك”.

“كلا شكراً”. رمقتني بعين قلقة وقالت لمادوكس: “تناول شيئاً”.

اختار مادوكس أيضاً قطعة غُرس فيها عود أزرق، ولكنه اختار الخردل الأصفر. وبالتالي ربما اخترت الخردل الخطأ.

في الواقع، شعرت بمزاج جيد فتناولت قطعة أخرى، ولكن بعد غمسها في الخردل الأصفر هذه المرّة، لمجرد التزام جانب الأمان.

مضغ مادوكس طعامه، وابتلعه وقال: "ليس سيئاً". ثم اختار عوداً أحمر وعرض القطعة على كايت وقال: "هل أنت متأكدة أنك لا تريدين تذوق شيء منها؟"

"كلا، شكراً".

أكل مادوكس القطعة بعد أن غمسها هذه المرة في الخردل الجاهز للأكل. ولذلك تناولت قطعة أخرى.

ذكرتني قطع السجق بالكلب قيصر ويليام. تتبّه الكلاب أسياها، وكل شخص آخر، بأن شخصاً ما يقترب؛ وساورني إحساس قوي بأن مادوكس لم يشأ أن نعرف أنا وكايت إن كان يوجد شخص خارج تلك الأبواب. كما أنه إذا كان قيصر ويليام موجوداً هنا، فسأقوم بإطعامه حوالى عشرين قطعة لكي أعرف إن كان سينقلب على ظهره أو ما إذا كان مادوكس سيوقفني. ومن ناحية أخرى، ربما كنت أبالغ في تحليل هذه الدعوة، وهو ما أميل إليه عندما تثار غرائزي الكلبية.

اعتقدت بأنه أن الأوان لزيادة مستوى الإزعاج، ولذلك قلت لمادوكس: "وأنا أيضاً لدي اعتراف أودّ أن أقدمه". وسألته، "هل تعرف شيئاً عن أبناء عائلة بورغياس؟"

أوما برأسه.

"حسناً، بعد أن دعوتنا إلى هنا، حصلنا على تقرير اختبارات السموم المتعلقة بهاري، والذي أظهر مستويات مرتفعة من المخدر في دمه. وشعرت أنا وكايت... حسناً، بالقلق من... أنت تعرف".

نظر مادوكس إليّ، ثم إلى كايت، ثم عاد إلى النظر إليّ وقال: "كلا، أنا لا أعرف شيئاً عن الموضوع". وأضاف بنبرة جافة، "وربما لا أريد أن أعرف".

واصلت كلامي فقلت: "أعتقد بأن ذلك يندرج ضمن فئة ضيوف مآدب العشاء السيئين، ولكن كايت... وأنا أيضاً فيما أعتقد، قلقان من أنه يوجد شخص من موظفيك يمكنه الحصول على مخدرات قوية، ويمكن أن يكون هو نفسه الذي استخدمها مع الضحية المتوفى".

لم يعلق السيد مادوكس على ذلك، ولكنه أشعل سيجارة بدون أن يسأل إن كان يمانع في ذلك أحد.

تبادلت النظرات مع كايت التي بدت أكثر انزعاجاً من باين الذي بدا كما لو أن أحداً أساء إليه.

لكي أجعله يشعر بمزاج أفضل، اخترت قطعة أخرى من السجق - بعود أزرق وخردل أصفر - ووضعتها في فمي، ثم واصلت حديثي "ومن ناحية أخرى، يبدو أنه جرى تخدير التحري مولر بواسطة سهم يُستخدم في تهدئة الحيوانات، وتلا ذلك إعطاؤه حقنتين تحت الجلد لإبقائه تحت تأثير التخدير". نظرت إلى مادوكس، ولكنني لم ألاحظ ردة فعل. وأضفت، "ولذلك، يمكننا استبعاد دس المخدر في الشراب الاسكتلندي، أو في الخردل هذه الليلة".

احتسى مادوكس الشراب الاسكتلندي، وأخذ نفساً من سيجارته، ثم سألني، “هل تلمح إلى أن أحداً هنا يحاول أن... يخدرك؟”

أجبت، “حسناً، أنا أقوم بمجرد عملية استقراء من واقع الأدلة التي بين أيدينا”. أردت أن أحكي نكتة خفيفة للتخفيف من الاحتقان فقلت: “يقول الكثير من الناس إنهم بحاجة إلى تخدير، وربما سيعود عليّ ببعض النفع؛ إذا لم تتبعه طلاقة في الظهر”.

جلس مادوكس بهدوء في مقعده المصنوع من الجلد الأخضر الجميل، ونفخ حلقات دخانية، ثم نظر إلى كايت وأشار إليها قائلاً: “إذا كنتِ تعتقدين بأن هذا ما حصل، فلن نحظى على مأدبة العشاء بالكثير من المرح”.

هذه نقطة جيدة يا باين. أنا معجب فعلاً بهذا الرجل. من المؤسف جداً أنه ينبغي أن يموت، أو إذا كان محظوظاً، فسيمضي بقية حياته في مكان أقل رفاهية من هذا المكان.

قررت كايت أخذ زمام المبادرة فقالت لمادوكس: “أنا مهتمة بكارل”.

نظر مادوكس إليها، ثم قال: “كارل هو أقدم الموظفين لديّ وأكثرهم أهلاً للثقة وصديق أيضاً”.

“ولهذا السبب أنا مهتمة به”.

أجاب مادوكس بحدّة، “هذا يشبه اتهاماً توجهينه إليّ”.

أجابت كايت، “ربما كان يجدر بنا إخبارك بأنه ما من أحد كان موجوداً في النادي يوم عطلة نهاية الأسبوع يعلو على الشبهات. وهذا يشملك أيضاً”.

في هذه اللحظة، كان ينبغي على مادوكس أن يقول لنا بأن ننسى أمر العشاء، ويطلب منا الخروج من بيته. ولكنه لم يكن ليفعل ذلك لأن ما بينه وبيننا من حساب لا يقل عن الحساب الذي بيننا وبينه.

في الواقع، كانت تلك اللحظة التي تجاوزنا فيها العتبة، لنبدأ الآن الانتقال من الحديث عن مشبوه غير معروف إلى الشخص الذي نتحدث إليه، على أمل أن يكون المشبوه قد قال شيئاً يدينه، أو نشرع في إخافته. وفي حال لم يحصل ذلك، عليك أن تعتمد على الأدلة المتوفرة والحدس الجيد. وكل ما كنت بحاجة إليه هو قول شيء مثل، “يا سيد مادوكس، سألقي القبض عليك بتهمة قتل العميل الفيدرالي هاري مولر. أرجو منك أن تأتي معنا”. وبعد ذلك تأخذ الرجل إلى وسط المدينة حيث تضعه قيد الاحتجاز. أو في هذه الحالة، عليّ أن أخذه إلى مقرّ شرطة الولاية، وهو ما سيُسعد الرائد شافير.

حول هذا الموضوع، بدأت أفكر في أن فريق المراقبة التابع لشافير لم يلاحظنا ونحن في طريقنا إلى نادي كاستر هيل، وأنه في حال لاحظنا وبلغ عنا، فلن يفعل الرائد شافير شيئاً حيال ذلك. فما هو السبب الذي يدعوه إلى التحرك؟ والأهم من ذلك، أنني تخيلت توم والش وهو يتناول العشاء أو يشاهد التلفاز بدلاً من قراءة الرسالة الإلكترونية التي أرسلتها كايت إليه. في الواقع، ساورني شعور بأن فرقة

الخيالة لن تصل في وقت قريب، هذا إذا كانت ستصل أصلاً. ولذلك بات الأمر منوطاً بنا لإلقاء القبض عليه.

غير أن هذه القضية تضمنت بعض المشكلات الفريدة، مثل الجيش الخاص الذي يملكه المشبوه، وبعض المشكلات المألوفة، مثل وضعية المشبوه باعتباره ثرياً ونافذاً.

إلى جانب جريمة القتل، كان يوجد بالطبع اشتباه في أن مادوكس متورط في مؤامرة لتفجير الكوكب بالقنابل النووية. وكان ذلك همّي الأول، كما أنه يقع ضمن صلاحياتي وصلاحيات كاييت. ومع أخذ ذلك بعين الاعتبار، أن الأوان للحديث عن التفجيرات النووية، فقلت لبابن مادوكس، "بالحديث عن الضيوف، قدم إلى المكان ضيف يوم الأحد، ومن الواضح أنه لم يغادر المكان بعد. هل سينضم إلينا على مائدة العشاء؟"

وقف مادوكس فجأة، ثم مشى نحو المنضدة. أعدّ لنفسه كأساً صغيرة، وسألني، "لا أعرف عما - أو عمّن - تتحدث عنه."

لم يرق لي وقوفه خلف ظهري، ولذلك وقفت أيضاً، وأشرت إلى كاييت بأن تفعل الشيء نفسه. وفيما كنت أتوجه نحو المنضدة، قلت لمادوكس: "الدكتور ميخائيل بوتيوف". وأضفت، "العالم في الفيزياء النووية".

"آه، مايكل. لقد رحل."

"إلى أين؟"

"لا يوجد لديّ أدنى فكرة. لماذا تسأل؟"

قلت: "إذا لم يكن موجوداً هنا، فهذا يعني أنه مفقود".

"أين فقد؟"

"لم يرجع إلى منزله ولا إلى مكتبه". وأضفت، "من غير المفترض أن يغادر بوتيوف منزله بدون أن يبلغ مكتب التحقيقات الفيدرالي عن المكان الذي ينوي التوجه إليه".

"حقاً؟"

"أعتقد بأنه وقّع على عقد بهذا الخصوص". وسألته، "هل هو أحد أصدقائك؟"

اتكأ مادوكس إلى المنضدة وكوبه في يده، وبدا أنه يفكر بعمق.

سألته، "هل كان ذلك سؤالاً صعباً؟"

ابتسم ثم قال: "كلا. أنا أفكر في الجواب". ونظر إليّ ثم إلى كاييت وقال: "توجد بيني وبين الدكتور بوتيوف علاقة مهنية".

شكّل جوابه مفاجأة لي، ولكنني أعتقد بأن الجميع أدرك أنه أن الأوان لكي نكون صادقين، وصريحين، ومتحسين لمشاعر الآخرين واحتياجاتهم. وبعد ذلك يمكن أن نتعانق ونبكي بكاء جيداً معاً، قبل أن أعقله أو أطلق النار عليه.

سألته، “ما هو نوع هذه العلاقة المهنية؟”

لوح بيده تعبيراً عن الرفض وقال: “يا جون، هل يمكنني أن أناديك باسمك؟”
“بالتأكيد يا باين”.

“هذا جيد. إذن، تسألني عن نوع هذه العلاقة المهنية؟ هل هذا هو السؤال؟ حسناً، كيف يمكنني أن أصفها لك...؟”

اقترحت عليه قائلاً: “ابدأ بنمنمة الأسلحة النووية”.

نظر إليّ، وأوماً برأسه، وقال: “هذه بداية جيدة”.

“حسناً، هل يمكنني أن أقول حقائب نووية؟”

ابتسم، وأوماً برأسه مجدداً.

حسناً، كان ذلك أسهل مما توقعت، وهو ما قد لا يُعتبر إشارة جيدة في الواقع، وأضفت “هناك ضيفان آخران؛ بول دان، مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي، وإدوارد وولفر، نائب وزير الدفاع”.

“ماذا عنهما؟”

“إنهما هنا، أليس كذلك؟”

“كانا هنا”. وأضاف، “يمكنك استنتاج سبب عدم رغبتني في وجود أشخاص يتجسسون عليّ”.

قلت له: “يُسمح لك باستضافة المشاهير والأصدقاء النافذين يوم عطلة نهاية الأسبوع يا باين”.

“شكراً لك. النقطة هي أن اجتماعنا ليس من شأن أحد”.

“لكن في هذه القضية، ربما يكون من شأني”.

“في الواقع، ربما تكون محقاً يا جون”.

“أنا محق. كما أن جايمس هاوكنز، الجنرال في سلاح الجوّ والعضو في هيئة أركان الحرب المشتركة، كان موجوداً هنا. هل هذا صحيح؟”

“هذا صحيح”.

“من هم الأشخاص الآخرون الذين شاركوا في اللقاء؟”

“حوالي عشرة رجال آخرين، ليس لأي منهم أهمية بالنسبة إلى القضية التي بين أيدينا، باستثناء سكوت لاندسايل. إنه ضابط الارتباط في وكالة الاستخبارات المركزية لدى البيت الأبيض”. وأضاف، “هذه معلومة سرّية، ولذلك لا يمكنك إخراجها من الغرفة”.

“حسناً”. لم أكن أعرف هذه المعلومة حينها، ولكن كان سيخيب ظني لو لم يكن لوكالة الاستخبارات المركزية رجل متورّط في... لا يهم. قلت: “سرّك في بنر

معنا يا باين”.

شرح لنا مادوكس حقيقة هؤلاء المدعوين فقال: “هؤلاء الرجال الأربعة يشكّلون مجلسي التنفيذ”.

“أي مجلس تنفيذي؟”

“المجلس التنفيذي لهذا النادي”.

“أجل. إذًا، ما هي المواضيع التي تباحثتم فيها؟”

“المشروع الأخضر وعاصفة النار”.

“أجل، وكيف سارت الأمور؟”

“سارت بشكل جيد”. ونظر إلى ساعته، فنظرت إلى ساعتني. كانت تشير إلى 7:33، وأملت بأن والش يقرأ الآن بريده الشخصي. وأملت أيضاً بأن تصل شرطة الولاية إلى هنا في وقت قريب. ولكنني لم أعتد على ذلك.

قال لنا مادوكس: “حسناً، الآن عليّ أن أطرح بعض الأسئلة عليكم”. وسأل، “هل أنتما لوحدكما هذه الليلة؟”

ضحكتُ على طريقته في الضحك وقلت: “طبعاً”.

قال: “حسناً، ليس للأمر أهمية في هذه اللحظة”.

لم أكن أرغب في سماع ذلك.

سأل مادوكس، “كيف توصلت إلى اكتشاف ذلك؟”

كنتُ سعيداً بأن أكون المجيب فقلت: “لقد كتب لنا هاري مولر ملاحظة على بطاقة جيب سرواله”.

“أوه، ... حسناً، كان ذلك تصرفاً ذكياً”.

قلت له: “عليك اللعنة”.

تجاهل العبارة تماماً، وسألني، “هل سبق أن سمعت بعاصفة النار؟” وأعطاني شرحاً موجزاً عنها فقال: “إنها بروتوكول حكومي فائق الحساسية”.

قلت له: “لكي أكون صادقاً معك يا باين، أنا لا أقرأ المذكرات التي تردنا من واشنطن”. ونظرت إلى كاييت التي كانت واقفة وظهرها إلى المدفأة ويدها في جيب حيث المسدس، وسألتها “كاييت؟ هل سبق أن سمعت بعاصفة النار؟”

“كلا”.

التفتُ إلى مادوكس، وضحكت مجدداً، وقلت: “أعتقد بأننا فوتنا على نفسينا قراءة المذكرة. ماذا جاء فيها؟”

بدا عديم الصبر معي، وسألني، “لا يمكن أن نتحدث عنها مذكرة يا جون” وأضاف، “أعتقد بأنك حصلت على جل ما تحتاج إليه، ولذلك لا تكن بليداً ذهنياً وتتوقع مني أن أجمل لك كافة عناصرها”.

قلت لكأيت: “إنه يصفني بالبليد بعد كل العمل الذي قمنا به”.

سألنا مادوكس، “في الواقع، يبدو أنكما تمكنتما من حل القضية الجنائية، وأنتما أقرب إلى القضية الأخرى مما كنت أعتقد. ولكنكما بحاجة إلى جمع كافة عناصرها معاً”.

“حسناً”. مشيت نحو الأبواب الزجاجية وفتحتها.

كانت ليلة جميلة، والقمر المنير شبه المكتمل فوق رؤوسنا تقريباً، وكان بينير الفسحة التي خلف نادي الصيد.

على مسافة من ذلك، كان في مقدوري رؤية السقف المعدني لمبنى المولدات الكهربائية، والمداخن الثلاث وهي تنفث دخانها في الهواء. كما شاهدت دراجتين ناريتين رباعيتي العجلات وسيارة جيب سوداء تجوب المكان كما لو كانت تحرس المبنى.

سألت مادوكس، “أرى أن محركات الديزل تعمل”.

أجاب، “هذا صحيح. لقد أجريت صيانة لها للتو”.

عدت من الأبواب مزدوجة المصاريح، ومشيت نحو المنضدة التي كان مادوكس لا يزال متكئاً عليها، وقلت: “ستة آلاف كيلواط”.

“أجل. من قال لك ذلك؟ شركة بوتسدام ديزل؟”

لم أجب عن هذا السؤال، وسألته، “أين يوجد جهاز إرسال الموجات إلف؟”

لم ألاحظ أنه تفاجأ بالسؤال وأجاب، “أنا لست مندهشاً كثيراً لأنك اكتشفت بأن هذه التجهيزات تعود لمحطة إلف”. وأضاف، “إنها معروضة لكي يراها الجميع: المولدات الكهربائية، والكابلات، والموقع هنا في جبال أديرونداك...”

“أين يوجد جهاز الإرسال يا باين؟”

“سأريك إياه لاحقاً”.

قلت له: “الآن، صار في إمكاننا قضاء وقت جيد”.

تجاهل تعليقي، ونظر كل منّا إلى عيني الآخر. لم يظهر عليه أنه رجل واقع في مشكلة خطيرة. سألني، “إذاً، هل توصلت إلى أية استنتاجات مذهلة؟” ثم نظر إلى كآيت، وسألها، “كآيت؟ هل جاءت لحظة قول أوريكا؟”

أجابت كايت، “تم نقل أربع حقائب نووية على متن طائرتين تملكهما؛ وقد توجهت الأولى إلى لوس أنجلوس، فيما توجهت الأخرى إلى سان فرانسيسكو.”
“هذا صحيح. وماذا أيضاً؟”

أضافت، “سيقوم جهاز الإرسال إلف لديك بإرسال إشارة لتفجير تلك القنابل بعد أن تصل إلى وجهاتها النهائية.”
“حسناً، انتهت المسألة.”

بدأت أتعب من هذه المناقشة التافهة، ولذلك قلت لمادوكس: “انتهت اللعبة يا صديقي. وأنا ألقى القبض عليك بتهمة قتل العميل الفيدرالي هاري مولر.” وقلت له: “استدر، وضع يديك على المنضدة، وفرّج بين ساقيك.” وقلت: “يا كايت، أمني التغطية لي.” اقتربت من مادوكس الذي لم يفعل ما قلته له.
سمعت كايت تقول: “جون...”

نظرت إلى الورا فرأيت كارل واقفاً عند الباب وهو يصوّب بندقية إلى كايت. وفي الجهة الأخرى من الغرفة، رأيت رجلاً آخر يقف عند الأبواب المفتوحة لغرفة الألعاب حاملاً بندقية أوتوماتيكية من طراز أم 16 مصوّبة نحو. ومشى رجل ثالث عبر الأبواب قادماً من المصطبة، وصوّب بندقية أم 16 نحو.

مع اقتراب الرجلين مني، تبين لي أن الرجل القادم من غرفة الألعاب كان لوثر، وأن الشخص القادم من المصطبة كان الحارس المتمركز في بيت الحراسة والذي فجّرت أذنيه ببوقي الهوائي.

نظرت مجدداً إلى مادوكس، فوجدت أنه يصوّب نحو وجهي مسدساً أوتوماتيكياً حربياً ضخماً من نوع كولت 0.40.

حسناً، لم يكن في مقدوري القول إنني لم أتوقع حدوث ذلك، ولكنه كان لا يزال غير حقيقي بالنسبة إليّ.

وبعد ذلك، قال لنا مادوكس: “كنتما تعرفان أنكما لن تخرجا وأنتما على قيد الحياة.”

الفصل 49

تبادلت وكايت النظرات. لم ألاحظ أنها مرتعبة، بل بدت غاضبة من أمر معيّن. ربما كانت غاضبة منّي.

قال مادوكس: "حسناً، انبطحا على الأرض". وأضاف، في حال كنا لا نعرف، "خطوة خاطئة واحدة وستكونان في عداد الأموات". وأضاف أيضاً، "أنا لا أمزح".

هكذا، انبطحنا على الأرض، وهو الإجراء الصحيح الذي يتبعه رجال الشرطة والحيش في تجريد المعتقلين من أسلحتهم. بدا واضحاً أننا نتعامل مع أشخاص يعرفون كيفية القيام بذلك.

سمعت مادوكس يقول: "أنتِ أولاً يا كايت. الأسلحة، ببطء. وأنت يا جون، أبقى وجهك نحو السجادة، وإياك أن تتنفس".

لم يكن في مقدوري رؤية ما كان يحدث، ولكنني سمعت ما أعتقد بأنه صوت حذاء يركل مسدس الغلوك الذي كان في حوزة كايت بعيداً عنها على السجادة، وقال لها مادوكس: "هل تحملين مسدسك دائماً في جيبك؟"

لم تردّ، وقال مادوكس: "لقد عاد عليك بنفع كبير". ثم سألتها، "هل تحملين أية أسلحة أخرى؟"
"كلا".

"أين يوجد قراب مسدسك؟"

"أسفل ظهري".

وجّه أمراً قائلاً: "خذوا قراب مسدسها، وانتزعوا الساعة التي في يدها، وخذاءها، وجواربها، وسترتها، ثم أجروا مسحاً عليها بالعصا السحرية".

سمعت أصوات هذه الأدوات وهي تنزع عنها ويلقى بها جانباً. ثم قال مادوكس: "فتشنا ثيابها".

ثم سمعت كايت وهي تقول: "أبعدوا أيديكم اللعينة عني".

قال مادوكس لكايت: "هل ترغبين في نزع ثيابك، أم تفتيشها، أم الكشف عليها بواسطة العصا السحرية؟"

لم تجب. ثم سمعت صوت لوتر وهو يقول: "لا يوجد شيء".

قال مادوكس لكايت: "استلقي على ظهرك".

سمعتها وهي تتمدد على ظهرها، وبعد بضع ثوان، كشفت العصا عن شيء وسأل كارل، "ما هذا؟"

أجابت كايت، "هذا حزامي وسحابي اللعين. ما رأيك؟"

قال مادوكس: "انزعي حزامك".

لم أعرف إن كانوا أجروا مسحاً آخر بواسطة العصا السحرية، ولكنني لم أسمع صوتاً، وهذا يعني أنهم لم يكتشفوا وجود قاذف الإشارات المضئية.

قال مادوكس: "قم بعملية تفتيش يدوي يا كارل".

لم أدر أين وضع يديه، ولكنها قالت لكارل: "هل تجد الأمر مسلياً؟"

وبعد بضع ثوانٍ، قال كارل: "لا يوجد شيء".

لا أعرف أين خبأت كاييت قاذف الإشارات، وهذا يعني أنه إما أنه لم يُكتشف أثناء عملية التفتيش أو أنهم وجدوه من غير أن يعرفوا حقيقة ما وجدوا.

قال مادوكس للحارس الآخر: "كبلها يا ديريك".

سمعت صوت الأصفاذ وهي توضع في رجليها وتُقل، ثم قال مادوكس: "والآن جاء دورك يا جون. أنت تعرف الروتين. الأسلحة أولاً".

كنت لا أزال ممدداً ووجهي إلى أسفل، فوضعت يدي أسفل صدري كما لو كنت أمدّ يدي إلى مسدسي، وسحبت قاذف الإشارات المضئية من جيب قميصي، ثم وضعته على السجادة أسفل بطني.

من الواضح أن مادوكس مشي ليقف خلفي بالقرب من قدمي، وقال: "لا تفكر حتى في التصرف كبطل، وإلا فستموت زوجتك". وأضاف، "أجل، أنا أعرف بأنها زوجتك".

"عليك اللعنة". سحبْتُ مسدسي الغلوك من حزامي ووضعته على السجادة.

سألني مادوكس، "هل تحمل سلاحاً آخر؟ لا تكذب يا جون وإلا فسأفرغ رصاصة في ظهرك".

قلت: "قراب الكاحل في الرّجل اليسرى".

رفع أحد الحراس السروال عن رجلي وانتزع القراب ومسدسي الذي من عيار 0.38. وبعد ذلك، خلع رجلان حدائي وجواربي، وسترتي الجلدية وساعتي. قال مادوكس: "أجروا مسحاً بالعصا السحرية".

تقدم رجل، أعتقد بأنه كان لوثر، وأجرى العصا من حولي، ولكنها لم تصدر صوتاً

قال مادوكس: "فَتَّشه بيديك".

ربت أحدهم على رجلي، وأخذ محفظتي، ثم ربت على ظهري. قال لوثر: "لا يوجد شيء".

قلت: "يا باين، كان لوثر يعصر أمعائي".

لم يُسرّ لوثر بهذه العبارة وقال: "أغلق فمك اللعين، سيدي".

قلت: "من المفترض أن تربت لا أن تعصر".

شعرت بضربة قوية بالحذاء على الجانب الأيمن من صدري فيما كان لوثر يصرخ، “أحرق”.

قال مادوكس للوثر: “إياك أن تفعل ذلك بدون إذني”.

بعد أن أخذت نفساً، لم أستطع مقاومة التعبير عن رأيي فقلت: “ليس ذلك الجندي جيد الانضباط يا باين”.

قال مادوكس: “أخرس. في الحقيقة، أنا لا أحب سخريتك”. وصاح قائلاً: “تمدد على ظهرك”.

كنت بحاجة إلى الاستدارة من غير أن يظهر قاذف الإشارات المضيئة الذي وضعته على السجادة أسفل بطني. ولذلك، بدلاً من الاستدارة البسيطة، ادّعت أنني أعاني من الألم من جرّاء الركلة التي أصابت ضلوعي، وقلدت على نحو مقبول ما يفعله حوت جنح على الشاطئ لكي أتلوّى حيث أنا على السجادة، ويصبح القاذف أسفل ظهري.

صار في مقدوري رؤية مادوكس الآن وهو يقف عند قدمي، ورأيت كارل واقفاً بالقرب من كاييت وهو يصوّب بندقيته نحوها.

كان لوثر يقف في جانبي الأيمن، حاملاً العصا السحرية، وكان يربت بها على يده كما لو كانت عصا خشبية يفكر في استخدامها في ضرب رأسي.

كان الحارس الآخر، ديريك، في مكان لا يسمح لي برؤيته حيث كنت ممدداً، ولكنني اعتقدت بأنه مشى ليقف خلف رأسي وهو يصوب بندقية أم 16 نحوي.

الخبر الجيد الوحيد هو أن مادوكس لم يطلق النار لسبب ما.

أحسّ أنني غارق في التفكير، ولذلك قال لي: “إذا كنت تفكر في السبب الذي يدعوني إلى قضاء كل هذا الوقت والمعاناة من هذه المشكلة معكما، فالجواب هو أنني بحاجة إلى الحصول على بعض المعلومات منكما”. وأضاف، “كما أنني لا أريد تلوّث هذه السجادة العجمية بالدم”.

بدا السببان مقتعين.

قال لي مادوكس: “أخلع حزامك”.

قمت بفكّ الإبريم، وسحب الحزام من حلقات سروالي، ورميه جانباً.

قال مادوكس لديرِك: “كبله”، فقال لي ديرِك: “ارفع قدميك”.

رفعت قدمي فكبّلهما ديرِك بالأصفاد. فوجئت بثقل وزنهما، فأنزلت قدمي مما جعل الأصفاد تصدر صوتاً.

سحب لوثر القلم من جيب قميصي، ثم مرّر العصا السحرية عليّ. أطلقت العصا صوتاً بعد أن مرّت فوق سحاب سروالي، ولذلك مرّر العصا فوق سروالي وقال: “لا توجد كرات نحاسية يا حضرة العقيد”.

ضحك الجميع ضحكة خافتة باستثنائي وكاييت.

بدا لي أن في إمكاني إغضاب كل من في هذه الغرفة - بمن فيهم كايت - وأنه بالرغم من تصرفهم بطريقة محترفة لغاية الآن، فقد تتخذ المسألة طابعاً شخصياً بسرعة. ولذلك، وجدت أنه يجدر بي، من أجل سلامة كايت، أن أبقى فمي مغلقاً.

نظرت إلى كايت التي كانت ممددة على ظهرها أيضاً على مسافة ثلاثة أمتار تقريباً مني، وكانت رجلاها مكبلتين بالأصفاد أيضاً. تبادلنا النظرات، وقلت لها: "سيكون الأمر على ما يرام عندما يصلون إلى هنا".

"أنا أعرف ذلك".

**بالطبع، لم تكن مسألة تتعلق، بوقت مجيئهم وإنما
باحتمال مجيئهم.**

قال مادوكس: "أخرس. تكلم فقط عندما أتكلم معك". وقال للوثر: "فنتشه بيديك".

أجرى لوثر تفتيشاً قاسياً، ثم قال: "لا يوجد شيء".

مشى مادوكس نحو المنضدة، وبدأ بتفتيش سترتينا، وأوراقنا الثبوتية، وأحذيتنا، وحزامينا ثم أفرغ محتويات حقيبة كايت على المنضدة، وبدأ بتقليب محتوياتها. قال مادوكس: "أحصيت ستة مخازن معبأة بالكامل. هل كنتم تعتقدان بأنكما ستدخلان في معركة؟"

ضحك الأغبياء الثلاثة.

لم أستطع منع نفسي من قول: "عليك اللعنة".

قال لي مادوكس: "هذا ما دأب صديقك هاري على قوله. عليك اللعنة. عليك اللعنة". وسألني، "هل يوجد لديك شيء ذكي تقوله؟"

"أجل. لا تزال قيد الاعتقال".

ظن أن ما قلته كان دعابة فقال: "وكذلك أنت".

كان مادوكس لا يزال يبحث في الأدوات التي على المنضدة، ورأيته ينزع البطاريات من هاتفينا الخليويين، ثم بدأ يفحص قلبي. لم يعثر على القاذف الذي أعطيته لكاييت، ولذلك أملت بأنه لا يزال في حوزتها.

قال مادوكس: "حسناً، هذه هي حقيبة التحري مولر. لماذا تحتفظ بها يا جون؟"

"أردت أن أسلمها لعائلته".

"فهمت. ومن سيقوم بتسليم شارتك إلى عائلتك بعد وفاتك؟"

"هل هذا سؤال افتراضي؟"

"أتمنى لو أنه كان كذلك".

صار في حوزته الآن دفترًا مذكراتنا، وعرفت بأنه لن يتمكن من قراءة مذكراتي لأنه لا يمكن لأحد، بما في ذلك أنا، قراءة خط يدي. ولكنه قال لكاييت، التي كانت

تكتب بخط غاية في الأناقة، “أرى أن لديك عقلاً راجحاً. من النادر أن نلاحظ ذلك بين النساء”.

أجابت كايت بالطبع، “عليك اللعنة”.

تجاهل ردّها فيما كان يقلّب صفحات دفتر مذكراتها، ثم سألتها، “يا كايت، هل يعرف أحد بأنكما موجودان هنا؟”

أجابت، “عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي ورجال شرطة الولاية فقط. وهم في طريقهم إلى هنا”.

أجاب، “لو كان سيحصل شيء مثل هذا في مقرّ شرطة الولاية، لكنت عرفت به”.

لم يكن ذلك الخبر الذي تمنّينا سماعه.

سألني مادوكس، “يا جون، ماذا يعرف الذين يعملون في المبنى الفيدرالي 26 عن هذا الأمر؟”

“إنهم يعرفون كل شيء”.

قال: “أنا لا أعتقد ذلك”.

“إنن لا تسأل”.

قال لي: “تحدّثت إلى هاري من بعد ظهر يوم الجمعة أثناء ركوبكما المصعد في المبنى الفيدرالي 26. ماذا قال لك؟”

لم أكن أرغب في الحقيقة في معرفة أن لبّابن مصدرّاً داخل المبنى بلازا 26 الفيدرالي.

“جون؟”

“لم نتحدّث في المسائل المهنية”.

“حسناً، وقتي ضيّق يا جون، ولذلك سنكمل هذا الأمر لاحقاً”.

“لاحقاً وقت جيد”.

“ولكنني لن أكون لطيفاً لاحقاً”.

“أنت لست لطيفاً الآن يا باين”.

ضحك وقال: “لم ترَ شيئاً بعد يا رفيقي”.

أردت نصيحته فقلت: “اذهب والعب”.

وقف فوقى مباشرة، وكان ينظر إليّ بعيني صقر كان يحلّق ورأى حيواناً مصاباً على الأرض.

قال لي: “توجد طريقتان في الاستجواب. أنا لا أعرف شيئاً عنك يا جون، ولكنني أفضل الطريقة التي لا تُسيل الدماء ولا تكسر العظام ولا تطلق توصلات الرحمة”.

ثم التفت إلى كايت وقال: "ما هو رأيك يا كايت؟"

لم تجب بشيء.

عاد إلى الموضوع وقال لنا: "كما توجد طريقتان لدخولكما في فرامة الخشب: إما أن تدخلها ميتين أو على قيد الحياة". قال لنا: "دخلها بوتيوف ميتاً لأنني أردت قتله من أجل التكتّم على القضية. ولكنكما أثرتما غضبي. لكن إذا أديتما تعاوناً، فأنا أعدكما وعد شرف بأنكما ستلقيان موتة سريعة ورحيمة بطلقة في الرأس قبل أن تدخل فرامة الخشب وتصبحا طعاماً للدببة".

"أتوافقان؟ هل اتفقنا؟ جون؟ كايت؟"

لم أكن أرى في ذلك صفقة معي، ولكن لكي أكسب بعض الوقت قلت: "اتفقنا".

"هذا جيد. طلبت رؤية جهاز إرسال الموجات إلف، ولذلك سأريك إياه".

قلت: "في الواقع، سأكتفي بأخذ تلك اللوائح التي تحتوي على أسماء ضيوفك وموظفيك، وسنرحل بعد ذلك".

"يا جون، الأمر ليس مضحكاً".

كان مادوكس المتكلم، ولكن ربما كانت كايت ستقول تلك العبارة أيضاً.

كنت أرى وأسمع الرجال الأربعة وهم يتقلون في الغرفة، ثم قال مادوكس: "حسناً، يا سيد ويا سيدة كوري، يمكنكما الوقوف على قدميكما الآن وأيديكما فوق رأسيكما".

بدأت بالوقوف وأنا أتصنّع الشعور بالألم في ضلوعي الذي لم يعد تخليلاً بعد الآن. وضعت يدي خلف ظهري ورفعت نفسي بعد أن وضعت راحة يدي على قاذف الإشارات المضئية، ثم ألصقته بجسمي، ثم وقفت على قدمي. كانت الأمور لا تزال تسير على نحو مُرضٍ لغاية الآن.

التفتُ نحو كايت التي كانت واقفة وهي تنظر إليّ. قلت لها: "عليك أن تستجمعي شجاعتك".

أومأت برأسها.

ذكرني مادوكس قائلاً: "أخرس". ونظر إلى ساعته ثم قال لكارل: "لنخرج".

قال كارل: "اتبعاني. واجعلا بينكما مسافة ثلاثة أمتار".

توجه كارل نحو الأبواب المفتوحة لغرفة لعب الورق، وقال مادوكس لنا: "تحركا، وأيديكما فوق رأسيكما".

مشينا خلف كارل.

لم يسبق أن مشيت ورجلاي مكبلتان، وبالرغم من أن القيود لم تكن مشدودة، فلم يكن من السهل وضع قدم أمام القدم الأخرى، ووجدت نفسي أجردر الخطى، مثل الرجال المربوطين في سلسلة. كما أن المعدن كان يحك كاحليّ العاريين، وسروالي

الذي نزع منه الحزام كان ينخفض، ولذلك كنت مضطراً إلى رفعه بين الحين والآخر، وهو ما جعل لوثر يصرخ "ضع يديك فوق رأسك".

كنت أستطيع أن أرى كايث تمشي أمامي بصعوبة بالغة، حتى أنها كادت أن تقع. ولكن سرورها الضيق بقي على حاله، ولذلك أبقت يديها فوق رأسها.

لم أعرف من كان يمشي وراءنا، ولذلك نظرت إلى الخلف فرأيت مادوكس على مسافة ثلاثة أمتار مني، ومسدسه الكولت 0.40 يتأرجح إلى جانبه. وكان في المؤخرة لوثر حاملاً ببندقية أم 16 جاهزة لإطلاق النار. وظل ديريك، ضحية البوق الهوائي في المشرب، وكان يجمع كل ما أخذ منّا.

قال لي مادوكس عندما تلفتت في المرة القادمة: "ستتبت لنفسك عيناً ثالثة في وسط جبهتك. هل تفهم؟"

أعتقد أنني فهمت ما أراد قوله.

إذاً، وكما تبين لي، لم يكن السيد باين مادوكس ذلك الفاتن، أو المؤدب، أو حتى المتحضر. في الواقع، أعتقد أن إعجابي به زاد وهو في هذه الحالة: بدون تصنع، ومظاهر، والأهم من ذلك، كان يحدثنا عن جهاز إرسال الموجات إلف.

توقف كارل في وسط غرفة لعب الورق، وقال مادوكس: "توقفا".

توقفت وكايث، ونظرنا حولنا. كان يوجد على أحد الجدران لوحة للسهم المريشة مع صورة فوتوغرافية بالألوان لوجه صدام حسين.

سألني مادوكس، "سألتني متى تتدلع الحرب. حسناً، اليوم العملائي هو 15 مارس/أذار؛ مع زيادة يوم أو إنقاصه تحسباً للمشكلات الفنية". وأضاف، "ولكنني سأشعل الحرب في وقت مبكر، في غضون ساعتين تقريباً".

سألته، "هل سنتناول عشاءنا أولاً؟"

اعتقد لوثر على الأقل أن في الكلام دعابة.

بدا مادوكس، الذي بات في المقدمة الآن، متوتراً بعض الشيء، أو ربما منشغل البال ولم يرد على سؤالي.

على أية حال، علق كارل ببندقيته على كتفه، ونظرت إليها نظرة فاحصة. كانت ببندقية أوتوماتيكية من طراز براونينغ، يمكنها إطلاق خمس طلقات بمثل سرعة ضغطك على الزناد ووقوفك على قدميك. بالنسبة إلى كارل، لم يكن ذلك يشكل مشكلة.

كان مسدس الكولت 0.40 الذي يحمله مادوكس مزوداً بسبع طلقات في المخزن، إضافة إلى طلقة في بيت النار. يتميز هذا المسدس بانعدام دقته، لكن في حال أصابتك طلقاته مدببة الرأس التي من عيار 0.45 في أي موضع من بدنك، فقد تطير في الهواء، وكما يقول العسكريون السابقون: "إنها السقطة التي تقتلك".

كانت ببندقية الأم 16 التي في حوزة لوثر حيواناً بكل معنى الكلمة. فهي في غاية الدقة عند استخدامها على مسافات متوسطة. وفي حال كان لوثر يحمل النموذج

الأوتوماتيكي بالكامل، ففي مقدوره رش عشرين طلقة مغلقة بالفولاذ في أقل من الزمن الذي تحتاج إليه لكي تقول: "مرحباً يا رفيقي، أنا ميت".

على أية حال، افتقدنا إلى ديريك، ضحية البوق الهوائي، والذي على الأرجح أن لديه موعداً مع طبيب الأذن، ولذلك كان عليّ وعلى كايت مواجهة ثلاثة أشخاص فقط. ولكنهم ليسوا من الحثالة التي تجري في الشوارع؛ مثل أصدقائي من أصول لاتينية الذين أغمضوا أعينهم قبل إطلاق النار عليّ، أو السادة الشرق أوسطيين الذين أعتقد بصدق بأنه لا يمكنهم محاولة إصابة أحد عندما يطلقون النار من بنادق الكلاشينكوف.

على كل حال، لم تقتصر مشكلتنا على وجود ثلاثة رجال شبه عسكريين وحسب، بل كنتُ وكايت مكبلي الأرجل، وحافيتي الأقدام وبدون أحزمة، وفي موقع يخضع لحراسة مشددة.

الخلاصة هي أنه لم يكن الوقت المناسب لاستخدام قاذف الإشارات المضئية، وكنت أمل بأن تترك كايت ذلك. كما أننا كنا بحاجة إلى الوصول إلى جهاز إرسال الإشارات إلف.

لاحظت أن كارل مَدَّ يده أسفل طاولة لعب الورق الكبير والمستديرة، ثم تراجع إلى الورا. وفيما كنت أراقب المشهد، بدأت الطاولة ترتفع، وكان في مقدوري سماع هدير محرك كهربائي فيما كانت الطاولة ترتفع مع السجادة المستديرة التي كانت أسفلها. وصار في مقدوري الآن رؤية الكبّاس الهيدروليكي الذي يرفع كل شيء. وعندما أصبحت أرجل الطاولة، والسجادة، والبلاطة على ارتفاع متر ونصف تقريباً من الأرضية، توقف الكبّاس، مخلفاً فتحة في الأرضية يبلغ قطرها حوالي متر تقريباً.

جلس كارل على الأرضية ورجلاه تتدليان في الفتحة، ثم اختفى. وما لبث أن ظهر ضوء في الفتحة المظلمة.

قال مادوكس: "كايت، تفضلي بالنزول أولاً".

ترددت، ولكن مادوكس تقدم بسرعة نحوها، وأمسك بذراعها، ودفعها إلى الأمام في الفتحة التي في الأرضية. كادت أن تسقط بسبب القيود التي في رجليها، فقلت لمادوكس: "على رسلك أيها الأخرق".

نظر إليّ وقال: "كلمة واحدة منك، وستكون أسفة. هل تفهم؟"

أمسك مادوكس بذراع كايت، ودفعها نحو حافة الفتحة، وقال لها: "إنه سلّم لولبي. أمسكي بالدرايزين، وتحركي بسرعة".

جلست كايت على الأرضية، وأمسكتُ بمقبض معلّق بالجانب السفلي للأرضية المرتفعة، ثم نزلتُ في الفتحة.

دفعني مادوكس نحو الفتحة، وقال: "لننطلق".

أحسست بأن لوثر دفعني، وأدركت بأن هذا الرجل نصف الأبله كان قريباً منّي بدرجة خطيرة، ولذلك صاح مادوكس قائلاً: "ارجع إلى الورا أيها الأبله".

قلت لمادوكس: "لن أؤذيه".

وفيما كنت أفترب من الفتحة، ابتعد مادوكس عني، وهو الذي لم يكن مغفلاً، وصوب مسدسه الكولت نحوي وقال: "توقف"، فتوقفت.

بعد مرور بضع ثوانٍ، قال كارل: "يمكنك النزول".

قال لي مادوكس: "كايت جالسة على الأرضية، وكارل يصوب بندقيته نحو رأسها. أردت أن أحيطك علماً بذلك". وأشار إلى الفتحة التي في الأرضية وقال: "انزل".

جلست على الأرضية، وأنزلت قدمي وأصفاذي أولاً في الفتحة إلى أن لامست الدرجة الأولى. عرفت بأنه إذا أصبحنا في هذه الغرفة السفلية، فلن يتمكن أحد من العثور علينا.

قال مادوكس: "دعنا ننزل يا جون، فأنا ملتزم ببرنامج ضيق". رفع قدح زناد مسدسه وكان ذلك بمثابة إشارة لي لكي أتحرّك.

نزلت السلم اللولبي الذي كان يدور حول الكبّاس الهيدروليكي. لم يكن من السهل نزوله بسبب القيود، ولكن يدي كانتا طليقتين، ولذلك أمسكت بالدرابزين، وكدت أنزلق. وحول هذا الموضوع، إذا كان في نية مادوكس تكبيل يدينا في لحظة معينة، يتعين عليّ القيام بخطوة قبل أن يحصل ذلك. وعرفت بأن كاييت أدركت ذلك أيضاً.

نزلنا مسافة ستة أمتار تقريباً أسفل الأرضية، وهو ارتفاع مبنى بطابقين، ولم أحتج إلى كثير من التفكير لكي أدرك بأننا في الملجأ النووي.

ظهر في أسفل السلم اللولبي غرفة دائرية خرسانية، مضاءة بلمبات الفلوريسنت. في مقابل الدرجة الأخيرة، وعلى مسافة ثلاثة أمتار تقريباً، كان يوجد باب قبو مصنوع من الفولاذ المصقول داخل الجدار الخرساني.

قال كارل الذي كان يقف خلفي: "وجهك إلى الأرض".

التفتُ، فرأيت كارل في الجهة الأخرى من الحيز الدائري، وبندقيته مصوّبة نحو كاييت التي وضعت وجهها على الأرض.

ربما كانت تلك لحظة مناسبة للقيام بخطوة، ولكن قبل أن أقرر، صوب كارل بندقيته نحو رأس كاييت وصاح "ثلاثة، اثنان، ..."

وضعت قدمي على الأرضية الخرسانية، وصاح كارل، "يمكنك النزول".

سمعت وقع قدمي مادوكس وهو ينزل السلم، بالرغم من أنه تدرب على نزوله عدة مرات.

قال مادوكس: "يا جون، أعتقد بأنه ينبغي أن يرحل أحدكما".

لم أردّ عليه.

مرّت بضع ثوانٍ، وسمعت وقع قدمي لوثر على السلم، ثم سمعت صوت الكبّاس الهيدروليكي، وأخيراً عادت الطاولة والأرضية إلى مكانهما.

نزل لوثر السلم اللولبي، وقال له مادوكس: "افتح الباب".

سمعت صوت دولاب القبو، ثم صوت صرير مع فتح الباب الثقيل.

قال لي مادوكس: "جون، بصرف النظر عن أية خطوة تتخذها، أو أية محاولة تقوم بها، ستكون كايت أول من سنطلق عليه النار". وقال لكارل ولوثر: "هل فهمتما ما أقول؟ إذا قام جون بخطوة، أطلقا النار على كايت". وأضاف، "وأنا سأهتم بالسيد كوري".

أجاب كارل ولوثر، "أجل سيدي".

ثم التفت مادوكس إليّ وقال: "أنت تحاول أن تستنفذ صبري، وأنا متأخر عن برنامجي قرابة عشر دقائق. ولذلك، إما أن تحسن التصرف وتفعل ما يقال لك، وبسرعة، وإما أن أطلق النار على أحدكما قبل أن نعود إلى البرنامج المقرر. هل تفهم؟"

قلت: "فهمت".

"هذا جيد". وأضاف، "لن تكون بطلاً في عيني زوجتك على أية حال، ولذلك لا تفكر في المحاولة".

قلت: "هذه نصيحة جيدة".

الشيء الثاني الذي سمعته كان قول مادوكس: "انهضي يا كايت ويداك إلى الأعلى".

نهضتُ، وقال مادوكس: "اتبعي كارل". ثم قال لي: "انهضي يا جون وضع يديك فوق رأسك، واتبعه، وابق بعيداً عنها مسافة ستة أمتار".

نهضتُ، ووضعت يديّ فوق رأسي. لاحظتُ الآن حقيبة كبيرة من قماش القنب على الأرضية. كاد سروالي أن يسقط، وكان في مقدوري رؤية كم سترتي الجلدية باختلاس النظر. من الواضح أن ديريك سلم لوثر كافة أغراضنا، وأن آخر أثر يدل على وجودنا في نادي كاستر هيل - باستثناء مركبة رودي المقفلة التي سيعمد إلى التخلص منها - قد اختفى الآن.

رأى مادوكس ما كنت أنظر إليه فقال لي: "لن تجدوا حتى حمضك النووي في براز الدببة". وأشار إلى الباب وقال: "تحرك".

مررت من باب القبو الذي كان مبيّناً في جدار خرساني تبلغ سماكته حوالي المتر.

قال مادوكس الذي كان يسير خلفي: "أهلاً بك في الملجأ النووي".

كان لوثر في المؤخرة، وسمعت صوت الباب وهو يُغلق ويُقفل. ساورني إحساس أنني أسفل المصطبة الخلفية، في مكان عميق داخل الصخر، وغير متصل بالطابق السفلي من المنزل. كما ساورني إحساس بأن أحداً فوق الأرض لن يتمكن من العثور علينا.

الفصل 50

وصلنا إلى ممر عريض طُليت جدرانه الخرسانية بلون أخضر فاتح تحوّل إلى اللون الأزرق على ارتفاع متر تقريباً وصولاً إلى السقف الذي يرتفع نحو ثلاثة أمتار. كان السقف مكسواً بألواح زجاجية مسنفرة تعلوها مصابيح بنفسجية زاهية اعتقدت بأنها ألوان لإنبات الزرع، بالرغم من أنني لم أجد أية مزروعات، ما لم نأخذ في الحسبان الحشيش الصناعي الذي يعود إلى حقبة الثمانينيات من القرن الماضي.

اعتقد بأن شخصاً ما كان يحاول توليد إحساس بأنك في الهواء الطلق في مرج تسطع عليه الشمس والذي صدف أنه يشبه ممراً خرسانياً سفلياً.

قال مادوكس عبارة لم يكن لها داعٍ: “من المفترض أن تتخيل أنك فوق سطح الأرض”.

سألته، “ألسنا فوق سطح الأرض؟”

لم يجب عن سؤالي، ولكنه قال: “إنها فكرة زوجتي السابقة الغبية”. وأضاف، “كان يتملكها خوف غير منطقي من نشوب حرب نووية”.

“امرأة سخيفة”.

بدا أنه بات في مزاج أفضل، وأشار إلى باب مفتوح في الجهة اليمنى والتي اعتقدت بأنها ساحة لعب للأطفال، وقال: “كان أولادي أطفالاً حينها، واعتقدت بأن في إمكانهم أن يكبروا هنا”.

قلت: “ربما ستساعد أضواء النمو في ذلك، ولكن أوقات لعبهم ربما ستكون محدودة”.

لم يكن يصغي إليّ، وبدا أنه يتكلم مع نفسه. قال: “شاهدتُ فيلم أون ذي بيتش وفيلم الدكتور سترانجلوف حوالي عشرين مرّة، وأنا لا أعتقد بأنها أدركت بأن أحد الفيلمين يعالج موضوعاً جدّياً، وأن الآخر كان فيلماً فكاهياً”. وأضاف، “كانت الأفلام التي تحكي عن حروب ملحمية نووية تبقّيها عند معالجتها عدة شهور”.

تولّد لديّ انطباع بأن باين مادوكس كان يعاني من بعض المشكلات التي تتعلق بهوس زوجته السابقة بالإبادة الجماعية النووية، وأن ما يحاول القيام به لغاية الآن هو الخروج من تلك المشكلات عبر إشعال حرب نووية خاصة به. وكنت واثقاً من أن السيدة مادوكس ستكون من أوائل الأشخاص الذين سيتصل بهم بعد انتهاء الحرب.

على كل حال، مشيت وكايت ببطء في الممر بأرجلنا المكبلة، وفي كل مرة كنت أرفع فيها سروالي، كان لوثر يصيح، “ضع يديك فوق رأسك”، وكنت أجيّب، “عليك اللعنة”.

كان في مقدوري سماع صفير الهواء من خلال الفتحات، ولكن الهواء كان رطباً ومزعجاً بعض الشيء. وكان على جانبي الممر أبواب مفتوحة تكشف عن غرف مفروشة: غرف نوم، وغرفة جلوس، مطبخ، غرفة طعام طويلة مع جدران مصنوعة من ألواح مركبة، وستائر سميكة، وسقف مستعار، وقطع من السجاد الفاخر. وخلف أحد الأبواب المغلقة، سمعت أشخاصاً يتحدثون، ثم أدركت بأنه صوت مذياع أو تلفاز؛ ولذلك ربما كان يوجد شخص آخر هنا.

قال مادوكس، الذي كان يتكلم مع نفسه: “لقد أنفقت ثروة في تزيين هذا المكان”. وأضاف “أرادت أن تتخلص من عمر النصف الخاص بالسقط الذري بطريقة يمكن أن تعناد عليها”.

كان مستغرقاً في أفكاره، ولذلك لم أشأ التعليق على كلامه.

أضاف مادوكس، “ومن ناحية أخرى، وجدت أن هذا المكان مفيد. فهو مفيد أولاً لجهازي الخاص بإرسال الموجات ألف؛ وكما كان لخزن ثروة من الكنوز الفنية، والذهب، والأموال النقدية”. وأراد أن يحكي لي نكتة فقال: “لا يزال آخر عميل من مصلحة الضرائب جاء لكي يتجسس عليّ محجوزاً في غرفة هنا”.

كانت تلك إشارة جيدة من باين. في الواقع، بدا المكان أشبه بحصن هتلر، ولكن ربما لم تكن في الزمن الملائم لإجراء تلك المقارنة.

وصلنا إلى نهاية الممر، الذي لا بدّ وأنه كان بطول خمسين متراً. فتح كارل باباً فولاذياً وأضاء الأنوار.

قال مادوكس: “اتبعي كارل يا كايت. أما أنت يا جون، فالزم مكانك”.

اخذت كايت بعد دخولها من الباب فيما بقيت واقفاً بدون حراك.

صاح كارل، “يمكنكم الدخول”.

قال مادوكس: “تحرك يا جون”.

كنت متعباً بعض الشيء من تلقّي هذه الأوامر المزعجة، ولكن لا داعي إلى الإشارة الآن إلى أننا كنا قريبين من... النهاية.

دخلت الغرفة، ورأيت كايت على الأرض مجدداً، وكارل يقف عند الجدار البعيد في الغرفة بغرض تأمين التغطية لكايت ولي أثناء دخولي.

قال مادوكس: “انبطح أرضاً يا جون”.

وضعت وجهي على سجادة زرقاء فاخرة. على الصعيد المهني، نظرت بعين التقدير إلى الدقة العسكرية لكارل وباين، وطريقتهم المألوفة في التعامل مع سجينين كانا ينظران إليهما على أنهما مصدر خطر محتمل بالرغم من أنهما كانا مقيدّين، وأعزلين، ويحيط بهما ثلاثة رجال مسلّحون. وأسوأ ما في الموضوع أن

هؤلاء الرجال كانوا حريصين على ألا يدعوا لي أدنى مجال للحركة والخروج من هذا الوضع.

كان استخدام الأصفاد في القدمين بدلاً من القيود في اليدين تصرفاً حكيماً، وكان في مقدوري فهم الأسباب التي دفعت مادوكس إلى استخدام الأصفاد حتى هذه المرحلة.

غير أن الخطأ الفعلي الوحيد الذي ارتكبه لغاية الآن هو عدم العثور على قاذف الإشارات الضوئية، وهو السبب الذي يحمل رجال الشرطة على تجريد السجناء من ثيابهم وتفحص التجاويف التي في أجسامهم. الآن، وبعد أن أصبحنا داخل الحصن، ربما تكون تلك الخطوة التالية لمادوكس إلى جانب تكييل اليدين؛ وستكون تلك إشارتنا للبدء بالتحرك.

في هذه الأثناء، بدأ مادوكس وكارل مشغولين في شيء سوانا، ولكنني لمحت لوثر بالقرب من الباب وهو يصوب بندقيته الأم 16 نحوي ونحو كاييت. لم أر الحقيبة القماشية التي من الواضح أن لوثر أخفاها في مكان ما ونحن نسير في الممر. ولذلك، فإن الأسلحة الوحيدة الموجودة في هذه الغرفة هي الأسلحة التي نراها مصوبة نحونا.

حول موضوع الأسلحة، كان اختيار كارل حمل بندقية خردق أوتوماتيكية في حيز محصور قراراً محترفاً للغاية؛ لأن الرصاصات المنطلقة من البنادق القوية تميل إلى اختراق أجساد الناس وإصابة أشخاص آخرين لا تريد إصابتهم بالضرورة، ثم الارتداد بعد ذلك لتصبح خطراً على مُطلق النار وأصدقائه.

في الواقع، كانت بندقية الأم 16 التي يحملها لوثر تشكل خطراً عليه بقدر ما كانت تشكل خطراً علينا، ومع ذلك، لم أشأ أن يطلق النار علينا. وفي ما يتعلق بمسدس الكولت من عيار 0.45 الذي يحمله مادوكس، كان استخدامه مناسباً في الأماكن المحصورة بالجدران المصنوعة من الطوب. ويمكن له إحداث ثقب كبير في بدنك إذا استخدم من مسافة قريبة، وسرعة خروج رصاصته من الجسم لا تشكل خطراً في العادة على أي شخص آخر عدا الضحية. ولذلك في حال اصطدمت رصاصته بجدار خرساني، فعلى الأرجح أن تتفتت هذه الرصاصة ذات الرأس المدبب بدلاً من أن ترتد عن الجدار.

بعد تحليل هذا الجانب من الوضع، وصلت إلى استنتاج مفاده أنني وكاييت عالقان في الأساس في موقف لا نحسد عليه. في الواقع، بات شأن قاذفات الأسهم المضيئة يقل في نظري شيئاً فشيئاً.

قال مادوكس: "ليركع كل منكما على الأرض ويده فوق رأسه".

جنوت على ركبتي، ووضعت يدي فوق رأسي، ورأيت أن كاييت فعلت شيئاً مماثلاً. كانت تفصل بيننا مسافة تقارب الثلاثة أمتار في غرفة مضاعة بأنوار خافتة. تبادلنا النظرات. حنت كاييت رأسها، وصويت عينيها نحو المكان الذي خبأت فيه قاذف الأسهم في مكان ما في سروالها. ثم نظرت إلي فأشرت إليها

برأسي بالأ تفعل. أردت أن أقول لها إن هذه ليست اللحظة المناسبة للقيام بذلك. وستعرفين الوقت المناسب حالما تسنح الفرصة.

بدأت أتفحص الغرفة بعينيّ بعد أن تكيّفتا مع الضوء الخافت. كان مادوكس يجلس وقد أدار ظهره إلينا عند لوحة إلكترونية مثبتة في الجدار البعيد. افترضت بأن ذلك كان جهاز الإرسال. أوريكا. ماذا سأفعل الآن؟

كان لوثر لا يزال واقفاً بالقرب من الباب، يؤمن التغطية لي ولكايت ببندقيته. لم أتمكن من رؤية كارل، ولكنني سمعته وهو يتنفس خلفنا.

كان يوجد في الغرفة قطع أثاث متفرقة، وبدت كما لو كانت مكتباً قيد الاستعمال. من الواضح أنه مكتب الحرب الذرية الذي سيستعمله باين حيث يمكنه تمضية نهاره بأكمله في إجراء الاتصالات الهاتفية لمعرفة إن كان لا يزال يوجد أحياء بعد الانفجار الكبير. وعلى الأرجح أنه يوجد لديه شريط تلغراف لكي يرى أداء دفاعاته وأسهم شركته النفطية.

لم أفهم لماذا أراد الناس في حقبة السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي النجاة من إبادة جماعية نووية، أعني أنه فيما عدا تخزين بعض علب التشيلي والجمعة، لم تكن توجد لديّ خطة بعيدة المدى لحقبة ما بعد الحرب النووية. ولكن لكي أنصف باين، على الأرجح أن هذه كانت فكرة زوجته السابقة. وتساءلت عما حل بها. فهل أدخلها في فرمة الأخشاب؟

على كل حال، لاحظت أيضاً أنه توجد شاشات تلفزيونية مسطحة بالكامل مثبتة بأدراع مفصلية على الجدار المكسو بالألواح في الجانب الأيمن من اللوحة الإلكترونية. بدت حديثة وغير منسجمة مع هذه الكبسولة التي تعود إلى حقبة الثمانينيات.

إلى اليسار من اللوحة الإلكترونية، كان يوجد رف يحمل ستة أجهزة تلفزيونية قديمة، وكانت جميعها في وضعية تشغيل، ولكن كان من الصعب رؤية الصور التي تعرضها باللونين الأبيض والأسود والتي كانت تتقلب باستمرار. عندها، أدركت بأن تلك كانت شاشات مراقبة. شاهدت بيت الحراسة على إحداها، وصورة لنادي الصيد تلتقطها عدسة توجد في بيت الحراسة، وتليها شاشة تعرض صورة مبنى المولدات الكهربائية، وهكذا. أدركت بأن مادوكس سيعرف بأمر عناصر الخيالة حال وصولهم، وكذلك بأمر وصولي وكايت. ولكن حتى تلك اللحظة، بدا كل شيء في نادي كاستر هيل طبيعياً، وهادئاً وساكناً.

كانت تراودني بين الحين والآخر فكرة مزعجة هي أنه حتى في حال اقتحم رجال مكتب التحقيقات الفيدرالي وشرطة الولاية البوابة وحطموا الأبواب التي في المنزل، فما من أحد يمكن أن يعثر علينا ونحن هنا في الأسفل. وحتى في حال تذكر شافير أنه يوجد ملجأ نووي في مكان ما، فعليّ الأرجح أنه سيبحث في الطابق السفلي أسفل المنزل نفسه، ومن المرجح جداً أن يعتقد خطأً بأن إحدى الغرف هناك هي الملجأ النووي.

كنت متأكد من أنه لن يعثر على الأرضية التي يرفعها الكبّاس الهيدروليكي أسفل طاولة لعب الورق، وحتى في حال حدثت معجزة وتمكن من اكتشافها، فسيحتاج فريق النسف إلى عدة ساعات لكي يفتح كوة في باب القبو.

كنا في ورطة مزدوجة، وكانت هناك طريقة واحدة للخروج منها، وهي الطريقة التي كان يجدر بي اختيارها في فترة ما بعد الظهر من هذا اليوم - يتعين قتل هذا الوغد وحرّاسه، في هذا المكان وفي هذا الوقت بالذات - قبل أن يقتلونا، وقبل أن يفجّر مادوكس تلك القنابل النووية الأربع التي زرعها في بلاد الصحراء.

قال مادوكس فيما كان ينتقل في أرجاء الغرفة: "هل تفهم ماذا يحصل يا جون؟"
قلت: "أعتقد بأننا تأكدنا من أنك سترسل إشارة إلف إلى أجهزة الاستقبال الأربعة المرفقة بأجهزة التفجير في القنابل النووية الأربع."
"هذا صحيح". وأضاف، "في الواقع، لقد بدأت عملية الإرسال".
اللجنة.

قال مادوكس: "اقتربا أكثر، وابقيا جاثيين على ركابكما. هيا".
اقتربت وكايت سيراً على ركابنا من اللوحة الإلكترونية، ثم قال كارل الذي كان يقف خلفنا: "توقفا"، فتوقفنا.

سألنا مادوكس، "هل يمكنكم رؤية هذه النوافذ الصغيرة الثلاث؟"
نظرنا إلى حيث كان يشير إلى صندوق أسود فوق خزانة اللوحة الإلكترونية. كانت النافذة الأولى تغلب مجموعة من حروف حمراء من خلال صمام ثنائي مشع للضوء، وقال مادوكس: "لقد أرسلت الحرف الأول من الرسالة المشفرة المكونة من ثلاثة حروف والتي ستفجر القنابل الأربع". وأضاف، "كان في مقدوري وضع ساعة توقيت في كل حقيبة، ولكنني كنت سأضطرّ إلى تحديد زمن التفجير سلفاً، وكان التفجير سيتم بطريقة خارجة عن السيطرة. ولذلك اخترت طريقة التفجير المتحكم فيه، وهو ما جعل جهاز إلف الذي لديّ مثالياً ومأموناً للقيام بهذه المهمة". وأضاف، "لقد حصلت أخيراً على عائد من استثماري في محطة إلف هذه".

قلت له: "أنت تعرف يا باين أنه يمكنك التتقيب عن النفط بواسطة موجات إلف".
ابتسم، وقال: "أرى أنك قد قمت ببعض الفروض المنزلية. أنا لست بحاجة إلى التتقيب عن النفط لأنني أعرف أصلاً مكانه. وملاكه الحاليون على وشك أن توجه إليهم ضربات نووية".

سألته، "ولماذا تفعل ذلك؟"

نظر إليّ، وأجاب، "إنه السؤال الذي يبدأ بكلمة لماذا". أشعل سيجارة، ثم قال: "لماذا؟" لأنني سئمت وتعبت من الرؤساء الجبناء المتعاقبين الذين يقبلون قفا العرب. هذا هو السبب".

أعتقد بأنه نفسه قبل قفا أحد العرب، وهذا هو يوم تصفية الحساب. كما اعتقدت بأن في مقدوري مسابرة فقلت: "أنت تعرف أنني وكايت نتعامل مع هذا الوضع

المقرف كل يوم. فالمهاجرون المسلمون غير الشرعيين يعاملون كما لو كانوا محامين دستوريين، والإرهابيون المحتملون يدافع عنهم محامون وهم يهددون برفع دعاوى قضائية بسبب عمليات اعتقال خاطئة". وأسهب في الحديث عن مشكلاتي المتواصلة التي أواجهها في عملي، ولكن الغريب أن مادوكس لم يظهر أي اهتمام بسماعي. ختمت حديثي قائلاً: "أنا أفهم شعورك بالإحباط، ولكن تفجير أربع قنابل نووية في بلاد الصحراء لن يحل المشكلة، بل سيزيدها سوءاً".

علاصوته بالضحك، وهو ما اعتبرته أمراً غريباً.

ثم عاد ليتنقل في أرجاء الغرفة، وضغط على بعض المفاتيح في اللوحة الإلكترونية، وقال: "كل حرف بحاجة إلى تشفير بواسطة كود مؤلف من أربعة حروف".

قلت: "هذا صحيح. هل يمكننا التحدث عن هذا الأمر؟"

بدا أنه لم يسمعي، وبدا أنه يريد قراءة اتصالاته والإصغاء إلى شيء عبر السماع التي وضعها في أذنه منذ وقت قصير. لاحظت أن النافذة الأولى التي في الصندوق الأسود قد توقفت عن تقلب الحروف، وأنها توقفت عند حرف جي، ظهر باللون الأحمر.

قالت كايت: "عندما يصل رجال شرطة الولاية وعملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي، سيقومون بتعطيل مولداتك الكهربائية وإسقاط أعمدة الهوائي".

كان مادوكس لا يزال يضغط على مفاتيح لوحته الإلكترونية، فأجاب من غير أن يلتفت، "كايت، إنهم لم يغادروا مقرّ الشرطة بعد، والذي يبعد حوالي الساعة عن هذا المكان. الأمر الثاني هو أنهم لا يعرفون حقيقة ماذا يجري هنا. والأمر الثالث هو أنه حتى في حال وصلوا إلى هذا المكان في غضون الدقائق الثلاثين التالية، سيكون وصولهم متأخراً جداً". وأضاف، "سننتهي من هذه العملية في أقل من عشرين دقيقة".

لاحظت الآن أن النافذة الثانية في الصندوق الأسود بدأت تقلب حروفاً حمراء.

استدار مادوكس في كرسيه وقال لنا: "تم إرسال الحرف الثاني، وستلتقطه أجهزة الاستقبال الأربعة التي في الحقائق النووية في غضون خمس عشرة دقيقة تقريباً".

اعتقدت بأنه ربما كان يحاول خداعنا بشأن مقدار الوقت المتبقي لنا، ولذلك، ولكي أثبت له بأننا قمنا بواجباتنا المنزلية، قلت له: "حوالي ثلاثين دقيقة".

"كلا، الوقت هو خمس عشرة دقيقة". وأضاف، "فهذا هو الوقت اللازم لكي تصل كل موجة إلف متكررة إلى سان فرانسيسكو ولوس أنجلوس، ولكي يقوم جهاز الاستقبال بفك شيفرتها".

أردت أن أصحح كلامه فقلت: “لكي تصل إلى الشرق الأوسط، تستغرق رحلة الإشارة ثلاثين دقيقة”.

قال السيد مادوكس الذي نفذ صبره: “كلا. لا زلت لا تفهم ماذا يجري؛ وهو خبير جيد بالنسبة إليّ”.

سألته كايته، “ما هو الشيء الذي لم يفهمه؟”

أجاب مادوكس، “تنفيذ المشروع الأخضر وخطة عاصفة النار”.

ثم استدار وهو في مقعده مجدداً، وقرأ اتصالاته الإلكترونية، “تحافظ المولدات الكهربائية على قدرة إنتاجية مقدارها ستة آلاف واط”. ووضع يده على لوحة المفاتيح وقال: “والآن، كل ما عليّ القيام به هو تشفير الحرف الأخير في الكود المؤلف من ثلاثة حروف”.

فيما كان يقول ذلك، توقف الحرف الثاني في الصندوق الأسود عند الحرف أو. أي أن الرسالة أصبحت الآن “جي - أو”.

لاحظ ذلك فقال: “لدينا الحرفان جي وأو، فما هي كلمة التشفير؟ لا يمكنني تذكرها. جي أو بي؟ أم جي أو تي؟”
وضحك وقال: “جوكو؟ كلا لأن فيها حروفاً كثيرة. ساعدني يا جون، ساعديني يا كايته. آه لقد تذكرت إنها مؤلفة من الحروف جي وأو ودي”.

من الواضح أن الرجل يستمتع بما يقوم به فيما كان يفقد راحة عقله.

كتب الكلمة باستخدام لوحة المفاتيح، وبدأت النافذة الأخيرة تقلب الحروف.

التفت إلينا، وقال: “إذاً، الذي يحدث هو أن برمجيات التشفير التي لديّ نجحت في إرسال الحرفين ‘جي’ و‘أو’ على موجة إلف إلى أربعة أجهزة استقبال وهو ما أكده ظهور هذين الحرفين على شاشتي الصندوق الأسود. ولكن وكما تعرف، يتطلب الأمر بعض الوقت لكي تصل هذه الموجات المتكررة إلى كل جهاز استقبال ولكي يتم فك شيفرتها. هل تفهم؟”

لم أعتقد بأنه كان يأبه إن كنا نفهم ما يقوله، ما لم يكن يريد أن يتأكد من حقيقة ما نعرفه، ولذلك قلت: “نحن نفهم ما تقول”.

“حقاً؟ لقد استخدمت شيفرة متكررة ذاتية التصحيح بحيث يتم إرسالها بشكل متواصل إلى حين استقبال التسلسل الأول. وبعبارة أخرى، لن تتجح أية تركيبية

أخرى للحروف. والتركيبية الوحيدة التي ستحدث التفجير هي جي - أو - دي. هل تفهمني؟”

ذكرته قائلاً: “لا تنس تشغيل نظائرك”.

“تشغيل... ماذا؟” نظر إليّ كما لو كنت مجنوناً وقال: “وهذا هو نظام البرمجيات نفسه الذي يستخدمه سلاح البحرية في الاتصال بأسطول غواصاته النووية. ولكن ربما كنت تعرف ذلك. هل تعرف شيئاً عن تجربتي الصغيرة التي تعود إلى حقبة الثمانينيات؟”

أجابت كايت، “أجل، وكذلك كل عميل في مكتب التحقيقات الفيدرالي”.

“حقاً؟ حسناً، هذا خبر سيئ جداً، ولكنه لم يعد مهماً الآن. وعلى أية حال، عندما يقوم الصندوق الأسود بتهجئة الحروف جي - أو - دي، بعد حوالي خمس عشرة دقيقة من الآن، تحصل أجهزة الاستقبال الأربعة على كامل الرسالة المشفرة المؤلفة من ثلاثة حروف وفقاً للتسلسل الصحيح. وبعد حوالي دقيقتين، وفي حال لم يطرأ تغيير على الإشارة التي يتم إرسالها باستمرار، ترسل أجهزة الاستقبال الأربعة نبضات إلكترونية إلى أجهزة التفجير الأربعة المرفقة بأجهزة الاستقبال، لنحصل بذلك على أربعة انفجارات نووية جميلة، والفضل في ذلك يعود إلى الدكتور بوتيوف”.

لم أرد أنا أو كايت.

أشعل مادوكس سيجارة أخرى وهو يراقب الصندوق الأسود فيما كانت الشاشة الأخيرة تقلب الحروف. وبعد ذلك، ظهر على الشاشة الحرف دي. وعندها، قال مادوكس: “الآن، يجري إرسال كافة الحروف الثلاثة عبر البلاد في تسلسل مستمر”.

لم أكن قد فهمت بعد سبب قوله “عبر البلاد”، ولكنني ربما لم أفهم، أو ربما لم أرد أن أفهم.

ضغط مادوكس على بعض الأزرار التي في اللوحة الإلكترونية، فظهرت أربعة أرقام باللون الأخضر - 15:00 - على شاشة كبيرة، ثم ضغط على زر آخر، فبدأت الأرقام تتناقص في عد تنازلي. قال لنا: “من الصعب التحديد بدقة الزمن الذي تحتاج إليه أجهزة الاستقبال لفك الشيفرة، ولكن لنفترض أنه يساوي خمس عشرة دقيقة؛ وهو تخمين جيد. وعندها، وكما قلت سابقاً، تحتاج أجهزة الاستقبال إلى الاحتفاظ بتلك الحروف لدقيقتين بالضبط لكي تتأكد من أنها تقرأ الشيفرة المستمرة ذاتية التصحيح بطريقة صحيحة. وعندها...” صفق بكلتا يديه وقال: “بوم”.

عرفت أن ذلك سيحدث، ولكن لوثر المسكين بلل سرواله.

اعتقد مادوكس بأن الأمر مسلّ، ولذلك أعاد الكلمة ثلاث مرّات، بوم، بوم، بوم. لكن المفاجأة ولت، ولم يقفز أحد.

ما أودّ قوله هو أن هذا الرجل فقد عقله اللعين، وأملت بأن يفهم كارل ولوثر هذا الأمر. وكنت متأكداً من أن هاري وصل إلى الاستنتاج نفسه في مرحلة ما، وربما

سيتم ذكر كارل ولوتر ما حل بهاري.

ركزت على ساعة العدّ التنازلي التي باتت تشير إلى أنها 13:36، ثم 13:35، وهكذا، وهي في طريقها إلى إحداث نشوة نووية لبابن مادوكس.

أشعل مادوكس سيجارة أخرى، ونظر إلى ساعته، ثم إلى ساعة العدّ التنازلي، ثم تحقق من شاشات المراقبة الست.

بدا مادوكس مسعوراً، وأدركت بأن هذه هي لحظة جني ثمار سنوات من العمل والتخطيط. ومن ناحية أخرى، لم يكن أمامي الكثير لأفعله سوى الانحناء ويديّ فوق رأسي، وأراقب، وأسمع. ما عينته هو أنني لم أشعر بالسأم فعلاً من مراقبة حدث نووي على وشك الوقوع. ولكنني كنت أفكر في القيام بعمل ما. وحول هذا الموضوع، كان كارل لا يزال واقفاً خلفنا، ولذلك فإن اللجوء إلى استخدام قاذف الأسمم المضيئة، لم يكن خياراً. ربما كنت سأسحب القاذف، ولكنني كنت سأقتل قبل أن أعرف الطرف الذي توجد فيه الفوهة، وأكبس على الزرّ الموجود في الطرف الآخر.

سنت لكاييت فرصة أفضل لدسّ يدها في سروالها وإخراج ذلك الشيء قبل أن يلاحظ كارل أو لوثر نصف الأبله ذلك. كان في مقدوري رؤية ملامح التوتر فيما كانت تفكر في الأمر.

كانت تراقب لوثر بقدر ما كانت تستطيع ذلك من غير أن يلاحظها أحد، ولكن لم يكن في مقدورنا مراقبة كارل، ولم تكن لديّ أية فكرة عن مدى تركيزه علينا. كما أنه في كل مرة يشرد فيها عقل لوثر الغبي، كان مادوكس يلتفت فجأة، ويتحدث إلينا.

في الواقع، التفت إلينا الآن، وقال: "ربما تعتقدان أنني مجنون".

أجبت، "كلا يا بابن، نحن نعرف بأنك مجنون".

بدأ بالابتسام، ولكنه أدرك أن جنوده حاضرون، وهو لم يشأ زرع أية أفكار في عقولهم، ولذلك عاد إلى الجدّية، كما لو كان قد عاد إلى رشده، وقال لي: "لا توجد شخصية كبيرة واحدة في تاريخ العالم لم توصّف بالجنون. قيصر، أتيليا، جنكيز خان، نابليون، هتلر...، حسناً، ربما كان مختل التوازن بعض الشيء. ولكنك تفهم ما أعنيه بقولي هذا".

أجبت، "أنا أفهم بأنك إذا كنت تظن أنك نابليون، فأنت بحاجة إلى استشارة طبيب".

"يا جون، أنا لا أعتقد أنني أجسد شخصاً سوى نفسي".

"هذه بداية جيدة يا بابن".

قال لنا: "أنا لا أعتقد بأنكما تقدّران ما أقوم به". وعندها بدأ يرتجل كلاماً مسهباً عن الرجال العظماء الذين غيروا مجرى التاريخ، بمن فيهم شخص اسمه جون، ملك بولندا الذي أنقذ فيينا من الأتراك ولم يحصل على شيء بالمقابل. أعني من يأبه لذلك يا بابن؟

وفي هذه الأثناء، كانت ساعة العد التنازلي تشير إلى أنها 11:13 فيما كان العدّ لا يزال سارياً.

استغلت كايث توقف مادوكس عن الكلام لكي يشعل سيجارة فسألته، “ما هي عاصفة النار؟”

نفخ عدة حلقات دخانية، ثم قال: “إنه بروتوكول حكومي في غاية السرية يدخل حيّز التأثير عندما تتعرض أميركا لهجوم بواسطة أسلحة الدمار الشامل”. وأضاف، “إنه الشيء الوحيد الجيد والحكيم الذي تم تصميمه منذ استراتيجية ماد؛ الدمار المؤكد المتبادل”.

تابعت كايث الحديث عن الموضوع نفسه فسألته، “وما علاقة هذا البروتوكول ب... ما يحصل الآن؟”

نظر إليها من خلال الدخان. وسأل، “إذاً، أنتما لا تعرفان شيئاً بالفعل، أليس كذلك؟”

تولّد لديّ انطباع بأنه في حال أجبنا عن بعض من هذه الأسئلة بطريقة خاطئة - إذا اعتقد بأنه لا توجد لدينا أية معلومات - فسنلحق ببوتيفو والموظف في مصلحة جباية الضرائب عاجلاً وليس آجلاً، ولذلك أجبته، “جرى إيجاز بعض المعلومات لنا، ولكن...”

“هذا جيد. أخبرني”.

“حسناً، عاصفة النار عبارة عن بروتوكول حكومي يدخل حيّز التأثير عندما...”

“يا لك من ثرثار يا جون”. وأضاف، “سأخبرك”. وشرع في شرح خطة عاصفة النار، والتي وجدتها خطة مرعبة، ولكنها بدت مطمئنة على نحو غريب في الوقت نفسه. وأكثر ما أثار الرعب في نفسي هو أن باين مادوكس كان يعرف التفاصيل الدقيقة لسرّ يعتبر واحداً من أكثر الأسرار القومية حساسية في البلاد، بما في ذلك معرفته مكان اختباء روزويل ألينز.

في هذه الأثناء، وصل العدّ التنازلي إلى 9:34، وفيما كنت أراقب الساعة أثناء حديث مادوكس، وصلت إلى 9:00، ثم إلى 8:59.

كان في مقدوري استيعاب معظم كلام مادوكس، وعندما بدأ بتعداد المدن الموجودة في العالم الإسلامي التي ستُضرب بالصواريخ النووية في حال دخلت خطة عاصفة النار حيّز التأثير، اعتقدت بأن هذا الرجل سيبلغ مرحلة النشوة. ما عنيت قوله هو أنه كان في حالة نشوة كاملة، وأملت بأن يقع مغمياً عليه أو يحصل له شيء من هذا القبيل.

عندما وصل إلى ذلك الجزء من خطة عاصفة النار الذي يتحدث عن ضرب سدّ أسوان بالصواريخ النووية، بدأ يلوّح بيديه في الهواء، وقال: “مليارات الغالونات من المياه. ستغرق بحيرة أسوان ونهر النيل مصرَ بأكملها وتُلقى بستة ملايين جثة في البحر الأبيض المتوسط”.

يا إلهي. قل لي يا باين إنك لست مجنوناً.

بقدر ما كان الخبر يشلّ الأعصاب، لاحظت أمرين: كان مسدس الكولت من عيار 0.45 الذي يحمله مادوكس داخل جيب سترته الزرقاء، والأمر الثاني هو أن لوثر بدا قلقاً بعض الشيء، كما لو كان يسمع الخبر لأول مرّة. في الواقع، أشعل سيجارة، وهو الأمر الذي ما كان من المفترض أن يقوم به أثناء تأديته مهمته، وخصوصاً إذا كان ذلك يعني ترك بندقيته تتدلى من كتفه فيما يعبث بسجائره وولّاعته.

في هذه الأثناء، امتلأت الغرفة بالدخان، وكنت على وشك أن أقول بأن التدخين السلبي ليس صحيحاً لأي واحد فينا، ولقال باين حينها أنه لا يجدر بي ولا بكابت التفكير على المدى الطويل.

وصل العدّ التنازلي إلى 7:28. رنّ الهاتف في مكان ما في الغرفة، وكان ذلك الهاتف الخليوي لباين الذي قام بسحبه من جيبه. قال: “أنا مادوكس”، ثم أصغى وقال: “انطلق المشروع الأخضر” ثم قال: “قيصر ويليام”. إما أنه كان لهذا الكلب دخل في الموضوع، أو أنها كلمة مشفرة تعني أن كل شيء يسير على ما يرام، وأن مادوكس لا يمرّ في ظروف صعبة.

أصغى مادوكس، ثم قال: “هذا جيد”. ونظر إلى ساعة العدّ التنازلي وقال للمتصل: “بعد حوالي خمس أو ست دقائق، ثم دقيقتين لكي يتم الفراغ من الأمر. أجل. هذا جيد. ماذا أعدوا المأدبة العشاء؟” ثم أصغى، وضحك وقال: “ربما أعفيتك من مصير ليس أقل سوءاً من الموت. حسناً. هذا جيد. أشكرك يا بول”. قطع مادوكس المكالمة، وقال لي: “ستقدّر ذلك يا جون. الرئيس وضيوفه يتناولون أطباقاً من المأكولات الفرنسية. إذن، أين وصلنا؟”

قلت: “اعذرني يا باين. لا بدّ وأني لم أكن أصغي إلى ما تقول، ولكن...”

“آه، أنا آسف. كان ذلك بول دان، المساعد الخاص للرئيس في شؤون الأمن القومي”. وشرح ما كان يجري فقال: “إنهم يقيمون مأدبة عشاء حميمة في البيت الأبيض هذه الليلة. وهذا خبر جيد لأنه سيكون في المقدمون إبعاد الرئيس والسيدة الأولى بسرعة من واشنطن، إلى جانب بول”.

سألته، “هل الطعام بهذا السوء؟”

ضحك مادوكس وقال: “أنت مضحك فعلاً”. وضع الهاتف الخليوي في جيبه، وقال: “لدي هوائي خليوي هنا، وقد أعدت تشغيل برج الترحيل، ولكن لسوء الحظ، لا يوجد أي من عملائي الذين يستخدمونه بالمجان في الجوار، ولهذا السبب، أخضعت النظام الآن للتشويش الصوتي”. وسألني، “أين وصلنا؟”

“سنة ملايين جثة تطفو على سطح النيل”.

“أجل. ستكون أكبر خسارة بشرية وحيدة في تاريخ العالم. كما عليك ألا تنسى مئة مليون أو أكثر من المسلمين الذين سيحرقهم مئة انفجار نووي آخر”.

بقي فكري مشوشاً بعد سماعي هذه العبارة. لقد فهمت ما تعنيه خطة **عاصفة النار**؛ التي بدت كردّ ثأري شديد بعض الشيء على انفجار نووي يقع في أميركا؛ من أكون أنا لكي أحكم؟ لكن ما لم أفهمه هو كيف كان مادوكس سيطلق **عاصفة النار** بتفجير أربع مدن إسلامية بالقنابل النووية... ثم فهمت الأمر على حقيقته. لم تكن المدن الأربع المستهدفة مدناً إسلامية، بل مدينتين أميركيتين، وهما المدينتان اللتان توجد الحقائب النووية فيهما: لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو. يا إلهي. نظرت إلى كايت التي بدا وجهها ممتقع اللون كوجه شبح.

أمسك مادوكس بجهاز تحكّم عن بُعد، وقام بتشغيل أجهزة التلفزة ذات الشاشات المسطحة الثلاث. أضاعت الشاشة الأولى، وظهر عليها استوديو إذاعة النشرات الإخبارية، وكانت خبيرة في الأرصاد الجوية تشير إلى خريطة الطقس المتوقع في

البلاد. قال مادوكس: "واشنطن"، ثم ضغط على زرّ إسكات الصوت مع سماعه للصوت.

ظهر على الشاشة الثانية أستوديو آخر لإذاعة الأخبار وكان هناك شخص يقرأ النشرة الرياضية. قال مادوكس: "سان فرانسيسكو"، ثم أسكت الصوت.

ظهر على الشاشة الثالثة مقدمان لبرنامج إخباري، وكانت يرتسم خلفهما مشهد للمدينة في وضح النهار، واحتجت إلى بضع ثوانٍ لأعرف أنها لوس أنجلوس. أصغى مادوكس ليضع ثوانٍ، ثم نظر إلى ساعته وقال: "حسناً، إنها الساعة 7:56 هنا، أي أن الساعة في الساحل الغربي هي 4:56". ونظر إلى العدّ التنازلي التي كانت تشير إلى أنها 4:48:47، 4:46، 4:45، ...

قال: "إذاً، لا تزال أمامنا خمس أو ست دقائق لكي يصل الحرف الأخير - دي - إلى أجهزة الاستقبال. وبعد مرور دقيقتين أخريين، يتم فك الشيفرة".

ابتلعتُ ريقي، وقلت له: "هل تريد...؟ أعني، هل أنت...؟"

"الفظّ الكلمة يا جون".

"ما هذا الذي تفعله؟"

"ماذا تراني أفعل؟"

لم أجب، ولم تجب كايث.

جلس على كرسيه المتحرّك، ووضع رجلاً فوق أخرى، وأشعل سيجارة أخرى، وقال لنا: "المشروع الأخضر. إنه اسم خطتي لإطلاق عاصفة النار. هل تفهمني؟ قمت بزرع أربع قنابل نووية؛ زرعت قنبلتين في لوس أنجلوس، وزرعت قنبلتين أخريين في سان فرانسيسكو". وأضاف "ستكّفني هاتان المدينتان عشرة ملايين دولار، إضافة إلى تكاليف الصيانة".

نظر مادوكس مجدداً إلى ساعة العدّ التنازلي وقال: "ستنفجر هذه القنابل كلها في أقل من ست دقائق". ثم عاد، والنقت إلينا، وقال: "وعندها، ينطلق الرّد الثأري لعاصفة النار، ونمحي هؤلاء المسلمين من على وجه الأرض جزاء على ما فعلوه في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو..". وتوقف فجأة، كما لو خطرت بباله فكرة، وقال: "لقد نسيت. أنا من سيفجر سان فرانسيسكو ولوس أنجلوس". وعلا صوته بالضحك.

يا إلهي. قلت له: "بالله عليك يا باين، لا يمكنك..."

“أخرس يا جون. أنت تتصرف الآن كما كان يتصرف هاري. وفيما تغلق فمك، فكّر في جمال هذا الأمر. إنه المشروع الأخضر، وعاصفة النار. لماذا لونها أخضر؟ لأنه..” ونظر إلى الشاشات المسطحة وقال: “هل ترى ذلك الشريط الذي يمر أسفل شاشة قناة لوس أنجلوس؟ ما هو المكتوب في هذا الشريط؟ لون مستوى التحذير هو اللون البرتقالي. وهل تعرف ما سيقوله في المستقبل القريب جداً؟ سيقول مستوى التحذير ذا اللون الأخضر. الخضرة الدائمة. هل تفهم؟ لن يصار إلى تفتيشك بالعصا السحرية مجدداً في المطارات... حسناً، في الواقع، لن تحتاج أبداً إلى الذهاب إلى المطار. ولكن عليك أن تفكر في كافة الرفاق الأميركيين الذين يشعرون بالانزعاج في المطارات”.

تحدث بكلام لا معنى له مدة من الوقت، ثم نظر إلى النشرات الإخبارية من لوس أنجلوس إلى سان فرانسيسكو على أمل أن يجد مؤشراً يدل على اكتشاف مخطط خطر في تلك المدينتين. ولكن كان مقدّم البرامج الإخبارية على وشك الانتهاء من إذاعة نشراتهم الإخبارية. اعتقدت - بل صليت في الواقع - على أمل أن يكون قد تم القبض على الطيارين والطيارين المساعدين. ولكن فرص العثور على هؤلاء الأشخاص الأربعة، إلى جانب العثور على الحقائق النووية لم تكن جيدة.

قلت لمادوكس: “يا باين، ستعرف الحكومة أنك كنت السبب، وليس الإرهابيين الذين...”

“يا جون، حتى لو عرفوا حقيقة الأمر، سيكون الوقت متأخراً جداً. فعاصفة النار تعمل بطريقة تلقائية وهي جاهزة للتنفيذ”.

“يا باين، سيأتون إلى هنا للبحث عن...”

“هل تعرف؟ أنا لا أبه لذلك طالما أن العالم الإسلامي مردوم بالخرائب النووية”. وأضاف، “لا أبالي إذا سقطت شهيداً من أجل بلادي، وإيماني...”

“هل فقدت عقلك العين؟ هل أنت عازم على قتل ملايين الأميركيين والملايين من المسلمين الأبرياء...؟”

“أخرس يا جون”. ونظر بسرعة إلى كارل ولوثر، ثم قال لي: “الغاية تبرّر الوسيلة”.

“كلا إنها لا تبرّر ها...”

رفع صوته وقال: “بل تبرّر ها. إننا نتحدث عن عالم جديد تماماً. هل أنت أغبي من أن تفهم...”

قالت كايت: “أريد الذهاب إلى دورة المياه”.

نظر مادوكس إلى كايت وقال: “ماذا تريدين؟”

“أريد الذهاب إلى دورة المياه. أرجوك، أنا لا أستطيع حبس نفسي. وأنا لا أريد أن... أبلل نفسي هنا...”

بدا الانزعاج على مادوكس، وفكّر للحظة، ثم قال: “حسناً، ولا أنا أيضاً لا أريدك أن تبلي نفسك هنا، بالنظر إلى العمل الكبير الذي قام به عمال تنقية الهواء”. ونظر إلى كارل، وقال: “راقبها”.

نهضت كايت، والتفتت، ثم قال كارل: “من هنا”.

لم أعد أراها، ولكنني سمعت وقع أقدام كارل على الأرض، وسمعت باباً يُفتح من خلفي.

راقب مادوكس الأحداث التي كانت تحصل، وكذلك لوثر الذي أخرج علبة السجائر.

قال كارل لكايت: “هيا، لن أغلق الباب”.

جاءت اللحظة التي طال انتظارها. كان كارل يراقب كايت وقد أدار ظهره إليّ، وقسم مادوكس انتباهه بين ساعة العدّ التنازلي، التي باتت تشير إلى أنها 3:26، وشاشات المراقبة الأمنية، التي كانت لا تزال تظهر عدم وجود أية مشكلات، وشاشات التلفزة المسطحة، التي كانت لا تزال تلخّص أخبار الساعة. أما لوثر فقد بقي مثبتاً عند باب الحمام المفتوح.

التفتت، ونظرت خلفي، فوجدت أن كارل لا يزال واقفاً عند الباب المفتوح وقد وضع بندقيته عند خصره مصوباً فوهتها نحو كايت التي كان في مقدوري رؤيتها وهي تقف قبالة المراحيض وهي تخلع سروالها.

لا أعرف الأشياء التي اعتقد كارل بأنه سيرها، ولكنه لم يكن سيرى شيئاً آخر.

قال مادوكس: “يا جون. أنت لست بحاجة إلى مراقبة زوجتك وهي في دورة المياه. انظر إلى الناحية الأخرى”.

أدرت وجهي عن الجهة التي كانت ستصبح شديدة التوهج، وحبست نفسي، وأغلقت عيني. كنت أنهياً لهذا الأمر، ولكنه عندما وقع، كدت أبول في سروالي.

وقع انفجار يصمّ الأذان ملاً الغرفة كما لو كان ضجيجاً متواصلاً. وبشكل آني، أضاءت الغرفة بنور يذهب بالأبصار كان في مقدوري الإحساس به وأنا مغمض

العينين، وسمعت كارل وهو يصرخ من الألم.

انبطحتُ على الأرض، وقاذف الإشارات المضيئة في يدي، ولكن الغرفة كانت مشبعة بالدخان، ولذلك لم أستطع رؤية مادوكس أو لوثر، وأمّلت بأنهما لا يستطيعان رؤيتي أيضاً. وكنت قد قررت بأن لوثر يشكل الخطر الأكبر ببندقيته الأم 16، ولذلك صوّبت القاذف حيث يمكنني رؤية الحركة بالقرب من الباب، وأطلقت الإشارة.

وقع انفجار آخر ضخم ملاً الغرفة مع تصاعد الوهج من السهم المضيء كحزمة ليزرية حمراء، وانفجر على الجدار؛ أو على لوثر.

لا يهم إن كنتُ أصبته أم لا في هذه اللحظة، لأن الجميع كانوا شبه عميان وطرشان، ومذهولين بكل تأكيد.

قفزت من مكاني إلى حيث كان كارل ممدداً على الأرض. ومددت يدي لكي ألتقط بندقيته ولكنني لم أجدها. وعندها صاحت كايث، ولكنني لم أتمكن من سماع ما تقوله. نظرت إليها، ورأيت أنها استولت على سلاح كارل.

اشتعلت بعض الحرائق الصغيرة في السجادة من جراء ألسنة اللهب التي أطلقها القاذف، كما شاهدت أريكة وهي تحترق.

نظرت إلى وجه كارل - أو ما كان وجهه يوماً - ثم انحنيت وهاجمت مادوكس الذي كان في استطاعتي رؤيته الآن على الأرض بالقرب من كرسيه المتحرك وهو ينتقل من مكان إلى مكان، على غير هدى، ولكن قدرته كانت أبعد ما يكون عن الشلل. خطوت خطوة كبيرة بقدر ما سمحت به قيودي، وألقيت بنفسي إلى الأمام، ثم زحفت على يديّ وركبتيّ نحو مادوكس. وقبل أن أتمكن من الوصول إليه، وقف لوثر ورفع بندقيته عن كتفه، وكان على وشك أن يملأني بالتقوب عندما دوى صوت طلق عيار في الغرفة، وبدا أن لوثر يقاوم الجاذبية فيما كان يحاول الوقوف على قدميه قبل أن يرتطم بالجدار.

قبل أن يسقط، أطلقت كايث النار عليه للمرة الثانية، فاخترق فكّه السفلي.

قفزت إلى مادوكس مجدداً الذي أصبح جاثياً على ركبتيه الآن وهو يواجهني ومسدسه الكولت من عيار 0.45 في يده. وفيما كان يهم برفع يده، صاحت كايث، “قف مكانك، قف مكانك. ألقِ المسدس على الأرض، ألقه على الأرض، وإلاّ فستموت”.

جاءت اللحظة الطويلة التي أعاد مادوكس فيها درس خياراته. ولكن كايث ساعدته على اتخاذ القرار بإحداث ثقب في السقف فوق رأسه. وقبل أن تسقط الشظايا الخرسانية عليه، ألقى مسدسه على الأرض.

بدا أن الزمن توقف للحظة، حيث كنت ومادوكس جاثيين على ركبنا ووجه أحدهما قبالة وجه الآخر وتفصل بيننا مسافة متر ونصف تقريباً. كانت كايث تقف على مسافة ثلاثة أمتار تقريباً وهي تصوّب البندقية نحو رأس مادوكس.

انتشرت في الغرفة رائحة المتفجرات المحترقة، وملاً دخان أزرق اللون أرجاء الغرفة. استعدت قدرتي على الرؤية، ولكن البقع السوداء كانت ترقص أينما نظرت. وفي ما يتعلق بقدرتي على السمع، أذكر أنني سمعت طلقات بندقية، ولكنها بدت من مكان بعيد، وإذا كان ثمة ضجيج آخر في الغرفة، فقد كنت عاجزاً عن سماعه.

وقفتُ ببطء، ثم أمسكت بمسدس الكولت الذي كان ملقى على السجادة، ومشيت نحو لوثر الذي كان جالساً بالقرب من الباب وقد أسند ظهره إلى الجدار. لم يكن ميتاً، ولكنه سيئمنى لو أنه مات في حال بقي على قيد الحياة بدون فكه السفلي. أدت الطلقة الأولى التي أطلقتها كايث إلى تمزيق ذراعه، ولكن بندقيته كانت لا تزال تتدلى فوق صدره، ولذلك أبعدتها عنه، ونقلت مفتاح الاختيار من النسق الأوتوماتيكي بالكامل إلى الأمان، ثم علقت البندقية فوق كتفي.

قامت كايث بسحب مادوكس على البساط حيث كان وجهه مدفوناً في صوفه الأزرق الفخم، وكان في مقدوري رؤية أنه لم يكن مرتاحاً.

نظرت إلى ساعة العداد التنازلي، ورأيت أنه لم يتبق سوى دقيقتين كاملتين قبل أن تصل إلى 0:00.

احتجت إلى تنفيذ الخطوة التالية وفقاً لما تمليه الإجراءات المتبعة، لكي أتأكد من أنه لم يعد يوجد أحد يشكل خطراً على كايث أو عليّ. ولذلك مشيت نحو كارل الذي كان لا يزال حياً والذي باتت أجزاء من وجهه في أمكنة لا تنتمي إليها.

شرعت في تفتيش ثيابه، ولكنه أدهشني عندما جلس، كما جلس فرانكشتاين على طاولة المختبر، فتراجعت إلى الوراء.

راقبته وهو يقف على قدميه. من الواضح أنه أصيب بالعمى؛ لم يكن عمى مؤقتاً، بل عمى دائماً بالنظر إلى الحروق التي أصابت محيط عينيه. وبالرغم من ذلك، دسّ يده في جيب سترته، وسحب مسدس كولت أوتوماتيكياً من عيار 0.45.

كنت على وشك أن أقول له: "ألقه على الأرض"، ولكنه لم يكن يعرف في أي اتجاه يطلق النار، ولذلك اتخذت قراراً صعباً بالنظر إلى الوقت الذي كان ينقضي بسرعة، وأفرغت طلقة من عيار 0.45 في جبهته. كان أضخم من أن تحمله رجلاه، ولذلك انقلب إلى الوراء مثل شجرة ضخمة انقلبت على الأرض.

قالت كايث: "بقي 58 ثانية".

تقدمت من مادوكس الذي كان ينظر إلى جثة كارل، وسألته، "كيف يمكنني إيقاف العدّ التنازلي؟"

التفت إليّ، وأجاب، "عليك اللعنة".

"هل يوجد لديك شيء ذكي تقوله؟ هيا يا باين، ساعدني. كيف يمكنني إيقاف هذا الشيء؟"

أجاب "لا يمكنك إيقافه". وأضاف، "ولماذا تريد القيام بذلك؟ فكّر في الأمر يا جون".

يتوجب عليّ أن أكون صادقاً، وأعترف بأنّي كنت أفكر في الأمر، ولكنني لم أكن لأسمح بحدوث ذلك.

قالت كايت: “خمس وأربعون ثانية”.

عدت إلى التفكير في ما قاله مادوكس في معرض الحديث عن الإشارة إلف، وتذكرت شيئاً يتعلق بالإشارة المستمرة، وفترة إرسال النبضات، ولذلك خطر ببالي أنه إذا استطعت منع جهاز الإرسال من إرسال الموجة، فلن تتمكن أجهزة الاستقبال من فك شيفرتها وإرسال النبضات إلى أجهزة التفجير النووية. لم تكن الإلكترونيات واحدة من نقاط القوة لديّ، ولكن الدمار كان واحداً منها، ولم يكن يوجد شيء يمكن أن أخسره، باستثناء مدينتين، ولذلك تراجعت إلى الوراء وقلت لكايت بأن تفعل الشيء نفسه.

وصل العدّ التنازلي إلى 0:15 ثانية، ولكنني تذكرت أن باين أشار إلى أن موجة إلف وفك الشيفرة يمكن أن يتما قبل دقيقة أو دقيقتين أو بعد دقيقة أو دقيقتين من وصول الشيفرة إلى أجهزة الاستقبال، أي أن فترة إرسال النبضات التي تستغرق دقيقتين بدأت أو أنها انتهت.

نظرت إلى شاشات التلفزة المسطحة الثلاث، ولكنني لم أشاهد أمراً غير اعتيادي يحدث في سان فرانسيسكو أو في لوس أنجلوس أو في واشنطن.

قالت كايت: “جون”.

نظرت إلى حيث كانت تنظر، ورأيت أن العدّ التنازلي وصل إلى 00:00، وأن الصندوق الأسود بدأ يطلق ومضات مؤلفة من الحروف جي - أو - دي.

رفعت مسدس الكولت وصوبته نحو جهاز إرسال الإشارات إلف. وفي هذه اللحظة، نهض مادوكس وأصبح جانثياً على قدميه الآن بيني وبين جهاز الإرسال، كما لو أنه يريد حمايته. ورفع يديه وصاح، “لا تفعل ذلك يا جون. دع الأمر يحدث. أتوسل إليك. أنقذ العالم، أنقذ أميركا...”

أطلقت ثلاث رصاصات مرّت فوق رأس مادوكس، وأصابت جهاز الإرسال، وأطلقت ثلاث رصاصات أخرى على اللوحة الإلكترونية لزيادة الاطمئنان. وعندها، أطلقت كايت آخر طلقتين على الأجهزة الإلكترونية التي بدأ يتصاعد منها الدخان.

انطفأت الأنوار، وأجهزة الاتصال والأدوات المختلفة، وتصاعد الدخان من الخزانة المعدنية السميكة، وتطاير الشرر منها. وانطفأت الحروف جي - أو - دي.

التفت مادوكس نحو جهاز إلف الذي كان يُحتضر، ثم التفت إليّ، ثم إلى كايت، وقال بصوت يشبه الهمس: “لقد حطمتما كل شيء. كان في مقدوركما ترك ذلك يحدث. لماذا أنتما بهذا الغباء؟”

كان لديّ القليل من الأجوبة الجيدة لأقدمها له عن الواجب، والشرف، والبلاد، ومن ذلك “إذا كنت بهذا الغباء، لماذا أصبح مسدسك في يدي؟” ولكنني دخلت إلى

صلب الموضوع مباشرة وقلت: "هذا من أجل هاري مولر"، وأفرغت رصاصتي
الأخيرة في دماغه.

الفصل 51

وجدنا المفتاح في جيب كارل، فتخلصنا من الأصفاد التي كانت في أرجلنا. كما وجدنا مسدسه الكولت من عيار 0.45 ملقى على الأرض، فوضعتة كاييت على خصرها.

وقفت وكاييت جنباً إلى جنب في الغرفة الممتلئة بالدخان، صامتتين مثل شاشات التلفزة التي كنا نشاهدها. وبعد مرور بضع دقائق من الإعلانات التجارية - التي لم تتخللها نشرات إخبارية عاجلة، وبعد أن تبين لنا عدم انقطاع البث في لوس أنجلوس أو في سان فرانسيسكو - قلت لكاييت: "أعتقد بأن كل شيء على ما يرام".

أومأت برأسها.

قلت لها: "هل أنت بخير؟"

"أجل أنا بخير، ولكنني مذهولة".

تركت بضع دقائق تمرّ، ثم قلت: "لقد قمت بعمل جيد".

"جيد؟ لقد قمت بعمل رائع".

"كان عملاً رائعاً".

بعد مرور دقيقة أخرى من الصمت، سألتني، "هل تصدّق ذلك؟ هل تصدّق ما كان مادوكس ينوي أن يفعله؟"

نظرتُ إلى اللوحة الإلكترونية، وقلت: "المواقف اليائسة تتطلب تدابير يائسة".

امتنعتُ عن الردّ لفترة وجيزة، ثم قالت: "اعتقدت يا جون بأنك ترددت قليلاً".

فكرت في ما قالته ثم سألتها، "حقاً؟"

قالت: "لا يوجد لديّ جواب".

لكن يوجد لديّ شيء أقوله: "كان الأمر سيحصل على أية حال".

"لا تقل ذلك".

حاولتُ أن أمزحها، فسألتها، "لماذا لا نبقى هنا بضع سنوات؟"

لم تجب على سؤالي.

نظرتُ إلى باين مادوكس الذي كان لا يزال جاثياً على ركبتيه، ولكن رأسه كان مقلوباً إلى الورا هذه المرّة، على حافة طاولة اللوحة الإلكترونية. كانت عينا الصقر الرماديتان مفتوحتين، لا ترمشان ولا تتحرّكان كما كانتا دائماً. وفيما عدا النقب الأحمر في وسط جبهته، بالكاد كان في مقدوري التأكد من أنه مات، وهو أمر كان يبعث على القشعريرة.

لاحظتُ كايت أنني كنت أحقق إلى مادوكس، فقالت: “لقد قمتُ بما كان يتوجب عليك القيام به”.

ولكنّ كلانا كان يعرف بأن كلامها ليس صحيحاً. لقد قمتُ بما أردت القيام به.

نظرت بعيداً عن مادوكس، وراقبت شاشات المراقبة الأمنية الستّ، ولكنني لم أرَ أحداً، باستثناء حركة غامضة في محيط بيت الحراسة، واعتقدتُ بأنه ديريك. ثم شاهدت سيارة جيب تمرّ بجانب مبنى المولدات الكهربائية.

قلت لكاييت: “إنهم لا يزالون في الخارج، ولم يصل أحد من مقرّ شرطة الولاية”.
أومأت برأسها، وقالت: “إذاً، سنبقى هنا فترة من الوقت”.

لم تعجبني فكرة البقاء في هذه الغرفة فترة أطول مع وجود جثتين هامدتين على الأرض، وسجادة وأريكة تحترقان ببطء، إضافة إلى رائحة المعدات الإلكترونية المحترقة. كما أن لوثر كان يتأوه، وتعرّفت على صوته. لم يكن في وسعنا فعل الكثير من أجل مساعدته، ولكنني اعتقدت بأنه ينبغي أن أحاول، ولذلك بحثت عن خط هاتفي أرضي من أجل الاتصال بمقرّ شرطة الولاية، وطلب إحضار سيارة إسعاف، ناهيك عن إحضار بعض العناصر من أجل إلقاء القبض على ديريك وكل من يلزم اعتقاله، وإخراجنا من هذا المكان.

بقيت كايت تشاهد شاشات التلفزة الثلاث، وتراقب ساعة كانت مثبتة على الجدار.
قالت كايت: “أعتقد بأن الأمور تسير على ما يرام”.

“أجل”. لم أستطع العثور على هاتف، وفكرت في البحث في غرفة أخرى، وهذا ما ذكرني بالغرفة ذات الباب المقفل والتي سمعت صوت تلفاز يصدر منها. أعني أنني لا زلت أعاني من انفجاري سهمي الإشارة، ولكن كان يجدر بي أن أكون أكثر حذراً. كما أن حاسة السمع لم تعد إليّ بالكامل، وكذلك كانت حال كايت، ولذلك لم نتمكن من سماع وقع أقدام شخص قادم من الممرّ، وأدركت لأول مرة بأننا لسنا لوحدها عندما سمعت صوتاً يقول: “حسناً، أنا لم أتوقع حدوث ذلك”.

استدرتُ، ووجدت بالقرب من الباب الشبّح تيد ماش. وفقدتُ على إثرها القدرة على النطق.

كما وقفت كايت أيضاً في وسط الغرفة وهي تحدّق، وفمها مفتوح.

وأخيراً قلت: “أنت ميت”.

أجاب “في الواقع، أنا لست كذلك”. وأضاف، “أنا آسف لإزعاجك”.

أجبت، “أنا لست منزعجاً بل خائب الأمل”.

“كن لطيفاً يا جون”. ونظر إلى كايت، وسألها، “إذاً، كيف حالك؟”

لم تجب عن سؤاله.

عرفت أنه كان لووكالة المخابرات المركزية ضلع في العملية، لكن لم أتخيل أن أرى، حتى في أسوأ كوابيس، تيد ناش مجدداً، أو ربما ميتاً.

تفحص ناش الغرفة، ولكنه لم يعلق على الدمار، أو على بقع الدم المنتشرة في المكان، أو على لوثر الذي كان يُحتضر على مسافة بضعة أمتار منه، أو على كارل الذي خرّ صريعاً في وسط الغرفة. كان تيد شخصاً بارداً الأعصاب. ولكنه نظر إلى باين مادوكس وقال: “هذا عار فعلاً”.

من الواضح أن آراءنا كانت مختلفة بشأن المتوفى.

قال ناش محدثاً نفسه من غير أن يوجه كلامه إلينا: “حسناً، سيكون هناك الكثير من الأشخاص الذين خاب أملهم في واشنطن”.

لم أردّ على كلامه وكذلك كايت، ولكنني فكرت في الإمساك ببندقية الأم 16 المعلقة في كتفي ووضعها في وضعية إطلاق النار. لم أكن أشعر بارتياح كامل باعتبار أنه ربما كان تيد ناش قاتلاً، وغير معجب بالتأكيد بجون كوري. كما أنه كان يرتدي سترة رياضية، وكانت يده اليمنى في سترته، مثل عارضي الأزياء الذين نرى صورهم في الكاتالوجات. كانت تلك وقفة رجل هادئ الأعصاب، في جيبه مسدس.

وأخيراً قالت كايت: “ما الذي تفعله هنا؟”

“أنا أعمل”.

قالت: “أنت، ... كنت في البرج الشمالي...”

“في الواقع، وصلت متأخراً، مثلك يا جون ومثل العديد من الأشخاص الآخرين”. وقال بطريقة فلسفية: “ألا ترى أن القدر يعمل بطريقة مضحكة؟”

أجبت، “أجل. القدر برميل مليء بالنكات”. وسألته، “ما هو الاتفاق يا تيد؟ هل تريد أن تقول لي إنك جنّيت إلى هنا لكي توقف مادوكس، ولكنك وصلت مرة أخرى متأخراً بضع دقائق؟”

ابتسم، وأجاب: “أنا لست هنا من أجل إيقاف مادوكس”. ونظر مجدداً إلى الراحل السيد مادوكس وأضاف، “لكن من الواضح أن هذا هو سبب وجودك أنت”.

“لقد جنّيت إلى المكان لحضور مأدبة العشاء وليس أكثر”.

عندها، وقبل أن ندخل في حوار ذكي وسريع، شهر مسدسه الغلوك الذي كان شبيهاً بمسدسي وقال: “لقد أفسدتما الأمور فعلاً”.

قلت: “كلا يا تيد. لقد أنقذنا للتو سان فرانسيسكو ولوس أنجلوس”. وأضفت، لكي أتأكد من أنه فهم ما قلت: “إننا بطلان. والأشخاص الأشرار باتوا في عداد الأموات”.

بدا عليه الغضب الآن، وهو الحال الذي طالما كان عليه معي، ولكن كان في يده مسدس هذه المرة، وأدركنا في جانب من يقف تيد في هذه القضية. قال تيد: “ليس لديك أدنى فكرة عن دورك في إفساد الأمور”. ونظر إليّ، ثم إلى كايت، وقال: “إن العالم، الذي نعرفه، كان على وشك أن يتغيّر إلى الأبد. هل تفهم ذلك؟ هل تفهم؟”

بدا أنه استشاط غضباً، ولذلك لم أجب عن هذا السؤال السخيف.

ومضى يقول: "كانت تلك الخطة الأفضل، والأكثر براءة، وجرأة من بين كافة الخطط التي توصلنا إليها. كان في مقدورنا في يوم واحد لعين، يوم واحد يا جون - يوم لعين واحد - إزالة خطر عظيم يهدد أميركا. وأنت وأنت - أيتها العاهرة - أفسدتما كل شيء".

"هاي أنا آسف فعلاً".

أخذت كايت نفساً عميقاً، وقالت بنبرة حادة: "أولاً يا تيد، أنا لست عاهرة. ثانياً إذا كانت الحكومة تريد تدمير العالم الإسلامي بواسطة أسلحتها النووية، أو التهديد بتدميره، فعليها أن تتحلّى بالشجاعة للقيام بذلك بدون أن تختلق هجوماً إرهابياً لعيناً على مدينتين أميركيتين، وتقتل ملايين الأميركيين.."

"أغلقني فمك اللعين. من يابه للوس أنجلوس وسان فرانسيسكو؟ ليس أنا بالتأكيد، ولا أنت أيضاً. لا تحدّثيني عن المبادئ الأخلاقية يا كايت. لقد سنحت لنا الفرصة لإيصال العالم الإسلامي إلى خاتمة السعيدة، ولكنك أفسدت الأمر مع هذا المهرج اللعين الذي تزوجت منه..". "ونظر إليّ، ولأول مرّة، لاحظ شيئاً معلقاً في كتفي، والفوهة السوداء لبندقية الأم 16 بارزة من خلف ظهري. صوّب مسدسه الغلوك نحوي، وقال: "أبعد هذه البندقية اللعينة عن كتفك، وإياك أن تلمسها. إياك أن تلمس أي شيء. ضعها على الأرض. الآن".

انحنيت نحو اليسار لكي تنزل البندقية ببطء على كتفي لتصل إلى ذراعي، فيما كنت أفكر في طريقة للإمساك بالبندقية، وتحريك قفل الأمان، والتصويب والبندقية عند مستوى الورك، وإطلاق رصاصة واحدة جيدة.

من الواضح أن السيد ناش سئم من تجاوبي البطيء، فقال: "لا تتكلّف العناء. ابق واقفاً حيث أنت ومت". "وصوّب مسدسه الغلوك نحو صدري وقال: "أريد أن أحيطك علماً وأقول بأنني ضاجعتها".

سمعت صوتاً مدوّياً، ولكنني لم أر فوهة مسدسه تومض. ولكنه رمى مسدسه في الهواء، أو هذا ما بدا لي. انقلب جسده إلى الخلف، كما لو تم ركله في الصدر، وارتطم بالجدار بجانب لوثر. وفيما كان ينزل على الأرض، أفرغت كايت مسدس الكولت 0.45، الذي كان في حوزة كارل، في جسد ناش الذي ارتدّ بعنف مع كل طلقة أصابته.

راقبتها وهي تطلق الرصاصات الثلاث الأخيرة، ولم ألاحظ شيئاً هستيرياً أو مسعوراً في طريقتها في إطلاق النار. كانت تمسك المسدس الأوتوماتيكي الضخم بكلتا يديها بالطريقة الصحيحة، الركبتان منحنيتان، والذراعان ممدودتان، والهدف في الوسط، والضغط على الزناد، وإطلاق النار، والتنفس، والانتظار، والضغط على الزناد، وهكذا، إلى أن علق نابض الإرجاع في المكان الفارغ.

تقدمت نحوها لكي أنتزع المسدس من يدها، ولكنها ألقت جانباً.

قلت: "شكراً لك".

بقيت تحدّق إلى جسد ناش، الذي بات مغطى الآن بالدم والدم المتخثر الناتج عن إصابة في الرأس.

قالت: "أنا لست عاهرة يا تيد".

عليّ أن أنذرك ضرورة عدم استعمال هذه الكلمة عندما أتجادل مع كايت.

الفصل 52

تمكنتُ من العثور على هاتف أُرضي، واتصلت بالرائد شافير الذي كان، كما تبين لي فيما بعد، لا يعرف شيئاً عن المكان الذي كنا فيه، ولا عن المكان الذي ذهبنا إليه.

قدّمت له موجزاً منقحاً بالمعلومات التي يحتاج إلى الإطلاع عليها، وأشرت إلى جريمة القتل والأذى المتعمّد، وطلبت إرسال عناصر من الشرطة، وسيارة إسعاف، وفريقاً للتحقيق في مسرح الجريمة، كما طلبت حضوره شخصياً.

بالاستعانة بكاييت، وتسلّحي ببندقية الأم 16 المموهة بالكامل، ومسدس الغلوك الذي تفضل تيد مشكوراً بحشوه بالكامل، استكشفت، وأمّنت الغرفة الأخرى التي في الملجأ السفلي التي كان من الممكن أن تُعرض في 'بيتر هومز' والملاجئ النووية.

وجدت الحقيبة القماشية التي كانت تحتوي على حاجياتنا وثيابنا فقمنا بارتدائها.

لم يكن يوجد شيء مثير أو مفيد في سجين لا حول له ولا قوة، وخصوصاً إذا كان السجنانون مضطربين نفسياً وقتلة، ولذلك، لم أفهم متلازمة ستوكهولم حيث يبدأ السجين بالتعرّف على أسره، ثم يبدأ بالتعاطف مع أي شيء تافه يقوله الأسر كتبرير لسلوكه السيئ.

غير أن ما يقوله المصاب باضطراب نفسي أو يفعله ينسجم في بعض الأحيان مع ما يؤمن به السجين أصلاً أو يؤمن به في الأعماق المظلمة لعقله. لكن يكفيننا التحدث عن ذلك.

وجدتُ وكاييت غرفة المشرب الخاصة بمادوكس، والتي كانت في الواقع نسخة مصغرة عن غرفة المشرب التي في نادي الصيد، واخترت زجاجة من 'دوم بيرنيون' التي ترجع إلى العام 1978، ففتحتها وشربتُ منها بواسطة كأس للماء.

ووجدتُ بعض الزجاجات غير المبرّدة من جعة كارلستاد التي لم تتحسن مع العمر، بل أصبحت في واقع الأمر معكرة بعض الشيء منذ العام 1984.

بالعودة إلى السيد تيد ناش، كانت تلك المرّة الثانية التي يعود فيها من بين الأموات والتي أمل بأن تكون الأخيرة. أحصيت سبعة ثقوب فيه، والتي لم تكن إصابات سيئة من بين ثماني طلقات. في الواقع، أحسست بأنني سخيّف وأنا أحسّ نبضه، وسألنتي كاييت عما أفعله. ولكنني احتجت إلى أن أكون متأكداً. وفي ما يتعلق بتيد ناش أيضاً، لقد تمكن في أقل من ثلاث دقائق من إثارة غضبي. فأنا لست مهرّجا يا تيد، وزوجتي ليست عاهرة. وبالنسبة إلى الشيء الآخر،... حسناً، هذا أمر قد حصل. وحتى كاييت يمكن أن ترتكب أخطاءً مع الرجال، وأنا متأكد من أنه ليس كافة عشاقها يسمّون جون كوري.

لا بدّ وأن كاييت تكهنت بما كنت أفكر فيه. أنهت كأسها الثانية من الشراب، وقالت: "لم يحصل ذلك أبداً. لقد كان يكذب".

حسناً، لم يكن في مقدوري سؤال تيد عن ذلك، ولذلك تغاضيت عن الأمر وقلت: “عملاء وكالة الاستخبارات المركزية يكذبون”.
“أتمنى أن تصدقني”.

في الواقع، كانت تمسك بمسدس الغلوك الذي كان لتيد، ولذلك قلت: “أنا أصدقك يا عزيزتي”.

وبما أنها محامية وعميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي، قالت: “يمكنني تبرير إطلاق الرصاصة الأولى والثانية بأن ذلك كان دفاعاً عن النفس. ولكنني لا أستطيع تبرير الرصاصات الست الأخرى”.

قلت لها: “لنقل أن تيد تحدّك أن تصيبيه ثمانى مرّات”. وأضفت، “في الواقع، سأكون سعيداً بنيل العقاب - أو الثناء - على قتله”.

أجابت، “أشكرك، ولكنني... سأعالج الموضوع”.

عدنا إلى غرفة محطة إرسال الإشارات إلف للتحقق من شاشات المراقبة، فشهدنا رجال شافير في سيارات تحمل علامات وأخرى لا تحمل أية علامات، وسيارة إسعاف، وهي مصطفة على طريق ماكوين بوند خلف البوابة المقفلة.

الغريب في الأمر أن البوابة لم تفتح، مما اضطرّ السيارة التي في المقدمة إلى تحطيمها. وبعد ذلك، دخل شرطيان بيت الحراسة، وبعد مرور بضع دقائق، أخرج اثنان من فريق خدمات الطوارئ الطبية جثة من بيت الحراسة على نقالة، وعادا إلى سيارة الإسعاف.

سألنتي كاييت، “ماذا يحدث هناك؟”

أجبتها، “أنا متأكد من أن ديريك قد قُتل”.

“قُتل؟”

“أجل. كان مادوكس بحاجة إليه لإعادة ترتيب نادي الصيد والتخلّص من المركبة المقفلة التي استعرتها من رودى. ولكن مادوكس لم يرد أن يتحدث ديريك عن هذا الأمر، أو عن وجود أشخاص في الملجأ النووي، ولذلك أمر شخصاً بالتخلّص منه”.

علّقت كاييت بالقول: “يبدو أن باين مادوكس يفكر في كل شيء”.

“ليس كل شيء، وليس بعد الآن”.

بقينا في المكان لمدة خمس عشرة دقيقة أخرى للتأكد من أن الأشخاص المناسبين هم المكلفون بدخول نادي الصيد، ثم صعدنا السلم اللولبي حيث وجدنا محوّلاً هيدروليكيًا لرفع طاولة لعب الورق، وصعدنا إلى تلك الغرفة، وتفنّسنا هواءً منعشاً.

رفعنا شارتينا، وجرى تمريرنا من شرطي إلى آخر إلى أن وجدنا نفسينا في الغرفة الكبيرة حيث أقام الرائد شافير مركز قيادة مزوداً بجهاز لاسلكي وبعض

العناصر. كان قيصر ويليام نائماً بالقرب من المدفأة.

سألنا شافير، "بالله عليكم، ما الذي يجري هنا؟"

أجبت، "تم حلّ القضية الجنائية. باين مادوكس ورئيس الخدم كارل هما اللذان ارتكبا الجريمة".

"حقاً؟" وسألني، "أين يوجد مادوكس؟"

"في الملجأ النووي".

أجاب، "لقد فتشنا الطابق السفلي بأكمله".

شرحت له كيفية الوصول إلى الملجأ النووي وقتلت: "ستجد ثلاثة رجال قتلى هناك، ورجلاً آخر مصاباً بجروح بالغة".

"من هم هؤلاء القتلى؟"

أجبت، "مادوكس، وكارل، ورجل آخر".

"هل مات مادوكس؟ كيف مات؟"

أجبت بغموض متعمّد، "أحضر فريقك الخاص بالتحقيق الجنائي إلى مسرح الجريمة ودعه يعمل". وأضفت، "كما أن الجريح بحاجة إلى مساعدة طبية عاجلة".

أمسك شافير بجهاز اللاسلكي، وأعطى أوامره بالدخول إلى الملجأ النووي.

كما نصحت شافير قائلاً: "ينبغي أن تجرّد الحراس من أسلحتهم، وتحتجزهم".

أجاب، "لقد تم تجريدهم من أسلحتهم، ووضعهم في الثكنة تحت الحراسة".

"هذا جيد".

سألني، "ماذا لديك ضدّهم؟"

"إما أنهم ساعدوا على ارتكاب الجريمة أو شاهدوا من ارتكابها، أو الأمرين. قل لهم إن رئيسهم قد مات، وسترى إن كانوا سيبدأون بالكلام".

أوماً برأسه وقال لنا: "كانت محرّكات الديزل والمولدات الثلاثة تعمل بكامل طاقتها وقمنا بايقافها". وسألنا، "هل تعرفان أي شيء عن الموضوع؟"

أجبت، "حسناً، كما تبين لي، كان 'فريد' محقّقاً". وأضفت، "أعني ما قاله ذلك الرجل عن الغواصات".

"ماذا تقول...؟"

قالت كايت: "إننا أسفان يا حضرة الرائد، ولكن تلك المعلومات تتدرج تحت فئة المعلومات التي تخصّ الأمن القومي".

"حقاً؟"

عدتُ إلى الحديث عن جريمة القتل، وقلت لشافير: “لا تكلف نفسك عناء البحث عن بوتيوف هنا”.

“ولمَ لا؟”

“حسناً، استناداً إلى ما قاله الراحل السيد مادوكس، فقد قتل ضيفه الدكتور بوتيوف، ثم وضع جثته في فرامة الأخشاب”.

“ماذا تقول؟”

قلت: “إذا كان هذا الخبر يهكم، فعليك أن تعرف بأن بوتيوف نال الجزاء الذي يستحقه. ولكنني لا أستطيع التعمق في هذا الأمر”. وأضفت، “ربما سترغب من فريق التحقيق الجنائي في مسرح الجريمة إيلاء عناية خاصة لفرامة الأخشاب. وفي حال لم يجدوا شيئاً فيها، فقد تفكر في جمع بعض روث الدببة، وترى إن كان يوجد أثر للحمض النووي للدكتور بوتيوف فيه”.

قال شافير: “أنا لم أستوعب ما قلته...”

سألته، “هاي، ماذا حصل للرجل الذي كان في بيت الحراسة؟”

أجاب شافير، “لقد مات”.

“إنه ديريك أليس كذلك؟”

“هذا هو الاسم المكتوب على شارة الأسماء”. وأضاف، “قال الرفاق في خدمات الطوارئ الطبية بأن الحادثة أشبه بحادثة تسمم. ربما كان النيوتروكسين، فقد كان الرجل ينتفض كالمصروع قبل أن يموت”.

قلت لكاييت: “يا إلهي، أمل بأن السم لم يكن مدسوساً في السجق الملفوف بالعجين”.

أجاب شافير، “لم نعثر على أية قطع من السجق الملفوف بالعجين، ولكن يوجد إبريق طازج من القهوة في بيت الحراسة، وقد أراق هذا الرجل كوب القهوة على طاولته. ولذلك أعتقد بأنه تم دس السم في القهوة”. وأضاف، “سنعمل على التأكد من ذلك بإجراء اختبار السموم”.

قالت لي كاييت: “مادوكس يخطط سلفاً”.

“لم يعد يخطط بعد الآن”.

سألت كاييت، “هل عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي موجودون هنا؟”

أجاب شافير، “أجل”. وأضاف، “لقد أقاموا مركز قيادة خاصاً بهم”. ورفع رأسه إلى أعلى وقال: “في مكتب مادوكس”. وأخبرني، “صديقكما غريفيث موجود هنا، وهو لا يزال يبحث عنكما”.

قالت لي كاييت: “لنذهب ونلقي التحية عليه”.

“حسناً”. وقلت لشافير: “سأراك في وقت لاحق”.

نظر إلينا وقال: “رائحتك مثل رائحة الدخان، ومظهرك مثل مظهر الجحيم. ماذا حصل؟”

أجبت، “الأمر أشبه بقصة طويلة فعلاً وفي منتهى الغرابة. اسمح لي بالعودة لأحدثك عنها.”

ذكرني قائلاً: “يتعين عليك البقاء في المسرح للمساعدة في التحقيق.”
“سأراك لاحقاً.”

أمسكت بذراع كايت، وغادرنا الغرفة الكبيرة.

كان هناك حوالي عشرة من عناصر شرطة الولاية ينتقلون في أرجاء المنزل، وبدا واضحاً أنهم لا يعرفون شيئاً عما يفترض بهم القيام به. أبرزت أوراقي، وسألت واحداً منهم “أين يوجد المطبخ؟”

“المطبخ؟ أه، عليك أن تسير في هذا الممر.”

“شكراً لك.” توجهت نحو المطبخ، وذكّرتني كايت بالقول: “علينا الاجتماع بليام غريفيث.”

“قال شافير إنه موجود في المطبخ.”

“قال إنه موجود في مكتب مادوكس.”

فركت أذني وقلت: “هل يمكنك أن ترددي تلك العبارة مرّة أخرى؟”

وجدنا المطبخ، ولم نجد فيه أحداً. لاحظت بأنه لم تكن هناك تحضيرات لمأدبة العشاء، وعبرت عن استنتاجي لكايت التي أجابت، “أعتقد بأن العشاء كان خدعة يا جون.”

“حقاً؟ ألا توجد شرائح من لحم البقر وقطع من البطاطا؟”

“ما سبب وجودنا في هذا المكان؟”

“إنني أشعر بالجوع.”

“هل يمكنني أن أحضر لك فنجاناً من القهوة من بيت الحراسة؟”

“بالتأكيد، وأحضري كوباً آخر لك.” ثم فتحت ثلاجة كبيرة من الحجم الصناعي، ووجدت بعض الجبن وقطعاً من اللحم البارد.

سألتني كايت، “كيف يمكنك أن تأكل؟ فمعدتي مهتاجة.”

“أنا جائع.” وألقيت الجبن وقطع اللحم البارد على المنضدة، ثم مشيت نحو حوض المطبخ وغسلت يدي. أعتقد بأنه يوجد شيء من مادوكس في داخلي. وفيما كنت أقوم بذلك، دخل السيد غريفيث المطبخ وسألنا، “أين كنتما طوال هذه المدة؟”

نظرت إليه، وقلت: “هل يمكنك إعطائي منشفة الأطباق؟”

تردد، ثم أعطاني إيّاها، ثم سألت، “ما الذي تفعله هنا؟”

قطبت حاجبي، وأجبتة، “كنا نعمل على إنقاذ الكوكب من دمار نووي”.

“حقاً؟ وما الذي قمت به في إنجازك الثاني؟”

أعطيت المنشفة لكاييت، التي مشت نحو المغسلة لكي تغسل يديها.

قلت لغريفيث: “حسناً، لقد قتلنا رجلاً منكم”. ونزعت الغطاء عن جبن الشدر وقلت، “تيد ناش”.

لم يعلق السيد غريفيث على ذلك، ولكن كنت أستطيع الاستنتاج من ملامح وجهه أنه لم يفهمني. وأخيراً سألني، “هل قلت إن تيد ناش قد مات؟”

“هذا ما قلته”. وسألته، “ألا يبدو ذلك خبيراً رائعاً؟”

كان لا يزال عاجزاً عن استيعاب كلامي، وكنت متأكداً من أن ليام غريفيث، بالرغم مما يتمتع به من نفوذ، لا يعرف شيئاً عن القضية.

مسحت كاييت وجهها ويديها وقالت له: “لم يمت في البرج الشمالي. ولكنه مات الآن”. وأضافت، “لقد قتلتته”.

“ماذا تقولين؟”

قلت: “لن نتكلم المزيد عن هذا الموضوع في الوقت الحالي”. وسألته، “هل ترغب في تناول شيء من جبن الشيدر؟”

“ماذا قلت؟ كلا”. وأخيراً قال لنا: “كما تعرفان، أنتما في ورطة كبيرة. وقد أصدرت أوامري بإعادتكما إلى المدينة حالما أتمكن من العثور عليكما، وهو ما قمت به. وأنا أتشرف بإخباركما بأنكما ستخضعان لإجراءات تأديبية، وأمل بأن يكون مصيركما أسوأ من ذلك”. وذكر كلاماً آخر من هذا القبيل.

لا بدّ وأنني أكلت نصف كيلو غرام من الجبن وقطع اللحم البارد فيما كان يثرثر، ونظرت إلى ساعتني أكثر من مرة في إشارة إلى أنه ينبغي أن ينهي حديثه. وعندما أنهى حديثه بالفعل، سألنا “ما الذي حصل هنا بالضبط؟”

أجبتة، “وجدتُ وكاييت قاتل هاري مولر”.

“أين؟”

“هنا”.

“من كان القاتل؟”

أجابت كاييت، “كان باين مادوكس، مالك هذا المنزل”.

“وأين هو الآن؟”

أجبتة، “في الملجأ النووي. لقد مات”. وأضافت، “أنا قتلتته”.

لم يجب بشيء.

قلت له: “وهذا كل ما أنت بحاجة إلى معرفته، وهذا كل ما يمكننا قوله”.

“حسناً، ... إذا أنا بحاجة إلى أن تأتي معي”.

“إلى أين أنت ذاهب يا ليام؟”

“سبق أن أخبرتك. سنعود إلى المدينة”. وأضاف “توجد طوافة تنتظرنا في المطار”.

قلت له: “لا يمكننا في الواقع مغادرة مسرح الجريمة. فالرائد شافير...”

“حسناً، سنمضي نحن الثلاثة ساعة واحدة في هذا المكان مع شرطة الولاية لكي تشرح لها ماذا حصل، ثم سأطلب إلى الشرطة وضعكما تحت وصايتي”.

نظرت إلى كايت فأومأت برأسها. قلت لغريفيث: “سنقتصر أنا وكايت في إفادتنا على قضية مقتل هاري مولر. وكل ما عدا ذلك مما تراه أنت وشرطة الولاية هنا يخص الأمن القومي، وهو الأمر الذي لن نناقشه إلى أن نعود إلى المبنى الفيدرالي 26. هل تفهمني؟”

أجاب، “ربما يمكنك إعطائي تلميحاً إلى دور الأمن القومي في إقدام كايت على قتل ضابط في وكالة الاستخبارات المركزية”.

أجابت كايت، “يا ليام، أنا لا أعتقد بأن تصريحك الأمني رفيع لدرجة تسمح لي بإخبارك شيئاً عن هذا الموضوع”.

بدا منزعاً بعض الشيء، ولكنه أدلى بملاحظة ذكية عندما قال: “لطالما امتدحك تيد يا كايت”.

قالت له كايت: “لم يحصل ذلك في آخر مرة تحدثت فيها إليه”.

ليام غريفيث ليس غيباً وقال: “إما أنكما في مشكلة عويصة أو أنكما ستحصلان على شهادة تقدير. ولذلك سأكتفي بالصمت إلى أن أرى إلى أي الأمرين ستؤولان”.

قلت له: “لا بدّ أن هذا هو اليوم الوحيد الذي تكون فيه ذكياً كل أسبوع”.

هكذا، أمضينا ساعة من الوقت مع الرائد شافير، والمحققين التابعين لشرطة الولاية، والمحققين المختصين في مسرح الجريمة. وفي هذه الأثناء، تحابلت وكايت في الحديث عن القضية المحورية التي ركزت على ما كان يجري في حصن هنتر. وبعد مباراة في إثارة الغضب بين شافير وغريفيث، ركبت وكايت في السيارة التي استأجرها غريفيث، وبدأنا مسيرة العودة من نادي الصيد، ومررنا بالقرب من سارية العلم حيث كان العلم الأميركي لا يزال يرفرف تحت أضواء الأنوار الكاشفة، والذي كان يوجد أسفل العلم الصغير الذي يعود إلى فرقة الخالية السابعة لباين مادوكس.

أجل، كانت لديّ مشاعر مختلطة حيال هذا الرجل، والتي كانت سلبية في غالبتها، ولكن، ... حسناً، لو لم يقتل هاري، ولو لم يكن على استعداد لقتل بضعة ملايين من الأميركيين الآخرين، بمن فيهم كايت، وأنا، وكل شخص آخر يقف في طريقه، إضافة إلى مئات الملايين من الرجال، والنساء، والأطفال الأبرياء...

حسناً، كان رجلاً معقداً، وشعرت بأنني سأحتاج إلى وقت طويل لكي أفهمه على حقيقته.

كما مررنا بالقرب من فرامة الأخشاب، وهو ما أعادني إلى الواقع. كانت الأشياء الكبيرة - مثل المعركة الملحمية النووية - نظرية، ولكن الأشياء الصغيرة، مثل فرامة الأخشاب، هي التي تجعلك تفهم الشر.

حسناً، عدنا بالطائرة إلى نيويورك سيتي، وبحلول الوقت الذي عدنا فيه إلى مبنى بلازا 26 الفيدرالي، كان يوجد حوالي عشرة أشخاص من العاملين في المكتب، بمن فيهم توم والش طبعاً، وحوالي عشرة أشخاص آخرين من واشنطن، في انتظارنا وفي أيديهم دفاتر الملاحظات وأجهزة التسجيل.

كان في مقدوري الاستنتاج بأنه كان لا يزال هناك الكثير من الإرباك بشأن ما حصل وبشأن حقيقة وضعنا - هل كنا بطلين أم مجرمين - ولكنني أحسست بأن شخصاً أو شخصين ممن قدموا من واشنطن يعرفون بالضبط ماذا حصل، ولكنهما احتفظا بتلك المعلومات لنفسيهما.

جرى استجوابنا في مكتب توم والش من قبل عدة فرق يتألف كل فريق منها من رجلين، ولكنني وكايت صمدنا بقوة فيما كنا نقدم للمحققين وصفاً مفصلاً لكل ما حدث منذ أن دخلنا مبنى بلازا 26 الفيدرالي في صباح يوم كولومبوس وتحدثنا إلى توم والش؛ إلى الحديث الذي دار بيننا وبين بيتي في شركة كونتيننتال كوميتير، وماكس ولاري اللذين يعملان في مكتبين لتأجير السيارات، والتحقق من طائرتي مادوكس لدى مكتب الملاحة الجوية العام، والقرار بالذهاب إلى نادي الصيد في كاستر هيل بدلاً من الذهاب إلى المقر الرئيسي لشرطة الولاية،... إلخ.

كان في مقدوري رؤية عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي المبهورين جزئياً بالمبادرة التي اتخذناها والتقنيات الجيدة التي اتبعناها في التحقيق، والمرتبكين نوعاً ما بسبب فشلنا التام في تنفيذ الأوامر وتحويلنا إلى هاربيين. وأملت بأنهم تعلموا منّا شيئاً.

كما كان في مقدوري الاستنتاج أيضاً بأنه مع تقدم ساعات الليل، كنت وكايت الوحيدين اللذين لم يكونا قلقين بشأن شيء ما.

كنت أجد القليل من المتعة وأنا أشاهد توم والش الذي كان يرتبك خجلاً، ومتعة أكبر في الجلوس في مكتبه وقدمامي فوق طاولة الاجتماعات فيما كنت وكايت ندلي بمعلوماتنا. وعند الساعة الثالثة فجراً، عبرت عن رغبتني القوية في تناول الطعام الصيني، فذهب عميل من مكتب التحقيقات الفيدرالي ووجد مطعماً لا يزال يقدم هذا الطعام في هذه الساعة. هاي، لا يمكن أن يكون المرء مركز الاهتمام كل يوم، وعليك أن تستغل يومك بعض الشيء.

تم الكشف عن الكثير من المعلومات، ولكن لم تكن لدي فكرة عن الشوط الذي سيقطعه التحقيق، ولا عن حجم

المسؤولين المتورّطين في مؤامرة المشروع الأخضر.
وبالطبع، لن أعرف أنا أو كايت ذلك في يوم من الأيام.

مع طلوع الفجر، أعادنا عميلان من مكتب التحقيقات الفيدرالي في سيارتهما إلى شقتنا وتمنّيا لنا ليلة نوم هنيئة بالرغم من أننا كنا قد دخلنا في ساعات الصباح.

بعد أن دخلنا شقتنا، وقفنا في الشرفة، وراقبنا الشمس وهي تطلع فوق جبال مانهاتن، وتذكرنا معاً صباح 12 سبتمبر/أيلول 2001 عندما شاهدنا الدخان الأسود الذي حجب الشمس، ليس عنا وعن نيويورك وحسب، بل وعن البلاد بأسرها.

قلت لكاييت: “كما تعرفين، في هذه المهنة، كل عمل من أعمال العنف، وكل جريمة تُرتكب، ما هي سوى انتقام للجريمة التي سبقتها، وعذر للجريمة التي تليها”.

أومأت برأسها، وقالت: “أنت تعرف... أردت الاستقالة من هذا العمل، والذهاب إلى مكان آخر، أما الآن، وبعد كل ما حصل، أريد أن أبقى هنا، وأبذل كل ما في وسعي...”

نظرت إليها، ثم إلى لوير مانهاتن، حيث كان في مقدورنا في السابق رؤية البرجين التوأمين وهما يعانقان السماء. قلت لها، أو لنفسي: “أتساءل إن كنا سنرى مستوى التحذير باللون الأخضر مجدداً في حياتنا”.

أجابت، “أنا أشكّ في ذلك. لكن إذا واصلنا العمل على ذلك، ففي إمكاننا منعه من التحول إلى اللون الأحمر”.

الخلاصة هي أن عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو تمكنوا من العثور على الطيارين ومساعدتهم، وعلى الحقائب النووية التي كانت في الغرفة التي نزلوا فيها. في الواقع، كان أحد الطيارين المساعدين يجلس على إحداها وهو يشاهد التلفاز عندما فتح عملاء المكتب باب غرفته.

الخلاصة النهائية هي أنني تورّطت في دين مقداره ثلاثة آلاف دولار لفندق ذي بوينت، وكما توقعت كايت، رفض مكتب المحاسبة سماع أية تفسيرات، كما أن توم والش لم يعد يفكر في ملاحظتنا، ولذلك صرت بحاجة أنا وكايت إلى التقليل من عدد مرات تناول الطعام خارج المنزل لفترة من الوقت.

كنا بحاجة إلى الذهاب إلى مقرّ مكتب التحقيقات الفيدرالي في واشنطن العاصمة من أجل الإدلاء بتفاصيل كاملة، والإدلاء بتصريحات، وكتابة التقارير. وفي هذه الأثناء، كنت أنتظر وكايت سماع بعض الأخبار عن المجلس التنفيذي لنادي كاستر

هيل. ولكن لغاية الآن، يبدو أن هؤلاء الرفاق لا يزالون يعملون في وظائفهم القديمة.

كما بدا أن الحرب مع العراق قادمة دون شك، وأنا أعتمد على المعلومات الداخلية التي أعطاني إياها مادوكس وسأراهن هذا الأسبوع على يوم 17 مارس/آذار، والذي يقول وكيل مرهناتي بأنه بعيد وأن احتمالات فوزي فيه هي ثلاثة إلى واحد. أي أنه إذا كان في مقدوري مضاعفة رهان الألف دولار ثلاث مرّات، فسيكون في إمكاني تغطية تكاليف الإقامة في **ذي بوينت**. وفي ما يتعلّق بأسعار النفط المستقبلية، يقول وكيل مرهناتي بأن النفط العراقي سيُغرق الأسواق في فترة ما بعد الحرب، وأن الأسعار ستهبّط؛ ولن ترتفع كما قال مادوكس. وعليّ أن أفكّر في الشخص الذي ينبغي عليّ أن أثق به؛ وكيل مرهناتي أم باين مادوكس. وما من شك في أنه خيار صعب.

هناك أمر واحد لم نحتج إلى القيام به في واشنطن وهو شرح كيفية قتل كايت لضابط في وكالة الاستخبارات المركزية وسبب ذلك. وحول هذا الموضوع، قال لنا المسؤول في وكالة الاستخبارات المركزية الملحق **بالوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب** بأن الرجل القتل الذي عُثر عليه في منزل كاستر هيل بقي مجهول الهوية، وأن الضابط في وكالة الاستخبارات المركزية الذي يُدعى تيد ناش، والذي كنا نعرفه، مات في البرج الشمالي يوم 11 سبتمبر/أيلول 2001.

لم أكن لأجادلهم في هذا الموضوع، ولا كايت أيضاً.

أنا أفكر كثيراً في **المشروع الأخضر** الذي خطط له مادوكس، وأنا واثق من أن ما كان على وشك أن يحدث -

شنّ هجوم على مدينة أميركية واحدة أو أكثر بأسلحة
الدمار الشامل - سيحدث عاجلاً أو آجلاً. ولكن في الوقت
الحالي، عليّ أن أتساءل عن المصدر الحقيقي لذلك
الهجوم. ولكن لا علاقة لذلك بالغاية من إطلاق عاصفة
النار.